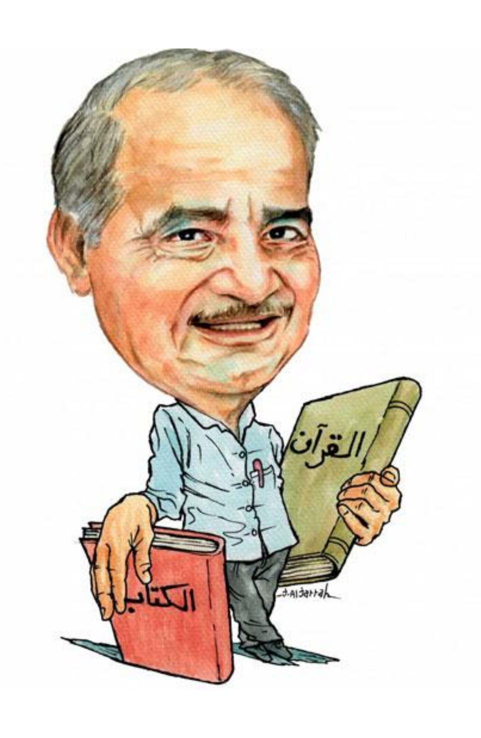


ألتّفكير وألتّغيير

د. محمد شحرور

قراءة مُعاصِرَة للتّنزيل ألحكيم

- ألأسس والضوابط
- ألتنزيل ألحكيم
- ألمصطلحات والمفاهيم ألقرآنية
- ألمحكم والمتشابه
- ألإنزال والتنزيل
- أزمة ألفقه ألإسلامي
- مفاهيم ألوجود
- جدل ألكون والإنسانية
- نظرية ألمعرفة ألإنسانية
- ألرسالة والنبوة
- ألقضاء والقدر
- ألأعمال والأرزاق
- ألشهوات ألإنسانية ومفاهيم ألجمال
- آدم ونشأة ألكلام ألإنساني
- إبليس – ألطاعة والمعصية
- ألإسلام والمسلمون
- أركان ألإسلام وأركان ألأيمان
- رسالة محمد ومضامينها
- ألحنيفية والإستقامة وعلاقتها بالحدود
- ألإسلام وقضايا ألمرأة ألوصية والإرث
- ألإسلام وقضايا ألمرأة ألتعددية ألزوجية
- ألإسلام وقضايا ألمرأة ألقوامة
- ألإسلام وقضايا ألمرأة ألحجاب
- ألأبوان والوالدان
- ألعباد والعبيد
- ألشهادة والشهيد
- ألدين والسلطة
- ألدين والسلطة ألحاكمية ١ – ٥
- ألقصص ألقرآني ١ - ٣

إعداد/ إبراهيم خريبي

محمد شحرور- قِراءة مُعاصِرَة

ألدكتور محمد شحرور في أكثر من مقابلة يرد على سؤال يتردد على بال الكثيرين، ما الذي دفع إنسان درس ألهندسة ألمدنية في جامعات موسكو، وتابع دراسته العليا في بريطانيا ليتجه إلى قراءته ألمعاصرة.

يقول الدكتور محمد شحرور، بعد حرب ٦٧ بين إسرائيل والدول العربية والتي انتهت بهزيمة ألدول ألعربية واحتلال أجزاء كبيرة من مصر وسوريا والضفة الغربية التي كانت تحت ألسيادة الأردنية، استمع إلى أول خطبة جمعة بعد تلك الحرب والتي تحدث فيها إمام ألجامع قائلاً بالحرف الواحد: أنّنا هُزِمْنا لأنّ النّساء يخرُجْنَ من بيوتِهِنّ كاسِياتٍ عاريات.

يتابع ألدكتور شحرور قائلاً ، بعد أيام قليلة إلتقي أحد ألشيوعيين والذي قال له: أننا هُزِمْنا لأننا نَصوم في رَمَضانْ.

يقول ألدكتور أنه أيقن حينها أنّ هناك أزمة في طريقة ألتفكير لدى ألمواطن ألعربي وهذا ما دفعه إلى ألبحث ألمطول ألذي قاده إلى دراسته ألمعاصره، والتي سنحاول أن نلقى ألضوء على ما جاءت به من أفكار قد تكون صادمة وصادمة جدا للبعض ألذين سيجدون فيها نسفا لما عهدوه من تراث وأفكار موروثة.

يبدأ ألدكتور شحرور مشيرا إلى أحدى المقابلات ألصحفية التي أشار فيها مفتي ألديار ألمصرية قائلاً: **إنّ الفقه الأسلامي قد حل أكثر من مليون ومئتي ألف مسألة فقهية !** ويسأل ألدكتور: هل هذا هو الدين ألذي جاء رحمة لكل ألناس.

يُصِر الدكتور على أنّ الأساس في الحياة هي الإباحة وأن الحرام محدد، ويتساءل: بم تفتون أيها الفقهاء؟ ليعلق قائلا أن لله وحده الحق في التحريم لأن التحريم **شُمولي وأبدي** ويشرح قائلاً:

> أنّ الحرام في مكة حرام في نيويورك وطوكيو وموسكو وبكين والقدس والقاهرة وفي كل مكان (شُمولي)، وإن الحرام يبقى حراما حتى قيام ألساعة (أبدي) .. أما الحلال فلا يُمارَسْ إلا مُقيد وأن الحُرية يُحددها المجتمع ليَخلصْ إلى القول أن مفهوم **ألمندوب والمكروه** لا معنىً له.

إن مشكلتنا كمسلمين أننا تركنا كتاب الله وتمسكنا بما قاله الفقهاء فبات الدين بالنسبة إلينا هو ما قاله الشافعي وليس ما جاء به الرسول الأعظم، وهذا نتحمل مسئوليته نحن وليس من اجتهدوا في القرون الأولى، لأنه لم يَقلْ أحد منهم أن نجعل اقوالهم قرآنا بل على العكس بينوا لنا أن ما قالوه هو إجتهادهم وهو ما فهموه في زمانهم وأن علينا نحن ايضا ان نجتهد كما اجتهدوا.

يقول أبن كثير:(ألقُرْآنْ يُفسِّرُ بَعْضَهُ بَعْضاً، وَإذا أعْياكَ فَعَلَيكَ بالسّنة). والكثير قالوا هذا أيضا.

مشكلة ألعقل ألعربي تكمُنْ في ألثقافة ألإسلامية ألموروثة ألتي وُضِعَتْ أسسها من قبل ألناس

- ألكتاب
- ألسنه
- ألإجماع
- ألقياس

كتاب الله يحمل مفاتيح فهمه من داخله.

عندما يُقال (عالم) يَتبادر للعقل ألعربي أنّ الحديث يدور عن عالم ألدين، ولهذا أسبابه .. فلسنين طويله كانت كل الأسئلة ألتي يحتاج العربي في زمن الرساله وبعدها بقرون الإجابة عليها أمور دُنيوية ليس لها

أي علاقة بالفيزياء أو الرياضيات أو الفلك أو ما شابه وإنما أكثرها أمور تتعلق بالحلال والحرام، ولذا ارتبط مفهوم كلمة عالم بعالم الدين وفسروها كذلك في قوله سبحانه وتتعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ علما بإن سياق الآيات التي وردت فيها هذه العبارة ألقرآنية يشير إلى غير ذلك تماما. يقول سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ فاطر: ٢٧ - ٢٨

فالآيات تتحدث عن عالم ألنبات، وعالم ألجيولوجيا وعن عالم ألبيولوجيا ولا يوجد أي إشارة هنا إلى عالم ألدين.

ألعقل ألعربي عقل قياسي والعقل ألقياسي عقل عاجز عن إنتاج ألمعرفة (إكتشاف ألقوانين وليس إستعمالها) **والعقل ألعربي عقل فقهي** (قبل أن يسأل كيف يَستعمل أي منتج ولم يَستعمله يسأل هل هو حلال أم حرام) .. ونحن أليوم نعتمد دائما على ما قاله السلف ونحاول أن نعيش ألقرن ألحالي تماما كما كانوا هم في بداية ألدعوة وبالتالي لا يمكن أبدا أن ننتج أي شيء.

يقول أينشتاين: **إنه من ألحَمَاقة أن تظن أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرر ألشيء نفسه**.

يتساءل البعض لماذا نظلم الأصالة على حساب الإبداع وكل الأمم تهتم بأصالتها؟

نقول لهؤلاء وأمثالهم أن أصالة ألمجتمع تتكون من عاداته ألتي لا تقف عثرة ضد ألإبداع. لو نظرنا إلى دولة مثل مصر مثلا يتجاوز عدد سكانها أليوم ٨٥ مليون نسمة، ولو علمنا أن عدد سكان مصر عندما زارها ألإمام ألشافعي كان حوالي ألمليوني نسمة. هل يعقل أنه منذ قدوم الإمام الشافعي إلى مصر إلى يومنا هذا لم يظهر في مصر رجلا بعلم الأمام ألشافعي أو من يفوقه علما؟

إبن رشد، رغم أنه عربي فلقد أثر في ألعقل ألأوروبي ولم يؤثر في ألعقل ألعربي، لكن ألنهضة في أوروبا تجاوزت أبن رشد وأصبحت كتبه مجرد تراث لديهم أما نحن فما زلنا ننهل منها على اساس أنها المرجع.

يقولون باب الإجتهاد مفتوح وللكل الحق بأن يجتهد. ونقول أن الإبداع يستحيل دون اختراق ما قيل من ثوابت في موروثاتنا.

يتفاخرون بمؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن ألكريم، رغم أن هذه المؤتمرات هي وصمة عار بالنسبة لنا. أليس من المعيب أن نفتش في كتاب الله عما يشير إلى اكتشاف جديد أو نظرية جديدة بعد أن يكتشفها ألغرب؟ لماذا لا نستنبط نحن تلك الأكتشافات والنظريات بأنفسنا من كتاب الله الموجود بين أيدينا منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة.

ألمشكلة أن العقل ألجمعي معتقد أن ألتاريخ يسير إلى الوراء، وأن كل قرن أسوأ من ألقرن الذي قبله، معتمدين بذلك على أحاديث نذكر منها:

حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ.

كيف نقبل هذا الحديث ونحن نعلم أنه في القرن الأول حصلت أكبر عملية تزوير ضد الرسول صَلى الله عليه وسلم بما نَسَبَ إليه البعض زورا وبُهتانا أحاديث وأقوال لم يسمع صلوات الله وسلامه عليه بأيَ منها، وهذا الحديث واحد من تلك الأحاديث. إنّ الذين لفّقوا الأحاديث هم من الجيل الأول وليسوا من الصين ولا من أميركا.

ألرسول صاحب ألوحيين

لقد تم إعتماد مقولة أنّ ألرّسول ألكريم صاحب ألوحيين، ألوحي الأوّل هو ألكتاب ألموحى إليه والوحي ألثاني هو ألسنة ألشريفة. بهذا أصبحت ألسنة رديفا للقرآن حتى وصل الأمر بالبعض أن يقول أن القرآن يحتاج ألسنة أكثر ما تحتاج السنة ألقرآن.

لقد اختار الإمام أحمد حوالي ٣٠٠٠٠ حديث من ما يقارب المليون حديث كانت بين يديه. والإمام البخاري جمع حوالي ٦٠٠٠٠٠ حديث اختار منها في الصحيح حوالي ٦٧٠٠ حديث.

هذه الأحاديث جمعت في زمن كان الحاكم فيه هو أمير ألمؤمنين، فكيف يُعقل أن يتم هذا الإفتراء دون أن يجد هناك من يوقفه. لكن الحقيقة أنّ الأحاديث كانت تقال لأسباب سياسية واقتصادية وهي تماثل الأعلانات التي تروج هذه الأيام إمّا ألى حاكم وإما إلى بضاعة مطلوب ترويجها.

وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى حديث العشرة المُبشرين بالجنة الوارد في سُنن الترمذي وأحمد وابن ماجة والذي ينص على أن العشرة ألمُبشرين بالجنه هم:

- أبو بكر الصديق
- عمر بن ألخطاب
- عثمان بن عفان
- على بن ابي طالب
- طلحة بن عبيد الله
- ألزّبير بن العوام
- عبد الرّحمن بن عوف
- سعد بن أبي وقاص
- أبو عبيدة بن ألجراح
- سعيد بن زيد بن عمرو

ألغريب أن العشرة من قريش وليس فيهم واحد من الأنصار. هنا نذكر أن الرّسول صلى الله عليه وسلم بعد معركة حنين وبعد أن وزع الغنائم على القريشيين ولم يُعطِ الأنصار اي شيء أحتجّ الأنصار لعدم حصولهم على اي من الغنائم، فهل يعقل أن لا يحتج الأنصار على عدم ذكر أي منهم من ضمن العشرة المبشرين بالجنة.

نشير هنا إلى أنّ حديث ألعشرة المبشرين في الجنة لم يذكر في أي من الصحيحين – ألبخاري ومسلم. كما أنّ الشيعة ألإثني عشرية لا يُقِرّون هذا الحديث ويحتجون على ذلك بحوار بين الأمام علي رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله (ممكن الرجوع للحوار في كتب التراث).

والغريب أن من بين عشرات الآلاف من الأحاديث ألمروية لا نجد حديثا واحد يُقدس ألحرية، بينما نجد أحاديث عدة تتحدث عن وجوب طاعة السلطان كالحديث الوارد في صحيح مسلم:

عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر، قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير، قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

حرب ٦٧ أظهرت أنّ مشاريع ألحداثة في البلاد ألعربية كانت قاصرة وخانت وعودها.

ألثورات ألسياسية ألتي قامت في البلاد ألعربية لم يسبقها اي حراك ثقافي. علما أنّ ألرسول الأعظم خلال وجوده بمكة لم يقم بأي حراك سياسي ولكنه عليه الصلاة والسلام قام بحراك فكري ثقافي جبار ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ الرعد: ١١

إنّ العدالة هي الشعار الذي يختبئ وراءه كل مُستبد .. لكن طرح شعار العداله هو إقرار بإعطاء ألمستبد شرعية.

مشكلتنا اليوم هي عدم وجود دولة ألمؤسسات. وهذا حالنا منذ البعثة، فنحن حتى اليوم ما زلنا نتغنى بعدالة عمر رضي الله عنه، لكننا وللأسف لم نستطع أن نحول عمر إلى مؤسسة، وما زلنا حتى اليوم نبحث عن عمر.

مشكلة أخرى نعانيها وهي الإصرار على أن نتمسك بالتراث معتقدين أننا نحافظ على أصالتنا والصحيح أن علينا دائما أن نضيف أفكارا جديدة لمفاهيم موروثة من أجل تطويرها وتقدمها.

إنّ التمسك بالتراث والأصالة يعني أحد أمرين:

- **إما أنّ الأموات أحياء**
- **وإما أنّ الأحياء أموات**

ألمطلوب أليوم أن نقرأ المصحف بعيوننا وليس بعيون ألشافعي وأبن كثير والطبري وغيرهم ممن تدبروا الكتاب في عصرهم.

قال تعالى ﴿ ... شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴾ البقرة: ١٨٥

ألسابقون كانوا من الناس ونحن من الناس.

بدون إختراق ألثوابت ألتي أقرها العلماء لا يمكن أن نتطور. ألقرآن يجب أن يُقرأ بأرضية معرفية مناسبة لكل عصر.

مشكلات ألعقل ألعربي

أهم ألمشاكل التي يعاني منها ألعقل ألعربي ممكن أن نلخصها بالأمور ألتالية:

- **عقل ترادفي** .. والعقل الترادفي غير دقيق.
أله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون هو منزل هذا الكتاب على رسوله الكريم. هذا ألوجود في دقته اللامتناهية هو كتاب الله ألمنشور، وهذا الكتاب ألموحي هو كتاب الله ألمقروء وبالتالي يجب أن تكون الدقة فيه كالدقة في الكون نفسه. إنّ إقرار الترادف يؤدي إلى عدم فهم الكثير من آيات الكتاب. لكن المشكلة أن البعض اعتقد أنّ أهم إعجاز وتحدي جاء في القرآن الكريم هو الأعجاز البياني، ذلك أنّ العرب زمن نزول القرآن كانوا قوما بارعين في اللغة ورغم هذا فقد عجزوا أن يأتوا بمثل ما جاء به الكتاب. هذا الإعتقاد جعلهم لا يفرقوا بين الأب والوالد، أو بين الأم والوالدة وقس على ذلك، وبالتالي لم تفسر الكثير من الآيات كما يجب.

- **ألعقل العربي عقل قياسي** (هناك أصل يقيس عليه)
تماما كما كان الإتحاد ألسوفياتي هو المثل والمرجع لشيوعيي ألعالم كذلك فإن الجيل الأول (عصر الصحابه) هو الأصل الذي نقيس عليه أي أمر في حياتنا اليوم أي بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة من زمن الجيل الأول. مثال على ذلك:
عندما قدم الرسول الأعظم إلى المدينة المنورة خرج أهل المدينة لإستقباله بالدفوف ينشدوا (طلع البدر علينا)، فاستنتجوا أنّ ألعزف على الدف حلال وحرم البعض العزف على ألآلات الموسيقية الحديثة. إنّ السؤال الذي يتبادر على كل فكر نير: لم القياس على هذا والأصل في الأشياء الحلال. إن الحرام إستثناء وإنّ القياس هنا هراء. ألقياس يكون بأن نقيس واقع على واقع موجود. إن العقل ألقياسي جعلنا عاجزين عن الإبداع. اليوم لدينا آلاف ألجامعات في عالمنا العربي ولكن كم عدد العلماء الذين ظهروا عندنا؟

- **ألعقل ألعربي عقل إتصالي** يسأل عن المسموح والممنوع ولا يسأل عن ألحق والباطل، وهذا يتناسب مع ألمستبد. عندما ظهر جهاز الهاتف ألنقال كان أول ما سألناه هل استعماله حلال أم حرام قبل ان نسأل كيف اخترِعْ ولم يُسْتخدمْ؟
هاجس الخوف جعلنا نعيش حالة طوارئ .. نعيشها منذ مئات السنين حتى بتنا لا نشعر بها.
ألعقل ألعربي نشأ في ظل نظام استبدادي، وهنا نتحدث عن العقل المُكوّنْ إجتماعيا وسياسيا وفكريا وليس عن العقل الفطري.
إن عقدة الذنب نحن أكثر من يعيشها .. إذا مرضنا نقول أننا أغضبنا الله. لا نقر بأخطائنا حتى المريض الذي يموت نتيجة خطأ ألطبيب نقول (خلص عمره) .. ألطبيب في البلاد ألعربية لا يتحمل أي مسؤولية.

صحوة إسلامية أم صحوة أيمانية؟

نسمع مقولة أنّ هناك صحوة إسلامية ونسأل ماذا تعني عبارة صحوة إسلامية؟

إنّ زيادة عدد المُصلين تعني أن الإيمان بخير وإنّ زيادة الأجور تعني أنّ الإسلام بخير

إنّ زيادة عدد المحجبات تعني أن الإيمان بخير وإنّ زيادة ألجمعيات ألخيرية تعني أن الإسلام بخير

بإختصار .. إنّ الإلتزام بالشعائر يعني أنّ الأيمان بخير وإنّ الإلتزام بالقيم يعني أنّ الإسلام بخير.

الإسلام فطرة والإيمان تكليف.

إنّ عدم ألتمييز بين الإيمان والإسلام جعل أتباع ألرسالة الخاتمة يعتبرون أن باقي البشر كفار وبذلك أخرجوا ٨٠٪ من سكان الأرض من إسلامهم وأرسلوهم وقودا للنار.

ألمفاهيم والأدوات: Concepts and Tools

الناس اعتقدوا لفترة طويلة أن الأرض هي مركز ألكون وأن ألكون يدور حولها حتى جاء **كوبرنيكوس** ليقول بمركزية ألشمس وأن الأرض جرماً يدور في فلكها وبذلك قلب المفاهيم السائدة.

أيضا مع **غاليليو** بدأ العالم يدرس حركة ألنجوم باستعمال ألمنظار .. أي أنه استحدث أداة جديدة لدراسة الأجرام ألسماوية.

وهكذا بمفهوم جديد مع كوبرنيكوس وأداة جديدة مع غاليليو خطى العلم خطوات واسعة نحو ألحقيقة.

نحن ايضا إذا أردنا أن نفهم التنزيل الحكيم فهما صحيحا فإن علينا أن ندرسه من خلال مفاهيم وأدواة جديدة نملكها اليوم لم تكن متاحة للجيل الأول.

إن الرسالة الخاتمة هي رسالة عالمية وهي رحمة للعالمين مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ فماذا تعني العبارات الثلاث

- ألخاتمية
- ألعالمية
- ألرحمة

كتب التراث لا تحمل اي عالمية، بل على العكس تماما فقد حصرت الرسالة ضمن بقعة جغرافية محدودة هي شبه جزيرة ألعرب. وبالتالي قتلنا الزمن وأصبحنا نفتش عن كل حل من خلال تفاعل الجيل الأول في تلك ألبقعة.
ألمنطق ألصوري عندنا معدوم. نحتاج دائما إلى مقدمة ونتيجة – ألمقدمة وصفوها سلوك القرن السابع ألميلادي. مثال:

ألقرن السابع شبه جزيرة العرب. إمرأة تريد أن تسافر من مكة إلى أليمن. تحتاج إلى محرم للسفر

ألقرن ألواحد والعشرين .. إمرأة في السويد، تريد أن تسافر .. تحتاج إلى محرم.

هنا قتلنا ألزمن (بعقل ألسلفي ألزمن غير موجود)

إذا سألني إنسان ألا يسعك ما وسع الصحابة في فهم الكتاب والقرآن؟ أقول كلا لا يسعني.

هم عاشوا في زمن له ظروفه الإقتصادية والمعرفية وأنا أعيش في زمن مختلف عنه تماما.

هناك إشكاليات يجب مواجهتها وعلينا تجاوزها .. هذه الأشكاليات منها السياسي واللغوي وحتى الديني.

كما قلنا فإن خالق هذا الكون بهذه الدقة هو منزل الكتاب على رسوله، وبالتالي فإن الدقة في هذا الكون يجب أن تتجلى في هذا الكتاب لأن ة الناموس واحد، ففي كتاب الله لا عبث ولا أحرف زائدة بل هو كتاب محكم تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله. قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

وبالتالي فإن الله سبحانه وتعالى حين يقول:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ فإن التحريم للأمهات، والأم غير ألوالدة. وحين يقول

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ فإنه بالضرورة أن هناك أبناء ليس من أصلابنا (ألتبني)، وإلا أصبح هناك حشو في كتاب الله .. معاذ الله أن يكون ذلك.

وإنّ ﴿ ٱسْطَٰعُوٓا۟ ﴾ تختلف عن ﴿ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ إنّ ألزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في ألدلالة. ودخول التاء على الفعل يَعني أنّ هناك جهدا أكبر يجب أن يبذل.

إن علوم الألسن تطورت وعلينا أن نستفيد من هذا التطور في فهم كتاب الله.

ولنر **الرّحْمَة** في كتاب الله يكفي أن نقارن هذه الشريعة ألخاتمة بشريعة موسى عليه السلام. ففي شريعة موسى هناك ٦١٣ بند تشريعي وهي شريعة عينية، بينما الشريعة ألخاتمة هي شريعة حدودية وسنشرح ماذا تعني شريعة حدودية في الفصول القادمة.

ألمنهج والضوابط للنظرية المعرفية في ألقراءة ألمعاصرة

هل يوجد في القرآن نظرية للمعرفة الإنسانية تتيحُ للإنسان ألصّعود إلى ألفضاء والغوص في أعماق ألبحار واكتشاف علاج للسرطان؟

ما هو المنهج ألمتبع من قبلي وأنا أقول من قبلي لأشير إلى ألسقف ألمعرفي في الوقت ألحاضر وبالتالي فإن كل ما نقوله اليوم يجب أن يعاد النظر فيه بعد ٥٠ سنة أو ١٠٠ سنة ليعاد صياغته وتصحيح ما يثبت العلم والتطور ألمعرفي صحته؟.

ألفقهاء تساءلوا مثلا هل يجوز ألصلاة على أرجوحة غير مُعلقة في السقف وغير مُسندة على الأرض؟ هذا ما يعرف ب (ألممكنات ألعقلية) ... في عصرنا هل يجوز الصّلاة في ألطائرة؟

أنا مؤمن أن هذا الكتاب من أول حرف في سورة ألفاتحة وحتى آخر حرف في سورة ألناس هو من عند رب العالمين. وأنا مؤمن أن الله حق وقوله الحق. وأنا على يقين تام بمصداقية الخبر القرآني،

وبالتالي عندما يخاطب الله أهل الأرض بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ليخبرنا حقيقة ما، فإن هذا الخبر كونه موجها لكل الناس فأن مصداقيته يجب أن تظهر في طوكيو ولوس أنجلوس وباريس تماما كما تظهر في دمشق والقاهرة ومكة. (عالمية ألرسالة)

أما الخطاب ألموجه لأتباع الرسالة المحمدية فهو خطاب خاص ولا يحمل صفة ألعالمية وهذا الخطاب نراه في الشعائر، فنحن حين نرى إنسان ما يصلى حسب ما أمر الله وبين ألرسول نعرف أنه من أتباع ألرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كذلك الحال إذا رأينا إنسان صائم في شهر رمضان فلن نجهد أنفسنا لنقول أن هذا الشخص مُسْلمْ مُؤمِنْ بالرسول ألخاتم.

أول خاصية في القراءة المعاصرة هي **لا ترادف في التنزيل ألحكيم**

لا يوجد كلمتين في القرآن ألكريم لهما نفس ألمعنى. بالتالي ممكن أن تحمل ألكلمة ألواحدة أكثر من معنى.

هناك قول للجرجاني: عِنْدَما يُخاطِبُ ألمُتكلمْ ألسّامِعْ لا يَقصِدْ إفْهامِهِ مَعاني ألكلِماتْ ألمُفْرَدَة وإنّما ألنّظمْ

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

ألنساء في ألآية لا يمكن أن تكون جمع إمرأة وإنما هي جمع **نَسيء**، كذلك **ألبنين** ليست جمع الأولاد ألذكور. نقول ذلك لأن نظم الآية يوحى بذلك، وذلك للأسباب ألتاليه

- الله سبحانه وتعالى يقول زُيِّنَ لِلنَّاسِ والناس هم ذكور وإناث فكيف نفهم أن تزين ألنساء للنساء
- ألله سبحانه وتعالى ذكر النساء مع الأشياء (ألبنين، ألقناطير ألمقنطرة من الذهب والفضة، ألخيل المسومة، ألأنعام، ألحرث .. أشياء متاع ألحياة ألدنيا
- الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يذكر المرأة مع الأنعام ويجعلها متاع
- ألبنين هنا تعني ألبنيان ولا علاقة لها بالأبناء. فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ فإذا كان المقصود الأبناء الذكور فإننا نتساءل هل تنفع ألبنات؟ المقصود هنا البنيان. فرعون مثلا الذي بنى الأهرامات فإن بنائها لا يُقدم ولا يُؤخر يوم الحساب

إذا من خلال النظم استطعنا أن نفهم معنى النساء في الآية (آل عمران: ١٤)

قد تأخذ النساء معنىً آخر كما في الآية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ... ﴾ الطلاق: ١

ٱلنِّسَآءَ هنا أ جمع إمرأة، هذا واضح من السياق (النظم).

وأحيانا تأتي كلمة ألنساء لتعني مجموعة من ألذكور

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

فهنا المقصود مجموعة ألذكور التي تتضمن ألأولاد نزولا (الأبناء والأحفاد) للذكور المذكورين في الآية.

والآية الكريمة ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ ... ﴾ البقرة: ٢٢٣

فأنّ **نِسَاؤُكُمْ** هنا تعني ما استجد من أشياء فكلها حلال ولا تسألوا عنها أحرام هي أم حلال لأن التحريم أقفِلَ بالرسالة ألخاتمة.

هذا المعنى يتوافق مع المعنى الوارد في الحديث ألشريف

روى البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)

كذلك الأمر بالنسبة لكلمة (**أمْر**) فإنها تأتي ايضا بأكثر من معنى. من هذه المعاني

- **الأمر ضد ألنهي**

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

النحل: ٩٠

- **الأمر هو شأن الإنسان**

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس: ٨٢

- **ألأمر بمعنى ألتعجب**

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ ﴾ الكهف: ٧١

- **ألأمر بمعنى ألكثرة**

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ الإسراء: ١٦

وأمرنا أو أمّرْنا هي الكثرة .. إن ازدياد عدد المترفين في بلد ما سيؤدي حتما إلى الفساد وبالتالي فأن التهلكة آتية لا محالة، تلك هي سنة الله في خلقه.

ألترادف يخلق لنا مشكلة كبيرة في فهم آيات الأحكام وسنبين ذلك في حينه.

الخاصية ألثانية في القراءة المعاصرة **لا يوجد زيادات نحوية**

قالوا أن **ما** بعد **إذا** زائدة .. نقول زائدة نحوية ولكن هل هي زائدة دلالية

إن **ما** بعد **إذا** تنفي ألعذر فقوله تعالى في آية المداينة في سورة ألبقرة ﴿ ... وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ ... ﴾ البقرة: ٢٨٢ تنفي أي عذر للشهداء .. عليهم أن يؤدوا الشهادة. أما في سورة ألجمعة فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾ الجمعة: ٩

فلو أن الآية جاءت **إذا ما نودي** لما قبل أي عذر بالتخلف عن صلاة الجمعة ولَوَجَبَ على الجميع الحضور للصلاة مهما كانت الأسباب. هنا نقول أن الزيادة في ألمبنى تؤدي ألى زيادة في ألدلالة.

نشير هنا إلى أن الفعل بعد إذا **حتمي** الوقوع، بينما الفعل بعد إن **إحتمالي** الوقوع

﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ ﴾ الحجر: ٢٩ ألتسوية حاصلة

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ ﴾ التكوير: ٢ لا بد أنها ستنكدر

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ... ﴿١﴾ ﴾ الطلاق: ١ لا يمكن إلغاء ظاهرة الطلاق من المجتمعات ألإنسانية، ولذا نرى أن المجتمعات التي كانت قد منعت ألطلاق فإنها تعيد ألنظر في قرارها.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣ ظاهرة تعدد الزوجات ممكن أن تلغى يوما ما، واليوم نرى أنه في أغلب ألمجتمعات الإنسانية فإن هذه الظاهرة في تناقص دائم وممكن أن يأتي يوم وتنعدم تماما. لاحظ أنه سبحانه وتعالى استعمل (إنْ)

من الأمثلة عن الزيادة في اللفظ أيضا ما ورد في قوله تعالى

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ الكهف: ٩٧

كنا قد أشرنا سابقا أن زيادة **التاء** على الفعل **اسطاع** تشير إلى أن هناك جهدا أكبر سيُبذل وكنا قد أطلقنا على هذا ألتاء (**تاء ألجُهْدْ**) ..فثقب ألجدار يحتاج لجهد أكبر من صعود ألجدار.. وحين نقول:

خَرَجَ من الجامعة (الخروج يحتاج دقائق) .. أما قولنا تَخَرَّجَ من الجامعة (فالأمر يحتاج لسنوات)

أمثلة آخرى

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥ إن ورود أَنتَ في هذه الآية تشير إلى أنّ اختيار آدم عليه السلام كان من ضمن مجموعة من البشر ..

﴿ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ ﴾ فإنه بالضرورة أن هناك أبناء ليسوا من أصلابنا (ألتبني) وكمثال عندما نقول أعطيتك تفاحة حمراء فهذا يشير إلى أن هناك تفاح غير أحمر.

يتساءل البعض إذا كان ما تقوله صحيحا فكيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩

فهل هناك صالحا لا يرضاه الله. نقول بالتأكيد نعم. فمن ألذرة نستطيع أن نعمل مواد مُشعة تُسْتخدم في ألطب، وهذا عمل صالح يرضاه الله. ومن الذرة نفسها نستطيع أن نعمل قنابل مدمرة وهذا عمل صالح لا يرضاه الله. هناك أعمال كثيرة يعملها الإنسان ويبذل جهدا فيها ولا يرضى الله عنها.

في آية المواريث قال تعالى ﴿ ... وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ...﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١

قال تعالى وَلِأَبَوَيۡهِ ولم يقل ولوالديه.

- ألأب مفهوم إنساني .. مَنْ أبَّ لك ومن أجلك
- ألوالد مفهوم بيولوجي .. صاحب ألحيوان ألمنوي

ألنسب للأب وليس للوالد والأنساب لا تضيع. قد يكون الأب هو الوالد وقد لا يكون.

أما في الوصية فقد ذكر سبحانه وتعالى الوالدين

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠

إنّ عدم ألتمييز بين الأب والوالد أدى إلى أشكالية في علم المواريث سنتحدث عنها بالتفصيل في فصل قادم.

ولكي يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن الوالد والأب ممكن أن يكونا شخص واحد قال تعالى

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

الإسراء: ٢٣ ــ ٢٤

في البداية أمرنا تعالى بأن نُحسنْ للوالدين وفي نهاية الآية التالية أمرنا بأن ندعوا لهما بالرحمة لما قاما به على تربيتنا ليبين لنا أن الوالد الذي أنجب هو الأب الذي ربى. كذلك بالنسبة للوالدة والأم.

أللقطاء لهم والدين وليس لهم ابوين (نتبناهم)

ألمفاهيم الإنسانية في القرآن ألكريم ذكر فيها آباء وأمهات

إذا لا بد من مراجعة لآيات كتاب الله في كل زمن ولو قمنا بدراسة آيات ألمواريث بناء على هذا المفهوم وبناء على الأرضية المعرفية في عصرنا من تحليل رياضي وهندسة تحليلية ورياضيات حديثة ونظرية الإحتمالات (إضافة للعمليات ألحسابية الأربع ألتي كانت معروفة) لتغير فقه المواريث.

هناك حالات في علم المواريث السائد النسب لا تتحقق فيه ١٠٠٪. وهناك حالات تزيد ألنسب فيها عن أل ١٠٠٪. هذه الحالات جعلت أبن عباس يتساءل هل ممكن لخالق ألكون أن يصدر تشريعا لا يغلق كما يجب؟

نتابع قراءة كتاب الله لنوضح أن كل حرف وكل كلمة في الكتاب جاءت حيث يجب وأن من المحال استبدالها بكلمة أخرى. قال تعالى ﴿ ... فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ... ﴾ البقرة: ١٩٦ هل يوجد عشرة غير كاملة؟!!!

المتأمل للآية ألكريمة يدرك أمرين في غاية الأهميّة

1- ألعشرة أيام هناك إنقطاع بينهم .. **ألكمالْ** هو إتمام ألمنقطع و**التّمام** هو الإستمرار دون إنقطاع

﴿ ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ المائدة: ٣ ألدين بدأ بنوح

﴿ ... وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ... ﴾ البقرة: ١٨٥ لا صيام أول يوم ألعيد هناك إنقطاع

أما **ألتمام** فهو إستمرار بدون إنقطاع

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ ... ﴾ الأعراف: ١٤٢ لم يحصل إنقطاع

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ القصص: ٢٧

2- عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ إشارة إلى ألنظام ألعشري في الأعداد. هناك أكثر من نظام للأعداد منها النظام الثنائي (Binary system) وألنظام العشري (Decimal) والنظام الستتة عشري (Hexadecimal System) والعشرة لا تكون كاملة إلا في ألنظام ألعشري

إننا حين نتدبر آيات كتاب الله يجب أن نضع نصب أعيننا ان ألخبر القرآني صادق وأن الرسالة ألخاتمة عالمية. مثلا حين يقول تعالى﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ النور: ٣ فالحديث هنا ليس له علاقة بالزواج وإلا يُصبح الخبر غير صادق وإن ينكح هنا تعني الفعل – فعل ألنكاح.

ألتنزيل ألحكيم

مفردات ألتنزيل ألحكيم

من ألدّعائم والأفكار ألمؤسّسة للقراءة ألمعاصرة للتّنزيل ألحكيم إعادة تعريف وتوصيف ألكثير من المفردات ألواردة في كتاب الله. لقد ميّز ألدكتور محمد شحرور بين كل من: ألكتاب، ألقرآن، ألذكر، ألفرقان، أم الكتاب، وكذلك بين ألإمام ألمبين واللوح ألمحفوظ وَبَيّنَ أن لا ترادف في كتاب الله، فما الذي دعاهُ إلى هذا التمييز في حين اعتبر الكثير أنّ هذه المفردات دالات لمدلول واحد هو كتاب الله. لقد عَنْوَنَ الدكتور شحرور كتابه الأول (ألكتاب والقرآن – قراءة معاصرة) فهل هذا العنوان جامع مانع؟.

إنطلاقا من رأي إبن كثير في مقدمة تفسيرة (ألقرآن يُفَسّرُ بَعْضَهُ بَعْضاَ) – وهذا تقريبا رأي أغلب من فسروا ألقرآن وليس ابن كثير وحده، إنطلق الدكتور محمد شحرور في قراءته المعاصرة .. لكن لم ير الدكتور أن المفسرين التزموا بما قالوه.

ٱعْتقدَ الناس أنّ الإعجاز البياني في الكتاب المُوْحى من الله إلى رسوله الكريم هو قمة الإعجاز. والسبب في ذلك أن الشعر كان يُسيطر على مِخيلة من ظنّوا أنّ هناك تحدٍّ بياني في القرآن الكريم.

في الفصاحة والبلاغة فإن الشعر لا يُعيبه ألترادف، فالشاعر حين يكتب قصيدة دالية فإنه يستعمل لفظة والد، وإذا كانت القصيدة بائية فأنه يبدل لفظة والد بأب، وبالنسبة إليه لا فرق بين الأب والوالد. هكذا نظروا إلى مفردات ألقرآن الكريم فأقروا الترادف.

أيضا ألشعر لا يُعيبه الخيال والتخيل. والشعر أيضا لا يُعيبه ألكذب حتى أنهم قالوا (أجمل ألشعر أكذبه)

الله سبحانه وتعالى نبهنا في ألتنزيل الحكيم أنّ هذا ليس بشعر ونهانا أن نتعامل مع الكتاب كما نتعامل مع الشعر ، ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الحاقة: ٤١.

ومع هذا فلقد أقروا الترادف مُعتقدين أن هذه اللفظة هنا أجْملُ منها هناك، ومن هنا أعتبروا أن القرآن والكتاب واحد، علما أن جذر كتب وجذر قرأ لا يُوجدْ علاقة بينهما على الإطلاق، تماما كما لا يوجد أي علاقة بين جذر الوالد (وَلَدَ) وجذر الأب (أبّ).

رب ألعالمين دقيق جدا، كما خلق هذا الكون بهذه الدقة كذلك صاغ الكتاب بدقة لا تقل على الأطلاق عن تلك الدقة التي خلق بها هذا الكون. فلا عبث في كتاب الله، ولا ترادف ولا حرف زائد. وَسَنُبيّنْ مُعتمدين على كتاب الله ما هو الفرق بين الكتاب والقرآن والذكر والفرقان ....

- **ألكتاب**

الكتاب من فعل (كتب)، وفعل كتب في الأساس هو تجميع الأشياء بعضها إلى بعض لإخراج شيء ما ، أو معنىً ما . يُستعمل اللفظ بطريقة صحيحة في الحياة. نقول: كتاب أساس ألبلاغة للزمخشري والذي جمع فيه أفعال أللغة ألعربية. ألفصل الأول سمّاه "كتاب الألف" .. اي جمع الأفعال ألتي تبدأ بحرف الألف وقال هذا كتاب الألف، (جمع الأفعال ولم يخط الأفعال).

قالوا أنّ الكتاب من كَتَبَ لأنّ ألتنزيل الحكيم قابل لأن يُكتَبْ، ومن قَرَأ لأنه قابل أن يُقرَأ. أقول أنّ كل كتاب من كتب أهل الأرض قابل أن يُكتب وقابل أنْ يُقرأ كما تفهمون وليس المصحف فقط.

مثال .. طه حسين كان كفيفا وكتب كتاب (الأيام)، هو صاغ الجمل وأملاها ولم يخطها.

ألله سبحانه وتعالى صاغ كتابه الموحى ولم يخطة.

عندما نقول: رئيس الوزراء أصدر كتابا .. قد يكون الكتاب سطرا واحدا فقط – أنّ غداً يوم عُطلة – فهل خط الرئيس كتابه؟

ألكتاب ليس من فعل ألخط وإنما من الجمع.

حتى في تركيب الجمل نقول: جاء الرّجُلُ إلى ألبيت .. أخذنا ألفعل جاء جمعناها مع ألرجل مع إلى ألبيت وألفنا جملة مفيدة.

ألرسول عليه الصلاة والسلام كان قادرا أيضا على تأليف الجمل فنقول: كتاب ألرسول إلى كسرى، فهل خط الرسول ألكتاب أم أملاه؟

ألكتاب هو مجموعة ألمواضيع ألتي جاءت وحيا إلى محمد بن عبد الله عليه ألصلاة والسلام – من أول سورة ألفاتحة حتى آخر سورة ألنّاس. سورة ألفاتحة إسمها فاتحة ألكتاب.

هذا الكتاب فيه مئات ألكتب. فيه كتاب الخلق، وكتاب الساعة، وكتاب الصلاة، وكتاب الصوم ...

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ البينة: ٢ - ٣

لاحظ يَتْلُواْ صُحُفًا وليس كتبا .. هذه الصحف فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ.

ألكتاب تخريج شيء إلى شيء لإخراج معنى مفيد. هكذا كل شيء في ألطبيعة، كتاب الجو عناصره: ألحرارة، سُرعة ألرياح، ألرّطوبة ... هذا كتاب الطقس ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ النبأ: ٢٩ .. لا يوجد شيء عشوائي، كل الأمور مربوطة معا لتقوم بوظيفة ما.

عندما قلنا **جاء الرجل إلى البيت** أخرجنا معنى غير موجود في كل كلمة على حدة.

ألموت كتاب ..... ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥

مجموعة من الشروط ألموضوعية ألتي إذا اجتمعت بعضها مع بعض حصل الموت. وظيفة الأطباء دراسة هذه ألشروط بحيث يُؤجلوا الموت ولذا قال تعالى ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾ . عمل الطبيب تأجيل الموت وليس إلغائه، ولذا يدرس الأطباء كتاب الأمراض وكتاب الحياة.

ألموت مُقدر على أهل الأرض، مقدر على ألجميع ولكن ليس مقدر كم يعيش كل إنسان على حدة. ألبشرية والإنسانية وعلم ألطب يدرسوا كتاب الموت وكتاب الحياة وكلما ازدادوا فهما لهذه الكتب كلما كانوا أقدر على إطالة أعمار ألناس، وهذا حاصل أليوم إذْ أنّ متوسط عمر الإنسان يزداد.

ألله قدر ألموت ولم يقدر ألقتل.

ألقتل **قضاء** والموت **قدر** (وجود) هذا القدر له كتاب .. ألأطباء يدرسوا هذا الكتاب، ولذا عليهم تحمل ألمسؤولية إذا أخطأوا وتسببوا بوفاة أي إنسان.

ألقرآن

أول مرة ورد فيها لفظ **ألقرآن** في كتاب الله – في الاية ١٨٥ من سورة ألبقرة

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾ البقرة: ١٨٥

الأيات ٢- ٣ من سورة البقرة

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة: ٢ - ٣

إذا ٱلۡكِتَٰبُ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ وٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ولا أعلم إذا كانت هناك تعليمات تقول أنّ هذه التعليمات لأهل سوريا ثم تصدر تعليمات أخرى تقول هذه التعليمات لأهل دمشق، ثم نقول أن هذه التعليمات هي نفسها ألتي صدرت سابقا. ألمتقين ناس ولكن ليس كل الناس متقين. ألكتاب هدى للمتقين أما ألقرآن هدى للناس كل الناس وبالتالي لا يمكن أن يكون الكتاب هو نفسه ألقرآن.

في القرآن ذكر ألحقيقة ألموضوعية ألموجودة خارج ألوعي ألإنساني. ألقرآن ساحق ماحق لا يخالف. ألساعة من القرآن، ألبعث من القرآن، ألجنة والنار من القرآن، ألموت من القرآن .. ألمسائل ألكونية والحدث ألتاريخي بعد وقوعه (لا رجعة فيه) من القرآن (حق).

سواء علمنا أنّ هناك موت أم لم نعلم سنموت، إن أعجبنا ألموت أم لم يعجبنا سنموت. ألإنسان ليس له أي علاقة بذلك.

سواء علمنا أنّ هناك بعث أم لم نعلم سنبعث، إذا وافقنا أم لم نوافق سنبعث .. ألإنسان ليس له أي علاقة بذلك ..

هذه مواضيع قرآنية لأنها حق.

ولكن حتى أصوم رمضان يجب أن أعلم ويجب أن أوافق، فأذا لم أعلم لن أصوم .. ولو علمت ولم أوافق فأنا قادر على أن لا أصوم.

ألقرآن كما قلنا هو ألحق، والحق لا تعني ألجيّد.

ألحق هو ألوجود ألموضوعي خارج ألوعي ألإنساني. عندما أقول أنّ ألله حق، يعني أن الله موجود خارج الوعي الإنساني، له وجود موضوعي، وهو ليس من إختراع ألإنسان.

هناك جزء من الكتاب ليس له وجود موضوعي. مثال ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠

نحن نقول أنّ ألموت حق، والبعث حق، والجنة حق والنار حق، ونقول ألصوم حلال وبر الوالدين حلال .. ألصوم وبر الوالدين ليس لهما أي علاقة بالقرآن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ولكن ممكن للإنسان أن يصوم وممكن أن لا يصوم .. هو قرار ذاتي يقرره الواحد منا.

هنا يجب أن نميز بين **ألحلال والحرام** .. **ألمسموح والممنوع** ..وبين **ألحق والباطل**

ألشمس حق .. لها وجود خارج ألوعي

ألقمر حق .. له وجود خارج ألوعي

بالمقابل .. بر الوالدين - هل ممكن أن نرى بر ألوالدين؟ نحن نرى إنسان يبر والديه ولكنا لا نرى بر ألوالدين بذاته. لكنا نرى القمر بذاته ونرى الماء بذاته لأنّ لهما وجود خارج الوعي الإنساني. يجب على الإنسان أن يُدركْ بر الوالدين وأن يقبل به حتى يعمل به. هذا الجزء هو **ألرسالة**.

ألكتاب يحتوي على ألجزئين:

١ - ألرسالة (أحكام)

٢- ألنبوة (ألقرآن)

ألرازي في ألتفسير ألكبير إعتبر أن ألقرآن من **قرن** وليس من **قرأ** وكثير غيره قال نفس الشيء، لكنهم لم يقولوا قرن ماذا بماذا.

ألحقيقة أن القرآن يحتوي مصدرين للتخزين

- أللوح ألمحفوظ ... فيه قوانين الكون (ثابتة لا تتغير من أجل احد)
- ألإمام ألمبين ... فيه
  1 – قوانين ألطبيعة ألجزئية (مناط ألدعاء ألإنساني)
  2 – أعمال ألإنسان بعد وقوعها (صارت حق)

وبالتالي ألقرآن قرَنَ ما جاء في الإمام ألمبين بما جاء في أللوح ألمحفوظ. وهو ألجزء ألأكبر من الكتاب. ولذلك قال تعالى:

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ ﴾ الحجر: ١

عطف القرآن على الكتاب، وبالتالي فإن القرآن الكريم هو مجموعة الأحداث ألكونية والإنسانية بعد وقوعها. ألقرآن نزل في ليلة القدر ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ ﴾ عبس: ١ لم تنزل ليلة القدر لأن الرسول لم يكن قد عبس بعد. أنزل كل الأحداث ألتي حصلت قبل الرسالة والتي أراد الله سبحانه وتعالى أن يخبرها لرسوله وأنزلِتْ ألقوانين ألكونية.

ألقصص ألقرآني جاء من الإمام ألمبين، والإمام ألمبين متراكم. قبل أن تقوم بأي عمل لا يوجد في الآمام ألمبين أنك ستقوم به. عند قيامنا به يُسجل في الإمام ألمبين (أصبح حقا لا نستطيع أن نعيده إلى ألوراء)

ألإمام ألمبين يُسجل الأحداث أثناء وقوعها لا قبل وقوعها لتصبح أرشيف (صارت حق) .. ألحدث ألإنساني بعد وقوعه لا رجعة فيه.

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ يس: ١٢

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ الجاثية: ٢٩

ألحرب ألعالمية ألثانية حق .. غزوة بدر حق .. كلها في الإمام المبين .. ألإمام ألمبين متراكم.

ولذا قُرنَ ألإمام ألمبين باللوح ألمحفوظ وكان قرآنا .. ولذا قال تعالى في سورة يوسف

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾ يوسف: ٣

وكون ألقرآن دمج أحداث ألكون مع أحداث ألتاريخ قال سبحانه وتعالى

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٠ ﴾ المرسلات: ٥٠

﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٣٤ ﴾ الطور: ٣٤

هذه كلها أحداث .. أما ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣ هذا ليس حدث .. هذا **تكليف**.

هذا هو ألفرق ألجوهري بين نبوة ألرسول الأعظم وبين رسالته.

ألنبوة ..... ألغيبيات بما فيها ألقصص

ألرسالة ... ألتكاليف (أم ألكتاب)

وكلاهما في ألكتاب ومن عند الله

ألتنزيل ألحكيم هو ألكتاب والقرآن جزء منه

﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝١٩ ﴾ الأنعام: ١٩

ألقرآن ينذرنا باليوم الآخر ... ينذرنا بالساعة، ينذرنا بالبعث، ينذرنا بالجنة ... وليس الإرث

لاحظ قوله سبحانه وتعالى وَمَنۢ بَلَغَۚ أنت منذر بالقرآن بما وصلك

إقتران ألكتاب بالحكمة

لقد بيّن الله سبحانة وتعالى في سورة الإسراء – ألآيات (٢٣ – ٣٩) معنى ألحكمة

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ۝٢٤ رَّبُّكُمۡ

أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلٗا مَّيْسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومٗا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٖۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومٗا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنٗا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ – ٣٩

ألحكمة أمور أخلاقية. والحكمة من صفات ألنبوة ولكن الحكمة وحدها لا تحتاج إلى نبيّ. فالحكمة قد تؤتى لأي إنسان في أي زمان وأي مكان.

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩

كونفوشيوس حكيم، فولتير حكيم وفي كل زمان ومكان هناك حكماء، والحكمة لا تنقطع حتى قيام ألساعة.

ألقرآن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

لقد تحدى الله ألإنس والجن أن يأتوا بمثل ألقرآن ألموحى إلى نبيّه.
ألأحكام لا يوجد فيها تحد لأنها واضحة وصريحة وممكن أن تُقلد.

والتحدي جاء بأنواع ثلاثة

- ألنوع ألأول

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣

ألهاء في مِّثْلِهِ تعود على عَبْدِنَا (ألمُوحى إليه) وليس على ألتنزيل (ألموحى به) وإنما على ألموحى إليه. إدعوا أي شخص غير محمد صلى الله عليه وسلم وليأتِ بسورة مثل التي أتى بها محمد عليه الصلاة والسلام.

- ألنوع ألثاني

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٨

ألمحتوى والصياغة قرآنية. هنا تحدي في ألشكل والمضمون. مسيلمة ألكذاب عندما ادعى النبوة جاء بالشكل ولم يأتِ بالمضمون، كان كاذبا بإدعائه ألنبوة وأنه أوحي إليه ((ألفيل وما أدراك ما ألفيل * له ذنب قصير وخرطوم طويل)) ألصياغة صحيحة مئة بالمئة، لكن الخبر ليس قرآن. لم يأتِ بأي نبوة ولذا قيل أنه كذاب بإدعائه ألنبوة وليس بما قال. ما قاله مسيلمة ليس فيه غيبيات ولا يحتاج لأي نبوة.

- ألنوع الثالث

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود: ١٣

ألشكل قرآني والمحتوى غير قرآني. عمالقة ألأدب في العالم اقتربوا من صيغة التشابه. ألناس تقرأ شكسبير منذ خمسة قرون وحتى اليوم يحاولوا شرح ما قاله. هذه عبقرية. ألموضوع ليس قرآني.

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ﴾ فاطر: ٣١

وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ليس كل الكتاب. ألمشكلة التي وقع بها ألمفسرون أن الكتاب بالنسبة إليهم كان المصحف فتحول إلى اللوح المحفوظ.

ألحق جزء من الكتاب (القرآن) .. والقرآن هو الأيات البينات. ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧ ﴾ الأحقاف: ٧

لم يقولوا عن الصّوم سحر أو عن الإرث سحر، بل قالوا عن الآيات ألبينات سحر مبين.

هُوَ ٱلۡحَقُّ (لأنّه لا يُدْحَضْ)

مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ماذا ألذي بين يديه ؟.. هو ما جاء به من أحكام وليس كما قالوا ألتوراة والإنجيل. ألقرآن هو توقيع رب ألعالمين على الكتاب، هذا التوقيع لا يمكن تزويره. بينما ألتشريع: ألصوم، بر ألوالدين ... ممكن أن يصوم الأنسان شعبان بدلا من رمضان، ولذا قال سبحانه وتعالى

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ ﴾ قطعا ليس المقصود هنا كتبة ألوحي ألذين كانوا يكتبوا الكتاب بأيديهم حقا ويقولوا هذا من عند الله، إنما المقصود أولئك الذين يُحرفون أحكام كتاب الله.

ألكتاب بالنسبة لموسى عليه السلام هو التشريع فقط ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣ ﴾ البقرة: ٥٣ موسى عليه السلام أوتي الكتاب والفرقان والتوراة بينما حين ذُكرَ عيسى ابن مريم عليه السلام قال

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ ﴾ آل عمران: ٤٨

إذا سألت أحد ألناس: أليهود أهل كتاب ما هو كتابهم يقول: ألتوراة – هذا غير صحيح!

وإذا سألتهم ما هو كتاب ألنصارى؟ يُقالُ لك: ألإنجيل. هذا غير صحيح أيضا!

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ آل عمران: ٣ - ٤

حتى ألزّمخشري عندما قرأ هذه الآية قال إستحالة أن يكون ألفرقان هو ألكتاب أو ألتوراة أو الإنجيل ولكنه نظر فوجد أن هناك كتابا موجودا في المصحف وليس مذكورا في ألآيات فقال لعله ألزّبورْ.

إستحالة أن يكون القرآن هو الفرقان وإنه سُمِّيَ كذلك لأنه **فرق بين ألحق والباطل**. هذا الفرقان أوتي لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾

الفرقان ألذي جاء إلى الرسول الأعظم هو نفسه الذي جاء إلى موسى عليه السلام لأنه ذكر معرفا في الحالتين.

ألفرقان هو ألوصايا ألعشر وقد ذكروا في سورة الأنعام، ألآيات (١٥١ – ١٥٣) يقولون أن سورة الأنعام كلها مكية ما عدا هذه الآيات

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ – ١٥٣

هذه ألوصايا هي ألصراط ألمستقيم ألتي ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إياه ونحن نقرأ سورة ألفاتحة في كل ركعة في صلواتنا.

ما نريد أن نقوله هنا أنّ ألدين واحد من عند إله واحد وأنّ ألناموس واحد.

ألدين ألإسلامي خضع للتراكم في ألقيم، والتطور في الشرائع والإختلاف في ألشعائر.

ألفرق في الوصايا ألعشر بين موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، أنها جاءت إلى موسى أوامر ونواه بينما جاءت إلى ألرسول الأعظم تحريم.

ألرسول الأعظم أغلق ألمحرمات ولم يختم ألتشريع. ألتشريع باق ما بقي الإنسان أما ألحرام فأنه لا برلمانات ولا مُفتين ولا كنائس ولا تصويت ولا أحد يحق له أن يضيف محرما إلى ما حرم الله.

ألتورات نبوة موسى
ألإنجيل نبوة عيسى
والقرآن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
ألحكمة أخلاقيات
ألكتاب تشريع

شريعة موسى تحتوي على ٦١٣ بند تشريعي ليس لها أي علاقة بالنبُوة، وهي مليئة بالإصر والأغلال. جاء ألمسيح عليه السلام ليُحِلَّ لهم بعض الذي حُرِّم عليهم. ألله سبحانه وتعالى كان يعاقبهم جزاء بغيهم ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦ ﴾ الأنعام: ١٤٦

لقد بين الله سبحانه وتعالى أن ألتوراة وألإنجيل والقرآن هي نبوة الرسل بقوله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ التوبة: ١١١

عطف ألقرآن على ألتوراة وعلى ألإنجيل وذكر حَقّٗا (حقيقة واعية خارج ألوعي) ... ألنبوة

وحين قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ ﴾ المائدة: ٤٧ فإنه لا يتحدث عن ألتشريع لأنّ ألإنجيل لا يحتوي على أحكام، هنا يتحدث سبحانه وتعالى عن ألتوحيد.

ألوصايا ألعشر (ألفرقان) هي ألجزء ألإنساني ألعالمي من الإسلام ويجب أن نتعامل مع الناس على أساسها (ألبعد ألإنساني). وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام (إنّما بُعِثْتُ لأتّمّمَ مَكارِمَ الأخْلاق) يشير إلى أنّ الأخلاق تراكمية، فعندما انفصل الإنسان عن المملكة ألحيوانية بدأت تظهر عنده ألقيم ألإنسانية. عندما أصبح عند الإنسان وعي وقادر على أن يسيطر على ألطبيعة صارت الأخلاق ضرورة.

ألمُصْطلحاتْ وألمَفاهيمْ ألقرآنية

مُحتويات ألكتابْ

ألكتاب ألذي أنزل على ألرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أول سورة ألفاتحة وحتى نهاية سورة ألناس يتألف من ثلاث كتب رئيسية.

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يونس: ٣٧

إذا هناك:

- ألقرآن
- تصديق ألذي بين يديه
- تفصيل ألكتاب

ظنوا أن الذي بين يديه هو ألتوراة والإنجيل قياساً على قول ألمسيح عيسى بن مريم ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ آل عمران: ٥٠ في هذه الآية قال وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ بينما في الآية ٣٧ من سورة يونس لم يقل (تصديق ألذي بين يديه من ألتوراة والإنجيل). فما الذي بين يديه والذي جاء هذا القرآن ليصدقه .. **إنها ألأحْكامْ**. ألأحكام ليست قرآن، ألأحكام رسالة والقرآن نبوة وبينهما علاقة تصديق. فالآيات مثلا

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ﴾
النساء: ١١

هذه الآيات ليست قرآن ... هذه الآيات ليست حق، إذا ما أراد شخصا ما أن لا يصوم رمضان أو أن لا يُطبق آية ألمواريث فأنه يستطيع ذلك، بينما القرآن ساحق ماحق وهو سنة الله التي تجري على الكون وعلى أهل الأرض جميعا - ولذلك هو النذير، هو الحق ألموضوعي خارج ألوعي ألإنساني والذي يجب على ألإنسان أن يعرفه ولذا قال سبحانه وتعالى أنّ الله هو ألحق وأنه خَلَقَ السماوات والأرض وما بينهما بالحق.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور: ٢٥

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنعام: ٧٣

إذا ألله حَقْ والسّماوات والأرض حَقْ وهناك علاقة حقيقية جدا بينهما سنشرحها لاحقا وبالتفصيل.

تفصيل ألكتاب

هناك في كتب أهل الأرض مفاتيح فهم لتلك ألكتب، دائما تكون مفاتيح فهم تلك ألكتب من خارجها. ما يميز الكتاب الموحى من الله أن مفاتيح فِهْمِه من داخله. ألله سبحانه وتعالى شرح كتابه من داخله، هذه الآيات ألتي تدلنا على فهم كتاب الله هي التي نطلق عليها إسم **تفصيل الكتاب**.

مثال .. يقولون أنّ في الكتاب آيات محكمات وآيات متشابهات. ألآية التي تخبرنا هذه الحقيقة هل هي محكمة أم متشابهه؟ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا

يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧، هذه الآية هي من آيات تفصيل ألكتاب.

ألآيات ألتي تتحدث عن ألقرآن

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣

﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت: ٣

هذه الآيات ليست قرآناً هي تتكلم عن القرآن .. هذه من آيات تفصيل ألكتاب .. هي آيات تعتبر مفاتيح لفهم الآيات الدالة على مُحتوى الكتاب والتي تساعدنا على فهم كتاب الله.

رب العالمين عندما حرّم ألمحرمات فصل لنا تلك المحرمات في أماكن أخرى في ألتنزيل ألحكيم

﴿ ...وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾ الأنعام: ١١٩

﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١١٤

يعني هناك شرح وتفصيل.

﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٣ مفصولة عن بعضها، أي جاءت تلك الآيات تباعا ولم تأتِ دفعة واحدة.

ألتفصيل يعطيك قاعدة. عندما ذكر ألمحرمات في سورة الأنعام الآيات (١٥١ – ١٥٣) قال تعالى

﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ

ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ
فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ ــ ١٥٣

تفصيل بر الوالدين

لقد بين لنا الله كيف يكون بر الوالدين في آيات متفرقة في كتاب الله، أي إنه سبحانه وتعالى فصل لنا ذلك، ففي سورة الأسراء قال سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ
وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ
وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ
وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ ــ ٢٤

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ
لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا
تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لقمان: ١٤ ــ ١٥

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ
إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٨

هكذا نفهم تفصيل ألكتاب.

لله وحده الحق في ألتحريم، **فالحرام شمولي وأبدي** ولا يحق لكائن كان أن يُحرّمْ ما أحَلّ الله أو يُحِلْ ما حَرّمَ الله. عندما يأتي إنسان أليوم يقول أن ألتدخين حرام، هذا يعني أنه منذ اللحظة ألتي أعلن فيها حُرمة ألتدخين وحتي قيام الساعة لن يحق لأنسان أن يدخن. ألرسالة الخاتمة أقفلت المحرمات واي تحريم جديد يحتاج إلى رسول جديد ويحتاج إلى بينة أنه رسول. ألإنسان ينهي والسلطة تمنع أما التحريم ف لله ولله وحده.

يقولون أنّ الله أحلّ الطيّبات وحرم ألخبائث ونقول صحيح لأن المحرمات التي حرمها الله هي الخبائث.

يقولون أنّ الرسول يُحرِّمْ تصديقا لقوله ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩ نقول إنّ تحريم الرسول جاء مرتبطا مع تحريم الله ولم يأت منفصلا عنه كما جاء في ألطاعة حين قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ آل عمران: ٣٢

حَيْثُ ذكرت هنا طاعة الرسول متصلة مع طاعة الله في حين قال في سورة النساء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩ حَيْثُ نرى هنا أن طاعة الرسول جاءت منفصلة عن طاعة الله ولذا قال تعالى أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ .

وحين قال تعالى وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ فإن ذلك يعني إطاعة الرسول بما أمرنا بالإبتعاد عما حرم الله. إذا الرسول لا يستقل في التحريم. ألرسول يُبين ما حرم الله.

كون الحرام شمولي وأبدي فإن رب ألعالمين قد فصله لنا. في سورة الأنعام (الآية – ١٥١) قال تعالى وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ. ثم فصل سبحانه وتعالى كيف يكون ذلك: قال تعالى في سورة ألنساء

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾ النساء: ٦

﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧ ﴾ النساء: ١٢٧

إذا الحرام من اختصاص رب العالمين.

هناك آخرة ويوم حساب. ألله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على مخالفتنا ألإشارة ألضوئية، هذه إثم وخطيئة يُحاسبْ عليها ألمجتمع.

يجب أن يعلم أن كل من يحرم ما لم يرد تحريمه في كتاب الله فإنه يُنصّب نفسه شريكا لله ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩ ﴾ القلم: ٣٥ – ٣٩

هل هناك إتفاق على أن ينفذ الله ما يحكم أولئك ﴿ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ٤٠ ﴾ القلم: ٤٠

إنّ منع الضرر قرار إجتماعي يمارس في حدود زمنية تنتهي بإنتهاء الضّرر. فمثلا انتشار الكوليرا في أماكن ما قد يقتضي بالضرورة منع بعض السلع من التداول، لكن هذا المنع ليس شموليا (في كل العالم) وليس أبديا (حتى قيام الساعة)، هذا المنع ينتهي بأنتهاء السبب الذي أدى إليه.

ألإنسان يأمر وينهي في الحلال لا في ألحرام – هو فقط يُطلِقْ وُيُقيِّدْ. ألرسول الأعظم كان يُطلق ألمقيد ويُقيد ألمطلق. ألحلال اساسا لا يمارس إلا مقيد.

نعود لتفصيل الكتاب لنقول إنّ تفصيل الكتاب ليس من الآيات المتشابهات .. الآية – ٧ من سورة آل عمران تشير إلى ذلك ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ

وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ... ﴾ آل عمران: ٧ قال تعالى وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ولم يقل **والأخر مُتشابهات** إذا ليس كل ألباقي متشابها بل جزءا منه، وبالتالي هناك ثلاث أصناف من آيات ألكتاب:

- آيات محكمات (أم ألكتاب)
- آيات متشابهات
- آيات لا محكمات ولا متشابهات (تفصيل الكتاب) .. لقوله تعالى (وَأُخَرُ متشابهات)

عندما قال سبحانه وتعالى ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠ ﴾ المزمل: ٢٠

هنا حدد أن هناك ثلاث أصناف

- مرضى
- آخرون يضربون في الأرض
- آخرون يقاتلون في سبيل الله

من السلف من قال أن هناك آيات لا محكمات ولا متشابهات. ١٤ قرنا لم يستطيعوا فصل المحكم عن المتشابه لأن هناك آيات **تفصيل ألكتاب**.

هناك ٦٢٣٦ آية في كتاب الله، إفصلوها كلها إن كنتم تعتقدون أن الآيات محكم ومتشابه فقط.

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ هود: ١

ألآيات ألمحكمات هن آيات ألأحكام، أُحۡكِمَتۡ و فُصِّلَتۡ .

ألآيات ألبينات

ما هي الآيات البينات؟ وكيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١ ﴾ النور: ١ هل ألآيات البينات ليست فرائض؟

قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥

ألآيات ألبينات هي القرآن، وهي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي التي تحدى الله سبحانه وتعالى الجن وألإنس أن يأتوا بمثلها.

آيات الأحكام ليست آيات بينات .. قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

ليست من الآيات البينات.

أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيْتُونَةٖ لَّا شَرْقِيَّةٖ وَلَا غَرْبِيَّةٖ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور: ٣٥ فهي من الآيات البينات.

بدأت سورة النور بقوله

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾ النور: ١ لأن معظم

ألفرائض موجودة فيها، ولذلك قال أَنزَلْنَٰهَا ليقول أن الآيات ألبينات وجود موضوعي.

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٤

ألآيات ألبينات بَصَآئِرُ

موسى عليه السلام أوتي تسع آيات بينات شاهدها الناس ولذلك سُمِّيَتْ بصائر.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١ – ١٠٢

الله سبحانه وتعالى قال أنّ الآيات ألبينات سَتُبْصَرْ يوما ما ولذلك سماها بصائر قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ.

ألآيات ألبينات هي ألوجود ألموضوعي خارج ألوعي ألإنساني وهي ألقرآن وهي التي قالوا عنها سحر.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ الأحقاف: ٧

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ النمل: ١٣

هل قالوا عن ألصوم إنه سحر؟

لنعد إلى سورة النور (الآية – ١) ولنسأل **ما هي ألفريضة؟**

ألفريضة من الله تكون إما لنا وإما علينا:

﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ التحريم: ٢ فريضة لنا

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ القصص: ٨٥ فريضة علينا

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٧ أعطيتموهن.

إذا فرضت لك ... أعطيتك، بينما إذا فرضت عليك ... أخذت منك.

متى تكون ألفرائض لنا ومتى تكون علينا؟

عندما قال تعالى سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا ولم يقل لنا أو علينا، هنا يجب أن نقف ونتأمل.

هناك آية أخرى ذكرت فيها الفريضة غير سورة ألنور ولم يقل فيها لنا أم علينا وهي آية ألصدقات

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

ألذي يدفع فريضة، عليه
والذي يأخذ فريضة، له (فريضة من الله للفقير)

عندما يتبرع إنسان لميتم لا نسأله من اين جاء بالمال؟ هذه فريضة من الله عليه. ألله سبحانه وتعالى يُحاسبه من أين جاء بالمال.

كذلك الإرث، قال عنه سبحانه وتعالى فريضة من الله. ألذين يرثوا المال لا يَسْألوا من أين جاء صاحب المال به، ألله يحاسبة كيف حصل عليه.

نذكر هنا قوله سبحانه وتعالى

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ الحديد: ١١

بل إنّ هناك آية في كتاب الله أعمق في الوجدان تبين لنا كم هو رحيم هذا الخالق بعباده

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾ التوبة: ١٠٤

تصور أن الله يقبل التوبة عَنۡ عِبَادِهِۦ وليس من عباده بل أكثر من هذا وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وهو الغني الكريم.

نقول أنّ الفريضة التي هي علينا هي التكاليف. كذلك فإن الإنسان يفرض، كأن يفرض على نفسه حج البيت

﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ البقرة: ١٩٧

- **ألذكر**

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩

يقولون أن الله تكفل بحفظ ألقرآن ويستشهدوا بقوله سبحانه وتعالى في الآية: ٩ من سورة الحجر. وأنا أقول أن الله تكفل بحفظ ألذكر وليس بحفظ ألقرآن. فهل الذكر هو القرآن كما يقولون.

قال تعالى ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ ﴾ ص: ١

قلنا إن مفاتيح فهم القرآن من داخله. لنفهم هذه الآية نرجع إلى كتاب الله ونُرَتلْ أياته التي توضح لنا معنى الآية. قال تعالى

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣ ﴾ الكهف: ٨٣

فهل القرنين هم ذي ألقرنين؟

وقال في سورة القلم ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ ﴾ القلم: ١٤ وأكيد أن المال غير الرجل.

إذا القرآن غير الذكر

الله هو قائل ألتنزيل. نقول قال الله .. من ذكر هذا؟ من نطق به؟ هو الرسول الأعظم. هذا المنطوق الذي نُطِقَ هو المحفوظ. **ألذكر هو الصيغة الصوتية المنطوقة للتنزيل الحكيم كله.** هذه هي المحفوظة. نحن نرى اليوم ملايين حافظين لهذا التنزيل وينطقوا آياته.

ألقرآن هو مجموعة ألحقائق ألموضوعية خارج ألوعي لإنساني. هل هو مخزن في الإمام المبين وفي اللوح المحفوظ بصيغة عربية منطوقة؟

لقد حول الله سبحانه وتعالى هذا القرآن وهذه المعلومات الموجودة في اللوح المحفوظ إلى صيغة تعبدية منطوقة ولهذا قال تعالى

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧، القمر: ٢٢، القمر: ٣٢، القمر: ٤٠

ألصيغة ألصوتية ألتعبدية للمصحف كله هي ألذكر. بمعنى إذا تلى أمرئ ألقيس سورة الفاتحة وهو يدرك معناها كاملا أو تلاها أي إنسان آخر غير عربي دون أن يعِ ما تعني الألفاظ، فلكلاهما ألأجر ذاته.

عندما قلت أن الله لم يتكفل بحفظ ألقرآن عنيت أن الله لم يتكفل بأن يفهم ألناس ألقرآن.

إنّ عكس ذلك ما هو حاصل اليوم، والرسول الأعظم سيشكوا قومه غدا أمام الله بأنهم هجروا ألقرآن

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠

لكن بالمقابل هل هجروا ألذكر؟ ما زال الناس يتعبدوا بتلاوة الكتاب وما زال عدد من يحفظ كتاب الله في ازدياد منذ بُعث الرسول الخاتم إلى اليوم.

ونسأل أيضا إذا كان الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ القرآن، ألم يتعهد بحفظ ألأحكام؟

آيات غير عربية في الكتاب

كما قلنا فإن الذكر هو الصيغة الصوتية للكتاب كله ألمتعبد بتلاوته – **والذكر ضد ألنسيان** ولم يقل عن الذكر أنّه عربي لأنّ هناك آيات غير عربية في كتاب الله.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الكهف: ٦٣

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ يوسف: ٤٢

لقد مضى أكثر من ١٤ قرنا على بعثة الرسول الخاتم وما زالت هناك كلمات في كتاب الله يعجز الجميع عن فهم معناها، أشير هنا إلى ما يطلق عليها المفسرون إسم **ألأحرف ألنورانية** في فواتح السور مثل (﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ البقرة: ١ ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ غافر: ١ ﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾ يس: ١...

هذه مقاطع صوتية موجودة في كل لغات أهل الأرض. هذه ليست لغة. ما سَمّوها أحْرُفْ نورانية عبارة عن مقاطع صوتية والكلام الإنساني يتألف من مقاطع صوتية.

ألرسول الأعظم قال " أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ". والكلم هو النّطق، هو الكلام ألذي يُسمَع.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦

ألكلام ألإنساني مؤلف من مقاطع صوتية. وهذه المقاطع ألمذكورة في الكتاب فيها معلومات كالقرآن

ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر: ٨٧، هي من الذكر وليست من القرآن.

لذلك فلقد قال سبحانه وتعالى عن القرآن أنه عربي وعن الأحكام أنها عربية ولكن لم يقل عن الذكر أنه عربي. **فلو كان الذكر عربي لفهمنا معنى هذه الأحرف.**

هذه الأحرف قد تعني شيئا رياضيا. رب العالمين أعطانا ألحقائق بعدة أشكال

1- شكل تشكيلي .. وهو أن نعبر عن الأشياء بالرسم مثلا، كأن نرسم شكل تفاحة لنعبر عن التفاحة
2- شكل رياضي .. وهو أن نعبر عن المفاهيم بمعادلات رياضية
3- أو باللغة.

ألله خلق الوجود وعبر عنه بالوجود المخلوق أمامنا. وأعطانا سبحانه وتعالى ألحقيقة بصيغتين:

- صيغة بلاغية
- صيغة رياضية

ولهذا قال ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر: ٨٧،

كلْ ما قالوه عن (الأحرف النورانية) لا يتطابق مع ألحقيقة. قالوا أن ألسبع ألمثاني هي ألفاتحة لأنها سبع آيات! وهناك من يقول أن ألفاتحة هي أم ألكتاب.

إذا قالوا أن ألفاتحة هي أم ألكتاب، هذا يعني أنّ ألمصحف من أوّله إلى آخره (بإستثناء ألفاتحة) متشابه، تصديقا لقوله تعالى في سورة أل عمران

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ... ﴾

ألفاتحة واحدة وليست سبعا، هي سبع آيات وفاتحة واحدة.

ولكن حين قال تعالى سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى إذا هناك سبع فواتح. هذه السبع المثاني هي فواتح لسور وردت أيات مستقلة على شكل مقاطع صوتية وهي:

﴿ الٓمٓ ﴾ ، ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ ، ﴿ يسٓ ﴾ ،

﴿ طسٓمٓ ﴾ ، ﴿ طه ﴾ ، ﴿ حمٓ ﴾. هذه الأصوات وردت كآيات مستقله بحد ذاتها وأما الأصوات الباقية فقد وردت إما جزء من آية وإما أنها لم تكن فاتحة لسورة أي أن ترد في الآية رقم ٢ مثلا.

فعندما قال سبحانه وتعالى ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ﴾ الشورى: ١ – ٣ فإنه يريد أن يخبرنا أن الوحي لم يبدأ إلا عندما صار الإنسان قادرا على إصدار مقاطع صوتية ثلاث أو إثنين على الأقل. وهذه الحقيقة لها علاقة مع نشأة اللغة. (سنأتي بالتفصيل لهذا الموضوع عند الحديث عن نشأة الكلام الإنساني).

يقول **كلود ليفي شتراوس** أن الإنسان بدأ صائتا، لم يكن يعرف المعاني بل كان يقلد الأصوات.

ألقرآن يذكرنا بنشأة الكلام الإنساني ليقول لنا أن البشر تأنسن.

ألسبع ألمثاني وردوا في ١٩ آية. وورد في هذه المقاطع ١١ مقطع صوتي (بعد حذف التكرار)، وهذا العدد هو الحد الأدنى للكلام الأنساني (١١ صوتا – ليس ١١ حرفا) وهي لغة أهل سيشيل.

خارج السبع المثاني هناك ٣ أصوات إضافية وهي **ق ر ن**

هذه الأصوات أل ١١ + ٣ = ١٤ صوتا أي (٢ × ٧) سبع مثاني.

لماذا نقول مقاطع صوتية، ألصاد مثلا كمقطع صوتي موجودة في اللغة ألإنجليزية ولكنها ليست موجودة كأبجدية .. ككلمة *Sausage* .. ألصوت هو ألقياس. ألكلام الإنساني هو ألصوت والمقطع أللغوي وليس الأبجدية.

يقولون أللغة ألعربية هي لغة ألضاد. لكن ألضاد كمقطع صوتي موجود في اللغة الروسية مثلا، فكلمة دخان في العربية يقابلها (ضيم "дым" في ألروسية)

يقولون ﴿ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ ﴾ هي س مكتوبة ص أو ص مكتوبة س. نقول هي مقطع صوتي ولا يهم إذا كانت س أو ص.

الآية ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧ ﴾ الحجر: ٨٧، هي من أشد الآيات تشابها في ألتنزيل ألحكيم، وفي تفصيل الكتاب أعْطِيَ مفاتيح لفهمها. قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ الزمر: ٢٣

ألقرآن هو الحديث ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ المرسلات: ٥٠

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾ الطور: ٣٤

لاحظ السبع المثاني جعلها أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ أما عن القرآن فقال حَدِيثٍ أي إنّ السبع المثاني

مُفضّلة عن القرآن. ألقرآن متشابه ولكن السبع المثاني متشابه ومثاني. وبالتالي إن صحت الرواية (ألا إنّي أوتيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَه) يعني ألسبع المثاني. كذلك قوله عليه الصلاة والسلام (أوتيتُ جوامع الكلم) .. ألكلم هو المقاطع ألصوتية.

ألسبع ألمثاني من آيات الكتاب وهي من الذكر، ولهذا لم يقل عن الذكر أنه عربي، ولم يقل كذلك عن الكتاب أنه عربي.

منذ ١٤ قرنا ونحن نقرأ ﴿الٓمٓصٓ ١﴾ وهي آية لوحدها. ما معناها؟ هذه ليست لغة هذه صوت.

أللغة العربية لها مفردات ﴿الٓمٓ ١﴾ شيء وألَمْ شيء آخر ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾ الشرح: ١.

نعود ونقول هذه مقاطع صوتية تتألف منها كل لغات العالم. ﴿يسٓ ١﴾ موجودة في كل لغات العالم.

ألسؤال الذي يسأله كل من يتدبر كتاب الله هل من المعقول أن من كانوا حول الرسول الأعظم سواء من آمنوا به أو من كفروا برسالته هل من المعقول أن أحدا من هؤلاء أو أولئك لم يسأل الرسول عن معاني هذه الأصوات؟ بالتأكيد أن هناك من سأل. والإحتمال الأكبر أن الرسول الأعظم أجاب بالحديثين: (ألا إنّي أوتيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَه) و (أوتيتُ جوامع الكلم).

لو عدنا إلى الآية ألكريمة (الزمر: ٢٣) ورتلناها مع الآيات

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٧ – ٢٨ نرى أن العلماء الذين يخشون ربهم هم الذين ذكروا في سورة الزمر ٢٣.

إلى جانب نشأة الكلام الإنساني نرى الحقائق التالية:

- عدد االسور التي ذكرت فيها تلك الأصوات ١٩
- المقاطع ألصوتية ١١
- عدد الآيات ٧

ماذا يعني هذا .. ألكون كله مبني على رقمين كونيين هما **π** و **e**

ألنسبة ألتقريبية (**π**) = **٣,١٤** و **e** هي اساس اللوغاريثم ألطبيعي.

π تصف كل الظواهر المتكررة في الطبيعة و **e** تصف كل الظواهر المتزايدة والمتناقصة في ألطبيعة.

أقرب تقسيم لعدد صحيح ل **π** هو **(١١×٢) مقسومة على ٧**
وأقرب عدد صحيح لل e هو **٢,٧١ وبالضبط ١٩ مقسومة على ٧**

كل ظواهر الطبيعة والمعادلات الرياضية إذا كانت متكررة فيها **π** ، وإذا كانت متزايدة أو متناقصة فيها الأساس اللوغاريثمي **e**

وإذا كانت الظواهر فيها تكرار وزيادة ونقصان مثل الأمواج فإنها تحتوي على **π** و **e** هذا في الكون كله.

عندما أرسلوا إلى الفضاء ألخارجي مركبة بهدف الإتصال بمخلوقات أرسلوا علم مكتوب عليه **π** لأنهم يعرفوا أنه إذا كان هناك عاقلا في الكون قادرا على الفهم والإدراك فإنه بالتأكيد يعرف ال **π**.
هذا مشترك كوني. كذلك بالنسبة لل **e**.

π = (١١×٢) مقسومة على ٧ ، e = ٢,٧١ وبالضبط ١٩ مقسومة على ٧

رب الكون أعطانا الكون بصيغة بلاغية وبصيغة رياضية

ألظاهرة ألصوتية ظاهرة كونية. الأصوات ليست في الأرض فقط. علماء الفلك يقولون ذلك ايضا.

إذا كان عدد السكان في مدينة ما هو N_0 وكانت نسبة الزيادة السكانية سنويا هي **r** فإن عدد السكان بعد **t** سنة هو **N** بحيث $N = N_0e^{rt}$ حيث e هي Natural logarithm

ألمحكم والمتشابه

هناك من يقول أن المحكم هو قطعي الثبوت قطعي الدلالة. أما المتشابه فظني الدلالة.

نتساءل هل قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد: ٣٧

تعني أنه قطعي ألدلالة؟

قبل الحديث عن المحكم والمتشابه هناك ثنائيات يجب أن نتحدث عنها:

- ألحق والباطل
- ألمسموح والممنوع
- ألحلال والحرام
- ألخطأ والصواب
- ألصدق والكذب
- ألأمر والنهي

هذه المنظومات تمثل كل الحياة.

ألحق والباطل

ألحَقْ هو الوُجودْ ألمَوْضُوعي خَارِجْ الوَعْيْ ألإنْسانِي Objective

ألبحر الأبيض المتوسط حق إذا عرفت ذلك أم لم تعرف هو موجود. ألمريخ حق موجود خارج الوعي عرفنا ذلك أم لم نعرف. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ الحج: ٦٢

ألباطِلْ هو الوَهْمْ. الله ليس من اختراع الفكر الإنساني، ما هو اختراع فكر إنساني هو الوهم. لذلك حين حَطمُوا أصنام ألكعبة قالوا (جاءَ الحَقّ وَزَهَقَ الباطِلْ) ولم يقولوا جاء الصّواب وذهب الخطأ. لو قالوا ذلك لكان معناه أنّ هناك مُجرد خطأ في العبادة لكنّ عِبادتكم لتلك الأصنام صحْ.

ألجنّة حق، ليس لها علاقة بالصّدق والكذب. ألحق قائم بذاته، مُكتفي ذاتيا. قوانين ألذرة حق ليس لها علاقة بتدخل الإنسان لكي تعمل. أما اللغة فليست حقا لأنه ما لم يتكلمها الإنسان لن تكون.

ألحق هو الوجود والباطل هو الوهم. ألشيطان يوقعك في الباطل يجعلك تتوهم بأمور غير موجودة.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ مريم: ٤٤ ألرحمن هو اسم الربوبية لهذا الكون المادي، والشيطان هو الباطل.

ألإعتقاد بالسحر باطل لأنه مجموعة من الأوهام.

لكن نريد أن نؤكد هنا أن ليس كل حق حلال وليس كل باطل حرام. ألخنزير والبقر كلاهما حق (كلاهما له وجود مادي موضوعي)، لكن أكل لحم الخنزير حرام بينما أكل لحم البقر حلال. كذلك ليس كل باطل حرام. أفلام توم وجيري وهم (إذ لا يوجد فأر يقتل قط) لكنها ليست حرام. أنت تتخيل لكن ذلك غير موجود في الحقيقة. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يونس: ٣٦

ألخطأ والصّواب

ألخطأ والصّواب لا يكون إلا بالحق. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ النساء: ٩٢ تحقق ألقتل، ولكن خطأ. أمامك شيء أخطأت به.

جدلية ألخطأ والصواب لا تكون إلا بالحق.

ألصدق والكذب كذلك لا يكون إلا بالحق. أنت تسأل عن شيء معين (موجود) .. إما يَصْدُقكْ وأما يكذبْ.

ألحلال والحرام، ألمسوح والممنوع، ألأمر والنهي لا يكونوا إلا بالسلوك ألإنساني وليسوا مترادفات.

ألحلال والحرام لا يكون إلا إلهي.

ألحرام .. منع أبدي شُمولي – لا يكون إلا من الله، ما تبقى هو **الحلال**.

ألحديث ألشريف حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَيَعْلَى ، قَالُوا : أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ ".

هذا الحديث مضى عليه أكثر من ١٤ قرنا حتى الآن، هل حُدِّدَتْ المُشتبهاتْ؟

ألمشتبهات هي النّواهي ألإلهية مثل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

هذه نواهي وليست مُحرمات. إذا لم تتجسس الدولة على العدو فكيف تحمي نفسها، وإذا لم تتجسس الشرطة على تجار المخدرات والمجرمين كيف لها أن تَحمي مواطنيها .. لكن أن تتجسس على جارك أو أي على أي أحد لمجرد أن تتجسس فهذا ما نهى الله عنه. كذلك لا يجوز ألغيبة والنميمة ولكن عندما يكون هناك إنسان نَصّاب فإن من واجبك أن تحذر ألجميع منه، ولذا نقول أن المنهيات لا ترقى إلى درجة التحريم، لأنه لو كان التجسس حرام لحُرِّمَ ذلك حتى على العدو أو عصابات ألمافيا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ النور: ٢٧

﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾
الإسراء: ٣٧

هذه نواه .. لا يوجد مشتبهات خارج ألمصحف.

ألمسموح والممنوع

ألمسموح والممنوع ليس له أي علاقة بالدين إطلاقا. **ألمَنْعْ** يعني أن هناك سلطة تمنع وهذا المنع لا يحمل ألطابع الأبدي.

الله يأمر وينهي ولكن بدون سلطة ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢

﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

ص: ٧٥ الله لا يستعمل ألسلطة ولكن يترك الإختيار للإنسان. ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ الإسراء: ٩٤

ألدولة تمنع ألتدخين (تمتلك ألسلطة وأدواة الإكراه)، ألطبيب ينهي عن التدخين. أي سلطة لها أدوات إكراه وإنْ لم يَكن هناك أداة إكراه لا يوجد سلطة.

ألإهتمام بهذه ألثنائيات لأقول أنّ ألحق والباطل يختلف عن ألصِّدق والكذب أو ألخطأ والصواب. ألحق والباطل (حقيقة ووهم) .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الكهف: ٥٦

ألباطل ليس سيء أو كذب، ألباطل يعني أنه وقع في الوهم (تصور غير موجود).

ألقرآن فرق بين الحق والباطل في الوجود. ألقرآن لم يفرق بين الحلال والحرام.

ألإرث ليس من القرآن، ألإرث من الرسالة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣ (إفعل أو لا تفعل)

حِكْمَة نُزولْ القرآن مُنجّما

ما من رسول بُعثَ إلى قومه إلا وأعطاه الله مُعجزة تؤيد أنه رسولٌ مُرْسل من رب العالمين. موسى عليه السلام أيده الله بتسعِ آياتٍ بينات ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١

هذه المعجزات سماها الله آيات بينات رآها قوم موسى بأعينهم ولذا سماها الله بصائر ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٢ أيضا عيسى ابن مريم عندما بُعِثْ ايده الله بمعجزات تبين لقومه أنه نبي مرسل ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩

لقد رأى قوم موسى وقوم عيسى تلك الآيات البينات فآمن منهم من آمن، ونحن لولا ذِكْرْ تلك الآيات البينات في القرآن الكريم لما علمنا بها.

أما الرسول الأعظم فكونه خاتم الأنبياء والرسل اقتضى أن تكون مُعجزته مُشاهدة لأهل الأرض في كل زمان ومكان. ألآيات البينات التي أعطيت للرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن ذاته. نحن اليوم حين نتدبر القرآن الكريم ندرك أنه كتاب سماوي وأن محمد صلى الله عليه وسلم هو بحق خاتم الأنبياء والرسل.

ألمعجزة ألمادية كلما بعدت زمانا عن زمن التنزيل كلما وضحت أكثر. هذه الميزة ألموجودة في القرآن ألكريم **ثبوت النص وحركة المحتوى** لا توجد في اي كتاب آخر. ألقرآن الكريم صيغ متشابها عن قصد، والقرآن يفهم حسب السقف ألمعرفي لكل جيل.

هناك قول للرسول الأعظم (بَلغوا عَنّي وَلوْ آية فَلرُبّما سامِعْ أوْعى مِنْ مُبَلغْ).

إنّ سامع القرن العشرين هو بلا شك أوعى من مبلغ القرن السابع لأنّ سقفه المعرفي أفضل.

ألقرآن فرق بين الحق والباطل (وجود) ولم يتحدث عن السلوك.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ... ﴾ آل عمران: ١٤٥ أهل الأرض يبحثوا في كتاب الأعمار وبالتالي فإن معدل الأعمار في البلاد الأكثر معرفة أفضل منه في تلك البلاد المتخلفة علميا.

كلما بعدنا عن الرسول الأعظم زمانا كلما كان المتشابه أوضح. نحن اليوم في القرن العشرين نستطيع أن نفهم القرآن أفضل كثيرا عن أهل القرن ألعاشر. نحن نقرأ اليوم ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٤ هذه الآية والتي هي آية واحدة في كتاب الله، ألفَ فيها المُجلداتْ في عِلم ألجنين، فمنْ يفهم هذه الآية أكثر نحن أم أوْلئك الذين عاصروا بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟.

الذين عاشوا في القرن الثامن كان الدم بالنسبة إليهم سائل أحمر يجري في ألعروق. أليوم تحت المجهر عرفنا أنّ الدم يحتوي على أكثر من ٢٠٠ عنصر.

أليوم نمتلك وسائل ألمعرفة التي لم تكن متوفرة في الماضي.

ألمتشابه يحتاج إلى تأويل وليس إلى تفسير. إن إعجاز القرآن في هذه الخاصية وليس في كونه مصاغا بيانيا بأسلوب عجز العرب اهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله، وكأن القرآن أنزل لقوم دون غيرهم. الله سبحانه وتعالى تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ تحد لكل الإنس والجن منذ أن أنزل القرآن وحتى قيام الساعة. تحد للياباني باليابانية، والروسي بالروسية، والصيني بالصينية والإنجليزي

بالإنجليزية ولكل إنسان بلغته وليس فقط للعربي بالعربية، أي إنسان بلغته عاجز أن يأتي بمثل هذا القرآن .. ليس الإنسان فقط بل والجن أيضا. هذه هي المعجزة التي أعْطِيَتْ للرسول الخاتم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥.

ألقرآن صيغ عن قصد متشابه ومتحرك مع السقف المعرفي لكل جيل، ولذا فإن القرآن يأوَّل ولا يفسر والتأويل النهائي للآية عندما تصبح الآية حق.

يوسف عليه السلام رأى مناما في ذهنه وليس في الواقع. حين خر أبويه وقال ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠

ألتأويل هو ما تنتهي إليه الآية من حقيقة موضوعية على أرض ألواقع, ألتأويل ليس التفسير والتوضيح كما يتوهم ألبعض.

ألتاويل رده إلى الأول أو إلى ألمآل.

تأويل ألساعة حدوثها ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأعراف: ٥٣ أصبح واقعا أمامهم.

ألإنزالْ والتّنْزيلْ

قبل الحديث عن الإنزال والتنزيل نريد أن نبين الفرق بين **ألبلاغ** و **الإبلاغ**

ألبلاغ نقول أن هناك بلاغا من الوزارة إذيع من الراديو يطلب من المواطنين أمرا ما. هذا البلاغ لا يعني أن كل مواطن قد سمعه ووعيه. فالرسول كونه الرسول الخاتم لأهل الأرض جميعا لم يكن مطلوبا منه أكثر من البلاغ، ذلك أنه من المستحيل عليه أن يتأكد من أن كل اهل الأرض قد وصلهم مضمون رسالته ووعوا ما فيها. قال تعالى

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ المائدة: ٩٩

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧

بينما صالح عليه السلام، كونه أرسل إلى قوم محدودي العدد كان المطلوب منه أن يتأكد أن رسالته قد وصلت لكل واحد منهم (**إبلاغ**)، وهذا هو الفرق بين البلاغ والإبلاغ. فالإبلاغ يعني أن تتأكد أن الرسالة قد وصلت بالفعل لمن تريد أن توصلها إليه وأنه أدرك ما فيها. ولذا كان قول صالح عليه السلام لقومه ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٩ .

بعد أن بينا ألفرق بين البلاغ والإبلاغ اصبح بالإمكان توضيح الفرق بين الإنزال والتنزيل.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإنسان: ٢٣ أي نقل من مكان إلى مكان

ولكي يدخل القرآن ضمن مدركات الناس كان الإنزال ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر

التنزيل إذا عمليه تتم خارج الوعي الإنساني، ولكي يدخل المنزل ضمن مدركات الناس يجب **الإنزال**.

ألقرآن كان له وجود مسبق في **اللوح المحفوظ** و **الإمام المبين**، كان بصيغة غير مدركة فحولة الله سبحانه وتعالى إلى صيغة مدركة ليفهمه الناس، وهذا هو **الجعل**. إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا

أما في الأحكام (ألرسالة) .. فلا يوجد جعل ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد: ٣٧

إذا ألقرآن كان له وجود مُسبقْ في الإمام ألمُبين واللوح المحفوظ، وكان بصيغة غير مدركة (غير عربي) فجعله الله عربيا وأنزله إلى الناس ليتم إدراكه، ولقد تم ذلك في ليلة القدر حيث أشهر القرآن. في ليلة القدر هناك العديد من الأوامر السماوية، لكن الله يقول لنا إن إشهار القرآن كان أفضل من ألف إشهار آخر ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ ﴾ القدر: ٣ وليس المقصود بالشهر هنا ما فهمه البعض أنه ٣٠ يوما. إذا في ليلة القدر جعل القرآن عربيا وأشهرْ

إنّ فهم الفرق بين الإنزال والتنزيل يعد أحد ألمفاتيح الأساسية لفهم كتاب الله .. وهذا الفهم له علاقة كبيرة بمبادئ التأويل. فما هي هذه العلاقة التي تربط مبادئ التأويل وفهم كتاب الله بفهم إصطلاحي الإنزال والتنزيل.

الأنزال والتنزيل من الكلمات الشائعة في كتاب الله ووردت أكثر من ١٠٠ مرة في ألتنزيل الحكيم وفي مواضع مختلفة.

هناك إنزال وتنزيل للقرآن
هناك إنزال وتنزيل للكتاب
هناك إنزال وتنزيل للذكر
هناك إنزال وتنزيل للملائكة
هناك إنزال وتنزيل للمن والسلوى
هناك إنزال وتنزيل للمائدة

وهناك إنزل بدون تنزيل للحديد، وإنزال بدون تنزيل للباس.

ألقرآن

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف: ٢

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ ﴾ الإنسان: ٢٣

ألكتاب

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ الكهف: ١

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ ﴾ آل عمران

الملائكة

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾ الأنعام: ٨

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤ ﴾ القدر: ٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾ فصلت: ٣٠

ألمن والسلوى

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٧ ﴾ البقرة: ٥٧

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠ ﴾
الأعراف: ١٦٠

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ٨٠ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ٨١ ﴾ طه: ٨٠ – ٨١

الحديد

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢٥ ﴾ الحديد: ٢٥

أللباس

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأعراف: ٢٦

كيف نفرق بين إنزال وتنزيل ألقرآن والذكروالملائكة والكتاب والمن والسلوى وبين إنزال الحديد واللباس؟

يظن البعض أنّ الإنزال هو حركة من الأعلى إلى الأسفل. كذلك يعتقد البعض أن الهبوط هو أيضا حركة من الأعلى إلى الأسفل. يقول تعالى ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨ يُظَنْ أنّ آدم عليه السلام كان في السماء وهبط إلى الأرض.

ألهبوط لا علاقة له إطلاقا بالأعلى والأسفل. ألهبوط عبارة عن حركة إنتقالية على سطح الأرض من مكان إلى مكان. ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١
كانوا في مكان وانتقلوا إلى مكان آخر.

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود: ٤٨ إنتقل من مكان إلى مكان آخر.

ألهبوط إذا لا علاقة له بسماء أو بأرض.

أما **التنزيل والإنزال** كما أوضحنا حين تحدثنا عن **ألبلاغ والإبلاغ** وقلنا أنّ البلاغ هو إصدار بيان للناس دون التأكد أن البيان وصل لكل الناس وأن الناس وعوا ما فيه. إما الإبلاغ فهو التأكد أن البيان قد وصل للشخص المراد تبليغة. وقلنا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان مطلوب منه البلاغ ولم يكن مكلفا بالإبلاغ كونه خاتم الأنبياء والرسل وكونه مرسلا للإنس والجن.

أما صالح فقد طلب منه الإبلاغ لأنه أرسل إلى قوم في منطقة محددة يسهل التأكد من وصول ألإبلاغ إليهم. وهل يهلك الله قوما لا يعلموا ماذا أرسل إليهم.

ولذا فقد قال عن القرآن ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٩ لاحظ قوله وَمَن بَلَغَ أي إنّ القرآن إنذار لكم ولمن بلغه ذلك الإنذار .. فإذا وصل إلى أحد سكان البرازيل فقد بلغة وأصبح منذرا بهذا القرآن وإن لم يبلغة فلا مسؤولية عليه ..

رب العالمين يريد أن يعطي هداية للناس، هذه الهداية جاءت من خارج الذات الإنسانية عن طريق وسيلة ما (جبريل). جبريل له وجود موضوعي خارج الوعي الإنساني مهمته نقل معلومات (رسول)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر: ١ نقل الرسالة من اللوح المحفوظ والإمام المبين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (تنزيل). لذلك قال ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ﴾ آل عمران: ٣ وقال ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... ﴾ الإسراء: ١٠٥

تم نقل القرآن إلى لسان عربي قابل للإدراك ثم نقل إلى الرسول الأعظم (هذا الأمر تم خارج الذات المحمدية).

تاريخ الإنسان قبل الرسالة المحمدية موجود في الإمام المبين، ولكن لا ندري كيف هو مسجل هناك. نقل هذا التسجيل إلى الإدراك (إنزال) .. أما جعل القرآن عربيا (فهي إشارة إلى أن القرآن كان له وجود مسبق قبل أن يصير عربيا)، وذكر الجعل والإنزال عربيا لإنه كان بالإمكان أن يُجْعَلْ غير عربي – إنجليزي مثلا أو اي لغة أخرى قبل أن يتم إنزاله.

الأمام المبين واللوح المحفوظ، حيث للقرآن وجود قبل الجعل والتنزيل، وحيث لا يصل إليه إلا المطهرون ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧٩ حصل فيه الإنزال – أي إنه أصبح قابلا للإدراك الإنساني وأشْهِرَ في ليلة القدر، ولذا قال ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ القدر: ٣ أي إنّ إشهار القرآن خيرا من ألف إشهار يحصلوا ليلة القدر. **شَهْرٍ** هنا لا تعني المدة الزمنية (٣٠ يوما) وإنما هي من إشهار.

ألقرآن إذن أنزل دفعة واحدة ليلة القدر في شهر رمضان

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ القدر: ١

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ ﴾ الدخان: ٣

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ .... ﴾ البقرة: ١٨٥

ألتنزيل حصل في ٢٣ سنة

﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ ﴾ الإسراء: ١٠٦

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ ﴾ الإنسان: ٢٣

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ الفرقان: ٣٢

ألقرآن الكريم كان له وجود

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ الواقعة: ٧٧ - ٨٠

هذه الآيات التي تفصل لنا هذه الحقيقة هي التي أطلق عليها رب العالمين لفظ تفصيل الكتاب، وهي من أهم المفاتيح لفهم كتاب الله.

وحين قال تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ يوسف: ٢

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾ الزخرف: ٣

آيتان لا تختلفان إلا بفعل واحد، ليقول لنا أنّ الجعل والإنزال تلازموا بالنسبة للقرآن. أما بالنسبة للأحكام فلا يوجد جعل ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الرعد: ٣٧

لأنه يوجد أحكام في اللوح المحفوظ. أية الصوم مثلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣ غير موجودة في اللوح المحفوظ، لأنها لو وجدت لأصبحت قانونا حتميا كيوم القيامة ولصام الناس دون إرادتهم ودون قدرتهم على الرفض.

هنا كان خطأ المعتزلة عندما قالوا أن القرآن مخلوق.

ألوح المحفوظ والإمام المبين لهم وجود غير قابل للإدراك الإنساني. جُعلوا قابلين للإدراك الإنساني (صار لسان عربي – تم تحويل في الصيرورة جعل)، لقد كان بالإمكان أن يكون الجعل غير عربي. بالنسبة للعرب فإن أي لغة غير عربية هي لغة أعجمية. وبما أن الأحكام عربية قال تعالى

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤

أي لو كان الجعل غير عربي لكان في المصحف لغتين لغة عربية لغة الأحكام ولغة أعجمية هي لغة القرآن. علما أن الحديث يدور في البداية عن الذكر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾ فصلت: ٤١.

أما ما قالوه أنّ أعجميّ تعني القرآن، وعربيّ تعني الرسول لا يعنينا في شيء.

أمثلة توضيح الأنزال والتنزيل

مباراة كرة قدم

فريقين يتبارون في الملعب في مدينة جوهانسبورغ.

ألأصل واحد منتخبين.

نحن في دمشق نريد متابعة تلك المباراة.

هناك كاميرات تلتقط صور المباراة وتحولها إلى أمواج وتبثها ، هذه الأمواج ترسل عبر الفضاء، لتصل جهاز الإستقبال نلتقط تلك الأمواج لتظهر صورة على ألشاشة نستطيع من خلالها متابعة ما يحدث في الملعب في جوهانسبورغ.

- تحويل الصورة إلى أمواج (جعل) لأن هناك أصل عبارة عن لحم ودم (لاعبين في الملعب)
- نقل الموجة – خارج إدراكنا (تنزيل)
- إستقبال الأمواج ومشاهدتها – دخولها مدركاتنا (إنزال)

لو طبق هذا المثال على القرآن الكريم نقول

ألقرآن ألكريم موجود خارج مدركاتنا في اللوح ألمحفوظ والإمام ألمبين. رب العالمين جعل ألقرآن عربيا قابلا للإدراك.

ألجعل تشير إلى أنّ له وجود. تماما كقول رب العالمين إلى إبراهيم عليه السلام ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤ لقد كان هناك وجود لإبراهيم عليه السلام قبل أن يجعله الله إماما للناس.

أيضا حين قال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ دليل على أنّ آدم كان موجودا، لكن رب العالمين أراد أن يغير في صيرورته، لأنه قبل وجوده قال تعالى

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٨ – ٢٩

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢

أما الدليل على إن الإنزال يقتضي الدخول ضمن الإدراك فقوله سبحانه وتعالى

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ البقرة: ١٣٦

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا هل ممكن أن يؤمن الإنسان بشيء لا يعرفه ؟ إذا حين قال تعالى أنْزِلَ إليْنا دليل على أنّ المُنْزَلْ إلينا قد دخل ضمن مدركاتنا.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ البقرة: ١٥٩

لكي يكتموا البينات يجب أن يكونوا عرفوها وأدركوها أولا!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾ البقرة: ١٧٤

أيضا يجب أن يعرفوا ويدركوا ما في الكتاب قبل أن يقرروا كتمانه.

قلنا سابقا إن الكتاب هو الموضوع، وكتاب الله هو مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى الرسول الأعظم. في الكتاب حصل إنزال وتنزيل خارج الذات ألمحمدية بالصيغة والمحتوى، أي إن الفكرة جاءت جاهزة للرسول الأعظم ولم يُصيغها بنفسه. كان عليه النطق فقط. ولذلك قال تعالى

﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ ﴾ الإسراء: ١٠٥ هذا الشيء حصل موضوعيا. أما قوله ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾ الأنعام: ٧ – ٨ هنا لا يصح إلا التنزيل. ألكتاب هو كتاب الله كما قلنا وليس خط الله. بعد أن دوّنَ الكتاب، آيات التدوين هي القرطاس. ألكتاب بدون قرطاس لا يُلمس – ممكن يُسمع. ألكتاب في قرطاس يلمس – هذا تنزيل (شيء مادي ينزل بغض النظر ما يحتوي: كتاب الموت، كتاب الصلاة، أو أي كتاب آخر).

عندما نقرأ ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعلى: ١٩ هل تعني كتابا في قرطاس؟

الإحتمال الأكبر لا، رب العالمين يقول ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ البينة: ٢ - ٣ إذا كان هناك صحف فيجب أن تكون بأيدي الملائكة ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ عبس: ١٣ – ١٦

أما موسى عليه السلام فقد جاءته الوصايا العشر في قرطاس ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٤

ألمن والسلوى

قلنا أن هناك إنزال وتنزيل للمن والسلوى. لقد ذكر **الإنزال** في سورة البقرة (الآية: ٥٧) وفي سورة الأعراف (الآية: ١٦٠) ولما كان الإنزال يقتضي دخول المنزل ضمن الإدراك لذا وجدنا أنه بعد ذكر إنزال المن والسلوى فقد قال تعالى كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ ليشير إلى أنّ بني إسرائيل أدركوا أنّ هذه الأشياء للأكل.

أما في سورة طه (الآية : ٨٠) فلقد ذُكر **تنزيل** المن والسلوى، ولما كان التنزيل يعني عدم دخول المُنَزّلْ ضمن الإدراك فقد انتهت الآية ٨٠، لتبدأ بعدها الآية ٨١ بعبارة كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ أنّ بني إسرائيل أدركوا ما هية ألمن والسلوى. وهنا نرى أهمية **مواقع ألنجوم**.

لقد جاء القرآن منجما. وما نقصده بمواقع النجوم هو الفصل بين الآيات وليس النجوم التي في السماء.

إنّ مواقع النجوم هي أحد أهم المفاتيح لفهم كتاب الله، ولولا الدقة في مواقع النجوم لفقد الخبر مصداقيته ولأصبح خبراً غير صحيح. ولهذا أقسم الله بمواقع النجوم ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٩ وإياك أن تظن إنّ مواقع النجوم ألمشار اليها في هذه الآية هي تلك النجوم ألتي في السماء، إن مواقع النجوم هي تلك الفواصل بين الآيات القرآنية والتي بدونها يصعب فهم كتاب الله فهما صحيحا.

إنّ رب العالمين هو من نجّم هذا الكتاب وقسم آياته بهذا الشكل لنستطيع أن نفهمها كما أراد سبحانه وتعالى.

مثال على مواقع النجوم

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ١ – ٤

ما علاقة النجم إذا هوى بمصداقية الرسول، وأين النجم إذا هوى. قال البعض إنّ لنجم مقصود به ألشهب! وأن يكن، ما علاقة أن الشهاب هوى وأنّ النبي لم يضل ؟؟! ما يربط هذا بذاك؟ ألآيات هنا تتحدث عن شيء له علاقة بالوحي .. نجم ونطق !!!!

مثال آخر

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون ...

ألآية ١٤ من سورة النور تحكي عن تطور الجنين والآية تمضي دون انقطاع. عندما يتم تلقيح الحيوان المنوي بالبويضة فإن تطور الجنين لا يتوقف ولذا جاء هذا التطور في آية واحدة دون انقطاع.

أما خلق الإنسان من سلالة من طين وحتى أصبح نطفة فقد مرّ بمراحل قبل أن يحدث ذلك، إذا لا بد أن يكون هناك نجمة. لو لم توضع نجمة لفقد الخبر مصداقيته.

إنزال ألملائكة

قال تعالى عن نوح عليه السلام

﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤

إحتج القوم أن المرسل إليهم هو بشر مثلهم، لم يصدقوا أنه رسول لأنهم اعتادوا أن تكون الرسل من الملائكة .. وكانوا يرونهم ولذا قال لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ .

أما قوله عن تنزيل الملائكة (خارج المدركات) فقد ورد في

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠

اليوم هناك أكثر من ٦ مليارات إنسان على سطح ألكرة الأرضيّة، ألا يوجد بينهم أحد قال ربي الله ثم استقام؟

ألآية (فصلت: ٢٠) تحمل خبرا صادقا، لكنها تتحدث عن تنزيل الملائكة لتقول لنا أنّ هذا موضوع يتم خارج الإدراك، ولذلك نحن لا نرى الملائكة.

ألحديد واللباس (إنزال)

هناك من يقول أنّ الله أنزل الحديد من السماء، هذا الكلام ليس صحيحا. حين انفصلت الأرض عن الشمس وتجمعت فإن أكثر عنصر كان موجود فيها هو الحديد. باطن ألكرة الأرضية كله حديد وهو الذي يسبب الحقل المغناطيسي.

ألحديد موجود في الأرض بشكل كبير وهو موجود على شكل فلزات، وليس حديد صافي. ولكن كيف وصل الإنسان لمرفة الحديد بشكل مبكر؟ لا شك أن ذلك تم عن طريق النبوات أو الملائكة، فقوله تعالى ﴿ ... وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ الحديد: ٢٥ لا تعني أنه أنْزِلَ من السماء ولكن تعني أنّ الحديد أصبح مدركا لبني البشر.

كذلك الحال بالنسبة للباس، فقوله تعالى ﴿ ... أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ... ﴾ الأعراف: ٢٦ إذا فهمناها تنزيل فإنها تعني أنّ رب ألعالمين قد فصل لباسا للناس ونزله إليهم.

ألبشر بدأ عاريا .. وحين تأنسن (انتقل من بشر إلى إنسان) اصبح هناك سرابيل (وضع أشياء على الجسم بدون خياطة) كما في قوله تعالى ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ إبراهيم: ٥٠ ألقطران لا يخاط.

ثم جاءت القمصان والثياب المخاطة. هذا التطور اكتسبة الإنسان معرفة من الطبيعة بعد أن رأى طيورا تغزل، ولهذا قال تعالى ﴿ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ أللباس لم يأتِ من السماء، هناك شيء كان غير مدرك جعله الله مدرك بالنسبة للإنسان.

تنزيل ألمائدة

ورد الأنزال والتنزيل للمائد في سورة المائدة. قال تعالى

﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ ﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

لقد سأل الحواريون عيسى عليه السلام هل يستطيع الرب أن يُنَزِّلَ عليهم مائدة (أي طلبوا مائدة مادية). لكن عيسى ابن مريم طلب من ربه إنزال مائدة قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ طلب الوعي بشأن ألمائدة، وطلب صفة للمائدة وأن تكون آية من الله. رب العالمين وافق على الطلبين أي أنه نزل إليهم مائدة مادية كما طلبوا وجعلها آية لهم.

تنزيل سورة محكمة

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ ﴾ محمد: ٢٠

إذا كان هذا المصحف كله قرآن والقرآن أنزل دفعة واحدة في ليلة القدر، فكيف أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ ، هنا يتكلم عن الأحكام وليس عن القرآن. في الأحكام تلازم الإنزال والتنزيل. وفي الأحكام لا يوجد جعل.

أحداث موسى عليه السلام حصلت وسجلت في الإمام ألمبين. ألإمام ألمبين عبارة عن تراكم أحداث.

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ الجاثية: ٢٩

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢

لا يوجد شيء في الأحداث مبرمج سلفا. ألحدث يسجل في الإمام ألمبين لحظة حصولة ويُأرْشفْ فيه.

قبل أن يعبس الرسول في وجه ابن ام مكتوم لا يوجد ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ ﴾ عبس: ١ وهذه الآية لم

تنزل ليلة القدر. لو أن الرسول لم يعبس لما نزلت هذه الآية، وإلا لأصبحت الحياة مجرد تمثيلية نؤدي نحن فيها أدورا كتبت لنا ولا يحق لنا الخروج عن النص إطلاقا.

القصص ألقرآني حصل قبل بعثة الرسول ودون في الإمام ألمبين. أما القصص ألمحمدي فكان يحصل زمن التنزيل وقبل حصوله لم يكن مستنسخ في الإمام المبين.

القصص المحمدي بالنسبة لمن عاصروا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان واقع يعيشوا لحظاته، ولم يكن بالنسبة إليهم قصص. أليوم القصص المحمدي بالنسبة لنا هو تماما كقصص بقية الأنبياء والرسل في التنزيل الحكيم، علينا أن نتعامل معه كما نتعامل مع قصص الرسل السابقين أي

أن نأخذ منه العبر وليس الأحكام إلتزاما بقوله تعالى ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١

الأحكام أنزلت ونزلت ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾

الرعد: ٣٩ .. أم الكتاب ليست في اللوح المحفوظ ولا في الإمام ألمبين. أم الكتاب ليست حدثا هي أحكام. ألأحكام تتغير هناك ناسخ ومنسوخ ولكن ليس ضمن ألرسالة ألواحدة.

تفصيل الكتاب ليس في اللوح المحفوظ أيضا .. ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣ هل هذه الآية موجودة في اللوح ألمحفوظ؟ هذه من آيات تفصيل الكتاب.

بدون تفصيل الكتاب لا يفهم كتاب الله.

آيات تفصيل الكتاب ليست من الآيات ألمحكمات وليست من المتشابهات.

أزمة ألفقه ألإسلامي

هناك إشكاليات تعاني منها ألعقلية ألإسلامية منها

- إزدواجية التراث والمعاصرة
- تراجع في مشكلات المسلم ألإجتماعية والإقتصادية
- واقع المجتمعات ألإسلامية ألذي لم يستطع أن يواكب متطلبات العصر في الكثير من المناطق.

ويتحمل الفقه الإسلامي ألسبب ألرئيس في هذه الإشكاليات. ذلك أنّ العقل العربي هو عقل فقهي، والفقه خلال التاريخ هو الذي شكل العقلية ألعربية.

ألعقل العربي يسأل دائما عن المسموح والممنوع، عن الحلال والحرام وهل أنا مُذنب أم مقصر.

هذا العقل سببه الفقه ألإسلامي، لأن هذا الفقه نشأ في ظل سلطة مستبدة لدرجة أنه اضطر أن يقول أن الولد في آية المواريث هو المولود الذكر وليس الأنثى, فلقد نشأ الفقه في القرن ألثاني ألهجري. أبو حنيفة مات سنة ١٤٧ هـ، ألشافعي ولد عام ١٥٠ هـ، والإمام جعفر الصادق ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي سنة ١٤٩ هـ .. أي مع نهايات ألعصر ألأموي وبدايات ألعصر ألعباسي.

هؤلاء أعلام وضعوا أسس للفقه تناسب العصر الذي عاشوا فيه خاصة في أمور ألقتال والجهاد حيث كانت ألدولة من أقوى دول العالم، فوضع مفهوم القتال والجهاد ومفهوم دار الفكر ودار الإسلام لتتناسب مع أقوى دولة في العالم.

إذاً أقوال الفقهاء في تلك المرحلة حيث كانت الدولة الإسلامية هي الأقوى هي التي يعمل بها هذه الأيام. مثلا مفهوم ألحرية عند الفقهاء جميعا هو ضد ألرِّق.

كان هناك ضرورة لتبني مفهوم الترادف، وكان هناك ضرورة لإعتماد الحديث النبوي والإقرار بأن الرّسول محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب ألوحيين.

تبنّوا الترادف لأنّهم قالوا أن الرسول الأعظم هو صاحب الوحيين لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم: ٣

هناك روايات تُقر – ما هكذا نطق الرسول – لأنّ الحديث دُوِّنَ بالمعنى وليس كما نَطق الرّسول حرفيا، أي أن الرِّوايات قيلت كما فهمها ألراوي.

مثلا أركان الإسلام المتعارف عليها ربما حدث خطأ حين نُقلَ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. فأركان الإسلام لا تتناسب مع الفطرة الإنسانية بل هي بمجملها تكاليف ضد الفطرة، علما أننا نقول أن الإسلام دين الفطرة. أقول حدث خطأ دون قصد بنقل كلام الرسول، إذا من الممكن أن يكون الرسول الأعظم قد قال بني الأيمان على خمس فنقلها الراوي بني الإسلام على خمس لإعتباره أن الإسلام والإيمان واحد. سنتحدث عن موضوع الإسلام والإيمان بالتفصيل لاحقا.

أيضا ليثبتوا أن قول الرسول وحي نسبوا للرسول الأعظم معجزات مادية. ألشعوب غير العرب يفهموا أن معجزات النبيّ يجب أن تكون على سياق معجزات موسى عليه السلام، تلك المعجزات التي رآها الناس الذين عاصروا رسالة موسى عليه السلام. هم لا يفهموا النبوة إلا كذلك. ولذلك

كانوا يسألوا العرب أين معجزات نبيكم؟ وهنا يعنوا ألمعجزات ألمادية. فنسب إلى الرسول ألعديد من المعجزات، نذكر منهما هنا بعض ما ورد في كتب السيرة

* انشقاق القمر

روى أحمد والبخاري و مسلم في صحيحهما أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين ، قال مطعم: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل و فرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وأنزل الله تعالى مصداق ذلك : (اقتربت الساعة وانشقت القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر(

* نزول المطر بدعائه

لقد أمحلت البلاد و أصابها قحط شديد فدخل رجل المسجد و رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فاستقبل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله لنا يغيثنا، فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يديه فقال: (اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا) قال أنس: والله ما في السماء من سحاب ولا قرعة و لا شيء وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل الرجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله الرجل وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكت الأموال وانقطعت السبل ادع الله يمسكها فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: (اللهم حوالبنا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال ومنابت الشجر) قال أنس : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس.
فهذه المعجزة هي نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم قد كررت مرات عديدة وهي معجزة سماوية كانشقاق القمر لا دخل لغير الله فيها وهي آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

* نبوع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

ومن معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وصدق رسالته نبوع الماء من بين أصابعه الشريفة فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم قال قتاده قلت لأنس : كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة رجل.
فهذه معجزة ظاهرة إذ ليس في طوق البشر أن يأتوا بمثلها إذ لم تجر سنة الله في الكون أن الماء ينبع من بين أصابع الإنسان مهما كان إلا أن تكون آية تدل على صدق نبوة من ادعاها فقد كانت هذه آية على نبوته صلى الله عليه وسلم.

* فيضان ماء بئر الحديبية

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه لما كان بالحديبية هو و أصحابه سنة ست من الهجرة وكان الحديبية بئر ماء فنزحها أصحابه بالسقي منها حتى لم يبق فيها ما يملأ كأس ماء وكانوا ألفاً
وأربعمائة رجل ، وخافوا العطش فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم فجاء فجلس على حافة البئر

فدعا بماء فجيء به إليه فتمضمض منه ، ومجّ ما تمضمض به في البئر فما هي إلا لحظات ، وإذا البئر فيها الماء فأخذوا يسقون فسقوا وملأوا أوانيهم وأدوات حمل الماء عندهم وهم كما تقدم ألف وأربعمائة رجل وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى في سورة الفتح: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثبتهم فتحاً قريباً.(
ففيضان الماء من بئر جافة لا ماء بها حتى سقي منها أهل معسكر بكامله لم يكن إلا آية نبوية صادقة تنطق قائلة: أن صدقوا محمداً فيما جاءكم به ودعاكم إليه فإنه رسول الله إليكم حقاً وصدقاً.

* قدح لبن روى فئاماً من الناس ببركته صلى الله عليه وسلم

روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه القصة التالية: قال: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذين يخرجون منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمرّ عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي ، وما في نفسي فقال: " أبا هريرة" قلت له : لبيك يا رسول الله فقال: " الحق" واستأذنت فأذن لي فوجدت لبنًا في قدح ، قال: " من أين لكم هذا اللبن؟" فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان قال: " أبا هرّ" ، قلت: لبيك يا رسول الله ، قال: " انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي" قال- أي أبو هريرة – وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأووا إلى أهل ، ولا مال ؛ إذا جاءت رسول الله هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها ، قال أبو هريرة وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوّى بها بقية يومي وليلتي ، وقلت: أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بدّ فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: " يا أبا هريرة خذ فأعطهم" فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلي وابتسم ، وقال:" أبا هريرة" فقلت: لبيك رسول الله ، قال: " بقيت أنا وأنت" فقلت: صدقت يا رسول الله قال:" فاقعد فاشرب" قال: فقعدت فشربت ، ثم قال لي:" اشرب" فشربت فما زال يقول لي: اشرب فأشرب حتى قلت: لا ، والذي بعثك بالحق ما أجد له فيّ مسلكًا ، قال:" ناولني القدح" فرددته إليه فشرب من الفضلة.
وهكذا تتجلى هذه المعجزة وهي آية النبوة المحمدية ؛ إذ قدح لبن لا يروي ولا يشبع جماعة من الناس كلهم جياع بحال من الأحوال ، فكيف أرواهم وأشبعهم؟ إنها المعجزة النبوية! وآية أخرى للكمال المحمدي أن يكون صلى الله عليه وسلم هو آخر من يشرب من ذلك القدح الذي شرب جماعة من الناس.

* امتلاء عكة سمن بعد فراغها

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: كانت لأمي أم سليم شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم قال: أفرغوا لها عكتها فأفرغت العكة و دفعت إليها قالت: فانطلقت بها و جئت و أم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت: يا ربيبة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : بلى قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت و معها ربيبة فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال: قد فعلت قد جاءت قالت: والذي بعثك بالحق و دين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً. قال أنس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه كلي و أطعمي. فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا و كذا و كذا و تركت فيها ما ائتدمنا به شهرا أو شهرين.
فهذه إحدى المعجزات المحمدية إذ ليس مما جرت به سنة الله في الخلق أن يمتلئ الإناء بعد إفراغه

* الطعام القليل يشبع العدد الكثير

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: قال أ[و طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد و معه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة.؟ فقلت : نعم قال: بطعام؟ قلت: نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا. فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلم يا أم سليم ما عندك. فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ء أن يقول ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.
أليست هذه من أعظم المعجزات؟ بل و ربي إنها لمن أعظم المعجزات إن أقراصا عدة حملها غلام تحت ابطه يطعم منها ثمانون رجلا ويشبع كل واحد منهم شبعا لا مزيد عليه ان لم تكن هذه معجزة فما هي المعجزات يا ترى؟

* توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله

روى البخاري رحمه الله تعالى في دلائل النبوة المحمدية قصة جابر:
فقال: حدثنا أبو نعيم وساق السند إلى جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه فقال: إن أبي توفى و عليه دين فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أبي ترك دينا وليس عندي الا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه قال: انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم.
وهكذا بعد أن كان الدين قد استغرق كل التمر ولسنين عدة أيضا وفي التمر الموجود كل الديون وبقي التمر في البيادر مثل ما سددت به الديون الكثيرة وذلك ببركة وجود الرسول الله صلى الله عليه وسلم بين البيادر ودعائه بالبركة فيها فباركها الله عزو جل فوفت الديون وزادت فكانت هذه آية النبوة و معجزة ظاهرة.

* انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم

روى مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فأتبعته بإداوة فيها ماء، فنظر

فلم ير شيئا يستتر به و إذ شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى أحدهما فأخذ ببعض من أغصانها وقال: انقادي علي بإذن الله. فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لاءم بينهما أي جمعهما، وقال: التئما علي بإذن الله . فالتأمتا قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني إلتفاتة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق. فهذه إحدى المعجزات الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبي من الأنبياء

* تكثير الطعام

إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المرات وفي ظروف مختلفة و مناسبات عديدة فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها " وهي غزوة تبوك " فأرمل فيها المسلمون و احتاجوا إلى الطعام فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر إبلهم تحملهم و تبلغهم علوهم ينحرونها؟ ادع يا رسول الله بغبرات الزاد فادع الله فيها بالبركة، قال: "أجل" ، فدعا بغبرات الزاد فجاء الناس بما بقي معهم فجمعت ثم دعا الله فيها بالبركة و دعاهم بأوعيتهم فملأوها و فضل كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أني عبدالله ورسوله ومن لقي الله عزوجل بها غير شاك دخل الجنة. فهذه معجزة ظاهرة في تكثير الطعام القليل حتى أصبح كثيرا.

* حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد رحمه الله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار: يا رسول الله إن لي غلاماً نجارًا أفآمره أن يتخذ لك منبرًا تخطب عليه؟ قال: "بلى"، فاتخذ له منبرًا فلما كان يوم الجمعة خطب صلى الله عليه وسلم على المنبر فأنّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئنّ الصبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن هذا بكى لما فقد من الذكر". وفي رواية البخاري فصاحت النخلة " جذع النخلة" صياح الصبي ، ثم نزل صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال: " كانت تبكي "النخلة" على ما كانت تسمع من الذكر عندها."
فحنين الجذع شوقا على سماع الذكر و تألما لفراق الحبيب الذي كان يخطب إليه واقفا عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل في ظاهر الأمر ، وحسب علم الناس بالجمادات آية من أعظم الآيات الدالة على مثلها على نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته وهي معجزة كبرى على مثلها امن البشر لعجزهم على الإتيان بمثلها.

* تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه

روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى عن سويد بن يزيد السلمي قال: سمعت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لا اذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رايته، وبين ذلك الخبر الذي رآه فقال: كنت رجلاً اتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرايته يوما جالسا وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه ، فجاء ابو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء عمر فسلم و جلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن في كفه فسبّحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النخل ثم وضعهن فخرسن أي ي\سكتن ، ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبّحن حتى

سمعت لهن حنينًا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبّحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " هذه خلافة النبوّة".فهذه المعجزة ذات شطرين الأول تسبيح الحصى في أيدي الراشدين والثاني الخلافة فعلاً قد انحصرت في الصديق والفاروق وذي النورين ، ثم اضطربت.

* سلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم

فقد روى مسلم وأحمد بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن". فسلام الحجر وهو جماد أمر خارق للعادة ، معجز للبشر أن يأتوا بمثله ، فلذا هو آية النبوة المحمدية ومعجزة من معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم.

* سجود البعير له صلى الله عليه وسلم وشكواه إليه

روى النسائي وأحمد بسندهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه ، وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنه كان لنا حمل نسني عليه ، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " قوموا" فقاموا فدخل الحائط. والجمل في ناحية ، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، فقال الأنصار: انه صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال: " ليس عليّ منه بأس" ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قص حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك، فقال:" لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأموت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها."
كما روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوماً مع بعض أصحابه حائطا من حيطان الأنصار ، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن ، فقال صلى الله عليه وسلم: " من صاحب الجمل؟" فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم:" أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك إنه شكا إليّ انك تجيعه وتدئبه" أـي تواصل العمل عليه بدون انقطاع.
أليست هذه آية من آيات النبوة ومعجزة من عظيم معجزاتها؟ بلى. ولذا كان الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أقبح الكفر وأسوأه، ولا يكون إلا من جهل كامل ، أو حسد قاتل ، أو خوف فوات منافع مادية طائلة ، كما كان شان الجهال من الأمم والشعوب وحسد اليهود ، وخوف رجال الكنيسة من زوال سلطانهم الروحي ، وما يترتب عليه من فقدانهم المال والرئاسة الروحية على الشعوب المسيحية.

* شهادة الذئب برسالته صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقًا ساقه الله إليّ؟! فقال: يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بشر يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره. فأمر النبي صلى الله

عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي :" اخبرهم" فاخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده."

* توقير الوحش له صلى الله عليه وسلم واحترامه

فقد روى أحمد بسنده عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتدّ وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم أس لم يتحرك ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه بحركاته. فكون الحيوان الوحشي يسكن فلا يتحرك مدة ما هو صلى الله عليه وسلم في البيت ، وإذا خرج لعب فأقبل وأدبر كعادة الحيوان في ذلك آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة؛ إذ مثل هذا لا يقع لغير النبي صلى الله عليه وسلم. وإن قال قائل: ان الانسان في إمكانه تربية الحيوان على سلوك معين قلنا هناك فرق بين التربية وبين عدمها، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما كان ربّى هذا الحيوان ولا كان له به أدنى صلة، وإنما الحيوان ألهم احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، فكان إذا أحس بدخول الرسول البيت سكن وربض وترك الترمرم، وإذا خرج صلى الله عليه وسلم من البيت لعب فاقبل وأدبر حسب فطرته التي فطره الله تعالى عليها ، فكان سلوكه الخاص آية من آيات النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم.

* احترام الأسد لمولاه صلى الله عليه وسلم

فقد روى عبد الرزاق صاحب "المصنف" أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر في أرض الروم، فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بأسد فقال له: يا أبا الحارث "كنية الأسد" إني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه لم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم همهم ساعة ، قال: فرأيت أنه يودع ثم رجع عني وتركني.
فهذه وان كانت كرامة لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها معجزة نبوية؛ إذ الأسد ألان جانبيه ورقّ لسفينة وماشاه حتى وصل به إلى الجيش بعد أن قال له يا أبا الحارث إني فلان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان ما فعله الأسد من احترام سفينة من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذا عدت هذه من المعجزات المحمدية.

* نطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم

فقد روى أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة قصة الغزالة هذه، فقال: عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية فشدوها على عمود فسطاط، فقالت: يا رسول الله إني أخذت ولي خشفان فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم " أين صاحب هذه؟" فقال القوم: نحن يا رسول الله قال : " خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعها وترجع إليكم" فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: " أنا" فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم ، فأوثقوها فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أين صاحب هذه" فقالوا: هذا يا رسول الله، فقال: " تبيعونها؟" فقالوا: هي لك يا رسول الله فقال:" فخلوا عنها" فأطلقوها فذهبت.
فنطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة من معجزاته

الموجبة للإيمان به وطاعته ومحبته صلى الله عليه وسلم.

* خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم

فقد قال أحمد رحمه الله تعالى وساق سنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن به لمما، وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثعّ ثعّة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى.

* شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم

فقد روى أحمد بسنده عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضريراً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يعافيني فقال: " إن شيءت أخّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وان شيءت دعوت لك" قال: لا ، بل ادع الله لي، قال: فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: " اللهم إني أسألك وأتـوجه إليك بنبيك محمد نبّي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك في حاجتي هذه فتقضى، اللهم شفعه في" ففعل الرجل فبرأ.

* شفاء علي رضي الله عنه بتفاله صلى الله عليه وسلم

ففي الصحيح: قال صلى الله عليه وسلم في غزو خيبر:" لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله علي يده. فما أصبحوا نادى علياً فقالوا: مريض يا رسول الله يشكو عينه، فقال: ائتوني به. فأتي به فنفث في عينه بقليل من ريقه صلى الله عليه وسلم فبرأ لتوه ولم يمرض بعينه بعد ذلك قط.

* ردّ عين قتادة بعد تدليها

إذ في أحد أصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فبرئت على الفور ، وكانت أحسن من قبل.

* شفاء الصبي بفضل سؤره صلى الله عليه وسلم

روى ابن أبي شيبة أن امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وسلم بصبي به بلاء لا يتكلم ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فمضمض فاه، وغسل يديه، ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسحه به، ففعلت فبرئ الولد وعقل عقلاً يفضل له عقول الناس.

* تحول جذل الحطب سيفاً

لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذل الحطب فقال له: "اضرب به" فانقلب في يده سيفاً صارمًا طويلاً ابيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة.

* صدق إخباره بالغيب

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

هذه بعض المعجزات التي نسبت إلى الرسول الأعظم، لكن كتاب الله يخبرنا غير ذلك.

لقد طلب العرب من الرسول الأعظم أن يأتيهم بمعجزات مادية فما كان جوابه؟

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠ – ٩٤

ألرسول الأعظم معجزته الوحيدة هي الأيات البينات في الكتاب الموحي إليه.

إنّ السبب الرئيس وراء الحديث بتلك المعجزات أن النبي يجب أن يأتي بمعجزات مادّية, ولذلك حين نقرأ كتب السيرة نجد أن إبن هشام في سيرته لا يذكر سوى عشرة معجزات للنبي الأكرم.

أما ألماوردي في كتاب أعلام النبوة فقد ضاعف عدد هذه المُعجزات ليصبح ٤٠ معجزة.

ثم جاب ألبيهقي رغم ضخامة كتابه دلائل ألنبوة إلا إن عدد المعجزات لم يزد عما ذكرة ألماوردي (ألمعاصر له) في كتابه ولكنه اكتفى بالتوسع بما جاء به الماوردي من معجزات. لكنه تفرد عمن سبقه بإفراد ألصحابة بالمعجزات.

هؤلاء سواء علموا أم لم يعلموا فقد شوهوا شخصية ألرسول الأعظم.

أحد من يسمّون علماء في هذا العصر يقول على شاشة إحدى الفضائيات (أنا أتَمَنّى أنْ أكونْ ذَرَّة رَمْلْ تَحْتَ حِذاءْ رَسولْ الله) هل يقبل الرسول هذا؟

يدّعون أنهم يُحبّوا رسول الله ويفهموا حب الله ورسوله الذي جاء في الآية الكريمة

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ غافلين عن أنّ محبة الله تكون بإتباع رسوله الكريم بما جاء به وليس بالتمني بأن يكون ذرة تحت حذاء الرسول. ألرسول لا يقبل ذلك.

أنا أتمنى أن أكون إنسان مع رسول الله وجها لوجه أسأله وأستنير منه. هل يمانع الرسول في هذا؟

ألرسول نظم مجتمع آخذا في الإعتبار كل ما كان حوله. ألرسول لم يرتكب محرما ولم يكن متكبرا، كان متواضعا يستمع لمن يسأل ويقبل الحوار، كان خلقه القرآن وكان قرآنا يمشي على الأرض وعلينا أن نتبعه وأن نتخذه قدوة لنا ولا يكون هذا بنسج خرافات حول سيرته.

أستغرب ممن يتحدث اليوم في القرن الواحد والعشرين مرددا أن الرسول شُقّ صدرة وشُرِحْ، وأنّ الماء خرج من بين أصابعه، وأنه كان يمشي والغمام يمشي فوقه وأمور لا تتناسب مع ما ورد في كتاب الله.

ألتنزيل الحكيم هو المعجزة الوحيدة ألمصدقة لنبوة الرسول ألخاتم صلى الله عليه وسلم. أكثر من ٢٠٠٠ آية من الآيات البينات أوتيها الرسول في حين أن موسى عليه السلام لم يؤتَ سوي تسع آيات بينات.

يقولون لماذا نُحمِّلْ الفقه أسباب أزمة ألعقل ألعربي؟ ونقول أن العربي عقل

- ترادفي
- قياسي
- فقهي

ألفقه رسخ الترادف. وأساس العقل العربي يقوم على القياس. لقد ثبتوا نُسخة (ألقرون الأولى والصحابة) وأخذوا يقيسوا عليها كل شيء. أما قولهم **ألأساس في الأشياء الإباحة** فلا أعتقد أنهم يعملوا بهذا القول .. يقولوا أيضا أن **ألقرآن يُفسّرُ بَعْضهُ بَعْضاً** لكنه قول غير معمول به، فالتفسير هو ما قاله الأوّلون.

ثم إنّ هناك إشكاليّة في ما قدّموه في ما سمّوه **علوم ألقرآن** (أللسان ألعربي – ألنحو، ألناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول)

لقد استشهدوا على وجود ناسخ ومنسوخ في كتاب الله بناء على الآية الكريمة

﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ البقرة: ١٠٦

ألنّسخ له في هذه الآية معنيان:

1- ألإلغاء نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ
2- ألتثبيت (*Photo copy*) أَوۡ مِثۡلِهَآۗ

يجب أن نرى مِصْداقيّة هذه الآية في كل العالم لأنها قرآن (حق) ولأن الله سبحانه وتعالى (قوله الحق).

ألنّسخ كما قال سبحانه وتعالى في آية، هم جعلوه أحيانا بنصف آية وأحيانا أقل. آية النساء: ٤٣ مثلاً

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣

قالوا أن الجزء الأول من الآية منسوخ بينما بقية الآية غير منسوخة.

هناك أيضا نُنسِهَا أين تنطبق؟ يقولون في كتب التراث ما لا يقبله عقل حول هذا الموضوع، إنّ ابن مسعود كتب ليلا آيةً في قرطاس وحين أراد قراءتها في اليوم التالي وجد أنها مُحِيَتْ تماما، فسأل رسول الله صلى الله عليه سلم عنها فقال له إنها أنْسِيَتْ.

نقول أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام، والنسخ لا يكون في الرسالة الواحدة. والنسخ لا يكون إلا بين الرسالات . وهذا ما تعلمه أهل الأرض في تشريعهم الدنيوي.

لقد ضربت أول قنبلة ذرية سنة ١٩٤٥م، لكن هل أسِّسَتْ مُؤسسة الطاقة النووية أو وُقّعتْ معاهدة حظر الأسلحة النووية في نفس السنة، قطعا لا لقد مضت سنوات قبل أن يتم ذلك.
نقول ايضا أن قانون السّيْر لم يظهر بعد اختراع أول سيّارة، لكن مضت سنوات على اختراع السيّارة حتى ظهر قانون يُنظم حركة السّيارات وكل ما يتعلق بها.

إنّ تراكم ألمعرفة يؤدي إلى طفرة في ألتشريع.

هذا ما حدث في الرِّسالات السماوية أيضا. فعيسى ابن مريم عليه السلام بُعث بعد موسى عليه السلام بسنوات طوال. لقد مضت قرون قبل أن تُعدّل شريعة موسى. قال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ آل عمران: ٥٠

ثم مضت قرون ست قبل أن يبعث الرسول الأعظم بالرسالة الخاتمة ليأتي بشريعة إمّا خيرٌ من الشريعة ألسابقة وإمّا مثلها. وسَنُبيّن كيف تطور التشريع من موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

- **مثلها**

ألوصايا العشر هي نفسها، جاءت إلى موسى على شكل أوامر ونواه وجاءت إلى الرسول الأعظم على شكل مُحرّمات وهي **الفرقان**.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٨

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ... ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥

- **خير منها**

لقد كان الرجم هو حكم الزنى في شريعة موسى. هذا ألحكم عُدّلَ إلى ١٠٠ جلدة في الرسالة ألخاتمة.

سفر اللاويين: الإصحاح 20

10 وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ.
11 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
12 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا. قَدْ فَعَلاَ فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
13 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
14 وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَّهَا فَذلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرِقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ.
15 وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمِيتُونَهَا.
16 وَإِذَا اقْتَرَبَتِ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا، تُمِيتُ الْمَرْأَةَ وَالْبَهِيمَةَ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
17 وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ أُخْتَهُ بِنْتَ أَبِيهِ أَوْ بِنْتَ أُمِّهِ، وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ، فَذلِكَ عَارٌ. يُقْطَعَانِ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي شَعْبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ.
18 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَّى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلاَهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا.
19 عَوْرَةَ أُخْتِ أُمِّكَ، أَوْ أُخْتِ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهُ قَدْ عَرَّى قَرِيبَتَهُ. يَحْمِلاَنِ ذَنْبَهُمَا.
20 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ عَمِّهِ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ. يَحْمِلاَنِ ذَنْبَهُمَا. يَمُوتَانِ عَقِيمَيْنِ.
21 وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةَ أَخِيهِ، فَذلِكَ نَجَاسَةٌ. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ. يَكُونَانِ عَقِيمَيْنِ.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ٢

ذلك انّ التشريعات ألإلهيّة مع تقدم الإنسانية تسير بإتجاه ألتخفيف لا ألتشديد.

واليوم نرى مع تقدم ألبشرية أنّ الشرائع الدنيوية أيضا تسير أ نحو ألتخفيف لا نحو ألتشديد. فهناك دول تتجه لإلغاء عقوبة الإعدام، وهناك دول أيضا تُبقي عليها. كلاهما على حق ولم يتجاوزا حدود الله. ذلك أن الإعدام هو الحد الأعلى لعقوبة القاتل، والشريعة الخاتمة شريعة حُدوديّة لا حَدِّية ونحن نتحرك ضمن حدود لا يمكن تجاوزها. هناك فصل كامل سنشرح فيه معنى حدود الله.

نقول أن التشريع سواء أكان تشريعا سماوياً أو تشريعا دنيوياً فإن تعديله لا يتم إلا بعد سنوات على إقراره وعند التعديل فإن هناك إحتمالات أربع لا يمكن لهذا التشريع أن يتجاوزها. ألتشريع ألجديد يتعامل مع بنود التشريع القديم بالإحتمالات ألتالية:

- بنود تُلغى
- بنود تُضافْ
- بنود تُعَدّلْ
- بُنود تبقى على ما هي عليه

فلو نظرنا إلى شريعة ألرّسول ألخاتم وإلى شريعة موسى عليه السلام نرى أن هذه الإحتمالات الأربع قد تحققت تماما.

فالإرث لم يكن موجودا في شريعة موسى ولكنه أضيف في الرسالة الخاتمة. وعقوبة الرجم مثلا عُدلت لتصبح ١٠٠ جلدة، أما الوصايا العشر (الفرقان) وهي القاسم المشترك بين الأديان فقد بقيت على ما هي عليه، أيضا فإن هناك مُحرمات كانت مفروضة على أتباع موسى عليه السلام نتيجة بغيهم، هذه المحرمات ألغيت في ألرسالة ألخاتمة.

أما ما يدخل في دائرة النسيان فهو ما أشارت إليه الآية

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر: ٧٨

أولئك الرسل الذين لم يقصصهم سبحانه وتعالى على رسوله الأعظم دخلوا دائرة النسيان التاريخي.

وهذا ما أشارت اليه الكلمة القرآنية نُنسِهَا وليس ما ذكر على لسان ابن مسعود.

إن قانون الضرائب حين يصدر في دولة ما يحتاج إلى سنوات إلى تعديله، فهل من المعقول أن يَسُنْ الله تشريعا أليوم ليأتِ بتشريعٍ مُخالف في اليوم الثاني – سبحانك اللهم.

كما قلنا في البداية فإن ألنسخ في كتاب الله ورد أحيانا بمعنى **التثبيت** وأحيانا بمعنى **الإلغاء**.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾
الحج: ٥٢ هنا بمعنى ألنسخ أو الإلغاء ..

﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٩

هنا النسخ بمعنى التثبيت

ألإمام ألمبين كما قلنا مرارا يحتوي على أحداث ألتاريخ بعد وقوعها وهو متراكم. كل ما نقوم به في الدنيا يوجد عنه صورة طبق الأصل في ألإمام المبين تدون بعد وقوعها إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ أي إن أعمالنا ليست مكتوبة علينا سلفا كما يعتقد البعض

ألنبيّ ألأميّ

ألرسول الأعظم كان يقرأ ويكتب ولكنه لا يخط ولا يقرأ ألمخطوط.

ألقراءة هي ألعملية ألتعليمية أحدها فك ألخط. والرسول كان يفهم كل المواضيع ألتي تقال له.
والرسول الأعظم كان قادرا على صياغة الجمل أي تأليفها أي كتابتها، لأننا حين نقول كتاب الله فإنا لا نعني أن الله سبحانه وتعالى قد خط الكتاب بيمينه. طه حسين كان اعمى وله كتاب الأيام، فهل كتب طه حسين كتابه أم أنه صاغة وأملاه. كذلك الرسول الأعظم فقد صاغ كتابه إلى كسرى ولكنه لم يخطه بيده.

إذا لم يكن للإنسان إمكانية للقراءة فإنه لن يفهم شيئا.

ألأستاذ في الجامعة يقرأ المحاضرة، ما وصلك من المحاضرة هذا ما أنت تعلمته.

ألنبي لم يكن غليظ القلب، كان ذكي جدا وفطن.

أما لفظة **أمّي** ألواردة في كتاب الله فقد جاءت في الآيات ألتالية:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة: ٢

فليس لها أي علاقة بالقراءة والكتابة. ألأمي لقب أطلق على من ليس من أهل الكتاب قبل بعثة الرسول، أي إن الأمّي هو الذي لم يكن يهوديا أو نصرانيا. فالآية تشير إلى أن الرسول الأعظم لم يكن ممن هادوا وكذلك لم يكن من النصارى.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ٧٥

ٱلْأُمِّيِّـۧنَ هنا تشير إلى من هم ليسوا من شريعتنا، وهذه هي طبيعة أليهود حتى اليوم.

﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨ ﴾

البقرة: ٧٨ هؤلاء أل أُمِّيُّونَ هم ألجاهلون بكتب أليهود والنصارى.

قد يسأل البعض وما علاقة ألأميّ بأزمة الفقه. نقول أن هناك تشوية في ألمعاني. ماذا نعني حين نقول مثلا **محو الأميّة** ... هل نريد بذلك أنْ نتبع الملة أليهودية؟

هناك ثلاث أبواب في الفقه هي من أهم مُسببات ألأزمات ألتي نعاني منها

- **باب سد الذرائع** ..

هذا الباب يجب أن يُلغى بشكل كامل. ألأحكام ألعُرْفيّة وحالة الطوارئ هي نتيجة هذا الباب، لم نعد نشعر بهذه الحالة التي نعيش منذ سنوات نتيجة هذا المفهوم. لقد أسيئ استعمال هذا الباب وَوُظف سياسيا بطريقة سيئة حيث تجلت نتائجه بهذه الحالة و هذا الواقع التي يعيشها المواطن العربي في ظل أحكام عرفية أصبح لا يشعر للأسف بوجودها.

- **درء المفاسد خير من جلب المنافع**

هذا غير صحيح فالحياة تقوم على المفاسد والمنافع معا. هذا الباب له أيضا وظيفة سياسية بحيث اصبح هم المواطن ألعربي درء ضرر الدولة عن نفسه.

- **شريعة من قبلنا شريعتنا إلا إذا جاء في شريعتنا ما يخالف ذلك**

من هذا ألباب أدخل إلى الإصر والأغلال من الشرائع السابقة إلى شريعتنا.

مفاهيم ألوجود

تشكل فكرة ألتطور في كل ألمجالات ألإنسانية والفكرية والتشريعية إحدى أهم الأسس والركائز التي اعتمد عليها الدكتور محمد شحرور في تأسيس نظريته ألمعاصرة، معتبرا أن الموروث قد توقف عند زمن معين ولم ينل حقه من التطور ومن حركة المحتوى، ومعتبرا أنّ الآية الكريمة

﴿ ...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... ﴾ المائدة: ٣

تشير إلى فكرة التكامل والتراكم في الشرائع السماوية أو في شريعة ألإسلام، بينما الواقع المعاش بقي في منئاً عن هذا الإكمال كتطبيق وأرْجَعَ ذلك إلى أن خط التطور المتمثل بثلاث عناصر (ألكينونة – ألسيرورة – ألصيرورة)، هذا الخط قد فقد عنصرة الأخير. ولذا نسأل: ما جدوى البحث في خط التطور بدءاً من النقطة الساكنة ألكينونة وصولا إلى الصيرورة، وما علاقة ذلك في مفاهيمنا الدينية وفي نظرية الدكتور شحرور ألمعرفية؟

إذا نظرنا إلى القصص ألقرآني والذي يشكل تقريبا نصف ألقرآن أو اكثر فإن من أهم ورود القصص القرآني أنه يعطينا خط لسير ألتاريخ إبتداء من إنفصال البشر عن المملكة ألحيوانية وتحويلة إلى إنسان بنفخ الروح فيه وانتهاء بعلاقة السماء والأرض بالرسول الأعظم. قال تعالى

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾

هذا الدين هو دين واحد تراكم وتطور من نوح عليه السلام كأول رسول بشر إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين. هذا ما أعطي في القصص القرآني كخط تاريخ، وعلينا ان ندرسه على هذا الأساس.

كانت نبوة نوح صناعة السفن ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٧

ثم اجتياز ألعائق ألمائي. بينما نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هي كيف ندرس الكون ونسيطر عليه بحيث أنه أصبحنا الآن قادرين على هذه المهمة. وبالتالي يجب أن نجد في نبوة محمد في القرآن الكريم أنباء مع آلية معرفية تتيح لنا أن نصعد إلى الفضاء ونغوص في البحر. هذا متعلق بالصيرورة.

كيف نفهم ألقرآن الكريم؟ قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المزمل: ١ – ٥

كل المواضيع ألمعرفية في الكتاب هي قرآن. ألقصص أيضا من القرآن. ولو نظرنا إلى قصة آدم في القرآن الكريم نجد أنها جاءت في عدة سور (سورة البقرة، سورة الأعراف، سورة طه ...) قصة آدم لم تأتِ في سورة واحدة. يقول البعض أن براعة ألقرآن الكريم أنه يعيد القصة في صياغات مختلفة. ألحقيقة ليست كذلك، فقصة آدم في القرآن الكريم وردت كما قلنا في عدة سور، كل سورة احتوت مقطعا من مقاطع تلك القصة. ولنفهم القرآن هدانا الله ما علينا فعله، لأنه كما قلنا سابقا وسبقنا العديد لهذا القول أن مفاتيح فهم القرآن من داخله. أقول هدانا القرآن لأفضل الطرق لفهم القرآن فأمرنا بأن نُرَتل القرآن وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا والرتل هو وضع الأشياء بعضها وراء بعض، يقولون في الجيش (رتلا أحاديا قف) أي يقف الجنود صفوفا في كل صف جندي واحد، أو (رتلا ثنائيا قف) حيث يحتوي كل صف على جنديين. كذلك نقول (رتلا من الدبابات) مجموعة من الدبابات تسير بعضها وراء بعض. ترتيل القرآن يكون كذلك أي أن نَصُفْ آيات القرآن التي تتحدث عن نفس الموضوع بعضها وراء بعض للخروج بمعنى متكامل نستطيع من خلاله فهم ما اراده الله. أما القول بأنّ الترتيل

تعني جَوِّدْ وَحَسِّن فهذا ليس عندنا. لأنه سبحانه وتعالى بعد أن قال وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا أضاف إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا والقول الثقيل يكون في المعنى وليس في النطق.

ألتجويد يكون في النطق لا في المعنى.

ألنطق غير ثقيل أما ألثقيل فهي المعاني ألموجودة في آيات كتاب الله.

عندما يتحول ألنطق إلى معنى في الذهن يُصبح قولا. ألصيني مثلا ينطق ونسمع له، لكننا لا نعلم ما يقول.

نعود للترتيل، لنفهم قصة آدم نأخذ آيات قصة آدم في سورة ألبقرة، وآيان قصة آدم في سورة الأعراف وآيات قصة آدم في سورة طه ... نرتل هذه الآيات (نصفها بعضها وراء بعض)، عندئذ نحصل على موضوع متكامل ونعرف من هو آدم عليه السلام.

قد يسأل سائل لماذا جاء القصص القرآني متناثرا في سور مختلفه (باستثناء قصة يوسف عليه السلام)، كذلك آيات خلق السماوات والأرض لم تأتِ ايضا في سورة واحدة؟ هل هناك سببا لذلك؟

نقول أن الكون هو كتاب الله المنشور والقرآن هو كتاب الله المسطور. خالق هذا الكون هو منزل هذا القرآن على الرسول الخاتم، وبالتالي لا بد أن يكون هناك وحدة في الناموس بين الكون وما فيه والقرآن وما يحتويه.

لو أخذنا الأنسان كمثال، فهل جاء جسم الإنسان بحيث كان هناك طبقة من الجلد تليها طبقة من العظام فطبقة من الدم بعدها طبقة من الأعصاب فطبقة من الشرايين؟ هل خلقت هذا الطبقات بجانب بعضها أم أنها جاءت متداخلة؟

لقد خلق جسم الإنسان بحيث تداخلت وتشابكت تلك الطبقات بعضها مع بعض لتقوم كل منها بوظيفتها كما قدر الله لها أن تكون. ألقرآن أيضا جاء متشابك في المواضيع .. القرآن والطبيعة لهما خالق واحد وبالتالي فإن الناموس الذي يحكمها واحد. فتداخل المواضيع القرآنية ليس من أجل التعقيد وإنما لأن الكون متداخل وكل المخلوقات متداخلة وكذلك مواضيع القرآن.

لكن الله سبحانه وتعالى لم يتركنا في حيرة من أمرنا فدلنا على الطريقة التي نستطيع من خلالها فهم القرآن، وذلك بأن نرتل آيات القرآن ترتيلا.

ألقرآن لا يُدْرَسْ إلا مُرتل، وبالتالي لا يوجد تفسير للقرآن. هناك اكثر من ١٠٠ موضوع في القرآن، هذه المواضيع تتحدث في مجالات مختلفة لا يمكن لشخص ما في مكان ما وفي زمان ما ان يحيط بها جميعا. أنا هنا أتحدث عن التفاسير الموجودة ألمنسوبة إلى فلان أو فلان. هل أيٍّ مِمّنْ فسروا القرآن قادر وحده على فهم كل ألمواضيع القرآنية ، كخلق الكون والساعة والبعث والجنة والنار وخلق الإنسان والجبال والبحار والنبات .. إلى ما هنالك من مواضيع قرآنية؟

لا يوجد تأويل، للأسف نقو ذلك.

إذا أردت أن تعرف ألأرضية ألمعرفية لعصر ابن كثير ما عليك سوى أن تقرأ تفسير ابن كثير. ابن كثير يعكس الأرضية المعرفية لعصره وليس لنا.

ترتيل القرآن يفيدنا في فهم مواضيع القرآن الكريم، ونأخذ مواضيع ألكينونة والسيرورة والصيرورة.

مواقع النجوم

تحدثنا سابقا عن مواقع النجوم وقلنا أن لا علاقة لها بالنجوم ألتي في السماء ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ الواقعة: ٧٥ – ٧٦ هنا يتكلم عن تنجيم ألقرآن – ليس شكل النّجمة بل مقطع ألآية.

نقول أعطيته مئة دولار .. ردها لي مُنَجّمَة أي مرة ٢٠ دورلا، مرة ١٠ دولار، مرة ٥ دولار، مرة ١٥ دولار ... وهكذا إلى أن أتم ألمئة. أي اعادها مُتفرّقة.

نتجيم القرآن مهم جدا لأن الآية تحمل وحدة ألموضوع، ولذلك لا تعضية ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ ﴾ الحجر: ٩٠ – ٩١ والتعضية هي قسمة الذي لا يقسم. مثال

- إذا ورث شخصان مئة ألف دولار فإنهما يقتسمان ألمبلغ بحيث يحصل كل واحد منهم على ٥٠ الف دولار ..
- أما إذا ورثا سيارة مثلا فإنه ليس بالإمكان قسمتها إلى قسمين، لأنهما في هذه الحالة سيفسدوا السيارة بحيث لا يستفيد أحد منهم بشيء. هذ هي التعضية.

قال تعالى ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ ﴾ الفجر: ١ – ٣

من الناحية اللغوية لا مشكل بأن نقول (والفَجْرِ وَليالٍ عَشْرٍ) ولكن لم تم التنجيم. ألجواب لأن **ألفجر** موضوع متكامل تليه **ألليال ألعشر.** هنا يتكلم سبحانه وتعالى عن ظاهرة قائمة بذاتها هي ألإنفجار ألكوني وليس ألإصباحْ كما قيل لنا في ألتفسير ألموروث. تبع ذلك عشر مراحل من التطور قبل أن يظهر ألنور وَلَيَالٍ عَشْرٍ والليالي ألعشر ليست عشر ليال من ذي الحجة كما قيل لنا ايضا في التفسير الموروث. ولهذا قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ الأنعام: ١

كل العلوم حتى الآن تؤكد صحة نظرية ألإنفجار الكوني. ضمن سقفنا ألمعرفي هذه هي ألحقيقة. هذا ليس نهاية المطاف .. هذا ما نفهمه اليوم.
كتب الفلك ترجح اليوم – ولا تؤكد أنّ الكون نشأ من انفجار كبير، وبعض المهتمين من العلماء المسلمين قالوا أن هناك آيات تلمح إلى ذلك وأن الكون في حالة تمدد من ساعة الإنفجار وسيأتي

زمن يعود كما بدأ ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٤ أليس من المعيب أن لا نكتشف نحن المسلمين هذه النظريات ألموجودة في كتاب الله الذي بين ايدينا منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة؟

نعود لتوضيح أهمية مواقع النجوم في آيات سورة ألفجر

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ موضوع قائم بذاته .. ألإنفجار ألكبير

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ كيف تطورت ألمادة بعد الإنفجار الكوني بمراحل عشر بحيث ظهر أول عنصر في الوجود وهو ألهيدروجين ومن ثم ظهور الضوء

إذا هناك ثلاث عناصر اساسية تعتبر مفاتيح لفهم كتاب الله وهي:

- **ألترتيل**
- **مواقع النجوم**
- **عدم التعضية**

إذا مفاتيح فهم كتاب الله من داخلة.

ربما نستطيع الآن أن نشرح مفهوم ألكينونة والسيرورة والصيرورة (كان، سار، صار)

هل الوجود أمامنا خارج ألوعي ألإنساني حقيقي أم وهمي؟

بمعنى .. الوجود في الأعيان وصورة الوجود في الأذهان، هل هي واحدة؟

ألوجود في الأعيان (خارج الوعي الإنساني) هذا الوجود هل الصورة في الذهن هي نفسها؟
أحتاج لمن يقول لي ذلك! وليس لي أنا أن أحكم على ذلك.

هذا السؤال طرحته الإنسانية على نفسها منذ بداية الفلسفة.

هناك رأيين إلى هذا اليوم: ألحقيقي والوهمي.

ألفلسفة ألمادّية تؤكد أنّ الوجود ألفيزيائي ألمادي هو وجود حقيقي سابق لنا.

هذه النظرية تقول أن هذا الوجود الحقيقي هو فقط ألوجود ألكوني ألمادّي

نحن نقول ألوجود ألحقيقي خارج ألوعي ألإنساني هو وجود أوّل ووجود ثاني.

ألوجود ألأوّل: وجود حقيقي ألذي هو الحق. هذا الذي عبر عنه ألقرآن بالحق. ألكون حقيقي ام وهمي؟ قال تعالى

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر: ٨٥

أكد سبحانه وتعالى أنه حق.

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩

أكد أنه ليس وهم (باطل)، لأنّ الباطل هو الوهم.

ألوجود حقيقي (حق)، والله هو الحق.

ما علاقة الله بالوجود وكلاهما حق؟

ألله وجود موضوعي (ليس مادي) خارج ألوعي الإنساني، مجهول ألكينونة. والوجود ألمادي ألكوني وجود حقيقي.

أسئلة فلسفية قديمة.

ألله خلق السماوات والأرض بالحق، والله هو الحق وقوله الحق.

ألأطروحة التي تقول أنّ الله خلق الوجود من العدم (كان الله ولا شيء معه) ..

ألسؤال: ما هو العدم؟ لِنُعَرِّفْ ألعدم لِنَعْرِفْ إن كان هذا الكون خلق من العدم أم لا؟

ألعَدَمْ هو الدال بدون مدلول.

رب العالمين ((كان الله ولا شيء معه)). ألكون كان ضمن معلومات الله قبل ان يوجد. إذا ألكون كان دال بدون مدلول. **كلمات الله هي الكون نفسه.**

علاقة الله بالكون، علاقة الكلام بالمتكلم.

بالنسبة لنا ألشمس كلمة (دال)، والمدلول هو (كوكب ألشمس). بالنسبة لنا هناك فصل بين الدال والمدلول.

بالنسبة لله سبحانه وتعالى **ألكلمة هي عين المدلول. ألدال هو عين ألمدلول.** بالنسبة لله سبحانه وتعالى كلمة ألشمس هي عين ألشمس. ﴿ ..إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٥

كانت ألشمس في علم الله ولكنها كانت دال بدون مدلول. وعندما قضى الله أن تكون الشمس قال كلمته فكانت شمس.

خالق .. فاطر .. بديع

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ الزمر: ٦٢

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ ﴾ الأنعام: ١٤

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ البقرة: ١١٧

هنا يجب أن نميز بين خالق/ فاطر/ بديع

خالق: مُصَمم
فاطر: ليس قديم
بديع: ليس له سابق

خالق وفاطر وبديع موجود في علم الله ولكن كدالات بدون مدلولات.

بالنسبة لرب العالمين تطابق الدال مع المدلول، فكلمة الشمس بالنسبة لله هي عين الشمس ولذلك سمي المسيح عليه السلام كلمة.

ألوجود هو كلمات الله والقرآن هو كلام الله

هناك فرق بين كلمات الله وكلام الله.

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾ الكهف: ٢٧ لا مبدل لكلماته وليس لكلامه.

علاقة الكلمات بالمتكلم صادرة عنه وليست جزءا منه.

﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ ﴾ لقمان: ٢٧

تصور ألطائرة بها ١٢٠٠٠ بند، فما بالك بالكون كله مَّا نَفِدَتۡ .

﴿ قُلْ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف: ١٠٩ هنا لا يقصد التشريع. ألتشريع يكفي له زجاجة حبر.

قال تعالى

﴿ ... وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنفال: ٧

ألكلمات هي ألوجود ألكوني، عيسى ألمسيح كلمة وروح ألقاها ألله إلى مريم. ماذا نعني ب كلمة وروح؟

ألكلمة هي ألوجود (خلق ألمسيح)، ألروح ألقاها إلى مريم. عندما ولد المسيح عليه السلام، قال

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ مريم: ٣٠ هذه هي الروح ألتي جاءت وهو في بطن أمه.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢

ألرسول الأعظم محمد بن عبد الله هو ألكلمة .. والروح جاءت إليه وهو في الأربعين. بينما عيسى ابن مريم عليه السلام هو الكلمة والروح جاءته وهو في بطن امّه، نزل من بطن أمه نبيا ورسولا.

علاقة الله بالوجود – كلاهما حق

لنفهم علاقة الله بالوجود يجب ان نفهم معنى إسم من أسماء الله ألحسنى وهو **ألرّحمْنْ**.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الإسراء: ١١٠

ٱللَّهَ سبحانه وتعالى له الأسماء ألحسنى. ٱلرَّحْمَٰنَ أيضا له الأسماء الحسنى .. أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ

والمصحف يبدأ ب ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ الفاتحة: ١

ٱللَّهِ لفظ الجلالة لا يذكر لوحده نقول ﴿ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾

﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ ﴾ غافر: ٢

﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ ﴾ الجاثية: ٢

أما ٱلرَّحۡمَٰنُ فيذكر لوحده نقول ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ ﴾ الرحمن: ١ – ٢

عندما يذكر اسم ٱللَّهِ يذكر بعده إسمين ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ، بينما حين يذكر ٱلرَّحۡمَٰنُ يذكر إسم واحد.

الجملة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هي فعلا عنوان حقيقي للمصحف كلة.

ٱللَّهِ لفظ ألجلالة .. ألله أحادي .. واحد في كمه أحادي في كيفه.

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤

ٱلرَّحۡمَٰنُ إسم الربوبية وله معنى / هذا ألكون ثنائي .. ٱلرَّحۡمَٰنُ على وزن فعلان .. وزن يحمل الأضداد.

قد يتساءل البعض كيف يكون ذلك ونحن حين نسمع اسم الرحمن نفهم أنه مبالغة في ألرّحمة. نقول

إن كان الأمر كذلك فلماذا قال ٱلرَّحِيمُ بعد لفظة ٱلرَّحۡمَٰنُ . إذا كان معي مليون دولار فلا اقول أنّ

معي مليون دولار ودولار. فإذا كانت ٱلرَّحۡمَٰنُ مبالغة في الرحمة فإن إضافة ٱلرَّحِيمُ هنا تكون حشو، وحاشا لله أن يكون هناك أي حشو في كتاب الله.

ٱلرَّحۡمَٰنُ على وزن فعلان فيها الأضداد . نعني أنه يحمل المعنى ونقيضة ..

مثال (جوعان – شبعان)، (ريحان – تعبان)، (فرقان – جمعان) ...

ألرّحْمنْ مُعِزْ مُذِلْ، ألرحمن رافِعْ خافِضْ، ألرّحمن رَحيمْ وشَديدْ العقابْ. لكن **ألرّحيمْ** ليس شديد العقاب، و هذا الفرق بينهما.

ألرّحْمنْ يكافئك يرحمك ويعاقبك. قال تعالى

﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾

مريم: ٤٥ **ألرّحْمنْ يُعَذّبْ**

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٦

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ الفاتحة: ١ وضِعَتْ ألرّحمنْ لتشير إلى ألعذاب والرحمة وأضاف سبحانه وتعالى ألرّحيمْ لتغليب ألرحمة على ألعذابْ. ولذلك رحمتي وسعت كل شيء وعذابي أصيب به من أشاء. ألرّحيم موجود في العذاب ولكن الرحمن فيه أيضا شديد ألعقاب.

ألقرآن رحماني .. ثنائيات ألوجود.

هذا الكون رحماني يقوم على ألثنائيات في الأزواج والأضداد: خير وشر، ليل ونهار، ظلمات ونور هذه طبيعة ألوجود. لذلك قلنا أنّ **ألرّحْمنْ هو إسم ألربوبية** لهذا ألكونْ.

ألرحمن له معنى مستقل، ولهذا جاء في آية منفصلة

﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ الرحمن: ١ - ٢

فعل عَلّمَ يأخُذْ مفعولين به كما في قوله ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ الرحمن: ٤ أي علم ألإنسانْ ألبيانْ .. في الآية رقم ٢ قال ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ الرحمن: ٢ هنا نعتقد أن علامة ألقرآن هي ألرّحمنْ. هنا علم من وضع علامة. ما هي علامة ألقرآن؟ ألجواب ألقرآن رحماني. ألوجود رحماني لأنّ فيه قوانين وجود – قوانين ربانيّة.

لنفهم الآن علاقة الله بالكون يجب أن نفهم معاني بعض ألإصطلاحات ألقرآنية: ألعَرْشْ وألكُرْسي.

ألعرش

وردت لفظة ألعرش في عدة أماكنْ من ألتّنْزيلْ ألحكيم.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ هود: ٧

هذه الآية من الآيات ألبينات في ألقرآن ألكريم. هذه الآية تقابل واحدة من الآيات ألبينات ألتسع ألتي جاءت إلى موسى عليه ألسلام.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ... ﴾ يوسف: ١٠٠

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥

﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ النمل: ٤١

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة: ١٧

ألمعنى ألمباشر للعَرْشْ مكان مرتفع للسيطرة للذي يأمر وينهي.

عندما نقول أن الملك فقد عرشه، هذا لا يعني أنّ المكان قد ذهب من مكان إلى آخر ولكن يعني أنّ الملك لم يعد يأمر وينهي.

يقال عرش ألمرأة بيتها لأنّه ألمكان الذي تأمر وتنهي فيه.

يوسف عليه السلام عندما رفع أبويه على ألعرش أصبحوا بجانبه.

إذا ألعرش هو أمر ونهي على شيء واستحكام وسيطرة.

لذلك قال تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥ أي مقام ألربوبية ألإستواء والسيطرة والإستحكام. وهذا المعنى للإستواء ورد في قوله ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الزخرف: ١٣ أي بعد أن ذللتموها وجلستم عليها وسيطرتم عليها أيضا.

إذا سألت عن الإستواء يجاوب ألجميع ما قاله ألإمام مالك ((ألإستواء معلوم، ألكيف مجهول، ألإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه)). أنا لا أقبل بهذا القول. إذا كان هذا هو جواب ألإمام مالك فهذا جوابه لمن سأله وليس لي، وليس لمن يعيش في ألقرن ألواحد والعشرين، بل هو جواب لمن عاصر الإمام مالك، رغم أن للإمام قول آخر ((إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما لا يوافق ألكتاب والسنة فاتركوه)). أن أحتج على من يردد قول الإمام مالك أليوم.

وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ

أول عنصر تشكل هو ألهيدروجين. ألله خلق هذا الكون وهو رب هذا ألكون وأمره ونهيه على ما خلق. أوّلُ ما خُلِقْ هو عنصر ألهيدروجينْ ألعنصر الأساس في ألماء. إذا عرشه (أي أمره) على ألماء. لفظة هيدوجين (Hydorgen) تعني مُوَلّدْ ألماء، وهو أكثر عنصر موجود في ألكون حتى الآن.

إذا ألأمر كان على الماء أولا ثم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤ إذا أصبح هناك خلق وأصبح أمره على ما خلقْ.

ويوم ألقيامة ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة: ١٧ قوانين الآخرة لا نعلمها، ماذا تعني ثَمانِيَه: ثمانية ثوابت، ثمانية قوانين .. ألله أعلم.

ألكرسي

عندما تأمر وتنهي يجب أن تعلم على ماذا تأمر وتنهي .. هذا هو **ألكرْسي**.

قالت ألعرب (ألعلماء كراريس) .. ألكرسي هو ألمعرفة ألكاملة لله سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥

ألكرسي تأتي بمرتبة فوق ألعرش، لأنّ المعرفة تأتي قبل الأمر والنهي.

لاحظ الربط بين العلم والكرسي في قوله تعالى في الآية ٢٥٥ من سورة ألبقرة بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ..

وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ . هنا الحديث عن العلم .. لا علاقة للوح محفوظ وإمام مبين.

يسأل ألبعض: ألإهتمام بهذه القضايا ألكونية، ألعلميّة والفلسفية أينَ موْضعها في فهم ألقرآن؟

نقول هذه القضايا تساعدنا على فهم ألقرآن. الله سبحانه وتعالى هو خالق ألكون والإنسان أعطانا بداية ألكون والسيرورة والصيرورة ألنهائية – هذا أساس عقائدي لنا، بنفس الوقت هذه الكلمات (ألجانب ألمادي) ... وأعطانا سبحانه وتعالى ألرّوح (ألجانب ألأخلاقي الذي له علاقة بالإنسان ذاته) ألجانب ألروحي والإخلاقي. إذا لم نكن نعرف ألجانب ألمادي كيف نتصرف (أي روح وأي أخلاق تنفع).

ربنا يقول لنا أنّ ألتطوّر وتغيير ألصّيرورة من القوانين ألثابتة ألتي وضعها ولا تتغير. بدأ ألكون بالهيدوجين ((كان عرشه على ألماء)) ثم تطور الكون واستمر التطور ((ثم استوى على العرش)) ويوم القيامة ((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)).

حتى عرش ألرحمن (أوامره ونواهيه) تتغير من وقت إلى آخر. هذه سنة من سنن **الله الثابتة والرحمن ثنائي**.

موقع هذه المواضيع في النظرية ألمعرفية هو عمود فقري للعقيدة، وهي مفاتيح أساسية لفهم ألتنزيل ألحكيم.

لقد بين النتزيل الحكيم أنّ رحمة الله أعظم من عقابه ﴿... كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ .... ﴾ الأنعام: ٥٤

لقد وردت لفظة ٱلرَّحۡمَٰنُ في التنزيل ألحكيم ٥٧ مرة أي (١٩ × ٣)

كما أن لفظة غَفُورٞ رَّحِيمٞ وردت ٥٧ مرة أي (١٩ × ٣)

أما لفظة شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ فقد وردت أقل من ذلك بكثير.

كون ألرحمن ثنائي يجب أن نميز في ألطبيعة بين أمرين: قوانين ألجدل والمنطق. وهذا ما سنتناوله في ألفصل ألقادم.

جدل ألكون والإنسان

لم يكن ألدكتور محمد شحرور أوّل من قال في الجدل، ولا أوّل من أكتشفه، لكنّ ما أضافه في هذا المجال من ألأهميّة بمكان يُعزز من نظريته من أنّ كل ما في ألكون متغير متحرك سائر إلى مصيره، إلا الخالق العظيم سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ القصص: ٨٨ نتيجة وصل د. شحرور لها إضافة إلى إيمانه بها. نتيجة وصل إليها الدكتور محمد شحرور علميا من خلال تحليله لظواهر الجدل في ألكون والإنسان ونقول ظواهر ولا نقول ظاهرة ألجدل لأنّ الدكتور قسّم الجدل إلى ثلاثة أنواع:

- ألتلازم
- ألتقابل
- ألتعاقب

والسؤال الآن لماذا قسم الجدل إلى هذه ألزّمر ألثلاث؟

كون ألرّحمن ثنائي يجب أن نميّز في الطبيعة بين أمرين: قوانين ألجدل والمنطق. لا يوجد هناك شيء إسمه ألمنطق ألجدلي .. ألفلسفة تقول ذلك! ألجدل قوانين.

ألمنطق هو ألقانون ألأساسي للفكر، هو قانون عدم ألتناقض.

ألطبيعة مليئة بالمتناقضات .. ألتسبيح، ألأزواج، ألأضداد أمثلة عن ألتناقض في ألطبيعة ....
ألقانون ألإنساني – عدم ألتناقض.

نقول قوانين ألجدل وليس منطق ألجدل

ألقانون ألأول: قانون ألمتناقضات (ألشيء نفسه وليس نفسه) هذا تناقض وليس ضد. ألشيء نفسه وهو ليس نفسه هذا إذا ألغينا ألزّمن.

كيف عبر ألقرآن عن الجدل ألإنساني؟

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤ لاحظ قوله تعالى أَكْثَرَ شَيْءٍ وليس **أكبَرُ شَيْءٍ**.

هناك جدل في الإنسان ليس موجود في الأشياء هو **جدل ألفكر** .

جدل موقف ألضِّدْ

﴿ ... وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ... ﴾ الكهف: ٥٦

﴿ ... وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ ... ﴾ النحل: ١٢٥ إذن هناك جدال ليس بالتي هي أحسن.

ألإنسان عنده جدل خاص به، خطأ ألماركيسية انها اعتبرت أن جدل الطبيعة هو نفسه جدل الإنسان وبالتالي طبقت نفس ألجدل على كليهما.

جدل ألطبيعة

- **جدل ألبقاء والهلاك في الشيء ألواحد**. ألطاولة في كلّ ثانية تتغيّر إلى أنْ يأتي وقت وتهلك. هذا ألجدل ألله مُنَزَّه عنه. لهذا فإن الأشياء تسبح الله أن لا ينطبق عليها هذا ألقانون. ولذلك عندما يقارن الله بغيره نقول ((سبحان ألله)). يُنزّة عن هذا ألقانون.

أين موجود هو وليس هو؟

ألتعبير ألقرآني دقيق جدا في هذا الموضوع. قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ﴾ الحج: ٥

مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ هنا ألتناقض هو وليس هو. ماذا تعني مُخلّقة وغير مُخلّقة؟ ألله يعطي قانون ألتّطوّر والتّغيّر حتى نصل إلى قانون ألصيرورة ألنهائية.

نُطفَة (خلية) - ألعلقة (ألخلية مع ألبويضة) عندما يعلقوا معا يبدأ ألتكاثر.
ألزمحشري يقول: ماضَغْتُ الرّجُلْ مُماضَغَةً أي جادَدْتَهُ القتال والخُصومة (عاودته القتال والخصومة). إذن هذا التكاثر مُسَرْطَنْ وَغَيْرْ مُسَرْطَنْ. يعني أن هناك صراع بين أن ينمو ألتكاثر بشكل طبيعي (مُخلقْ وغير مُسَرْطنْ) أو أن يتكاثر بشكل غير طبيعي (غير مخلق – مُسَرْطنْ).

ألسرطان تكاثر غير مخلق (تكاثر عشوائي). إذن هذه اللحظة حين ينمو ألجنين ويتكاثر هناك صراع بين ألمُخلق والغير مُخلق، وطالما أنّ المخلق قادر على أن يقضي على الغير مُخلق فليس هناك سَرْطنة. كل لحظة هناك صراع في جسم الإنسان بين خلايا سرطانية تولد وخلايا طبيعية تقضي عليها.

أما إذا غلب ألغير مُخلق ألمُخلق كان هناك سَرطنة .. ولذا قال تعالى ﴿مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ ألمُضْغَة نفسها ... صراع ألتّطور والتّغيّر.

جدل ألصراع في ألشيء ألواحد هو الحركة نفسها .. هو تسبيح (حركة أليد: يدي في مكانها وليست في مكانها، يدي في مكانها وليست في مكانها ...) حركة جدلية. ألحركة ألميكانيكية (حركة سكون)

ألحركة ألجدلية لا تتوقف .. ألقوانين ألجدلية تتوقف يوم ألقيامة. هذا ألقانون يعطيك معنىً للزّمن أنّ هناك هلاك. (قانون صراع ألمتناقضات في ألشيء ألواحد).

هذا هو التسبيح – إنّ الأشياء تُسبِّح الله من أن يكون مثلها فيفسد ويهلك .. ((سبحان الله)). ماذا قال تعالى عن يونس عليه السلام ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ الصافات: ١٤٣ – ١٤٤

إذا جسدي توقف عن التسبيح لا أموت .. ألتسبيح لا يقصد به ((سبحان الله، سبحان الله)). جبل قاسيون مثلا يُسبِّح الله - من ثانية إلى ثانية يتغيّر شكله. ألتسبيح هو هلاك ألشيء ألواحد.

ألتسبيح في الكائنات ألحية ألموت، في الكائنات ألغير حيّة تغيير ألشّكلْ.

ألتسبيح يُبرهِنْ أنّ هناك علاقة ديناميكية بين المادة والزّمن في الأجسام ألحيّة .. يعبر عنها ألموت.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ الجمعة: ١

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ الإسراء: ٤٤ كلمة ((سبحان الله)) هي إعتراف ألعاقل ..

عندما يقارن الله بغيره نقول ((سبحان الله)) وهي إعتراف ألعاقل بقانون ألتسبيح .. أنّ الله مُنزّه من أن يكون مثلنا .. نحن ينطبق علينا ألهلاك.

- **جدل الأزواج** خلق الله من كل شيء زوجين.

جدل ألمتناقضات يعبر عن ألبقاء والهلاك، هو قانون أساسي في الشيء ألواحد، بينما جدل الأزواج في الأشياء (ليس في ألشيء الواحد) يعبر عن التأثير والتأثير المتبادل ((ألتكيّف)).

ألزوجيّة هي قانون ألتّكيّف.

ألهلاك هو قانون ألإرث (في ألبنية).

أنت تتكلم العربية، سافرت إلى بلد آخر أصبحت تتكلم ألإنجليزية .. هذا تكيف. هذا قانون الزوجية.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الذاريات: ٤٩

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يس: ٣٦

هذا قانون كوني .. ليس منطق.

ألأشياء تؤثر على بعضها. هناك دائما تأثير وتأثير متبادل. ألقمر يؤثر على الأرض (مد وجزر)، الأرض تؤثر أيضا على القمر (ألجاذبية).

قانون ألزوجية إذن هو قانون كوني .. مواضيع قرآنية رئيسية تعطينا قانون عام.

ألفلسفة هي علم ألمفاهيم ... نحن نعرف رياضيا أن أي رقم مرفوع للقوة صفر يساوي واحد. ماذا يعني هذا؟ لو قلنا أن: $\mathbf{(1000)^0 = 1}$ هذا يعني أن من كل أعداد ألدّنيا لا يوجد غير عدد واحد يساوي **1000**.

لذلك نقول إنّ أي عدد للقوة صفر يساوي واحد لأنّ هذا ألعدد لا يوجد غيره مساويا له في الأعداد

ألرياضيات ترتبط بالمنطق .. ألمنطق ألصّوري بالزّمن لا يتدخل (قواعد عقلية).

- **ألمتناقضات والأزواج** ... ألمتناقضات غير الأضداد .. هذا يجب أن يكون واضحا

  - قانون لمتناقضات
  - قانون ألزوجية
  - قانون الأضداد

  - Law of Contradiction
  - Law of Parity
  - Law of Opposite

ألأضداد في ألظواهر ... ألشيء ألأرض والشمس .. ألظاهرة هي تعاقب ألليل والنهار – ليسوا أشياء. هذه الظاهرة لها وحدة تجمعها، مثلا:

ألليل والنهار (يوم)، ألشهيق والزّفير (تنفس)، ألعمى والبصر (ألعين).

ألأضداد موجودة في ظواهر الأشياء.

وجود الأضداد مع قانون المتناقضات والأزواج .. وجود هؤلاء ألثلاثة جعل إمكانية ألحرّية في ألكون موجودة.

كيف ألحرية موجودة والهلاك حتمي .. ألكف (ألقبض والبسط) .. إمكانية ألحرية في بنية ألكون موجودة.

قوانين ألكون بالتأثير والتأثير المتبادل ألطبيعي بالأضداد (ليل نهار).

قال تعالى ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ ﴾ الشمس: ٧ – ٨ ألأضداد طبيعية في ألكون. ألإنسان يتناغم مع ألكون، فجور وتقوى – متداخلين.

ألكف مقبوضة .. في مكانها وليس في مكانها، في مكانها وليس في مكانها .. كفي مبسوطة.

أليد بين ألقبض والبسط هناك علاقة جدلية. هناك ملايين ألإحتمالات .. هذا هو ألجدل. بين ألقبض والبسط هناك حركة جدلية في مكانها وليست في مكانها.

- وجود هذه القوة أعطى ألحرية
- وجود ألعلاقة ألديناميكية بين ألمادة والزّمن أعطى مجال ألتّطوّر.

إذا توقف ألزّمن لا يحدث شيئا.

إمكانية تغيير ألصّيرورة في بنية ألكون موجودة. إمكانية ألحرية وممارستها موجودة في بنية ألكون أيضا. قبل أن يقول لك أنت حر. ألله أوجد أليد وأعطاك إمكانية ألحرية فيها. لكن هناك أماكن لا تستطيع أن تحرك يدك بها .. إمكانية الحركة جعلها الله بتصميم خلق اليد.

نحن ما زلنا نتحدث عن جدلية ألكون .. لأنّ الإنسان له جدلية خاصة به وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا لو أن الإنسان عنده نفس جدل ألكون لقال تعالى أكبر ولم يقل أكثر. إذن هناك جدل عند الإنسان غير موجود في الكون، ألجدل بين الحق والباطل (جدل إنساني)، ألجدل بين الخطأ والصواب (جدل إنساني)، ألهمها فجورها وتقواها (جدل إنساني) ..

جدل ألإنسان هو ألشيء ألخاص بالفكر ألإنساني والسلوك ألإنساني ألواعي .. في الطّبيعة هناك تكييف قانوني .. ألسّنن لا تتبدّل.

ألطاعة والمعصية إذن من جدل ألإنسان ولا يوجد في الكون طاعة ومعصية .. الكون اختار أن يكون طائعا لله دون إرادة ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾ فصلت: ١١ – عناصر ألكون لا تعصى. ألملائكة أيضا لا تعصى.

هنا نريد أن نوضح مفهوم **نفخة ألرّوح**.

بدأ الكون بإنفجار .. صار هناك هيدروجين (أول عنصر تشكل بعد الأنفجار Big bang – بعدها تشكلت ألنجوم والكواكب .. الزّمنْ مستمرْ. رب الكونْ عبّر عن طفرة .. ما هي الطفرة – هي إسراع في ألجَعْلْ .. أي في تغيير ألصّيرورة - ثم قال عن خلق آدم وتسويته

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ماذا تعني .. نحن نَنْفُخْ في النّار لِنُسَرِّع في اشتعالها، كذلك نفخة ألروح ..

طفرة حصلت للإنسان، بعد حوالي ٥ ملايين سنة من وجود **ألبشر** والذي كان يعيش أقرب إلى المملكة ألحيوانية وهو من فئة ألثديات تم نفخ الروح فيه فتحول من بشر إلى إنسان، هذا التحول تم خلال ١٠٠٠٠٠ سنة تقريبا كما تشير الدراسات.

هذه الطفرة حصلت للإنسان، ولم تحصل للبهائم .. ألإنسان تطور من البشر وليس من القردة ولعل نفخة ألروح هي ألحلقة ألمفقودة في نظرية دارون. ألبهائم لا روح لها.

ألقرآن يشير إلى أن نهاية الكون سوف يكون نتيجة تسارع في السيرورة، هذا التسارع سيؤدي إلى نشوء كون جديد على أنقاض هذا الكون الذي نعيش فيه. قال تعالى

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨ ألله أعلم كم يمر بين ألنفخة الأولى والنفخة ألثانية. خلال هذه ألفترة سيتم تشكل ألكون ألثاني وستخلق ألجنة والنار .. ألجنّة والنار لا وجود لهما أليوم. قال تعالى ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٨ أكثر من هذا لا نستطيع أن نقول شيئا.. لأنّ التأويل ألنهائي للآية يكون عندما يتحول **ألنبأ إلى خبر** يعني أننا سنحضر ذلك. قال تعالى

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣

ألجنة والنار مادّية وعَرۡضُهَا من ألعرض أي سترى ألجنّة والنّار كما ترى ألسّماوات والأرض ..
والعرض هنا ليس عكس ألطول كما يُظنْ. قال تعالى في سورة ألحديد

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾
الحديد: ٢١

أي أنّ هذه الجنة مادية ستعرض عليكم وسترونها كما ترون ألسموات والأرض.

هنا أخطأ ماركس .. حين أراد الوصول إلى مجتمع إنساني بدون دولة فيه العدالة المطلقة .. هذا لا يكون إلا إذا ألغينا ظاهرة الموت.

حتى نصل إلى مجتمع إنساني لا يتطور يجب أن نلغي ظاهرة ألموت ..

ألموت هو ألظاهرة ألكامنة وراء إسعاد ألنّاسْ كلهم ووراء مآسيهم بنفس ألوقت. لولا الموت لا يوجد تطور والناس تبقي كما هي. ألموت يزعج وبنفس ألوقت هو ألنعمة.

إذا قلنا إن خطأ كارل ماركس أنه فكر في مجتمع لن يتحقق دون إلغاء ظاهرة الموت .. هذا المجتمع لن يكون في هذا العالم، وإنما في العالم الآخر أي في ألجنة حيث الخلود. قال تعالى

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النحل: ٣١

﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يس: ٥٧ أي شيء تَدّعيه هو لك.

ظاهرة ألعمل غير موجودة هناك. هناك وجود مادّي آخر،

آخر ما نريد قوله هنا أن ألجنة والنار لم تخلقا بعد وأنهما ستوجدان على أنقاض هذا الكون، تماما كما بين لنا سبحانه وتعالى في سورة التكوير حيث قال:

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ ﴾

التكوير: ١ ــ ١٤

آيات بينات تبين لنا أنه بعد فناء هذا الكون سيشكل كون جديد وستخلق النار والجنة أيضا.

نظرية ألمعرفة ألإنسانيّة

ربّما يكون جدل ألفكر ألمتأرجح بين ألحقيقة والوهم، بين الحق والباطل، بين تأثيرات ألشيطان وبين توجيهات الرّحمنْ، بين ألحقيقة ألموضوعيّة والصورة ألذهنيّة – موضوع من أهم ألموضوعات ألتي سنتناولها لنرى هل ممكن الوصول إلى نظرية في ألمعرفة ألإنسانية.

لقد أرسى ألدكتور محمد شحرور عبر بحوثه في القراءة المعاصرة للتّنْزيل ألحكيم دعائم لنظرية معرفيّة ربما تكون جديدة على كثير من الأذهانْ.

هذا الكون المتداخل ألمتناقض ألمليء بالأزواج والثنائيات والتناقضاتْ، كيف يمكن للعقل ألبشري وكيف يمكن لأذهاننا أنْ تدرك هذه ألقوانين؟

قلنا إنّ هذا الكون والوجود حقيقي، والوجود هو كلمات الله، وإنّه لا يوجد أي وهم في هذا الوجود وإنه حق. وقلنا إنّ الله حق والكون وجوده وكلماته. حتّى نفهم هذا الوجود نسأل: هل أعطانا القرآن الكريم آلية وتصوّر نستطيع أن نفهم هذا ألوجود من خلالها لكي نُسَخّرهُ لمصلحتنا.

قال تعالى في آية ألكرسي

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥

قال تعالى بِمَا شَآءَۚ ولم يقل **إلا ما شاء** .. ألفرق كبير. ألباء هنا مهمّة جدّا .. هذه ألباء إسمها باء ألإستعانة .. سافرت بألطائرة .. ضربتُ بيَدي.

نحنُ نُحيط بشيءٍ من علم رب ألعالمين، بالآليّة ألتي هو شاءها، بالوسيلة ألتي هو شاءها. هذه ألوسيلة ألتي هو شاءها نستطيع أن نحيط فيها بمعارف ألكونْ. هذه ألوسيلة تتيح لنا أن نتعلم ما أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نتعلمه، لكنّه أعطانا ألوسيلة ولم يعطنا ألمعرفة رأسا .. ألباء تشير إلى أنّه أعطانا وسائل ألمعرفة ، وليس إن شاء الله أن نعرف أمرا ما عرفناه .. لو كان الأمر كذلك لقال تعالى إلا ما شاء.

نأخذ مفتاح ألوحي .. بدا ألوحي بقوله سبحانه وتعالى

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ – ٥ هذه الآيات هي بداية الوحي للرسول الأعظم. أما

بداية ألوحي لموسى عليه ألسلام فكانت ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾ طه: ١١ – ١٤ فرق في البداية.

ألقراءة هي ألعمليّة ألتّعليميّة. ألدكتور يقرأ ألمحاضرة، ما فهمته هو ما تعلمته. هنا بدأ ب

ٱقۡرَأۡ مُهمَّة الإنسان هي ألقراءة .. أن يتعلم.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ألخلق هو ألتّصميم، تنفيذ ألتّصميم هو ألتّسوية ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ ﴾ الأعلى: ١ – ٢ أو قوله سبحانه وتعالى للملائكة ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢

نقول: خلق ألخيّاط ألقميص قبلَ ألخِياطْ، أي قدّرهُ وصَمّمَهُ .. ألتنفيذ هو ألتسوية.

عَلَقٍ إسم جمع ألجمع، ألمفرد عَلَقَة (نُطفة علقت بالبويضة) ألجمع علاقات وجمع ألجمع علق. هذا

ألكون كله هو مجموعة من ألعلاقات ألمتداخلة ألمتشابكة – علاقات فيزيائية، علاقات كيميائية، علاقات بيولوجية، علاقات بيئية .. هذا ألتشابكات في ألطبيعة منها خلق الإنسان من صلصال – حمأ، تراب ... ألإنسان.

كيف افهم هذه ألعلاقات، كان ألجواب **قَلْمُها** .. هذا أساس ألمعرفة في ألكون.

نحن نُقلمْ ألشجرة بقصِّها، ونقلم ألأظاهر بقصِّها. هناك في الدّوائر قلم ألمُرورْ. قلم ألمُرورْ يُعطيك صفات متتالية حتى تنطبق على سيارة محددة (سيارة: رقمها – نوعها، لونها، سنة إصدارها ...) هذا ما نسمية بالإنجليزية *Identification*.

ألتقليم هو فصل ألأشياء بعضها عن بعض للتعرّف عليها، وهذا ألمقصود ب عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ .

ألعين تقلم ألألوان .. تميز بعضها عن بعض. ألأذن تقلم الأصوات، أللسان يقلم ألذوق. ألحواس مقلمة إلى خمس.

ألبقر أيضا تتعلم بالتقليم. ألبقرة تُميّز وليدها.

ألقلم اساس ألمعرفة في ألكون كله .. ألقلم هو ألتّمييز. ولكل كائن قلمه. وعندما علم الله آدم الأسماء كلها وعرضهم على الملائكة لم يعلم الملائكة الأسماء لأن قلمهم مختلف، ولذا قالوا:

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٢

كان قلم ألملائكة مختلف عن قلم آدم. ولكل كائن قلمه.

قلم ألشّم عند الكلب مثلا يختلف عنه عند الإنسان، والكلب يميز الأشياء (يُقلمها) بالشَّمْ.

ألعلاقة مع العالم ألخارجي هي ألتقليم، سواء أكانت بهائم أو غير بهائم.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣١ – ٣٢ ألتمييز مُختلفْ. ألمعارف ألتي أعطيت لآدم غير متوفرة عند ألملائكة.

ألإنسان يقلم ألعالم ألخارجي بحواسه.

هذا المعنى للقلم (ألتّمييز) ورد أيضا في قوله سبحانه وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ٤٤ كل واحد وضع إشارة مميزة (هذه هي ألقرعة).

ألفرق بسيط بين الأقلام والأزلام (صوت واحد) .. الأزلام تضرب شيئا لتأخذ قرار .. نوع من الأقلام.

مثال ... إذا كتبنا بحبر أبيض على ورق أبيض لا يُقَلَمْ .. أيضا عندما نريد أن نُقلم الأحرف ألهجائيّة نختار شكل للباء (ب) يختلف عن ألنّونْ (ن)، وهكذا في بقية الأحرف.

في كل شيء وفي كل لحظة نقوم بالتقليم. ألقلم هو ألوسيلة ألوحيدة للمعرفة ألتي زودنا الله بها للكون كله ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... ﴾ بالوسيلة ألتي شاءها الله هي ألقلم.

مثال ... قديما كان ألدم عنصر واحد، أليوم حين حصل تقدم معرفي قلموا ألدم أصبح أكثر من ٢٠٠ عنصر. أليوم ايضا قلموا ألخلية ألسرطانية، ميزوها ولكن لم يميزوا لماذا تُصبح سرطانية (لم يقلموا الأسباب بعد). ألطب تقلم أليوم، أصبح عدة تخصصات .. جسم الإنسان متداخل مع بعضه، كيف ندرسه – بالتقليم : ألجهاز ألعصبي، ألجهاز ألهضمي، ألجلد، جهاز ألتنفس، ألدورة ألدّمويّة ... أي (قلمنا جسم الإنسان). ألطقس أيضا قلم: هناك حرارة، برودة، رياح، رطوبة .. كل شيء يقاس لوحده.

ألحيوانات والإنسان كل له قلمه. سبحانه وتعالى حين قال ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ العلق: ٤

ألمعرفة ألإنسانية متقدمة ولا تخرج عن ألتقليم. ألقلم متقدم ولا يتأخر إطلاقا .. كلما زاد التعليم كلما زادت ألمعرفة.

نقول أخيرا أن قوله سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ لا يعني إطلاقا ألقلم ألذي نكتب به.

معنىً إضافي

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان: ٢٧

كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ مميزة هذه الكلمات تقوم على ألتقليم.

ألفؤاد

قلنا أنّ ألحواس هي أدوات ألإتّصال بالعالم ألخارجي، والحواس مقلمة إلى خمس نستخدمها جميعا حتى نقلم الأشياء.

- ألعين تقلم الألوان والأبعاد
- ألجلد لقلم ألحرارة والبرودة
- أللسان يقلم ألذوق
- ألأنف يقلم ألرائحة
- ألأذن تقلم الأصوات

هنا نسأل لماذا ركز ألقرآن على السمع والبصر من الحواس الخمس؟

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

ألسّمع وظيفة والعضو الأذن
ألبصر وظيفة والعضو ألعين

إذا ألفؤاد وظيفة وليس عضو .. ألفؤاد هو الإدراك ألمشخص في ألحواس (نهاية الصورة التي سنفكر فيها) .. ألحيوان له ايضا فؤاد لأن له عيون وآذان.

نقول لماذا لم يذكر األشم والحس والذوق مع السمع والبصر؟ ألسبب أن السمع والبصر يشكلوا ٩٠٪ من مصادر ألمعلومات مع ألعالم ألخارجي. إن فقد أي حاسة من هاتين ألحاسّتين تؤدي إلى إعاقة ألشخص الذي يفقد إحداها. أما ألشخص ألذي يفقد حاسة ألشم أو الذوق فلا يعتبر معاق ويستطيع أن يعمل. ألأبكم والكفيف فقط ألمعاقين.

نقول فأدت ألفحم أي شويته .. ألفؤاد صاعق ألفكر.

نحن لكي نفكر نحتاج إلى مواد أوّليّة لنفكر بها، ألمواد الأوليه هي ألمعلومات.

هذه المعلومات ألتي وصلتنا عن طريق ألحواس هي ألفؤاد.

ألفؤاد صاعق ألفكر، تماما كصاعق ألقنبلة ألذي إذا لمسته انفجرت ألقنبلة.

ما ألفرق بين ألفؤاد ألإنساني والفؤاد ألبهيمي؟

ألإنسان يطابق ألإسم مع ألمسمّى أما الحيوان فلا يطابق ألإسم مع المسمّى.

عمل ألفؤاد هو إزالة ألتناقض بين ألإسم والمسمّى – هل يفيد هذا ألشيء الإسم أو لا يفيده؟ ولذلك فإن الإنسان حين يرى اي شيء جديد فإن أول ما يفعله هو أن يعطيه إسم يميّزه به. لكنّ البهائم لا تفعل ذلك.

ماذا نفهم من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ القصص: ١٠ أي أن تصرفها أصبح تصرف بهيمي لا إنساني. ألقطة إذا اقتربت من أطفالها فإنها بشكل غريزي تدافع عنهم، هذا ما كانت ستفعله أم موسى لولا أن ربط الله على قلبها (سنوضح لاحقا ما معنى ألقلب).

إذن ألفؤاد ألإنساني يطابق بين الإسم والمسمّى، ويزيل ألتناقض بين يُفيد ولا يُفيدْ. ألفؤاد ألبهيمي له حواس ولكن ليس عنده مسمى.

بتعبير معاصر نقول .. ألسّمع والبصَرْ وسائل إتصال بالعالم ألخارجي، والفؤاد وحدة ألمعالجة.

ألفكر

بعد الفؤاد يأتي ألفكر.

ألفؤاد يعطي ألمادة ,, والفكر هو ألتحليل (فكر .. فك كر، فك كر ...) يفصل ألعناصر ويركبها حتى يتخذ القرار. ((يتفكرونْ ... ألتاء هنا تاء ألجهد))

ألبهائم لديها فؤاد كما قلنا ولكن ليس لها فكر,

الإنسان حتى يعرف آدم ونوح يجب أن يسير في الأرض ويقلم .... هذا هو ألتّفكير.

ألعقل

بعد ألفكر هناك ألعقل. إتخاذ ألقرار

ألقلب هو الدّماغْ

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦

في إحدى المحطات ألفضائية تحدثوا عن القلب، ذكروا كل الآيات ألتي ذكر فيها القلب، شرحوا كل ما فيها وقالوا ما قالوا، لكنهم لم يذكروا أن ألقلب يضخ ألدم – أليس هذا غريبا؟

يقولون أن القلب هو هذه العضلة ألتي تضخ ألدم إلى سائر ألجسم ويستشهدون على ذلك بقوله سبحانه وتعالى فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ .

نقول أنّ ألصّدرْ هو جبين ألرأس. وحين قال تعالى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ الناس: ١ – ٦

إنّ صُدُورِ ٱلنَّاسِ هم ألناس ألذين في ألصدارة أي الذين يحتلون مركز الصدارة. والشاعر العربي حين قال

وَنَحْنُ أناسٌ لا تَوَسّط عندنا لنا **الصّدْرُ** دونَ العالمينَ أوْ القَبْرُ

فإنّه قصد أننا دائما في الصّدارة.

ألله سبحانه وتعالى ذكر في ألتنزيل ألحكيم ألأمعاء وذكر أيضا أليدين والرجلين والجلد ايضا – أليس غريبا أن يذكر كل هذه الأعضاء ولا يذكر ألدِّماغْ وهو أهم جزء في جسم ألإنسان؟

ألغيب والشهادة

هل تحول ألمعرفة ألإنسانية ألغيب ألنّسبي إلى شهادة؟ ما هي ألعلاقة بين ألغيب والشهادة ونحن نقرأ ألآية ألكريمة﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ هل نحن نقترب من معرفة ألغيب عندما نصل إلى قوانين كنا نجهلها؟

نقول إنّ رب ألعالمين أعطانا جزء من مفاتيح ألغيب في ألسبع ألمثاني (π and e)ألثوابت ألكونية.

أساس أللوغاريثم ألطبيعي ***e*** مسيطر على كل مظاهر ألطبيعة تزايد وتناقص، ليس فقط في الأرض وإنما في الكون كله. أيضا أل ***π*** مسيطر على ظواهر ألتردد.

عملية ألمعرفة ألإنسانية ألصاعدة إلى ألأعلى ومحورها **ألقلم** ولا تحمل عن ألقلم إطلاقا تمثل جدلية بين ألغيب والشهادة.

ألغيب نوعان، **هناك غيب مطلق وغيب نسبي**. نحن نتحدث عن ألغيب ألنسبي. حتى ١٠٠ سنة مثلا كان هناك غيبيات أصبحت أليوم معروفه بالنسبة لنا. هذه ألمعارف أنتجت إشكاليات جديدة نحتاج معها إلى معارف جديدة لنتقدم.

دائما بالنسبة للإنسان ألغيب يتقلص والمعرفة تتقدم.

من هذه ألناحية ألإنسان يقترب من الله سبحانه وتعالى ولكن لن يصل إليه.

ألله عليم والإنسان متعلم، والله حر مطلق ألصلاحيّة والإنسان متحرر.

مع الوقت ألغيب يتقلص ويتقلص حتى يأتي وقت يظن الإنسان أنه أصبح إله قادرا أن يتحكم بهذا الكون ويسيره كما يشاء، عندها يأتي أمر الله

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يونس: ٢٤

إذا سيأتي يوم يظن الإنسان أنه أصبح كامل ألمعرفة. ألإنسانية بالمعرفة تتقدم.

قلنا إنّ **ألرّحْمنْ** رحيم وشديد ألعقاب. ألإنسان يقلد ألرحمن في هذه ألناحية. فمن الذرة قد يعمل مستشفى (رحيم)، ومن الذرة قد يعمل قنبلة ذرية (شديد ألعقاب).

عندما قال تعالى ((رحيم)) لا يوجد شديد ألعقاب، ولكن عندما قال ((ألرحمن)) فإن فيها رحيم وشديد ألعقاب.

جدلية ألغيب والشهادة موجودة عند الإنسان.

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٨

ألرّسول هنا جبريل عليه ألسلام. لقد كان المطلوب من الرسول الأعظم ألبلاغ وليس الإبلاغ.

ألنبأ والخبر

قد يسال سائل لماذا تسميه ألغيب ونحن في النشرات الإخبارية نتنبّأ بالطقس .. ما سيكون عليه. ما هي العلاقة بين ألنّبأ والخبر؟

ألتّنَبّؤ يعني غيب وإلا سيصبح خبر. عندما نقول أن درجة ألحرارة بالأمس كانت ٤٠° فهذا خبر – لكن عندما نقول أن درجة الحرارة غدا ستصل إلى ٣٥° فهذا تنبؤ.

نقول أن **ألرياضيّات** هي العلم الدقيق ألذي يتصف بالدقة والتنبؤ. إن المعادلات ألرياضية تجعلنا قادرين على معرفة ما سيكون قبل حصوله. مثلا نحن نعرف أنه إن تحركت سيارة بسرعة ثابتة مقدارها ٦٠ كلم/ساعة فإنها بعد ساعتين ستقطع مسافة مقدارها ١٢٠ كلم. عرفنا هذا لأن هناك معادلة رياضية تربط بين ألسرعة (v) والزمن (t) والمسافة (x)، هذه المعادلة هي:

$$x_{(m)} = v_{(m/s)} \times t_{(s)}$$

كلما زاد علم الآنسان في الرياضيات ، كلما أصبح قادرا على التنبؤ أكثر.

علم رب ألعالمين رياضي. قال تعالى﴿ ... وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ... ﴾ وقال تعالى

﴿ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ مريم: ٩٤

ألإحصاء: ألتعقل (تأخذ ظاهرة معينة، تدرسها وتعقل ما فيها).

نأخذ فكرة عن شخص ما، طوله، لونه، وظيفته، أبويه، بلده، مدينته ثم نعرف من هو هذا ألشخص. ممكن أيضا أن نضع هذا الشخص في معادلة رياضية لنعرف أيضا من هو.

لنأخذ ألكمبيوتر مثلا .. ألكمبيوتر عبر عن عجز الإنسان عن أيجاد معادلة رياضيّة لكل ألظواهر، وضعها بشكل أعداد وصاغ معادلة رياضية كم متصل، والأعداد كم منفصل.

ألرياضيات تقوم على ألمنطق فقط.

علماء ألرياضيات يجدون ألمعاددلات ألرياضية، بعدها يجد علماء ألطبيعة توصيفا لتلك ألمعادلات. لذلك نقول ان ألرياضيات متقدمة على علوم ألطبيعة وهذا صحيح. ألعلوم ألرياضية متقدمة عن ألعلوم ألطبيعية أكثر من ١٠٠ سنة. ألرياضيات ألمستخدمة في ألكمبيوتر موجودة قبل اختراع ألكمبيوتر بعشرات ألسنين.

ألكون قبل خلقة كان في علم الله دال بدون مدلول، ألرياضيات أيضا دال بدون مدلول.

ألرياضيات هي أقرب ألعلوم لعلم الله سبحانه وتعالى ولذا فإن الإنسان خليفة الله في الأرض.

ألرحمن والشيطان

نقيضان يعملان في العقل الإنساني

قال تعالى

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ ﴾ مريم: ٤٤

هنا المقصود شيطان ألوهم.

ألرحمن يمثل ألحقيقة ألموضوعية وقوانين ألكون ألحقيقية. ألرحمن يمثل ألجانب ألمادي في فكر ألإنسان.

ألشيطان يمثل ألجانب ألوهمي في ألفكر ألإنساني.

ألقرآن مادي.

ألرِّسالة وَالنُّبُوَّة

ألرُّبوبِيَّة والألوهِيَّة

ألرُّبوبيَة: ألسِّيادة والسُّلطان والسَّيْطرَة

ألألوهيَّة: ينعكس خلالها ألطاعة والإمْتِثال والإرادة

ألنبوة مرتبطة بالرِّبوبيّة **والرسالة** مرتبطة بالألوهية.

ألربوبيّة والألوهية إذن لها علاقة بالنبوة والرسالة، لكن ألربوبية جاءت على لسان أكثر من قائل في كتاب الله – جاءت في سورة يوسف، وجاءت في آيات فرعون، كذلك فإن فرعون استخدم اللفظتين فهل كان يقصد ما يقول. تارة ﴿ ...أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ النازعات: ٢٤ وتارة يقول ﴿ ... مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ... ﴾ القصص: ٣٨ فهل نَصَّبَ نَفسَهُ مكان الله سبحان الله أن يكون له مثيل أو شريك، أم أنّ فرعون كانَ يعي أنّه ليس بإله أو برب ولكنه كان يريد أن يسيطر على أهله وأتباعه.

كتب ألتراث تُعرِّف ألنبي والرسول .. يقولون أنّ **النّبيّ** من يُوحى إليه ولكن لم يُطلبْ منه ألتّبليغْ، أي يوحى إليه وحده، أما إذا طُلِبَ منه أن يُبلِغْ ما أوحِيَ إليه فهو **رَسولْ**. أي إنّ الوحي لا يختلف هو نفسه بالنسبة للنبي أو الرّسول، لكن إن طلب منه أن يبلغ فهو رسول وإن لم يطلب منه التبليغ فهو نبي. هذا التعريف غير صحيح.

أنا أوافق أنّ هناك نبيّ بلا رسالة، لكنَّ النّبيّ يبلغ ما أوحي إليه، لا يوجد نبي لوحده. لكن **ألنبوة علوم والرسالة أحكام.**

ألرسول يجب أن يكون نبي، ولكن ليس بالضّرورة أن يكون النبي رسول.

ألنبي أوحي إليه ولكن من مقام ألنبوة، أي لم يوح إليه أحكام، مثال داوود وسليمان كانوا أنبياء وليسوا رسل. ألرسالة جاءت في شريعة موسى، وبعد موسى عليه السلام لم يتغير أي شيء حتى بُعث عيسى ليعدل في شريعة موسى عليهما السلام. ملوك بني إسرائيل جميعا كانوا أنبياء ولم يكونوا رسل، لأنهم جميعا حكموا بشريعة موسى عليه السلام.

هارون نبي – لا يجتمع رسولين معا إلا إذا كانوا ملائكة .. قد يتساءل البعض ماذا تقول في قوله تعالى في قول موسى وهارون عليهما السلام لفرعون ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ طه: ٤٧ .. أقول أن الجواب جاء في الآية نفسها فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ أي ليس هناك أي أحكام. كل ما طلباه من فرعون هو أن يُرسل معهما بني إسرائيل وأن لا يعذبهم.

كيف يكون النبي نبيا ولا يطلب منه أن يبلغ شيئا ما لقومه؟

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥

ألتّوحيد ومقام ألعقيدة في النبوة والرسالة معا. ألنبي يحمل رسالة التوحيد ومعها علوم، والرسول يحمل رسالة التوحيد ومعها أحكام.

صناعة ألفلك لنوح نبوة. ألرسالة كانت ألتوحيد وبر الوالدين.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأعراف: ٥٩

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢٨

رب ألعالمين هو المالك والسّيد لم يطلب من أحد أن يعترف بربوبيته. ونحن في أصلاب آبائنا أشهدنا الله على ربوبيته وليس على ألوهيته ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٢ لم يقل سبحانه وتعالى ((ألست إلهكم)). ويبقى ربنا حتى قيام الساعة ولا أحد ينكر هذا حتى ألملحد. ألله سبحانه وتعالى هو مالك هذا الكون. هل يستطيع أحدا أياً كان أن يَدّعي مُلكيته.

نحن أخذنا من رب ألعالمين إمكانية ألخلافة بأن نتصرف بجزء من هذا ألكون، بجزء من ألقوانين ألطبيعية لنكون أرباب صغار في هذه ألطبيعة.

رب ألعمل، رب الأسرة .. نحن حين نطلب من رب ألعالمين شيئا نطلبه من مقام ألرّبوبيّة لا من مقام الألوهيّة ..

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ البقرة: ٢٠١

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾
آل عمران: ٨

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾
البقرة: ١٢٦

لا يوجد طلب من مقام الألوهية ..دائما نتوجه إلى الله من مقام ألرّبوبية في الدّعاء لأنّه هو ألمالك، هو رب ألعالمين .. ألله سبحانه وتعالى ليس إله ألشّجر، هو رب الشجر .. هو رب الأرض والسّماء.

ألألوهيّة لا تكون إلا للعاقل .. أنا أحب الله وأألهه على إنّه إلهي، هذا لا يكون إلا للعاقل ألمكلف.

ألله رب السماوات والأرض، ورب كل شيئ، لكنّه إله ألعاقل فقط. سبحانه وتعالى هو رب أبو لهب ورب محمد عليه ألصّلاة والسّلام. لكنّ الله سبحانه وتعالى هى إله محمد وليس إله أبو لهب لأنّ ابو لهب لم يتخذه إلهاً. كل دعواة ألرّسل إلى أقوامهم كانت ﴿ ... ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... ﴾ (ألأعراف – ٥٩)، (ألأعراف –٦٥)، (ألأعراف – ٧٣)، (ألأعراف – ٨٥)، (هود – ٥٠)، (هود – ٦١)، (ألمؤمنون – ٢٣)، (ألمؤمنون – ٣٢).

لم يقل رسول بعث لقومه ((ما لكم من ربّ غيره)) .. وكما قلنا سابقا فإن إسم ألرّبوبيّة عند رب ألعالمين هو (ألرّحمن) ..

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ النبأ: ٣٧

كون الرّحمن إسم ألرّبوبية لا يتكلم مع أحد ولكنّه يفعل. رب ألعالمين برّأ مريم عليها السلام براءة رحمانيّة

﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ مريم: ٢٦ – ٣٣ لقد أنطق سبحانه وتعالى عيسى بعد لحظات من ميلاده. ولو شاء الله أن يُبرأ إمرأة متّهمة بالزّنا براءة رحمانيّة فإن فرجها سينطق. هذه البراءة ألرحمانية (لا يوجد كلام) ألإنسان لكي يكون رحماني يجب أن يمارس ألأمور بنفسه ويكسب خبرة في أي عمل.

مقابل ألبراءة ألرّحمانيّة هناك براءة إلهيّة جاءت في ألكتاب هي براءة عائشة رضي الله عنها.

كيف نفهم إذن قوله سبحانه وتعالى

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ الناس: ١ - ٣

من يؤمن بانّ الله هو ربّ ألناسْ، سيؤمن أنه إله ألنّاسْ. وإذا لم يؤمن أنّه ربّ ألناس فسوف لن يؤمن أنه إله ألنّاس. مقام ألربوبية قبل مقام ألألوهيّة دائما .. ألربوبيّة ساحتها ألخضوع وليس الطاعة.

قد يتساءل البعض كيف نفهم إذن قوله سبحانه وتعالى

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ﴾ قريش: ٣

نقول: نحن نعترف بالإلوهيّة ولكننا نعبد ألرّب مالك هذا ألبيت. نحن نعبد رب هذا ألبيت من مقام ألإلوهية. لقد طلب من الرّسول ألأعظم أن يقول **لا إله إلا ألله** ولم يطلب منه أن يقول (لا رب إلا الله) لأنّ الإنسان ممكن أن يتخذ غير الله إلها، ممكن أن يطيع غيره.

كيف تتداخل ألألوهية والربوبية؟

فرعون إدّعى ألرّبوبيَة، بعدها قال بالإلوهيّة. لقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله سبحانه وتعالى

﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف: ٥١ إدعاء ألرّبوبيّة

حين يكون هناك طاغية ومستبد فإن كل ألبلد تعرف أنّه مالك ألبلد. لكنّ هذا الطاغية حين يتحدث فإنّه يتحدث إلى حاشيته وليس إلى كل أهل ألبلد .. هذا ما حصل حين ادّعى فرعون ألألوهيّة

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص: ٣٨ هنا نلاحظ أنه خاطب ألخاصة ألقربين منه يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ .

إذا لم يكن هناك رادع للطاغية ألمستبد فإنه يتصور نفسه إلهاً .. هذا ما حصل مع فرعون.

ألكفر بالطاغوت والأيمان بالله يأتوا دائما مقابل بعض

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦

لن يستطيع أن يؤمن بالله إلا إذا كان يملك حرية ألضّمير وحرّية الإختيار. أنا أقول **لا إله إلا الله** مختارا. الله سبحانه وتعالى أخذ منا ميثاق ألرّبوبية ..

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٢

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ) (خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ) ... **ربوبية**

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) (فَٱعْبُدُوهُ) .... **إلوهيّة**

دائما حين نطلب من الله شيئا نطلبه من مقام ألرّبوبيّة (**ربِّ**) ولكننا نطيعه سبحانه وتعالى ك (إله).

ولذلك حين قال سبحانه وتعالى عن فرعون ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾
النازعات: ٢٥ .. فإن ألأولى هي ألرّبوبية والآخرة هي ألألوهيّة.

ألربوبية قوانين صارمة – خبرة ﴿... ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٩
ليس ((فَسْئَلْ عَنْهُ خَبِيراً)) .. بأي شيء تكون خبيرا يجب أن تكون رحماني، تمارس الأشياء بنفسك.

علاقة ألرّسالة وألنّبوة بمقام ألألوهيّة ومقام ألربوبيّة

ألنبوة من نبأ، وألنبأ يحمل معنيين

- أن يكون غيبي
- أن يكون مُختصرْ

ألنبي يعطي أنباء (أحداث) إما طبيعيّة وإما إنسانيّة وأما أن تكون ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا.
قصص الأنباء من نوح إلى هود إلى صالح إلى ... عليهم السلام أنباء أوحيت ألى الرسول من
ألماضي ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩ إذن هي أنباء من الماضي كانت **غيبية** بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك لقومه، ورغم أن نوح عليه السلام قد بُعث في قومه ٩٥٠ سنة إلا أن قِصّة نوح قد ذكرت **باسطر قليلة** في ألقرآن ألكريم (إيجاز).

ألقرآن الكريم ذكر العديد من الأحداث التي حصلت في الماضي والتي كانت غيبا بالنسبة للنبيّ وقومه، من هذه الأيات التي تحدثت عن غيبيات ألماضي

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ التوبة: ٧٠

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ إبراهيم

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ٤٤

أموراً كثيرة كانت قد حصلت في الماضي لم تكن معروفة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام أو لقومه جاء القرآن ليحدثة بها بأيجاز.

أيضا قد يكون النبأ مختص بالحاضر كقوله تعالى

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

التحريم: ٣

أما أنباء ألغيب التي تتحدث عن المستقبل فهي ايضا كثيرة في كتاب الله كآيات ألبعث والسّاعة والجنّة والنّار ونهاية الكون والعديد العديد من الآيات الداله على مِصداقيّة الكتاب الموحى.

ألنبأ ألغيبي يجب أن يحمل ألمِصْداقِيّة. عندما أنبأنا الله سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١ هذا حدث في ألماضي، أين نرى ألمصداقية؟ كيف نتحقق منها؟

أليوم عندنا علم قائم بذاته **ميتورولوجيا** (علم ألحفريّات). ألحفريات تؤكد لنا صدق ألخبر ألقرآني.

والله أمرنا في كتابه أن نبحث ونجتهد ونقرأ وننظر كيف بدأ الخلق ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٠ ونتساءل هل الذين حدثونا عن خلق آدم في كتب التراث – هل ساروا في الأرض ١٠٠ كلم ليعرفوا كيف خُلقَ آدم، هل بحثوا ونظروا وتدبّروا ذلك؟ أم إنهم اكتفوا بروايات إسرائيلية لا تقبلها عقولنا وتنفيها وتثبت عدم صِدقيتها ألإكتشافات ألحديثة.

نحن هنا نريد أن نقول بأن عقولنا لا تقبل أن نتبنى كل ما ورد في كتب التراث وأن نتعامل مع التفسيرات ألموروثة كما نتعامل مع آيات الله نفسها. تلك كتب تاريخيّة، نعم هذا تراثنا – لا ننكره ولكن علينا أن نتجاوزه معرفيا وليس تاريخيا.

علينا أن نفهم أن هناك آيات نبوة في الكتاب كما أن هناك أيات رسالة. الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣ هذه الآية الكريمة ليست من ألنبوة .. هذه رسالة.

ألقرآن والسبع ألمثاني – نُبُوّة

ألقرآن له علاقة بالوجود والجنة والنار والبعث والخلق وأحداث ألتاريخ. عندما نقول ألقرآن فإننا نعني ألآيات ألقرآنية في ألمصحف. هناك آيات أحكام ايضا في المصحف هي ليست قرآن ولكنها من الكتاب ومن عند الله نؤمن بها كلها ﴿ ... ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ... ﴾ آل عمران: ٧

إذن كل الآيات – من أول آية في سورة ألفاتحة وحتى آخر آية في سورة الناس – كلها من عند الله، نؤمن بها ونشهد أنها أوحيت إلى ألرسول ألأعظم. لكن الله سبحانه وتعالى بعث رسالته ألخاتمة إلى كل الناس ووقع على رسالته توقيع لا يقلد، هذا ألتوقيع ألإلهي هو ألقرآن. فالأحكام الواردة في الكتاب هي ألرسالة والنبوة هي التوقيع الإلهي على مصداقية تلك ألرسالة.

ألله سبحانه وتعالى أرسل رسالة بأوامر ونواه بين لنا ما هو حلال وما هو حرام ووجّهنا لما يجب أن نفعل وما يجب أن لا نفعل. أمرنا بالصلاة والصوم والحج والزّكاة وعدم قول الزور وعدم أكل مال أليتيم ... إلى ما هناك من أحكام في كتاب الله. هذه الرسالة لنعرف أنها من عند الله قرنها بالقرآن ألذي يستحيل تزويره على أي من الإنس والجن ليثبت أن هذه الرسالة هي من عند الله.

الأحكام يسهل تقليدها، والبشر قد تشرع. حمورابي مثلا عنده أحكام لكنه لم يقل أن هذه الأحكام هي من عند الله. ألمجالس ألنيابية في الدول كلها تسن تشريعات حسب الظروف أيضا لكنها لا تدعي أن تشريعا ما قد أوْحى به رب ألعالمين. لكن ما جاء في الكتاب من أحكام هي من عند الله ولذلك قرنها بالقرآن ألمعجز ليثبت ذلك.

ألنبوة والرّسالة

قال تعالى ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾ الأنعام: ٦٧ ولذا دعك من التفاسير لأن الله قال لنا أن لكل نبأ وقت يظهر فيه. ولنفهم ما هو التأويل وما هو المستقر يجب أن نميز بين ألنبأ والخبر.

ألرسول الأعظم كان نبيا ولم يكن مخبرا.

وقلنا أن النبأ يكون غيبي ومقتضب ولذا حتى في حياتنا أليومية نقول موجز الأنباء. أما الخبر فيكون حضوري وتفصيلي.

كيف فرق المصحف ألشريف بين ألنّبا والخبر؟

موسى عليه السلام عندما رأى النار قال

﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ ﴾ النمل: ٧ قال عليه السلام بِخَبَرٍ لأنّه ذهب إليها (حضور)

أيضا عن الحديث عن أحداث ألساعة قال سبحانه وتعالى

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ الزلزلة: ١ – ٤

مثال

لو أنه في ألقرن ألعشرين تنبأ أحد أنه في ألقرن ألواحد والعشرين سيحكم أمريكا رئيسا من أصول أفريقية فإن هذه ألنبوءة ألغيبية قد لا تتجاوز ألسطر ألواحد. ولكن عندما يصبح أوباما ذو الأصول ألإفريقية رئيسا لأمريكا فأن مجلدا أو أكثر قد يكتب حول هذا ألخبر.

ألتأويل ألنهائي للنبأ هو عندما يتحول هذا النبأ إلى خبر ... هذا هو ميزة ألمتشابه

فمثلا يوسف عليه السلام رأى مناما ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤ هذا نبأ غيبي مقتضب، ولكن حين تحقق هذا النبأ وسجد أبويه قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠ لقد أصبح ألحلم حقيقة.

أحداث نوح عليه ألسلام بالنسبة لنوح وقومه أخبار أما بالنسبة للرسول الأعظم ولنا فهي أنباء.

إنّ الأحداث ألتي حصلت زمن ألرسالة ألخاتمة كانت بالنسبة للرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه وبالنسبة لقومه أخبار (واقع يعيشونه) أما بالنسبة لنا فهي أنباء (غيبيات حدثنا عنها ألقرآن)

ألقصص ألمحمدي كما ورد في سورة ألتوبة وسورة الأنفال وجزء من سورة محمد – وكل أحداث ألسيرة ألمحمدية في ألقرآن ألكريم هي **قصص محمدي وليست رسالة**. وبالتالي لا يُؤخذ منها أحكام.

ماذا نأخذ من أحكام مثلا في شق البحر في قصة موسى مع فرعون؟ أليست هذه ألقصة جزء من ألمصحف؟ سورة يوسف هل يوجد فيها أحكام؟ ألقصص ألقرآني يعطينا عبر. قال سبحانه تعالى

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

يوسف: ١١١

سورة ألمسد ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد: ١ – ٥ هذه الآيات نزلت وأبو لهب على قيد الحياة، وهذه الآيات تقول أن أبو لهب سيموت كافرا وسيدخل ألنار. ما علاقتي الآن بهذه ألسورة في ألقرن ألواحد والعشرين؟

ترى ماذا لو أن أبو لهب آمن بعد نزول هذه الآية؟ ماذا سيحدث لمصداقية ألرسالة ألخاتمة؟ الله سبحانه وتعالى يعلم أن أبو لهب قد وصل إلى نقطة ألالاعودة في رفضة للدّعوة وأنه استنفر كل طاقاته لمحاربة ألرسول ألخاتم وهنا لا مجال للتراجع.

الله يريد أن يقول لنا من خلال هذه القصه أن علينا أن لا نتطرّف ابدا في مواقفنا لأننا قد نجد أنفسنا غير قادرين على التراجع بل يستحيل علينا ذلك.

إذا كانت الولايات ألمتحدة ألأميركية قد أيقنتْ أن صدام حسين بعد غزوه للكويت قد وصل إلى نقطة ألالاعودة وأنه لن يخرج من الكويت ابدا، فما بالك بالله وله المثل الأعلى، ألا يدري سبحانه وتعالى أنّ أبو لهب قد وصل إلى نقطة ألالاعودة؟

هذا قصص، وهذا ليس أزل، وهذا ليس موجودا في الإمام المبين قبل حصوله.

معجزات الأنبياء

لماذا لم تكن معجزة ألرسول ألخاتم حسية كما كانت معجزة الأنبياء ألسابقين؟

موسى عليه السلام أوتِيَ تسع آيات بينات ليبرهن أنه رسول رب ألعالمين

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١ - ١٠٢

هذه الآيات ألبينات كانت:١- ألعصا ٢– أليد ٣– شق ألبحر ٤– ألطوفان ٥– ألجراد ٦– ألقمل ٧– ألضفادع ٨– ألدم ٩- الرجز. ولقد شاهدها الناس ولذا قال عنها بَصَآئِرَ. محمد صلى الله عليه وسلم أوتي أكثر من ٢٠٠٠ آية من ألآيات ألبينات والتي سمّاها سبحانه وتعالى بصائر تماما كما سُمِّيتْ آيات موسى عليه ألسلام ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٤

آيات الرّسول ألخاتم هي ايضا تُبصرْ ولكن ليس دفعةً واحدة ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾ الأنعام: ٦٧ . محمد صلى الله عليه وسلم لم يُبعث لقومه كما بُعثَ الأنبياء ألسابقين لأقوامهم فقط، لكنه بُعث للعالمين وحتى قيام الساعة وبالتالي فإن الناس في كل زمان وفي كل مكان يجب أن يُبْصِروا تلك الآيات ألبينات. فمع تقدم ألسقف ألمعرفي للناس فإن هذه الآيات ستبصر وهكذا فإن نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه قائمة أبدا تصديقا لرسالته. طالما الأرض مستمرة وطالما هذا الكون مستمر فإن نبوته عليه السلام قائمة. ولكل نبأ وقت يتحقق فيه. لذلك نقول دعنا من كتب ألتفاسير.

ألقرآن يؤخذ حسب ألمواضيع – ألقرآن يحتوي على موضوعات في مختلف العلوم ومن يفسر القرآن عليه أن يكون ملما بتلك المواضيع كلها، عليه أن يكون جيولوجيا، وعالم أرصاد، وفيلسوف، وعالم دين، ووو .... عالم في كل شيء. فمن يملك ألقدرة على ذلك؟

الذين اكتشفوا مُعجزات ألقرآن هم للأسف ليسوا من فسروا ألقرآن.

ألإنسان عندما يقرأ أي شيء، حتى مقال في صحيفة فإنه يوظف آليا معلوماته في فهم ألمقال. نحن أيضا حين نقرأ ألقرآن ألكريم علينا أن نوظف آليتنا ألمعرفية لفهم آياته. لكن للأسف بدل من أن نفعل ذلك فإننا نفتح كتب ألتراث ونقرآ ما قاله السلف.

كتب ألتفاسير لها قيمة تاريخية فقط .. كتب ألتفاسير تعطينا فكرة عن ألمستوى ألمعرفي للعصر ألذي كتبت فيه تلك ألكتب.

ألإعجاز ألعلمي في ألقرآن ألكريم بكل إيجابياته هو وصمة عار على من يعمل به. ألإعجاز ألعلمي في ألقرآن ألكريم يكون بأن نتدبر نحن أتباع ألرسالة ألمحمدية آيات ألتنزيل ألحكيم ونكتشف ما فيها من إعجاز لا أن نفتش في كتاب الله عن آيات تشير إلى أي اكتشاف علمي لنقول أن القرآن ألكريم قد اشار إلى ذلك منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة. أين كنا نحن منذ ١٤٠٠ سنة؟ لِمَ لَمْ نتدبر تلك الآيات بأنفسنا؟

ألمطلوب حين نقرأ ألقرآن ألكريم أن نفكر تبعا لما وصلنا إليه من معرفة. ألله سبحانه وتعالى قال

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران: ٧ قالوا هناك وقفة بعد لفظ ألجلالة ٱللَّهُ اي لا يعلم تأويله إلا الله وحده.

وأقول هذا صحيح ولكن اضيف أن الله وحده يعلم تأويله وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ليس شخص واحد بل مجموعة ألعلماء في كل ألمجالات إذا اجتمعوا لفهم كتاب الله فإن ذلك ممكن.

الله سبحانه وتعالى وضع من عنده علم الكتاب شريكا له في الشهادة

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣ ﴾ الرعد: ٤٣

هل ممكن إنّ رب ألعالمين يعطينا نبوءات يقول عنها أنها هدىً للنّاس وتكون غير قابلة للفهم؟

أخيرا أحب أن اضيف قول لأبو ألقاسم ألحاج حمد قال فيه عن حاكمية ألله موضحا أنّ حاكمية ألله مرت بمراحل ثلاث:

- ألمرحلة ألأولى – ألتدخل ألمباشر فالله سبحانه وتعالى فضل بني إسرائيل على ألعالمين حيث عمل كل شيء عنهم
- ألمرحلة ألثانية – أعطى الله قوته لخلفائه في الأرض حيث سخر سبحانه وتعالى ألطبيعة لداوود وسليمان، وسخر لهم ألجان أيضا
- ألمرحلة ألثالثة – مع ألرسول ألخاتم صلى الله عليه وسلم حيث توقف التدخل ألمباشر وكذلك ألخلافة تدخل الله أصبح غير مباشر.

الله أعطى ألرسول ألخاتم آيات بينات ومعرفة أصبح التدخل الإلهي مع ألرسالة ألخاتمة تدخل غير مباشر بعد أن وصل الإنسان إلى مرحلة من ألنضج ألفكري جعلته قادرا على أن يكون خليفة الله في الأرض.

معجزة ألرسول ألخاتم هي ديمومة كشف ألسنن والظواهر، وهذه هي عالمية ألنبوة.

ألآيات ألبينات لموسى عليه السلام كانت محلية ولم تكن عالمية، لأن موسى عليه السلام لم يبعث إلا لبني إسرائيل وليس لأهل الأرض جميعا.

أخيرا القرآن هو كتاب ألنبوة وبه أصبح محمد بن عبد الله نبيا. والأحكام كما سماها الله (أم الكتاب) هي كتاب ألرسالة وبتبليغ تلك الأحكام صار محمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

ألقضاء وألقدر

جميعُنا يُقرِنْ كلمة ألقضاء بكلمة ألقدر ونراهما كلمة واحدة تعني سنة الله ألتي تجري علينا، أي ما قدره الله لنا. وبالطبع كما تقول ألآية ألكريمة ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفتح: ٢٣ ..

هل ألقضاء والقدر بمعنى واحد ؟ هل هما دالان على مدلول واحد؟ هذا ما سنحاول ألإجابة عليه.

تاريخيا .. مع بداية ألدولة ألأموية عندما طرحت مشكلة ألحرية تم وضع تعريف للقضاء والقدر.
قالوا: **ألقضاء** هُوَ عِلمْ الله ألأزَلي، **والقدر** هُوَ نَفاذْ هذا ألعِلمْ.

وبالتالي قضى الله منذ الأزل أنّ بني أميّة سوف تحْكم ولا بد لقدره أن ينفذ وأن يصير ألحكم لبني أميّة. إذن وجود بني أميّة هو قضاء الله وقدره. هكذا مُنِعَ ألتّحَدّثْ في ألقضاءْ وقُطعَتْ رؤوس على ذلك.

أين ألحريّة ألإنسانيّة إذا قضى الله منذ الأزل أن يكون هذا وهذا وهذا ... فأين حرية ألإختيار .

هذا ألتعريف الذي جاؤوا به إختلط مع مفهوم **عِلمْ الله**.

ألقضاء في ألتّنزيل ألحكيم له عدة معانٍ:

- ألمعنى ألأول هو ألإخبار

﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤

﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الحجر: ٦٦

- ألقضاء هو نفاذ ألأجل

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ القصص: ٢٨

- ألقضاء هو إتخاذ قرار

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٥

- ألقضاء بين ألخضوم

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

من كل هذه ألمعاني هناك شيء أساسٌ أنّ **ألقضاء فيه إخبارْ أو عَدمْ إخْبارْ – نفي وإثبات** أثبت ألخبر ونفى ضِدّه. قضى أمرا (مثلا قرر إهلاك قوم) تعنى نفي أن يبقيهم على قيد ألحياة.

إذن ألقَضاءْ هو نفي وإثبات بين شيئينْ، ألقاضي ينفي ألتهمة عن فلان ويثبتها على فلان. لكن حين ينفي ويثبت أو يخبر يجب أن يسبق ألقضاء **معرفة** على ماذا نقضي أصلا. قبل ألقضاء يجب أن يكون هناك قضيّة حقيقية تقضي بها. وبالتالي ألحقيقة – ألوجود وقوانين هذا ألوجود هي **ألقدَرْ.** ألله قدر ألجاذبية، ألضوء، ألصحة، ألمرض، ألموت ...

ألوجود ألموضوعي للأشياء هو قدر الله ولذا نقول ((ألموت قدر)) ولا نقول ألموت قضاء وقدر.

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠ فالله سبحانه وتعالى قدر الموت، وقدر الصحة وقدر المرض ... وعيت ذلك أم لم تع.

ألإنسان لكي يقضي في هذا ألوجود يجب أن يكون هناك سابق معرفة بمَ يقضي. فالقضاء قرار واعي (نفي وإثبات). حين أقرر أنا مثلا أمرا ما أذهبْ أو لا أذهبْ، أعْطي أو لا أعْطي .. هذا القرار يجب أن يكون مربوط بمعرفة. لماذا أذهب أو لماذا لا أذهب؟ لماذا أعطي أو لماذا لا أعطي؟ لماذا أنفي أو لماذا أثبتْ؟

ألذي لا يعرف لا يقضي وبالتالي رب ألعالمين أخرج (أوجد) ألموت

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنعام: ٩٥

ألموت قدر ولكن ألقتل قضاء.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥

رب ألعالمين نسب ألقتل لنفسه مرة واحدة في ألمصحف ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنفال: ١٧ ألموت موجود ولكن الله تدخل وقصّر أعمارهم وقتلهم، حدث ذلك في معركة بدر. لم يستعمل ألقتل من قبل الله إلا مرة واحدة.

الله أوجد الموت وحَرّمَ ألقتل. ألموت قدر والقتل قضاء.

إذا قالوا عن شخص مات بقضاء الله وقدرة نسأل من قتله؟

إذا قتل إنسان إنسانا آخر نقول عن ألمقتول مات قدرا بقضاء ألقاتل (الله قدر الموت والقاتل قضى). ألقاتل قَصّرَ عمر ألمقتول ولذا فإن عقاب ألقاتل في الشريعة الخاتمة هو ألقتل .. أي إنّ عمرهُ يُقَصّرْ تماما كما قصّر هو عمر ألمقتول.

ألإذن والمشيئة

ألمشيئة تحتمل وجهين. قال تعالى ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ التكوير: ٢٨ ألذي لم يستقم أعوج، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ... ﴾ الإنسان: ٣٠

أما الإذن فله وجهٌ واحد ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥

ألإذن له وجه واحد هو ألوجود – ألنفاذ ألمشيئة تحتمل ألوجهين. الله أذَنَ وأوْجَدَ قوانين وأوْجَدَ كتاب ألموت. قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ الرعد: ٣٨ يعني أنّ ألآيات ألتي تحصل مع ألرّسل كلها ضمن قوانين صارمة نافذة أوجدها الله سبحانه وتعالى.

ألتعبير الدّارج في حال الموت ألطبيعي (مات فلان قضاء وقدر) هو تعبير خاطئ .. ألصّحْ أن نقول مات فلان بقدر الله.

قلنا إذن أنّ القضاء إرادة واعية بين إثنين – نفي وإثبات. وقضاء الله ليس أزلي وغير نافذ بالضرورة فالله سبحانه وتعالى قضى أن نعبده وحده وأن يُبر الإنسان والدية ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣ فلوكان قضاءه سبحانه وتعالى أزلي ونافذ لوجدت جميع الناس تعبده وحده ووجدت أن كل إنسان يبر والديه ..

ألقضاء يرتبط بالرسالة والقدر يرتبط بالنبوة

إذا فهمنا الفرق بين القضاء والقدر نستطيع أن نفهم أيات كتاب الله التي قد تبدوا للوهله الأولى متناقضة في المعنى، كمثال قوله سبحانه وتعالى في سورة ألنساء

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء: ٧٨ - ٧٩

الآية ﴿٧٨﴾ تقول أن ألسيئات والحسنات من عند الله بينما الآية ﴿٧٩﴾ تقول أن الحسنات من عند الله بينما ألسيئات من أنفسنا، فكيف نفهم ما يبدوا تناقضا في الفهم؟

ألحقيقة إن نهاية الآيتين تبينان لنا ألمعنى. فالآية الأولى قرآن (قدر) ، وجود بدليل قوله سبحانه وتعالى لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ، أي أنّ كل ما يحصل أوجده الله سبحانه وتعالى. أما الآية الثانية فهي رساله (قضاء) بدليل قوله سبحانه وتعالى وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ . وبالتالي فإن الإنسان يقضي بين أمرين أوجدهما الله ألذي أمرنا أن نُحسنْ ونهانا أن نُسيء، وهنا تظهر حرية الإنسان

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠

إذن ألأية ﴿٧٨﴾ من آيات ألنبوة، بينما الآية ﴿٧٩﴾ من آيات ألرسالة.

ألعلاقة بين ألقضاء والقدر والنبوة والرسالة تبدو من خلال هاتين ألآيتين .. فالرّسالة فيها ألقضاء والنبوة فيها ألقدر.

أيات ألقدر في ألقرآن [ألنبوة] وآيات ألقضاء في الأحكام (أم ألكتاب) [ألرسالة].

آيات رسالة (أوامر ونواه – إفعل ولا تفعل) قضاء ... منها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الأنعام: ٧٢

﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١

أيات نبوة – قدر ... منها:

﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ يس: ٣٨

إذن آيات ألقدر في ألقرآن (ألنبوة) وآيات ألقضاء في ألأحكام (ألرسالة)

ألأعمار

قال تعالى

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ ... ﴾ آل عمران: ١٤٥

هناك كتاب إسمه كتاب ألموت، هذا ألكتاب هو مجموعة ألشروط ألتي إذا اجتمعت مع بعضها حصل الموت. قال كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ولكن .﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ٣٤ أي حتى يحين الأجل، يجب أن يتحقق كتاب ألموت.

كما نقول في المهر مُؤجّل ألصّداقْ – مؤجل حتى ألموت أو ألطلاق .. مؤجل حتى حدث معين.

قوله بِإِذْنِ ٱللَّهِ حتمي ..

ألطب يدرس ألقدر – قوانين ألموت والحياة، علوم ألطبيعة هي من علوم القدر أيضا . أما الحقوق والأدلة ألجنائية تدرس ألقضاء. وهنا نسأل هل العقل الإنساني قادر على إدراك قوانين القدر والوصول إليها.

ألعقل ألإنساني قادر على تأجيل ألموت لا إلغاءه (ضمن القدر). ألطب يدرس جهاز الدّوران مثلا، تعرف على جهاز الدّوران فصار يقضي فيه. ألعلاقة بين ألقضاء والقدر هي ألمعرفة وحرية الإنسان هي ألقضاء والقدر معا.

عندما يعرف ألطبيب جهاز ألدّوران يستطيع أنْ يتّخذ قرارْ بأن يجري ألعملية أو لا يجريها. ألطبيب يقرر أن يجري ألعملية أو لا يجريها – إذن هناك (نفي وإثبات) .. والعلاقة بين ألنفي والإثبات هي (أنّ هناك معرفة). ولا يمكن أن يكون هناك علاقة بين ألقضاء والقدر إلا بالمعرفة .. ألذي لا يعرف شيئا لا يقضي، والإنسان يطلب الأشياء حسب معرفته، والذي لا يعرف لا يطلب. إذا ممكن صياغة ألمعادلة:

ألقضاء = القدر + ألمعرفة بالمقدرات

كيف نفهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ التوبة: ٥١ نلاحظ أولا أن الحديث جاء بصيغة

الجمع يُصِيبَنَآ أي لكل أهل الأرض، أي لم يقل سبحانه وتعالى ((ما كتب الله لك)). ماذا يعني

هذا؟ هناك آلاف الأمراض في هذا الوجود وأي إنسان يُصاب بمرض ما فهو من ضمن هذه الأمراض اي مما قدر الله ..

هناك حديث شريف

عن أبي العباس عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ **لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ** رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" رواه الترمذي ، وأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧) .

هذا الحديث لولا كلمتي **لَكَ** و **عَلَيْكَ** لتوافق مع الآية الكريمة مئة بالمئة .. وربما راو الحديث اضاف عن غير قصد هاتين الكلمتين على هذا الحديث لأن الأحاديث لم ترو كما نطقها الرّسول بالضبط، فربما قال عليه الصلاة والسلام **لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ**، فأضاف الراوي دون قصد **لكَ** و **عَلَيْكَ**.

لقد جاءت ألرسالة والقانون ألأخلاقي لتعلمنا ألمقدرات لأننا كلما تعلمنا المقدرات كلما زادت حريتنا.

ألأطِبّاء في بلادنا يجب أن يُحاسبوا إذن على التسبب بقتل مرضاهم وعدم التذرَع بمقولة (لقد قضى الله أمره). كثيرا من الأحيان تكون سبب ألوفاة إهمال ألطبيب ألمسؤول عن إجراء ألعملية، أو نتيجة خطأ طبي تسبب في موت ألمريض ولذا يجب أن لا نحمل القدر أهمالنا وأخطاؤنا. بلدان كثيرة لا يمارس الطبيب فيها مهنة ألطب ما لم يكن هناك تأمين له، أما في بلادنا فاسهل شيء نقوله (لقد قضى الله أمره).

أيضا أمثال شعبية نتداولها ونحن مؤمنين بانها صحيحة مثل ((لَوْ صَبَرَ القاتِلْ على ألمَقتولْ كانْ ماتْ لوَحْدُهْ)) هذا غير صحيح على الإطلاق. إذا كان الله قد قدر الأعمار سلفا فلم نلوم تلك الدّول ألتي تقتل مئات الآلاف من البشر في حروب عبثية.

رب ألعالمين يقول ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤ لاحظ قوله سبحانه وتعالى مَّاتَ أو قُتِلَ. فالموت شيء والقتل شيئ آخر.

أن الإعتقاد أنّ الله منذ الأزل قد كتب لفلان أنه سيعيش ٣٠ سنة و ٤ اشهر و ٦ ايام و ١٢ ساعة و ٢١ دقيقة و١٥ ثانية إعتقاد خاطئ.

ألأعمال

أيضا إذا كانت أعمالنا كلها مكتوبة سلفا فنحن حاشى لله فإننا نتهم الله بنقصان ألمعرفة، لأن هذا الشيء يجب أن يحصل حتى يتحقق ما أراده الله، وما علمه سبحانه وتعالى. هم بهذا القول وضعوا علم الله بالإحتمال ألواحد، علما أنّ الله سبحانه وتعالى يعرف كل ألإحتمالات ألتي ممكن أن تحدث ومعرفته لكل احتمال متساوية، والله سبحانه وتعالى لا يتدخل ليفرض على أي إنسان إختيار أي إحتمال من تلك ألإحتمالات.

<u>أمثلة توضيحية</u>

- إذا كان علم الله سبحانه وتعالى واحد وأنّ هناك فقط إحتمال واحد من بين العديد من الأحتمالات ألمتاحة أمامي أن أختار منها فهذا يعني أنني حين أرتكب معصية فإن علي أن أرتكبها، لأنني إن لم أفعل ذلك فإن هذا يعني أن الله لا يعلم – حاشا لله. أيضا إن كنت سأفعل ذلك فأين حرّيتي؟ ولماذا يحاسبني الله سبحانه وتعالى على أمر لا خيار لي فيه.
  إذا كان يجب أن آتي إلى هذا المكان، ورب العالمين عرف منذ الأزل أنني سآتي إلى هذا المكان وكتب ذلك في الإمام المبين، فأنا يجب أن أتي وإن لم أحضر فإنّ هذا يعني أنَ الإحتمال ألواحد ألذي عرفه الله كان خاطئا وحاشا لله أن يكون كذلك.

أله يعلم كل الإحتمالات لأنّ علمه كامل، وكل الإحتمالات بالنّسبة إليه متساوية.

- لو رغبت أن أسافر من مدينة (أ) إلى مدينة (ب) بإستخدام ألقطار. نحن نعلم أنّ القطار يسير على سكة حديد محددة سلفا يجب أن تكون موجودة ليتحرك ألقطار عليها. في هذه الحالة أنا ليس لدي أي خيار بإختيار ألطريق ألتي سأسلكها من المدينة (أ) إلى ألمدينة (ب).

- لو فرضنا أنني قررت أن أذهب من المدينة (أ) إلى ألمدينة (ب) على ظهر حصان. في هذه الحالة هناك آلاف الطرق ألتي ممكن أن يسير عليها ألحصان. لو أن هناك طائرة هيلوكوبتر تحلق في السماء وتصور حركة ألحصان وتسجل حركاته، فإن الطائرة لن تفاجئ في أي وقت من الأوقات أين وكيف يسير ألحصان .. ولله المثل الأعلى هكذا نحن في حركتنا على هذا الأرض.

قال تعالى

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾
الروم: ٢ - ٤

هناك مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ

بالنسبة لله لا يوجد زمن. بالنسبة لنا هناك من قبل ومن بعد، ماذا يوجد بينهم (ألآنْ) .. ألآنْ لي.

الله كامل ألمعرفة هناك ملايين ألإحتمالات، أنا آخذ إحتمال من هذه ألإحتمالات، ألله يسجل على لكن علم الله كامل من قبل وكامل من بعد. في لحظة ألآن أنت تنقل بإرادتك إحتمال من قبل إلى إحتمال من بعد. ألأصل نحن بالإختيار. ثم يسجل ما اخترناه علينا

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٩

هذا دليل على حريّتنا في الإختيار لأنّ أعمالنا تسجل علينا بعد حدوثها.

ألحرّية هي ألحركة ألواعية بين نفيٍ وإثبات في شيءٍ موجود، وكلما زاد الوعي كلما زادت ألحرّية.

ألقضاء ألإنساني متطور وصاعد إلى الأعلى ومحوره ألقدر .. ألمعرفة بالمقدورات تعطيك مجال للقضاء لكي تقضي بين نفي وإثباتْ.

هناك حديث شائع

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال " : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ، فيقول : أي رب ، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ، ثم تطوى الصحف ، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص .

هذا ألحديث ليس عليه إشكال﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الزخرف: ٨٠ ألرسل تكتب ماذا سيحصل في كل لحظة، وهذا الحديث لا يعني أنّ الأمور مسجلة سلفا .. أيضا شقي أم سعيد تكتب حين ألموت لأنّه أصبح له كشف حساب.

ألمشكلة إذن ليست في ألحديث. ألمشكلة في فهم ألحديث.

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢

إذا ألكتابة تحصل بعد أن يَحْدُثْ الأمر وليس سلفا. تماما كقوله سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ... ﴾ التوبة: ٥١ لأن ما سيصيبنا هو واحد من ضمن الإحتمالات التي كتبها الله في ألكون.

قضاء الله وقضاء الإنسان

هناك آية في كتاب الله تقول

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

وهناك آية أخرى تقول على لسان من آمن وتحدّى فرعون

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ طه: ٧٢

وورد ألقضاء ألإنساني أيضا في قوله سبحانه وتعالى

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

فهل قضاء الله يشبه قضاء ألإنسان؟

ألله يقضي والإنسان يقضي أيضا. والقضاء له علاقة بالمعرفة. الله سبحانه وتعالى كامل ألمعرفة، أما الإنسان فمعرفته ناقصة. إذا يظل ألقضاء ألإنساني متطور متراكم.

ألإنسان يقضي ألآن في ألطب، لكن قضاءه في ألطب منذ ١٠٠ سنة كان أقل بكثير مما هو عليه أليوم. قضاء الإنسان إذن متراكم مع تراكم ألمعرفة ومتزايد مع تزايد ألمعرفة أيضا.

إذن ألإنسان يقضي، لكن الفرق بين قضاء ألله سبحانه وتعالى وبين قضاء ألإنسان ناتج عن ألفرق بين علم الله وعلم ألإنسان. قضاء الله كامل (الله كامل ألمعرفة)، بينما الإنسان ناقص ألمعرفة.

ألدعاء

ألإنسان يقضي إذن والله يقدّر .. ما دور ألدّعاء؟ وهل يُغيّرْ ألدعاء من شيء في القدر؟ ما هو الدعاء؟ ما ساحته؟ ما مناطه؟ ماذا يعني؟

قال الرسول الأعظم رُدّوا ألقَضاءْ بالدّعاءْ .. لا يوجد شيئا مكتوب سلفا على ألإنسان. إذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء سلفا على ألإنسان كما يقولون، فلم الدّعاء إذنْ؟

ألإمام ألمبين والذي يحتوي على أحداث ألطبيعة ألجزئية (تصريف ألرياح، هطول ألمطر، إنجاب ألأولاد ...) هو مناط ألدّعاء ألإنساني. هنا يتدخّل رب ألعالمين. والتدخل الإلهي يكون غير مباشر.

لكن الله لا يتدخل في القدر. الله لنْ يُلغي الموت ولو دعا أهل الأرض كلهم جميعا، لكن الله سبحانه وتعالى قد يطيل ألأعمار.

التدخل ألإلهي ألغير مباشر أعطانا الله مثالا عليه في قصة موسى والعبد الصالح. ألعقل ألإنساني لم يفهم ألعبرة من أن يسبق فعل ألعبد ألصالح عما يظنه أو يراه. الله تعالى قال عن ألعبد الصّالح

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

الكهف: ٦٥

ماذا تعني لَّدُنَّا ؟ حين أقول لك ماذا لديك؟ هذا يعني ماذا عندك ألآن. وبالتالي فإن وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا

عِلْمًا تعني أنه في أللحظة ألراهنة، في المنطقة ألتي كان فيها ألعبد ألصالح أعطيناه صورة ألمكان

ألذي هو موجود فيه – أي أطلعه الله على غيبٍ جزئي عن المكان الذي هو فيه.

الله سبحانه وتعالى لم يعط ألعبد ألصالح غيب ألماضي والمستقبل، بل أعطاه معلومات حاضرة عما هو موجود في الفترة ألتي هو يعيشها.

ما قام به العبد الصالح من خرق السفينة، وقتل ألغلام وبناء ألجدار كان لا بد لموسى عليه السلام أن يحتج على تلك الأفعال لأن موسى عليه السلام يمثل ألقانون والعبد ألصالح يمثل ألمعرفة. ألمعرفة تتناقض مع ألقانون أحيانا. واجب ألقانون أن يحتج. لكن السؤال في قتل الغلام. هذا السؤال سنجيب عليه في فصل لاحق.

ألأعمال والأرزاق

إختصّ الله عزّ وجل بمفاتيح ألغيب فلا يعلمها إلا هو، كما إنّه سبحانه وتعالى لا يطلع على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول. ثمة أسئلة قديمة جديدة تتفرع عن هذا الأمر أبرزها: هل أرزاقنا وأعمارنا وأعمالنا محددة سلفاً؟ هل كتب الله علينا كل ما نقوم به من عمل؟ هل حَدّدَ آجالنا مُسْبقا؟ هل نحن مخيّرون في هذه الحياة أم أننا مجبرون للقيام بما كتب علينا؟

بين ألمشيئة الإلهيّة والخيار الإنساني تكمن علاقة ما، ما هي هذه العلاقة؟

ألمفهوم ألسّائد أنّ أعمالنا مكتوبة علينا سلفا. هل هذا الإعتقاد صحيح؟

ألفعل والعمل

قبل أن نحاول أن نجيب على هذا الأسئلة علينا توضيح ألفرق بين مفهومين أساسيين هما **ألفعل والعمل**. هل أعمالنا أم أفعالنا هي المكتوبة علينا سلفا؟ ألفرق كبير جدا بين ألفعل والعمل.

ألفِعْلْ هُوَ ألعَمَلْ ألمُعَرّفْ. أنا أقول لك ماذا تفعل؟ تقول: إني آكل – إني أقرأ – إني أجلس.

ضرب فعل ماضي وليس عمل ماضي. ألفعل عمل مُعَرّفْ بالضّربْ.

ألعَمَلْ يَكونْ عَلى وَجْهْ ألعُمومْ. صيغة مصدريّة مُجرّدة. مثلا

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧ أي لم تبلغ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩ أي إن لم تذروا

﴿ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾ الانفطار: ١١ – ١٢

نأكل، نشرب، ننام ... هذه كلها أفعال. ألفعل محدد

رب ألعالمين يقول ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨

لو قال ((من يفعل مثقال ذرة)) لوجب أن نعرف ما هو الفعل الذي إذا قمنا به هو مثقال ذرة. لكن رب العالمين خلق أفعال ألنّاس كلها. ألآية ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ الصافات: ٩٥ – ٩٦ ألآية ٩٥ تحتوي على فعلين فلو جاءت الآية ٩٦ على الصيغة

((والله خلقكم وما تفعلون)) فإن هذا يعني أن الله سبحانه وتعالى قد خلق فقط هذين ألفعلين (ألنحت والعبادة)، لكن الله خلق ما نعمل على وجه ألعموم.

ألعبادة عمل معرف، ألنحت عمل معرف، الأكل عمل معرف، ألشرب عمل معرف .. ألعمل على وجه ألعموم غير معرف .. ألفعل هو عمل معرف.

ألأفعال

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ الصافات: ١٠٢

ٱفۡعَلۡ يعني إذبح.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ۝١١٢ ﴾ طه: ١١٢

لو قال سبحانه وتعالى ((ومن يفعل من الصالحات)) لوجب تعداد الأفعال ألصالحة ألتي يجب ألقيام بها.. إفعل كذا، وإفعل كذا. . لكنه سبحانه وتعالى تركها على وجه ألعموم. دائما مع ألصالحات هناك عمل.

ألله أثبت ألعلم ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١ ﴾ النحل: ٩١ كل الأفعال.

ونفى عن نفسه ألجهل على وجه ألعموم ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩ ﴾ آل عمران: ٩٩

إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ أثبت ألمعرفة على وجه ألخصوص

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ نفى عن نفسه ألجهل على وجه ألعموم.

هل افعال الله معرّفه له، نقول نعم ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦ وليس ((عَمّال لما يُريدْ))

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ الحج: ١٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩   على وجه ألخصوص.

كثير من الآيات قدم فيها ألفعل على ألعمل، أو ألعمل على الفعل.

إرادة الله كلها أفعال ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال: ٤٤

شيء محدد

إذا استعرضت كل ألتّنزيل ألحكيم فإن الأفعال تذكر على وجه ألخصوص، هناك فعل معين يتكلم عنه. أما الأعمال فتكون على وجه ألعموم.

الإنسان في عملية الإنتاج – عملية إنتاج ألسيارة مثلا تتم العملية بتقسيم ألعمل إلى أفعال أولية (خط سير ألإنتاج).

ألموظف في ألدائرة ألحكوميّة يقوم بالعديد من الأفعال (يأتي ألى العمل، يفتح ألباب، يجلس على ألمقعد، يراجع ألملفات، يتخذ قرارات ...) مجموعة أفعال.

هنا يتبادر سؤال على أذهاننا .. هل قدر الله علينا ألأفعال أم ألأعمال؟ أم إنه سبحانه وتعالى لم يقدر علينا أي منهما؟

ألأفعال مخلوقة قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦ جعلها على وجه ألعموم. لأنّه لو قال سبحانه وتعالى ((وما تفعلون)) لكان الحديث عن ألفعلين ألسابقين (ألنحت والعبادة).

لو تأملنا ألطبيعة لوجدنا أنّ الحرية موجودة في بنية ألطبيعة ذاتها. لو أنّ ألحرية غير موجودة في بنية ألطبيعة لما تحدثنا عن ألحرية نهائيا. في الطبيعة أيضا يوجد أضداد، ويوجد أزواج. قانون ألتكيف وقانون التأثيروالتأثر، قانون الأضداد والحركة بين الضدين، قانون ألتناقضات (ألتطور).

رب ألعالمين خلق ألكف، القبض والبسط مخلوقين في بنية ألكف وليس من اختراع ألإنسان.

بنية الكون فيها حركة حرية ما.

ألوجود موضوعي والخيار إرادي.

في بنية اليد هناك مفصل عند المرفق، نحن لا نستطيع أن نحرك يدنا إلى ألوراء، اي ليس لدينا حرية ألحركة إلى ألوراء، لكن هناك حرية حركة بإتجاهات أخرى.

هل ممكن أنْ نُغيرْ ألتصميم في الطبيعة؟ ألجواب: نعم.

ممكن عمل روبوت بيد يستطيع تحريكها عند ألمرفق إلى الوراء.

تدخل ألإنسان يكون ب

- **ألتقليد** فعل طيران أدى إلى إختراع ألطيارة. لو أن الطيران غير موجود في ألطبيعة لما خطر على بال الإنسان أن يفكر بالطيران. لكن الإنسان رأى الطيور تطير بأجنحتها فتوصل إلى إختراع ألطائرة.
  إذا ألأفعال ألتي نراها في ألطبيعة نقلدها إما بالتكبير، وإما بالتصغير، أو بتغيير ألمادة. في الطائرة مثلا استبدل الإنسان ريش الطائر بمادة في أجنحة ألطائرة.

- **تغيير ألترتيب** ممكن للإنسان أيضا أن يعيد ألترتيب. ممكن للإنسان مثلا أن يعمل يدا بأربع مفاصل (في ألطبيعة هناك مفصل واحد)

إذا ألإنسان حين يتدخل فإنه يقلد، يكبر، يصغر، يغير ألمادة ويعيد ألترتيب.

ألإنسان يختار أفعاله وهي ليست مكتوبة سلفا وليست مقدرة علينا منذ الأزل

ألمعتزلة حتى يؤسسوا للحرية قالوا أنّ ألإنسان يخلق أفعاله. ألحرية موضوعيا لها وجود، لكن المطلوب أن يكون عندنا إرادة.

بقي أن نذكر أن هناك اصطلاح ورد في كتاب الله له علاقة فعل وعمل وهو **صنع**.

ألصناعة هي إنتاج العمل.

قال تعالى ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ طه: ٦٩

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

هود: ٣٧

﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

الأنبياء: ٨٠

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل: ١١٢

لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ أليوم صنعوا ألقنابل ألذرية كم كلفت؟ صنعوا حاملة ألطائرات، كم كلفت؟ صنعوا ألصواريخ، كم كلفت؟ إذن تكلفة مادية + خوف مما صنعوا.

أخيرا نقول أن **ألكسب** هو مردود ألعمل.

ألأجل – ألموت

عندما عرفنا الكتاب، قلنا إن أعمالنا كلها كتب، وقلنا أن هناك كتاب الصلاة، وكتاب الصوم، وكتاب الموت وكتاب المرض وكتاب ألحياة ... وقلنا إن كتاب ألموت هو مجموعة ألعناصر ألتي إن اجتمعت فإن الموت حاصل لا محال. ولذا فإنه ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ ولكن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

ألكتاب يستطيع ألإنسان أنْ يؤجِّله.

﴿ ... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣

كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا أستطيع الآن أن اقول لك متى صلاة ألعصر غدا. لكن الموت كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا .
حتى يبين أن ألأعمار غير ثابتة، قال تعالى

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ فاطر: ١١

هذه الآية أشكلت على البعض قالوا ما يُعمِّر من مُعَمّر وينقص من عمر آخر، اي إنّ الله سبحانه وتعالى كتب طول ألعمر لأنسان وقصّر عمر إنسان آخر. بينما الآية تتحدث عن نفس ألشخص الذي يطول عمره أو ينقص.

إذن هناك كتاب يطيل الأعمار، وهناك كتاب ينقص الأعمار. من يضع هذا ألكتاب؟

رب العالمين خلق ألكتب كلها. كتاب ألموت وكتاب ألحياة موجودين في ألطبيعة ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢ ألموت والحياة من قوانين ألطبيعة.

ألكتاب ليس خط، ألكتاب مجموعة ألشروط ألتي إذا اجتمعت حصل الموت.

ألأعمار تطول وتقصر، كيف نستوعب ذلك؟

أمور كثيرة تحصل لنا نقول أنها حصلت بالصدفة. **ألصدفة موقف معرفي**.

الله حين قال

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ الرعد: ٨

هذا لا يعني أنّ الإنسان لا يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد. هذا لا يعني أننا ممكن أن لا نعرف.

وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ العلم اليوم كله يقوم على ألمقادير. تخطيط ألقلب مقادير، تحليل الدم مقادير، ألعمليات مقادير. أدخلنا علم ألكمبيوتر لنحول ألمعلومات إلى مقادير. عندما نركب دواء نقدر الكميات بالميليغرام. ألمقادير هي أحسن تعبير لفهم ألوجود.

ألوجود ألموضوعي هو ألقدر وأعلى مرحلة هذا ألوجود يدرك بالقدر.

ألموت والوفاة

اكتملت ألشروط وجاء الأجل. ألنّفس ألتي تتنفس تموت.

ألنفس هي ألتي تتخذ قرار مؤلفة من ثلاث عناصر:

- ألعنصر ألأوّل: **ألفيزيولوجيا** .. ألغرائز، ألأكل والشرب والجنس ...
- ألعنصر ألثاني: **ألقيم**
- ألعنصر ألثالث: **ألمعرفة**

هذه العناصر ألثلاث تشكل ألنفس ألإنسانية، وهذه تشكل إتخاذ ألقرار، ولهذا السبب فإنّ النّفس ألإنسانية تحاسب. ألتي تذوق ألموت هي ألأولى فقط. ألتي تتنفس.

هنا نريد أن نقول أن لا علاقة **للرّوحْ** بالموت كما هو شائع فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان يقوا ((والذي نفسُ محمد بيده)) ولم يقل < والذي روح محمد بيده > وسنفصل معنى الروح في فصول قادمة.

نعود للنفس لنقول أنه سبحانه وتعالى حين قال﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧ فإنّ المقصود هنا ألنفس ألكاملة، ليس ألنفس ألتي تتنفس. ألنفس ألتي تتنفس + ألعنصرين ألثاني والثالث يشكلوا ألنفس ألتي تتخذ ألقرار والتي تحاسب.

لنفهم معنى **الوفاة** نقرأ قوله سبحانه وتعالى

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر: ٤٢

عندنا حالتين، حالة ألموت وحالة ألوفاة. هناك تشابه ما بينهما.

ألوفاة ليست في النوم. ألوفاة تحصل أثناء ألنوم في ألمنام. ألنوم ليس وفاة ألمنام هو ألوفاة. رأينا منام مدّته ثانية، نموت، نتحول إلى تراب ثم نصحو – نبعث، هذا لا يؤثر علينا هذا هو الوفاة.

لحظة ألموت (دون رجعة) ألإنسان يرى شيئا ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ الواقعة: ٨٨ – ٩٤ هذا المنظر الذي يراه الإنسان قبل موته يكاد يشبه ألمنام. هذا المنظر إما أن يكون مريح أو غير مريح. لذلك قال عن فرعون ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٦ عرضهم على النار هو تماما كالمنام، بالنسبة للميت ثانية. هذا المنظر ألذي هو ألوفاة.

خلاصة نقول

ألموت: هو موت عضوي إنتهاء ألحياة، وتموت ألنّفس ألتي تتنفس (بيولوجيا)

ألوفاة: أيقاف كل شيء، صورة كالمنام، هذه الصورة إما جيّدة أو سيئة، وتبقى إلى أن تقوم ألساعة ويصحى كما يصحو من المنام.

ألأرزاق

أول ما يتبادر إلى ألذّهن حين يتم ألحديث عن ألرّزق قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الذاريات: ٢٢ وليأكدوا أنّ رزق الإنسانْ مُقدّرْ سلفا من رب العالمينْ يستشهدوا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف: ٣٢.

نقول أنّ هذا الفهم لهذه الآيات غير صحيح. وللأسف فإننا نقرأ آيات كتاب الله دون أن نتدبرها فلا نفهمها كما أراد الله لنا أن نفهم.

ألحديث في الآية ٢٢ من سورة ألذاريات هو حديث عام لكل البشر وليس موجها لشخص محدد. ألغطاء ألنباتي، ولحوم ألحيوانات ألتي نعيش عليها كلها بسبب ألماء، والماء مصدره ألسماء، والماء هو ألرزق، كما قال سبحانه وتعالى في سورة ألجاثية

﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الجاثية: ٥

إذا ألمطر هو ألرّزق ألذي في السماء كما تبين ألآية.

ألغطاء ألنباتي يحتاج إلى ألماء لكي ينمو, ألمياة ألجوفية أصلها من السماء، ألأنهار تتشكل نتيجة سقوط الأمطار وتجمعها في الآرض يتنفجر بعدها ينابيعا وأنهارا.

وبالتالي لولا المطر، لما كان نبات ولا عاش حيوان.

وأما قوله وَمَا تُوعَدُونَ فإشارة إلى أن ألوحي أيضا جاء من ألسماء، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٥ فالأوامرْ ألتي تأتي من رب ألعالمين إلى ألملائكة والرسلْ تأتي من ألسماء.

وقوله سبحانه وتعالى أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ

فإشارة إلى أنّ ألحياة ألدنيا لا يمكن أن تقوم إلى على تنوع ألإختصاصات. هناك ألأستاذ والمزارع ومخترع ألطائرة ووو ... إلى ما هناك من إختصاصات.

ألأستاذ مسخر أن يعلم ابناء ألمزارع، والمزارع مسخر أن يزرع لنأكل .... كل مسخر لخدمة الآخر لتستمر ألحياة على هذه الأرض ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ألحياة ألإنسانية لا تقوم بأن يعمل ألإنسان كل شيء لوحده.

ألحياة ألإنسانية حياة إجتماعية متطوّرة، وكلما تطورت ألحياة زاد ألتقليم. هناك تطور في جميع ألميادين قائم على ألتقليم.

ألمعرفة صاعدة ومحورها ألقلم، والقضاء ألإنساني صاعد ومحوره ألقدر.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ

هنا ألحديث عن ألمجتمع ألإنساني ككل وليس كشخص، لا يمكن أن يكون هناك تكافئ في الإمكانيات بين جميع عناصره. إذا كما قلنا أنا مسخر لك بمجالي، وأنت مسخر لي بمجالك ولكن قد يكون أجرك أعلى من أجري، إذ لا يمكن أن تتساوى ألأجور في كل ألأعمال. هنا جاء مفهموم ألزكاة والصدقات وأعمال ألخير والتكافئ ألإجتماعي، ألضمانات والتأمين ألصحي ... لتتأكد أن هناك مجتمع إنساني وأنّ هناك قيم.

ألرزق إذا من عمل ألإنسان ويتفاوت من شخص لآخر وللرزق مصدران، ألطبيعة وعمل ألإنسان ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يس: ٣٣ – ٣٥ هذا بالنسبة لجميع اهل ألأرض.

إذا مصادر ألرزق

- هي خيرات ألطبيعة (بهائم، نباتات، أنعام، معادن ...)
- عمل الإنسان (صناعة، تجارة، طب، وكل الأفعال)

هنا يجب أن يكون كفاءة في ألتّوزيع. لكن في الحقيقة فإن هناك تقصير إنساني. فالله سبحانه وتعالى لم يكتب على سكان إفريقيا ألمجاعة، كما أنه لم يكتب على ألأوروبيين ألتخمة. لكن ظلم ألإنسان لأخيه ألإنسان وأنانيته هي ألتي أدت إلى ذلك.

ألشّهواتْ ألإنسانيّة وَمَفاهيمْ ألجَمالْ

كتب قليلة تطرّقت إلى مفهوم ألجمال والشهوات ألإنسانية والغرائز وما زيّن للناسْ والمتاعْ وكل ما يعني ذلك. لكنّ ألدكتور محمد شحرور ربط بين هذه ألتّعابير والإصطلاحات ليستنتج مفهوما جديدا. قال تعالى في سورة آل عمران:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

قبل الحديث في مفهوم هذه الآية يجب توضيح ألفرق بين مفهوم ألشّهوه ومفهوم ألغريزة

ألشّهواتْ وألغَرائزْ

ألشهواتْ إنسانيّة والغرائزْ بهيميّة. ألإنسان في ألغرائز سلوكه سلوك بهيمي بحت. ألغرائز هي ألطعام، ألشراب، ألجنس والبقاء. هذه أمور غريزيّة موجودة في ألإنسانْ وفي ألبهائم أيضا. ألبهائم تأكل وتشرب وتمارس ألجنس وتتكاثرْ.

ألشّهوات شيء مختلف تماما عن ألغرائز. ألشهوات هي رغبات واعية. الله سبحانه وتعالى قال زُيِّنَ للنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتْ وما دام الحديث عن النّاس فهذا يعني أنّ هناك قيم وهناك معرفة. ألشهوات شيء داخل في مُدركات ألإنسانْ، يريده عن إدراك وليس بشكل أوتوماتيكي.

حين تحدث الله سبحانه وتعالى عن ألفاحشة قال ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأعراف: ٨٠ – ٨١ قال أنّ قوم لوط عليه السلام يأتون ألرجال شهوة، هذا يعني أنهم مدركون تماما لما يقومون به وإنهم يقومون بهذا ألعمل عن سابق إصرارْ وترصّدْ.

ألإسراف ليس ألزيادة كما يفهم ألبعض. ألإسراف هو ألوقوع في ألحرام. قال تعالى

﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١ لا يعني لا تأكلوا كثيرا ولا تشربوا كثيرا.

﴿ ... وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ غافر: ٤٣ حصرا هم أصحاب ألنار.

﴿ ... وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يونس: ٨٣ هل هذا يعني أنّ فرعون كان يأكل كثيرا أو يشرب كثيرا ... أبداً هذا يعني أنّهُ وَقَعَ في ألحرام.

ألإنسان ممكن أن يعزم أشخاص خمس ويذبح عشرة خراف، هذا ليس إسراف هذا تبذير. ألإسراف أن أعطيك لقمة واحدة من لحم ألخِنْزيرْ. ولذلك قال سبحانه وتعالى وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ .

ولأن الإسراف يكون في حقل ألحرام، ولأن الإسْراف يَحتاجْ إلى مَغفرة رب العالمين، قال تعالى ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

بعد مفهوم ألغريزة والشهوة والإسراف والتبذير نقول إن ألحياة ألإنسانية والإقتصاد ألإنساني يقوم على هذه ألشهوات ألتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران – ألآية ١٤، ولولا هذه ألشهوات لتضرّرَ أكثر من ٩٠٪ من الإقتصاد ألعالمي. هذه الآية قرآن ومصداقيتها يجب أن تظهر في كل عصر وفي كل مكان بدءاً بعثة ألرّسول ألخاتم وحتى قيام ألساعة.

عندما تحدث سبحانه وتعالى عن قوم لوط عليه ألسلام قال مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ ولم يقل ((ما سبقكم بها أحد)). ظاهرة أللواط ألتي كان يمارسها قوم لوط لم يسبقهم بها من أحد لأنّهم كانوا يمارسون أللواط علني وجماعي ولذلك قال ﴿ ... وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ... ﴾ العنكبوت: ٢٩. كانوا يتنادون لإرتكاب ألفاحشة. إذن ظاهرة أللواط كعمل فردي ربّما تكون موجودة قبل زمن لوط عليه ألسلام، لكن بالطريقة ألتي كان قوم لوط يمارسونها كانوا هم أول من فعلها. ولقد كانوا مدركين تماما لما يفعلوه ولذلك قال تعالى إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً . لهذا وجب عقابهم.

كون ألشهوة ليست بهيميّة فإن فيها حِساب. لاحظ ذكر ألشهوة مع ألجنة

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنبياء
ألإنسان في ألجنّة يعرف ماذا يريد.

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ فصلت: ٣١

﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ الزخرف: ٧١

إذن في ألجنة شهوات محققة وليس غرائز، كل ألشهوات ألتي نريدها موجودة في ألجنة. ألحياة هناك ليست بهيمية، وطلب الأشياء فيها يكون عن سابق معرفة وتصور.

إذا قوم لوط لم يعاقبوا على ألشهوة، ولكن عوقبوا على ألإسراف. ألشهوة هنا ذكرت لكي يبين الله سبحانه وتعالى إنّ تصرّف قوم لوط لم يكن غريزيّا وإنما كان عن سابق إصرار وترصّد، أي تصرف واعي مُدْرَكْ.

شهوة ألجنس

ألغريزة سلوك غير واعي. ألجنس مثلا غريزة بالنسبة للأنسان وبالنسبة للحيوان أيضا. لكن الإنسان إلى جانب هذه الغريزة فقد أضاف أليها ألشهوة وذلك عن طريق مُقدّماتْ ألعملية من عطور ولانْجيري وزينه وكلمات تثير الطرفين. هذه شهوات تولدت من خلال الحاجات، ولذلك يقال لمن يمارس الجنس بدون هذه ألمقدمات أنه يمارسه بشكل بهيمي، تماما كالحيوان الذي تدفعه غريزته لذلك.

شهوة ألأكل

ألإنسان أيضا حول غريزة ألطعام إلى شهوة. ألنّمر مثلا يأكل لحم فريسته نِيّة بلا ملح وبلا بهارات وبدون شواء. ألإنسان حين يريد أن يأكل فإنه يستعمل ألشّوكة والسّكين والملعقة، والملح والبهارات ويأكل اللحم إمّا مشويا أو مقليا أو حسب ما تشتهي نفسه ويضع إلى جانبه أنواعا من السلطات ألتي تزيد شهيته للأكل. حتى أننا نستخدم ألتعبير ألعامي ((أشتهي هذه الأكلة)) لأن معرفة ألإنسان دخلت في تجهيزها

شهوة ألشّراب

ألشراب أيضا حوله الإنسان إلى شهوه. فهو على خلاف الحيوان الذي يشرب الماء نرى الإنسان يشرب أنواعا مُختلفة من ألمرطبات بالإضافة إلى الماء. والإنسان يرطب الشراب حسب رغبته ويستعمل الأكواب حسب ذوقة.

ألحيوان لا يدخل اي معرفة سواء على الجنس أو الأكل أو ألشرب وإنما يقوم بهذه الأشياء بشكل غريزي.

ألتّبذيرْ والإسْرافْ

قلنا أن ألإسراف يكون في الحرام.

ألتبذير يكون في ألحلال. قال تعالى

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإسراء: ٢٦ - ٢٧

ألشيطان يُضلك حتى في ألحلال. ألصّدقة مثلا يجعلك تتصدق بكل ما تملك ولا يبقي لديك شيئا وهذا لا يجوز.

ألزّينة

قال تعالى

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ الكهف: ٧

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ القصص: ٦٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨

ألله رب ألعالمين جعل ألغابات وألجبال زينة للأرض. والله سبحانه وتعالى جعل لنا في هذه الحياة ألدنيا اشياء نتمتع بها ونزّين بها ايضا.

نعود الآن للشهوات ألإنسانية ألمذكورة في الآية ١٤ من سورة آل عمران وهي: ألنساء – ألبنين – ألقناطير ألمقنطرة من الذهب والفضة – ألخيل ألمسومة – ألأنعام والحرث ونُحاول أن نفهم ماذا تعني كل واحدة من هذه ألشهوات.

ألأية ذكرت أن هذه ألشهوات هي متاع ألحياة ألدنيا، وهذه الشهوات هي كما قلنا اساس ألإقتصاد ألعالمي.

ثانيا هذه الشهوات كلها في مجال الحلال ولا يوجد حرام واحد ضمنها.

بدأت ألآية بقوله سبحانه وتعالى زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ وانتهت بقوله ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ إذن ألحديث يدور حول أشياء – متاع.

ألأية تتحدث إذا عن أشياء – أغراض، وبعد تعداد تلك ألشهوات تنتهي ألآية بقوله ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فهذا دليل على أن تلك ألشهوات عبارة عن أشياء ولا علاقة لأي عاقل بها.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ ألناس هم ذكور وإناث مصداقا لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣ .. والناس موجودون في كل ألعالم، في نيويورك وموسكو وطوكيو وفي مكة والقاهرة ودمشق .. والله يُذكّرْ الناس، كل الناس، والله حق وقوله الحق، لذا يجب أن نرى مصداقية هذا الخبر ألقرآني في كل مكان وكل زمان على سطح هذه الكرة الأرضية.

ما هي هذه الشهوات ألتي زيِّنَت للناس؟ لنشرحها واحدة واحدة

ٱلنِّسَآءِ

ألنساء في اللغة إما جمع إمرأة وإما من ألنسيئ.

ألمتكلم عندما يخاطب ألسامع لا يقصد إفهامه معاني ألكلمات ألمفردة وإنما ألنظم. من خلال النظم نفهم أن النساء في هذه الآية لا يمكن أن تكون جمع إمرأة، فلقد قال أنها مَتاعْ ألحَياة ألدّنيا ووضعها مع ألأنعام (ألخيل والبغال والحمير والبقر والغنم ...) فهل ألمرأة شيء؟ وهل ممكن أن توضع ألمرأة مع الأنعام؟

إذا فهمت ألنساء هنا على أنها جمع إمرأة فمن حق من يهاجم الإسلام أن يقول أن المرأة غير محترمة في الدين ألإسلامي.

هنا في هذه الآية ألنّساء متاع (شيء)، وبالتالي يجب أن تكون من ألنسيء ووضعها سبحانه وتعالى كشهوة أولى في هذه الآية. وفي الواقع فإن ٩٠٪ من صناعات أهل الأرض تقوم على هذه ألشهوة. ألنسيء هو ألمتأخر من ألشيء. إنتاج ٢٠١٠ تأخر عن إنتاج ٢٠٠٩. ألإنسان في كل شيء يشتهي ما استجد، وهذه هي الشهية رقم واحد عند كل سكان الأرض. تصور لو أنّ الإنسان يلبس فقط من أجل أن يقي جسمه من ألبرد، ألنتيجة تكون أن مصانع ألبسة ستتوقف عن الإنتاج، لأن الشخص سيظل يلبس نفس ألثوب حتى لا يعود صالحا. لكن الإنسان في ملبسه يتبع ألموضة ولهذا تسمر مصانع ألألبسه بإنتاج كل جديد.

هذه ألشهوه موجودة عند كل الناس كما قلنا.

ما استجد من الأشياء، كل الأشياء: لباس، طعام، شراب، سيارات، أجهزة إلكترونية، كل صناعات أهل ألأرض، لو إن شهوة ألتجديد هذه غير موجودة ماذا حصل للصناعات ألعالمية؟

هذه متاع ألحياة ألدّنيا، ألحديث هنا ليس عن الآخرة فلا يحتج أحد ويقول وهل على الآنسان أن ينظر لهذه الشهوات؟

قد يتساءل ألبعض، ماهي ألصناعات ألتي كانت منذ عشرة قرون مضت؟ نقول حتى من عشرة قرون كان هناك صناعات وكان هناك تطور ولكنه كان بطيئا. هذا أولا. وثانيا من قال أن القرآن هو لجيلٍ معين أو لزمنٍ معين أو لمكانٍ معين؟ كتاب الله لا تنقضي معجزاته حتى قيام ألساعة؟

أيضا إذا فهمنا ألنساء هنا على إنها جمع إمراة نكون إلى جانب إساءتنا للمرأة قد أخرجنا ألنساء من

ألناس، وكأن الآية موجهة للرجال وكأن قوله سبحانه وتعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ تعني زين للرجال. أما

إذا فهمنا ألنساء على أنها من ألنسيء – ألمتأخر من ألشيء، فإننا نرى حينها مصداقية ألخبر ألقرآني في كل زمان ومكان على سطح كوكبنا ألذي نعيش عليه.

وَٱلْبَنِينَ

هنا أيضا إذا فهمنا ألبنين على أنها ألذكور من الأبناء نكون قد وقعنا في مشكلة. فالبنين ايضا لها معنيين، فهي إما

- ألذكور من الأولاد
- مجموعة ألأبنية (ألأموال غير ألمنقولة) من فعل بَنَىَ

أي مفردة آخرها هاء مثل بننه فإن جمعها بنان وجمع ألجمع بنون وفي حالة ألنصب بنين. كذلك نقول (كنانة – كنان – كنون)، (ظنانة – ظنان – ظنون) .

إن سياق ألآية هو الذي يُحدّدْ ألمعنى. ولقد وردت لفظة (**بنون**) في كتاب الله بالمعنيين. أحيانا بمعنى ألذكور وأحيانا بمعنى ألبنيان.

بمعنى ألأبناء الذكور، كما في قوله سبحانه وتعالى

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩﴾ الصافات: ١٤٩

﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣﴾ الصافات: ١٥٣

﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩﴾ الطور: ٣٩

في هذه الآيان فإن ٱلۡبَنُونَ ، أو ٱلۡبَنِينَ تعني ألأولاد ألذكور

لكن لو تأملنا الآيات

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣﴾ الشعراء: ١٣٢ – ١٣٣

هل هذه الآية تعني أن الله يُمنّنَهُمْ أنه سبحانه وتعالى أعطاهم دواب وأولاد ذكور؟ ماذا بالنسبة

للبنات؟ هذه الآية تتحدث عن قول هود عليه السلام لقومة. وَبَنِينَ هنا تعني **ألبنيان** لأنّ سياق الآيات

ألتي قبلها يشير إلى ذلك ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ ﴾ الشعراء: ١٢٨ – ١٢٩

لماذا وضع سبحانه وتعالى الأنعام مع ألبنين؟

ألأنعام لم تذكر أطلاقا مع نوح عليه السلام. ألأنعام ذُللتْ في الفترة التي امتدّتْ بين نوح وهود عليهما السلام. أي إنّ الإنسان لم يستقر (شيّد ألبنيان) إلا بعد أن ذلل الأنعام .. ذلل الأنعام فاستقر. هذا هو الخبر ألقرآني. ألمؤرخون يؤكدون ذلك ايضا.

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾ الكهف: ٤٦

هل المقصود أيضا بهذه الآية ألكريمة أنّ ألمال والأولاد ألذكور هم زينة ألحياة ألدنيا؟

ما معنى وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ؟

حديث شريف

حدثنا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو أُوَيْسٍ ، حدثنا الْعَلاءُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي , وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ ثَلاثٌ : مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ أَعْطَيْتَ فَأَمْضَيْتَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ " .

قال ألفقراء للرسول الأعظم، يا رسول الله ألأغنياء يتصدّقوا ونحن ليس عندنا شيئا نتصدّق به. فقال لهم: قولوا سبحان الله، ألحمدلله، لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ألعلي ألعظيم، فظنوا أنّ ألباقيات ألصالحات هي هذه ألأقوال.

ألباقيات ألصالحات هي ما تصدّقت به من المال أو ألبنين (ألبنيان).

ألسياق هنا يبعدنا عن فهم ألبنين على أنها ألذكور من الأبناء. كما أنّ صدق ألخبر يظهر أنّ ألمال والبنيان زينة ألحياة ألدنيا.

أيضا قوله سبحانه وتعالى في ألآيات

﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ ﴾

المدثر: ١١ – ١٣ ... بنين شهودا .. والبنات لا؟

﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩

يعني هل تنفع البنات؟

في هذه الآيات لا يتحدث عن الأبناء ألذكور. ألحديث هنا عن ألبِنيانْ. ألأهراماتْ شُهود. فرعون لن ينفعه الهرم ألذي بناه (بنون هنا من بناء)

وَٱلْبَـٰنِينَ إذا هي أشياء، أموال غير منقولة عمارات، قصور، حدائق، مصانع ... وما شابه ذلك.

وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ

ما هي ألقناطير؟ وما هي ألمقنطرة؟

ألذهب والفضة موجودان كفلزات في داخل الآرض على عمق ١٠٠٠ متر تقريبا. ألناس لا تشتهي ألذهب والفضة في هذه ألحالة. ألذّهبْ يجب ان يُسْتخرَجْ من باطن الأرض ثم يُصنّع. لو ذهبنا إلى اي صائغ في العالم لوجدنا أن الذهب والفضة مقنطر، على شكل قنطرة (منحنى - Curve). ألخاتم، ألإسوارة، ألمحبس، ألعقد، ألحلق، حتى ألأونصة في نهايتها منحنى.

إذا ألذهب أو الفضة في باطن الأرض على شكل فلزات لا يشتهيه أحد، عندما يُسْتخْرَجْ من باطن الأرض ويُصَنّعْ ويُقنطرْ يصبح شهوة. تدخل إليه معرفة – الشهوه فيها معرفة.

وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

ألمُسَوَّمْ .. أي فيه قوة. قال تعالى

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ هود: ٨٣ كل ما يملك قوة إندفاع هو مسوم "سيارة، طيارة، قطار، دراجة نارية ..." اي كل وسائل ألمواصلات، كلما تفنن الإنسان بها تدخل في ألشهوات. ألخيل أحدها، ولو كان المقصود ألخيل فقط لما ذكرت لوحدها لأنّ الخيل من الأنعام وقد ذكر سبحانه وتعالى الأنعام على أنها من ألشهوات. كم يشتهي الناس وسائل ألمواصلات وكم يرغبوا بإمتلاكها.

وَٱلْأَنْعَـٰمِ

شهوة ألناس للأنعام واضحة و داع للحديث عنها فنحن نرى كيف ينشئ ألناس ألمزارع ويهتموا بتربية الأنعام، وهي موجودة في كل الدول حيث يستفيد الناس منها في مجالات عدة: مواصلات، لحوم، حليب، جلود لصنع الملابس والأحذية ...

وَٱلْحَرْثِ ۗ

ألحَرْثْ تعني بالضبط ألمكسب.

عبد المطلب رُزِقَ بمولود سَمّاه **الحارثْ**، سألوه لم اخترت له هذا الأسم، فأجاب هذا ألكسّيب. أيضا حرث ألدنيا: مكاسب ألدنيا، حرث الآخرة: مكاسب ألآخرة.

ألناس تحب ألربح والكسب.

ألحرث في ألزراعة هو ألغلة، وليس الأرض.﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ ﴾ الأنبياء: ٧٨

﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ ﴾ البقرة: ٢٢٣

لقد قرأوا هذه الآية فظنوا أنها تشير إلى ألعلاقة ألجنسية بين الرجل والمرأة. علما أن الآية السابقة لهذه الآية قد حَسَمَتْ أمر تلك العلاقة ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ البقرة: ٢٢٢ هذه الآية جامع مانع، لقد حدد ألزمان والمكان ولا نحتاج لنقول أكثر من ذلك.

نِسَآؤُكُمۡ يخاطب ألذكور والإناث (ميم ألجماعة).

حَرۡثٞ لَّكُمۡ كل ما يستجد من الأشياء هو مكسب لكم.

زمن ألتّنزيل في القرن ألسابع، نحن الآن في ألقرى ألواحد والعشرين، لقد استجد آلاف الأشياء منذ زمن التّنزيل حتى اليوم. هل سنسأل عن كل جديد هل هو حرام أم حلال؟ لقد حسم رب العالمين لنا هذه القضية فقال تعالى كل ما يستجد هو مكسب لكم. لكن علينا أن نتّقي الله في كل ما استجد وأن لا نستخدمه إلا كما يريد الله.

قلنا عندما تحدثنا عن النّفس أن النفس الإنسانية تتألف من عناصر ثلاث: ألغرائز، ألقيم والمعرفة. والقيم هي ضمن ألسلوك ألإنساني. ألغرائز والمعرفة تعطي ألشهوات. هذه ألشهوات تضبط بالقيم. ألشهوات في ألنفس ألإنسانية، والغرائز في ألنّفس ألبشرية.

أين جاءت نساء في كتاب الله دون أن تعني جمع إمرأة؟

- سورة ألنساء.
  ألنساء هنا لا تعني جمع إمرأة. هناك أحكام أخِّرَتْ وجاءت للرّسول ألخاتم دون غيره من ألرسل، ضُمِّنتْ في سورة النساء مثل ألإرث. ألإرث لم يأتِ لرسولٍ قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

- نِسَآئِهِنَّ في سورة ألنور. هنا تعني ألذكور حصرا أي ألبنين والحفدة للذكور ألمذكورين في الآية

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

كذلك في سورة الأحزاب

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٥

أهم شيء حين نقرأ ألتنزيل ألحكيم أن نعرف أن الخبر ألقرآني صادق وأن الله قوله ألحق.

ضمن ممارسة هذا المتاع والحصول عليه صار هناك جنة ونار والله لا يعبد إلا هنا وفي الآخرة عذاب أو رحمة. ربّ العالمين يتكلم عن شيءٍ أمامنا أصبح أكثر وضوحا عنه أيّام ألصحابة.

ألأوثان – ألأصنام – ألنحت

الله سبحانه وتعالى طلب منا إجتناب ألرِّجْس من الأوثان ولم يطلب منا إجتناب الأوثان ذاتها. قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ

ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ٣٠

ألوثنية ظاهرة عامّة .. عبادة ألنجوم وثنية، عبادة ألشمس وثنية، عبادة ألقمر وثنية، تقديس ألنار وثنية.

ألرِّجْسْ هو الإختلاط في الأمور، ألإنسانْ يصنع تمثال من ألبرونز مثلا، على الإنسان أن لا يختلط عليه الأمر أن هذا ألتمثال ينفع أو يضر.

إذا كان هناك من يعبد ألشّمس فهل نُفجِّرْ ألشمسْ أو نسكن في قبو بحيث لا نرى ألشمس. لذلك أمرنا الله أنْ نجتنب ألرِّجس من الأوثانْ، لأن الوثنية هي ألظاهرة ألعامة .. ألرجس في عقل ألإنسان ليس في ألخارج.

ألشّعرْ والأدَبْ

ألشِّعرْ والأدب من أرقى أنواع ألفنون لأنهما يعبرا عن جمال ألكلمة، والكلمة إذا كانت جميلة يسهُلْ وصولها .. ألطغاة دائما أعداء ألكلمة. ألقرآن ألكريم صيغ صياغة كلامية بأرقى ما يمكن. ألقرآن ألكريم لم ينتقد الشعر والأدب، لكنه انتقد عدم الإلتزام

﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦

فَنْ ألعَمارَة ألإسْلامِيَة

طغت ألفنون على هذا ألفن لأنه كان في ذهن أصحابه أن الرسم والنحت لا يجوز ممارستهم إسلاميا. إذا اعتُبِرَ كل من ألرّسم والنّحت من ألمُحَرّماتْ، ولذا فقد انتشر فن الخط ألعربي بشكل كبير، ومن هنا فقد امتاز الخط ألعربي بأشكاله ألرائعة. هنا انعكست الثقافة على هذا الفن.

فن ألعمارة ألإسلامي مفتوح داخليا مُغلقْ خارجيا. تراه من الخارج عادي جدا ولكن ما إن تَلَجْ إلى داخله حتى تراه مطل على مناظر تسر ألعين .. هذا ناتج عن تأثير ألثقافة على ألفن كما قلنا.

آدم ونَشْأة ألكلام ألإنْساني

تكمن الأهميّة ألبالغة لقصّة آدم في ألقرآن بأنها

- تُبنى عليها قصة ألخلق في كل ألدّياناتْ
- منها بداية ألمُخالفة والخطيئة وألمعصِية
- فيها نشأة ألتّعليم والكلام ألإنساني
- هي بداية نفخة ألروح من الله عزّ وجل في ألمخلوق
- هي نقلة من ألجنة إلى سواها
- بداية إستخلاف الله سبحانه وتعالى لخليفة في الأرض، وكذلك التكليف والوعي وقضايا كثيرة سنحاول أن نفهمها في هذه ألفصل.

قصة آدم وإبليس والجنّة من أكثر ألآيات تشابها في ألقرآن ألكريم، تحتاج إلى تأويل. والتأويل ألنهائي للآية هي حين تتحول إلى حق ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾ الأنعام: ٦٧ وبما أنها أنباء من ألماضي يجب أن نعتمد على ألحفريّات والدراسات والصور وكل ما توصل إليه ألعلم للتأكد مما حصل في السابق. هذا توجيه من رب ألعالمين لنا بأن نقوم بهذه الأشياء للوصول إلى ألحقيقة،

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ ﴾ العنكبوت: ٢٠ .

نعود لقصة آدم في القرآن ألكريم. قال تعالى

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢ إذا نفخة ألروح جاءت بعد ألتّسْوية. ما هي ألروح؟

ألآيات ألبينات هي الحق، والحق هو ألوجود ألموضوعي خارج ألوعي الإنساني. كل آيات ألقرآن حق.

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ٧ ﴾
الأحقاف: ٧

آيات ألأحكام ليست حق.

عندما سُئِلَ الرسول الأعظم عن ألرّوح كان ألرّد الإلهي ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ الإسراء: ٨٥ لقد فهموا كما لو أنّ الله

سبحانه وتعالى أمرنا أن لا نسأل عن سر ألرّوح لأنها من إختصاص ربّ ألعالمين. ربّ ألعالمين في هذه ألآية أجاب بقوله سبحانه وتعالى: قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي .

ألرّوح هي ما يُقال عنها ألذاتي – ألشيء ألذي لا يُوجد له وُجودْ موضوعي.

ألصوم مثلا، له وجود ذاتي، ألوجود ألموضوعي للصّوم هو ألإنسان، ألصوم هو سلوك ما. نحن نرى إنسانا صائما ولا نرى شيء مجرد إسمه ألصّوم. كذلك الصلاة والتقوى والإحسان. إذا ألروح هي من أوامر رب ألعالمين. والرّوح قسمين: أوامر رب ألعالمين والمعلومات ألتي أعطاها رب ألعالمين، ولذلك قال تعالى قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا

جبريل عليه ألسلام نقل ألأوامر والمعرفة إلى ألرسول ألأعظم. ألتنزيل ألحكيم يحتوي على مجموعة أوامر ونواه. هذه الأوامر والنّواه حملها جبريل عليه السلام إلى ألرسول الأعظم.

لنتأمّل بعض الآيات التي وردت فيها لفظة ألروح

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣

بالنسبة لمريم عليها السلام ﴿ ... فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٧

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ... ﴿٢﴾ ﴾ النحل: ٢

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ ﴾ القدر: ١ – ٤

- ألروح هو ألذاتي (*Subjective*)
- والروح أوامر رب ألعالمين
- والروح ألمعلومات والمعرفة.

ألإنسان تميّز بالرّوح، أعطاه الله ألمعلومات والمعرفة. وأعطاه ألأمر والنهي. وأنزل الكتاب روحا من أمره، ولذلك فإن الآية ألتي تأتي مباشرة بعد الأية التي تم الإجابة فيها على السؤال حول الروح توضح هذه ألقضيّة

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾

الإسراء: ٨٥ – ٨٦

إنّ المفهوم ألسائد أن ألروح هي سر ألحياة هو مفهوم خاطئ، فلا علاقة للرّوح بالحياة. ألله خلق ألموت والحياة، والموت والحياة لا علاقة لهما بالرّوح. ألله سبحانه وتعالى أعطى ألروح لآدم ولم يعطها للبهائم. ألبهائم ليس لها أرواح. إذن:

- ألرّوح ليست سر ألحياة
- ألرّوح هي سر ألأنسنة (تحويل ألبشر إلى إنسان)
- ألرّوح هي اوامر رب ألعالمين ونواهيه
- ألرّوح هي ألمعرفة

ماذا تعني ألنّفخ

ألنفخ هو عملية ألإسراع في ألشيء

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ص: ٧٢ تسريع لتحويل ألبشر إلى إنسان

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الزمر: ٦٨ تسريع في ألصيرورة للكون

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ الكهف: ٩٦ تسريع أشعال ألنار

ألنفخ هو ما نسميه (ألطفرة) – تسارع في عملية ما. نحن ننفخ في النار حَتّى نزيد اشتعالها – هذا واضح في آية (الكهف: ٩٦)

ألبَشَرْ

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الروم: ٢٠

ألتحرّيات والحفريّات تُشير إلى أنّ البشر ألمنتصب قد وجد من ٥٠٠ مليون سنة. ألإداة ثُمَّ إِذَآ تفيد ألتعاقب مع ألتّراخي.إِذَآ شرط لما يُستقبل من ألزَّمَنْ، لو أردنا أن نعبّر عن مسافات زمنية طويلة جدا نستعمل ثُمَّ إِذَآ .

ألمسافة بين ألتراب إلى ألبشر ألمنتصب أخذت ملايين ألسِّنينْ. حين صار بشرا إنتشر في الأرض. قبل أن ينفخ فيه ألرّوح كان ألبشر يعيش ففي المملكة ألبهيميّة، لكنه كان منتصبا على قدميه. أي إن

الإنسان لم يكن على اربع كباقي ألبهائم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾

الانفطار ٦ – ٧

خلقك، فسواك فعدلك ... أي إنّ الإنسان كان أربع فوقف.

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الزمر: ٦

بداية ألخلق كان وحيد ألخليّة، وكان التكاثر ذاتي ثم جاء قانون ألزّوجيّة ثم جعل (تغيير في الصيرورة) – حتى أنّ ألعلم ألمادّي يقول ذلك.

ربّ العالمين أمرنا أن نسير في الأرض لنر كيف بدأ الخلق. لو لم نكن قادرين على ذلك لما طلب الله منا ذلك. إذا علينا أن نسير في الأرض ونفهم بداية الخلق كيف حصل وأن لا ننتظر أن يأتي الغرب ليقول لنا تلك الحقائق ثم نقول أن القرآن أشار إلى هذه الحقيقة منذ ١٤٠٠ سنة.

ألأنثى جاءت بعد الذكر، ونحن نعرف أن الذكر يحتوي على كروموسومين (X,Y)، ألمرأة عندها كرومسومين (X, X) . إذا ألمرأة تعطي دائما X ، أما الرجل فيعطي X وفي هذه الحاله يكون

ألجنين أنثى أو يعطي Y وفي هذه الحالة يكون ألجنين ذكر. إذا هكذا نفهم ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا .

ولكن ما هي علاقة وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ بالسياق

هذه إشارة على أن البشر ظهر على سلم الخلق مع الأنعام ((حتى الآن نحن نتكلم عن البشر أي قبل أن يتأنْسنْ)). إذن ألبشر خلق مع الأنعام وانتصب.

يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ

- بدأ ألخلق في ألبحار (ألظلمة ألأولى)
- ألظلمة ألثانية ألبرمائية (ألبيض)
- ألظلمة ألثالثة (ظلمة ألرّحم)

تطور ألإنسان في بطن أمّه يعطيك هذه ألظلمات.

- ألظلمة ألبحرية (ألخلية)
- ألظلمة ألبرمائية (ألخلاص)
- ظلمة ألرحم

خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ أي إن هناك ثلاث مراحل من ألتّصميم.

هذه الأية من ألآيات ألبينات – هذه الآية قرآن، هذه ألأية وأمثالها هي التي قالوا عنها أنها سحر، لأنهم كانوا يسمعونها دون أن يدروا ماذا تعني تلك الكلمات.

ألخلافة

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ البقرة: ٣٠

أحد معاني ألخلافة هو أن أ يخلف أحدٌ آخر. تماما كما قال موسى لأخيه هارون عليهما السلام

﴿ ... وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾ الأعراف: ١٤٢

أو قوله سبحانه وتعالى لداوود ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾ ص: ٢٦

إذن ألخليفة له إرادة ألأمر وألنّهي.

هذه الخلافة أعطى الله سبحانه وتعالى ألقوة فيها لداوود عليه ألسلام

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ ﴾ سبأ: ١٠

أيضا ألله سبحانه وتعالى حين جعل الإنسان خليفة في الأرض فإنه سبحانه وتعالى سخر له ألطبيعة وأعطاه ألقدرة ايضا على تسخيرها لمصلحته. هذه الإمكانية تحتاج إلى قانون أخلاقي.

ألخلافة أعطيتْ في الأرض

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ

ولكي يكون خليفة في الأرض يجب أن يكون له ميزتينْ:

- ألأمر والنهيْ
- ألمعرفة

وهذا هو **ألرّوح**

إذاً انتصب البشر بعد أن كان يسير على أربع وحُرِّرَتْ يداه لكي يستطيع ان يقوم بالأعمال ألمطلوبة. ثم أعطى ألبشر حنجرة قابلة للتصويت. هنا أصبح البشر جاهزا للأنتقال من المرحلة البهيمية وأن يصبح خليفة في الأرض.

ألملائكة شهدت بما عرفت أمامها، فلقد كان البشر يعيش تماما كبقية ألبهائم وربما يأكل بعضه بعضا تماما كما تفعل بقية ألدواب ولذا كان قول الملائكة لرب ألعالمين قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ . لكن الله نفخ الروح في البشر فأعطاه الأمر والنهي وأعطاه ألمعرفة **وتحول البشر إلى إنسان.**

هنا الحلقة ألمفقودة في نظرية دارون. ألإنسان لم يتطور من قرد إلى إنسان، ولكنه تحوّل من بشر إلى إنسان، ألقردة لم تنفخ فيها الروح فبقيت قردة.

إذا كمعادلة رياضيّة نقول: **ألإنسانْ = بشر + روح**

ألبشر (بيولوجي)، نحن نقول كلية ألطب ألبشري – تدرس أعضاء ألإنسان. يقابل هذه ألدراسة ألعلوم ألإنسانية والتي تدرس، ألأخلاق، ألحقوق، ألسياسة، ألأدب ... ألدراسات ألخاصة بالإنسان كمجتمع.

إذا ألملائكة سألت كيف يختار الله سبحانه وتعالى من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فكان قوله سبحانه وتعالى إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ.

ألله يعلم أن هذا الكائن سيصل إلى الفضاء وسيغوص إلى قاع ألبحار وأهم من هذا كله أنه سيعبد ألله بمحض إرادته وسيعصى أيضا بإرادته .. ألملائكة لا تعصى.
ولذا فلقد أعطى الله هذا الإنسان **ألمعرفة**، فالمعرفة شيئ أساسي لأتخاذ ألقرار، يجب أن يعرف لكي يقرر أن يفعل أو لا يفعل. فكيف اكتسب الإنسان المعرفة؟ يأتي الجواب

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ ﴾ البقرة: ٣١

بماذا علم آدم وما هي وسيلة التعليم؟ جاء الجواب في سورة ألعلق ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ ﴾ العلق: ٤. أي **بالتَّقليمْ**. هذا هو أساس ألتعليم ألتقليم (ألتمييز)، وهذا ما يفعله الإنسان في كل زمان ومكان إن أراد أن يتعلم.

لكن ما هي ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا التي علمها الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام؟

جاء التفصيل في قوله ثُمَّ عَرَضَهُمۡ ولكن قبل أن نشرح ذلك نريد أن نقول أننا نعتقد أن آدم ليس

شخص وإنما هو إسم جنس للمجموعة الآدمية والتي هي مجموعة من البشر الذين انتشروا في الأرض قبل انْ ينفخ الله الروح في ذلك الكائن ليعطه المعرفة ويجعله خليفة في الأرض. من هنا جاءت كلمة آدم .. **آدم هو ألمخلوق ألمتكيّف ألمتلائم**.

أيضا نريد أنْ نقول أننا نعتقد أن آدم وزوجه لا تعني آدم وإمرأته، اي ليس ذكر وأنثى. قال تعالى

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ ﴾ الروم: ٢٠

إنتشر البشر في الأرض قبل الإنسان. ألبشر هو أكثر مخلوق متلائم أن يعيش مع ألطبيعة. الله سبحانه وتعالى اصطفي آدم (مجموعة من البشر) وزوجه (إنسان نياندرتال - Neandertal). آدم هو نحن، زوجه – إنسان نياندرتال. انقرض إنسان نياندرتال وبقينا نحن – ألحفريات تؤكد ذلك.

نعود الآن إلى قوله تعالى ثُمَّ عَرَضَهُمۡ ، ونسأل ماذا يُعْرَضْ؟

ألأسماء لا تعرض، ألحب لا يعرض، ألتوبة لا تعرض، ألإحسان لا يعرض ... ما يعرض هو ألمسميات وليس الأسماء. الله سبحانه وتعالى قال **ثُمَّ عَرَضَهُمْ** ولم يقل ثم عرضها.

إذا أصبح آدم قادرا على ألتّمييز. أصبح يميّز كل شيء يصدر صوتا في الطبيعة.

كُلَّهَا بدأ ألتمييز بالأصوات، لم يكن هناك مخاطب ومتكلم. لكن أصبح هناك علاقة بين الدال

والمدلول. ألقطة (نَوْ)، ألكلب (عَوْ) .. وإلى الآن اي إنسان يولد ضعه في غابه فإنه سيقلد كل الأصوات ألتي يسمعها هناك.

مطلوب منا أن نبرهن على مصداقية التنزيل ألحكيم. ألآن هناك إمكانيات لفهم هذه الآيات. ألتاريخ صاحب ألحق في إظهار مصداقية ألتنزيل ألحكيم. ألتاريخ ألإنساني وتطور ألتاريخ ألإنساني هما أصحاب ألحق لإظهار ألمصداقية.

نحن نصدق أن هذا الكتاب من عند الله، ولذا نقول أنّ آيات ألقرآن هي دليل أيماني وليس دليل علمي إلا بعد أن تظهر مصداقيته على أرض ألواقع. ألمصداقية تتطور ألتأويل ألنهائي عندما يتحول ألنبأ إلى خبر يتحدث به ألناس.

ألهُبوط

هناك هبوطين في ألمصحف بينهما آية واحدة

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا

﴿ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٥ - ٣٨

بين ألهبوطين كان هناك ألإنسان ألعاقل. بعد ألهبوطين صار الإنسان ألعاقل ألعاقل والذين نحن منهم.

ألهبوط في أذهان ألنّاس أنه من ألجنة إلى ألأرض.

نقول هناك هبوطين وبين هذين ألهبوطين آية واحدة. هل في هذه الآية سر؟

كيْفَ عَصى إبليسْ قولُ الله والله قولَهُ ألحَق؟

ألله قوله ألحق. والله قوله نافذ، فكيف عصى إبليس ربه.

الله سبحانه وتعالى لم يقل لإبليس أن يَسجُدْ، لكنه أمره بذلك ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢

ألله قال للملائكة اسجدوا. لذلك سجد الملائكة، أما إبليس فقد عصى. لأنّ الله حين يأمرنا فإننا قادرون على أن نطيع أو أن نعصى. قال تعالى

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠

ألله سبحانه وتعالى امرنا بالعدل والإحسان فهل كل الناس تَعدلْ وتُحسِنْ؟

والله أمرنا بالصلاة وبصوم رمضان، فهل كل الناس تصلي وتصوم؟

من هنا نفهم كيف عصى إبليس رب العالمين ولم يسجد لآدم. لو قال الله لإبليس اسجد لسجد ولن يكون بمقدوره أن يرفض لأن الله حق وقوله الحق. لكنّ الله سبحانه وتعالى أمر إبليس بالسجود ولذا كان لإبليس القدرة على ألعصيان.

ألطاعَة وَالمَعْصِيَة

إبليسْ وعِصْيانه

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥

لأوّل مرة يُذكر ألزّوج.

لم يذكر في الكتاب أنّ الله نفخ الرّوح في زوج آدمْ، لقد جاءت نفخة ألرّوح فقط لآدمْ.

آدم مجموعة من ألناس، زوجه مجموعة من ألبشر. لقد حصل قانون ألتكيف والتكيف ألمتبادل بين آدم وزوجه، أي بين تلك المجموعة ألتي نفخ الله فيها الروح وبين المجموعة الثانية التي لم يتم نفخ ألروح فيها. لقد سكنت ألمجموعتان معا، حصل بينهم تأثير وجدل. علّم آدم زوجه. ثم انقرض زوج آدم (زوج آددم ليس حواء كما هو معتقد). ألذكر والأنثى موجود في كل ألمخلوقات حتى في البهائم.

وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

ألقضيَة هنا رمزية، ألإنسان بدائي جدا، كيف ممكن أن يفهم؟ أكثر عنصر مشخص في الطبيعة هو ألشجرة. ألمهم هنا أول نُهْيْ إلهي للجنس ألبشري، هذا ألنّهي إنتهي ألآن.

ما يهمنا أنّ الله سبحانه وتعالى يصور لنا مرحلة ألتّطوّر ألإنساني والتي تعتبر قصيرة جدا إذا ما قورنت بتطور ألبشر على الأرض، ففي حين استمرت فترة تطور ألبشر حوالي مئات ألملايين من السنوات لم تستغرق فترة تطور الأنسان لينتقل من المنطقة ألبهيمية إلى ألأنسنة أكثر من ١٠٠ ألف سنة.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩

هذا عند الله، لم يقل سبحانه وتعالى عند الإنسان بل قال عِندَ ٱللَّهِ ، بالنسبة لنا تطور ألبشر أخذ مئات

ألملايين من السنوات. آدم عليه السلام حتى تطور استغرق ذلك ملايين ألسِّنين، أما عيسى عليه السلام فقد استغرق دقائق.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦

تفاعلا وتخاصما إلى حين، هذا ألحين أخذ حوالي ٦٠ ألف سنة .. فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ هنا يقصد ألحالة ولا يقصد ألجنة. وحين قال تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥ فإن الجنة المقصودة هنا ليست جنة المتقين .. جنة ألمتقين دائما تُوصف. وجنة الآخرة ليس فيها موت حتى يدخل ألشيطان من هذا الباب ليوسوس إلى آدم عليه السلام.

ألجنة هي كل مكان فيه مجموعة من الشجر والزرع، وهذا واضح تماما في قوله سبحانه وتعالى في سورة ألكهف ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الكهف: ٣٢

أيضا ألهبوط ألمشار إليه في الآية (البقرة: ٣٦) لا يقصد به الإنتقال من السماء إلى الأرض، ألقرآن يُعبّر عن هذا الإنتقال بألنّزول .. أما الهبوط فإنه تعبير عن إنتقال من مكان إلى أخر على نفس ألمستوى، تماما كما أشار سبحانه وتعالى إلى هبوط بني إسرائيل

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١

فهل هبط بنوا إسرائيل من السماء إلى الأرض؟

إذا ألهبوط هو إنتقال من حالة إلى حالة وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ .. صار هناك صراع بين آدم وزوجه.

آدم .. تعبير عن ألمجموعة ألواعية ألتي نفخ الله فيها ألروح فتحولت من بشر إلى إنسان
والزوج .. تعبير عن ألمجموعة ألثانية ألتي تأثرت بها ولكن لم ينفخ فيها الروح أي لم تتأنسن.

إذا آدم عبارة عن جنس وليس شخص، آدم مجموعة من البشر اصطفاهم الله ونفخ فيهم الروح فتحولوا من بشر إلى إنسان ..

كذلك فإن زوج آدم هي مجموعة البشر ألتي لم تتأنسن ..

ماذا حدث بعد أن عصى آدم ربة واستقر في الأرض؟

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ البقرة: ٣٧

هذه ألآية إشارة إلى قفزة هائلة حدثت في بعد الهبوط. لقد أعطى الله لآدم ألتجريد .. ألتلقي يأتي دائما من ألخارج ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ ﴾ النمل: ٦ ..

لأول مرة يأتي مفهوم ألتوبة – معنىً مجرّدْ. هنا بدأت ألعلاقة ألغير طبيعية بين ألصوت والمدلول.

ألنهي مشخص ←——— وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ... ثم ألتوبة (مجردة)

ماذا فعل آدم حتى تاب؟

﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ﴾ طه: ١٢١

أدم فقط ألذي عصى ربه زوج آدم لم يعص .. زوج أدم لم يكن معه.

فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا أي بدى له سوء عمله

وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ (سلوك طفولي) حاولا ألإختباء، تماما كما يتصرف أي طفل عندما يُذنب فإن أول ما يفكر به هو الإختباء.

ثم اجتباه ربه فتاب عليه، ألمُسْتقرْ والمتاعْ إلى حين انتهى.

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ ﴾ البقرة: ٣٨

قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ لم يقل هنا بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ .

هنا إشارة إلى إن ألمجموعة ألثانية (زوج آدم) إنقرضت وهذا حدث بعد ألهبوط ألثاني.

أصبح هناك ألإنسان ألعاقل ألعاقل.

بعد ألهبوط ألأول كان هناك ألإنسان ألعاقل فقط.

ألكائن ألمنتصب	قبل آدم	
ألكائن ألمنتصب ألعاقل	قبل ألهبوط ألثاني	(تسوية جسدية)
ألكائن ألمنتصب ألعاقل ألعاقل	بعد الهبوط ألثاني	(تسوية جسدية وعقلية)

إذا كان هناك تسوية جسدية ثم تسوية عقليه. في هذا الوقت نما ألدّماغ ألإنساني.

ألهداية والضلال لا يُورثا في ألجينات، كذلك ألمعرفة لا تورث .. ولهذا السبب نحتاج إلى ذاكرة كبيرة. وهنا كانت ألقفزة الهائلة – ألتعبير ألمادي للطفرة.

يقول ألدكتور محمد شحرور أنه لا يوجد في ألطبيعة مجردات، ويتساءل: من أين جاء ألتجريد وهنا يتحدث عن توبة آدم ليقول أخيرا أن هذه الإشارة ألتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قصة آدم كانت من أهم الأمور التي جعلته يؤمن أنّ هناك خالق.

ألنظرية ألمادية في ألمعرفة تؤكد أنّ ألمعرفة تكون من ألخارج إلى الداخل. في ألخارج لا يوجد مجردات، من أين جاءت ألمجردات. ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧ مفهوم ألتوبة جاء من ألخارج. مفهوم ألتجريد جاء من ألخارج.

وإلى اليوم كل أللغات ألإنسانية ألمجردة تعلم لأهل الأرض جميعا، ولو لم يكن هناك تعليم لما كان هناك لغة ولقلد أهل الأرض ألأصوات تقليدا. فالطفل مثلا يقول (مَوْ) قبل أن يقول قطة، ويقول (عَوْ) قبل أن يقول كلب.

باختصار نحن والكرة الأرضية وما عليها نتيجة ألهبوط ألثاني.

إجتباه ... إصطفاه

يذكر ألقرآن ألكريم أن الله سبحانه وتعالى مرة اصطفى آدم ومرة اجتباه، فما هو الفرق بين ألإصطفاء والإجتباه؟

اصطفاه حين قال سبحانه وتعالى ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ، **واجتباه** لوحده أي بعد فناء ألزّوج.

إبليس – من هو أو ما هو إبليس؟

اعتبر الدكتور محمد شحرور إنّ إبليس والإغواء والعصيان ضرورة وليس مجرد حادثة أو قصة، ويوضح ذلك بقوله أن إبليس لو فعل تماما ما أمره رب ألعالمين لأصبح ملاك. رب ألعالمين يريد أن يعلمنا أن حرية ألإختيار لا تُعْرَفْ إلا بالطرف ألمقابل .. لماذا غفر الله لآدم وتاب عليه؟ آدم عبر عن حرية اختياره بالمعصية.

ألحرية تعبر بكلا قبل نعم .. والله لا يستحي من الحق. وجود ألمعصية دليل على ألحرية، ورب ألعالمين يحب أم يعصى ويستغفر. هنا تأتي جدلية ألطاعة والمعصية والتوبة.

دور إبليس

في الأديان ألسابقة كان هناك إله ألشر وإله ألخير. عندنا هناك إله واحد .. إبليس رمز للشر حتى لا نقول هناك إله شر.

هذا ما يسميه علم ألنفس (ego) هذا ما فعله إبليس

﴿ ... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ طه: ١١٨

قدم له تصور وهمي.

عندما أعطى الله الإنسان ألمعرفة أصبح محتاجا إلى قانون أخلاقي.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ هذه ألمعرفة.

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٣٨ هذا هو ألقانون الأخلاقي.

ألمعرفة + ألقانون ألإخلاقي = ألنّفس ألإنسانية

ألغرائز + ألمعرفة + ألقيم ألإخلاقية يعطونا ألقرار كيف نتصرف. وهؤلاء الثلاثة يشكلوا ألنّفس ألإنسانية ألتي قال سبحانه وتعالى عنها ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ الشمس: ٨ وهذه هي النفس ألتي تتوفي.

ألنفس ألتي تحاسب (ألقيمة ألإخلاقية + ألمعرفة)

ألروح = ألقانون ألإخلاقي + ألمعرفة

ألروح + ألغرائز = ألنفس ألإنسانية

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الزمر: ٧٠ .

ألآن إذا تأملنا ألآيات

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٦ - ١٧

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٢ - ٦٤

نحن أمام مشهد قرآني مليء بالمعاني – مداخل ألشيطان عديدة: صوتك، جنبك، رجليك، شاركهم بالأموال والأولاد، وعدهم.

مداخل ألشيطان إلى ألنفس ألإنسانية:

- لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ألصّراط ألمستقيم هي ألقيم ألتي وردت في سورة الأنعام ألآيات (١٥١ – ١٥٣) ألشيطان يمنع الإنسان ألقيام بها.
- لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ حنك ألإنسان ألدّابّة أي لجمها، وهناك ألحنكة أي طول ألممارسة وما يفعله ألشيطان هو ربط وتوجيه ألإنسان.
- وَٱسْتَفْزِزْ (ألإستفزاز) جعلك تخرج عن طبيعتك
- بِصَوْتِكَ (ألصوت) حب ألظهور .. ألنّجوميّة
- بِخَيْلِكَ (ألتّخيّل) ألوقوع بالوهم ... ألفعل هنا من ألخيلاء
- وَرَجِلِكَ من ألقدرة كقوله (ألرّجال قوّامون على ألنِّساءْ) أو ألسلطة
- وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كيف يشاركهم – فلان نصب لفلان شرك (مكيدة)

  أي فخ، من أجل الأولاد يكذب، يأكل مال ألیتيم، يشهد شهادة ألزّور، ومن أجل ألمال ممكن أن يعمل كل شيء.

إذا هذه هي مداخل ألشيطان للنفس الإنسانية. آدم عليه السلام وقع في ألمكيدة، ولكنه تاب. ألمعصية والتوبه فقط للإنسان.

ألغواية والضلالة

الغواية: فيها شيء مقصود ... (هناك محرّض)

ألضلالة: لا يدري أنه على خطأ .... (ضل الطّريق مثلا)

في الحياة ألدّنيا ضلال والآخرة هداية ... (دلالة بدون إكراه).

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧١ – ٧٣

في الحياة أليوميّة ماذا يحصل؟

ألشيطان يمارس عمله ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٧

ألكل يشكوا .... ولكن ماذا تعني مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ؟

حين نقول ماذا بين يديك الآن؟ فإننا نعني ما تفعله الآن أي عملهم أليومي.

وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ اي يجعله يتراجع في قراراته – يوسوس له ألشيطان ليغير قراراته.

وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ أي صاحب أليمين وليس جهة أليمين

وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ أي أشملهم جميعا أيضا ليس المقصود هنا جهة ألشمال

وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ألغرور هو عدم النضوج في القرارات، كل هذه ألوعود غير ناضجة ... وعود شيطانيّة.

هل يقبل الله سبحانه وتعالى توبة إبليس؟

إذا تاب إبليس لا يوجد عمل لرجال ألدين لأن أحدا لن يغلط وسلوك ألبشرية يصبح مئة بالمئة. لكن ألبشرية قائمة على الخير والشر والمعصية والتوبة.

آدم عصى وتاب .... ألمغفرة.

عصيان إبليس ... ألمجتمعات ألإنسانية بما هي عليه الآن جاءت من عصيان إبليس، بمشيئة من الله، ولهذا السبب قال فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي .

إذا هذه ألعملية جاءت عن سابق إصرار وترصد ولم تأت صدفة، ولهذا قلنا إنها ضرورة حتى يوجد جدل ألإنسان والفكر ألإنساني.

لكن قبل أن أنهي أريد أن أقول أنّ هناك نوعين من ألشياطين يجب أن نميز بينهم:

- شيطان ألحق والباطل ... كل إنسان لديه شيطانه ألخاص (جدلي)
- شيطان ألأخلاق ... ممكن أن يأتي جمعا (شياطين ألإنس والجن)، هؤلاء لهم عمل قائم على:
  - ألخطأ
  - ألضلال
  - ألتكبر
  - ألغرور
  - ألوهم

ألحياة ألإنسانية قائمة على ألجدلية بين هذين ألإثنين.

ألإسلام والمسلمون

قبل نصف قرن من الزمانْ تلاقت رؤى المفكرين من ألغرب والشّرق على مصير ألبشرية وما ستكون عليه أحوال ألإنسانية في المستقبل وهم يتصدون في عصرنا هذا وما بعده .. من الشرق والغرب تنبأ كل منهم بأمرٍ ما وبأنّ هذه البشرية لن تعيش إلا ضمن مجمع سكني واحد. هذا ما قاله ألمفكر والكاتب ألإسلامي ألراحل **مالك بن نبي** حيث توقع في كتابه الذي صدر أواخر ألخمسينات وأوائل ألستينات وعنوانه "حديث ألبناء ألجديد" إن ألبشرية ستضطر إلى ألعيش في مجمع سكني واحد وقال في نهاية كتابه "حديث ألبناء ألجديد"، إنه إذا شبت النار في إحدى الشقق فإن بقية الشقق لن تكون بمنأى عن الخطر. هذا عن مالك بن نبي.

ألفين توفلر صاحب كتاب "صدمة ألمستقبل" تنبأ بعصر الإستبدال ألسريع وعلى أكثر من مستوى. في مستوى الأشياء والتطور والتكنولوجيا والإختراعات. في مستوى الأفكار قال إن النّاس سوف تستبدل أفكارها بسرعة في ألعقود القادمة. وفي مستوى الأشخاص قال لن يكون هناك ألمدير الأبدي ولا ألصديق ألأبدي ولا حتى ألزوج ألأبديّ.

ألمفكر ألإسلامي **جودت سعيد** رَكز على مشكلة ألعنف وأصدر كتابه في نفس ألحقبة "مذهب ابن آدم الأوَّل" وتَوَّجَهُ بالآية ألكريمة ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾ المائدة: ٢٨.

بقي ألمفكر والفيلسوف ألبريطاني **برنارد راسل** في كتابه "هل للإنسان مُستقبلْ" قال إنّ البشرية ستضطر إلى اختيار نظام أو مبدأ أو عقيدة ما تكون جامعة لبني ألبشر، وحدد سماتها كضرورة وليس كأيديولوجيا وحدد سمات هذه العقيدة بأنها يجب أن تكون:

- تنبُذْ ألحروب والعنف
- تعْترِفْ بالآخر
- يتعايشْ الناس فيها أخوّة
- يصون ألكوكب الأرضي – نُسمّيه اليوم مشاكل ألبيئة.
- فيها نوع من الأيثار في مشكلة ألغذاء.

وقال برنارد راسل في كتابه إنّ ألبشرية ستلجأ مُضطرة لإنشاء نظام عالمي ليس بالمفهوم ألسياسي دائما – بالمفهوم ألإجتماعي. هذا ألنّظام ألعالمي ألذي يحمل سمات حددها هو ستلجأ إليه ألبشرية مُضطرّة لتستمر. وقال ليس أمامها سوى **ألشيوعية** أو **الإسلام**.

أما ألشيوعية فقد أسقطها من حسابه لأنها تصادر مساحة من ألروح عند الفرد ولأسباب أخرى أيضا. قال بقي ألإسلام.

إذا أخذنا مبادئ ألإسلام فإنها تحمل نفس ألشروط ألمطلوبة. هذا ما قاله راسل. لكن ربما تلجأ ألبشرية إلى إسلام مستعار، أو تحت إسم مستعار، أو نظام يشبه ألإسلام. لقد رأى أكثر ما رآه كثير من ألمُسلمين. رأى شيئا ما في عالمية ألإسلام.

ماذا رأى هؤلاء ألفلاسفة والمفكرين في الإسلام ولم نره نحن؟

أولا: ألخطاب ألإسلامي في ألقرن ألعشرين كان خطاب محلي، يعني إننا نحن ألمسلمين نقف أمام ألمرآة ونخاطب أنفسنا. لم نستطع أن نقفز بالإسلام إلى الصفة ألعالمية. أي إننا لم نستطع أن نقدم مصداقية قوله سبحانه وتعالى

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ الأعراف: ١٥٨

ومصداقية قوله

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

يجب أن نرى هذا على أرض ألواقع لا أن نعرض إسلام في ألفراغ. يجب أن تكون لدينا لغة (خطاب) تقدم ألإسلام إلى كل أهل ألأرض، وأن تكون مفهومة للعقل ألإنساني – فيه ألعالمية واضحة، فيها ألبعد ألإنساني واضح جدا .. هذا ألإسلام.

ثانيا: نحن نقدم إسلام ونخلط بين ألإسلام والسياسة. هذا ألخلط بين ألإسلام والسياسة يضر بالإثنين، يضر بالإسلام ويضر أيضا بالسياسة.

ما معنى كلمة إسلام؟

- ألإسلام يأتي من مشتقاته ألسلام، ألتسليم، الإستسلام والسلامة.
ألإسلام عندما يكون شخص لآخر .. أسلم يعني ألإستسلام. عندما قال سليمان عليه ألسلام لبلقيس ملكة سبأ ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١ ﴾ النمل: ٣٠ – ٣١ فأن سليمان عليه السلام طلب ألإستسلام من بلقيس.

- ألإسلام لله سبحانه وتعالى هو ألتسليم وليس ألإستسلام. الله بم يطلب منا الإستسلام. طلب منا ألأيمان بالله – أن نُسلم أي أن تكون تلك مُسلمة. والإسلام في هذا ألمفهوم له ثلاث مستويات. مستوى كوني، مستوى عالمي ومستوى محلى. نحن وللأسف وقفنا عند ألمستوى ألمحلي.

أما ألمستوى ألكوني فنفهمه في قوله سبحانه وتعالى

﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ آل عمران: ٨٣

ألربوبية كرها والألوهية طوعا. شئنا أم أبينا فإن الله رب ألنّاس جميعا وهو رب ألعالمين ورب كل شيء، ولكنه إله ألعاقل ولذلك قال سبحانه وتعالى ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ .

إذا كان هناك مخلوقات عاقلة في كوكب ما في هذا الكون الفسيح فإنهم بلا شك قد سمعوا وعلموا أنّ هناك إله. إنّ ورود مَن في الآية الكريمة تشير إلى أن هناك عاقل. هذا العاقل بمفهوم ألإيمان بالله مثلنا مثله، هو يؤمن بالله ونحن نؤمن بالله أيضا، لكنا لا نعلم شيئا عن شعائره.

هذه هي تذكرة ألدخول إلى الإسلام – ألإيمان بالله واليوم ألآخر. تُسَلِمْ أن هناك إله وأنّ هناك بعث وحساب. فإذا أضفت لهذا الأيمان ألعمل ألصالح فلا خوف عليك ولا تحزن، تصديقا لقوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ البقرة: ٦٢

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ البقرة: ١١١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ فصلت: ٣٠

ونسأل هل بدأ الإسلام مع الرسول ألخاتم ونحن نقرأ قوله تعالى:

ألجن	﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤﴾ الجن: ١٤
إبراهيم	﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ آل عمران: ٦٧
يعقوب	﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ البقرة: ١٣٢

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١	يوسف
﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٦	سحرة فرعون
﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس: ٩٠	فرعون
﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ٥٢	ألحواريّون
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يونس: ٧٢ - ٧٣	نوح
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الذاريات: ٣٥ - ٣٦	لوط

إبراهيم عليه ألسلام أول من وصل إلى توحيد الله بتفكيره وبنظرته إلى ألكون.

رأس ألإسلام: لا إله إلا الله (ألتوحيد)

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
الأنبياء: ١٠٨

عندما يذكر الله وحده يقول مسلمون، ولكن عندما يذكر الله ومعه أحد لا يقول مسلمون.

هناك إذن شهادتان لأتباع ألرسول ألخاتم فنحن نقول:

أشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله وأشْهَدُ أنّ مُحَمّدا رَسوُلُ الله

لو قال لا رَبّ إلا الله لقلنا مُحَمّدْ نَبِيّ الله

إذا ألإسلام بدأ بنوح وخُتِمَ بالرّسولِ ألأعظم. هذا الدين (الإسلام) له فروع ثلاث أو حقول ثلاث

- ألفرع ألأوّل: ألقيم خضعت للتراكم ولم تأتِ دفعة واحدة
- ألفرع ألثاني: ألشرائع خضعت للتّطوّر
- ألفرع ألثالث ألشعائر خضعت للإختلاف

ألقيم: أوّل ركن من أركان ألأسلام ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥

نوح جاء بالتّوحيد وبر ألوالدين ...... والتّوحيد هو ألقيمة ألمشتركة بين ألنبوة والرسالة. ألنبوّة فيها توحيد والرسالة فيها توحيد.

شعيب جاء بالتوحيد وإيفاء ألكيل والميزان ولا تبخسوا ألناس أشياءهم. لقد صار هناك قيمة جديدة على سلم التاريخ، ذلك أنه مع شعيب عليه السلام صار هناك تبادل للسلع فتطلب ذلك تلك القيمة.

إذا ألرسالات إنتقلت وتطورت، ولو أردنا أن نشبه ذلك التطور نستطيع أن نقول أن نوح عليه السلام يمثل الطفوله والرّسول الأعظم يمثل ألتّخرّج من ألجامعة. بعد ألتخرج أصبحت ألبشرية قادرة على ألتشريع، ولم يعد هناك رسل وأنبياء. نحن اليوم نعيش عصر ما بعد الرسالات. نحن اليوم لسنا كقوم نوح، يجب أن يكون هذا واضحا في أذهاننا ونحن نقرأ ألتنزيل ألحكيم.

إبراهيم عليه ألسلام عندما قال ﴿ ... إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ... ﴾ الصافات: ١٠٢

يعني أنه إبراهيم سيقتل ولده إسماعيل عليهما ألسلام.

ألجريمة ألأولى بدأت عندما قتل قابيل أخاه هابيل، لكنّ ربّ ألعالمين حَرّمَ قتل ألنفس مع رسالة موسى عليه ألسلام. إذن حتى رسالة موسى عليه ألسلام كان ألقتل قرار إنساني.

إبراهيم عليه ألسلام حين فكر بذبح إسماعيل عليه السلام كان منطقيا في تفكيره لأنّ القتل لم يكن قد حرِّمْ.

أيضا إبراهيم عليه السلام رأى في ذلك الوقت أنّ هناك سوقا للآلهة: إله الشّمس، إله القمر ... آلهة كثيرة، وكان القوم عندما يتحدّثوا يقولوا إله إبراهيم ليميّزوه عن آلهتهم.

هذا أيضا كان واضحا مع موسى عليه السلام فالسحرة عندما آمنوا قالوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢١ – ١٢٢ لأنّ الآلهة كانت كثيرة.

نحن حين نقول إله لا نقصد إلا إله واحد، لكن قديما لم يكن الأمر كذلك، لقد كان هناك تعدد للآلهة.

ولكن لماذا عاقب فرعون السحرة؟ الجواب واضح في قوله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ طه: ٧١ إذا ألعقاب كان لأنّ السحرة لم يستأذنوا فرعون بذلك. لو استأذنوه ربما سمح لهم لكنه تصرف ألطاغية.

إذا القيم اكتملت عند موسى ثم عيسى ثم الرسول الأعظم.

فالقيم جاءت منظومة متكاملة إلى موسى عليه السلام ﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٥٣

ٱلۡكِتَٰبَ شريعة،

وَٱلۡفُرۡقَانَ مجموعة من القيم (ألوصايا ألعشر)

ألشريعة جاءت معدّلة لعيسى عليه السلام ﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ آل عمران: ٥٠

جاءت أيضا للرسول الأعظم ولكن ألفرق في ألقيم.

ألوصايا ألعشر جاءت أوامر ونواه بالنسبة إلى موسى عليه السلام .. (لا تقتل، لا تزني، إتبع تعاليم ألرب إلهك...) لكنّها بالنّسبة للرّسول الأعظم إنتقلت لتصبح محرمات.

﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ ــ ١٥٣

ألحرام كما قلنا شمولي وأبدي.

وكلمة حرام أول مرة وردت في المصحف الشريف كانت مع إبراهيم عليه السلام، ولقد وردت مع ألمكان وليس في السلوك ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ ... كلمة حرام ليست موجودة مع لوط وشعيب عليهما السلام.

ثم ذكرت كلمة حرام في السلوك والأكل في قوله تعالى

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ٩٣

بعد ذلك جاءت ألمحرمات للرسول الأعظم مفصلة (محرمات ألنكاح، محرمات ألطعام، محرمات الأخلاق)

كُلْ مَنْ يَقُولْ أنّ ألمُوسيقى حَرامْ أوْ ألتَّدْخينْ حَرامْ فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَكانْ رَبّ ألعالمينْ.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣

نحن حين نرى خبائث فإننا ننهي عنها ونمنعها ولكن لا نحرم، التحريم لله فقط.

ألطبيب مثلا ينهى عن التّدخين، ألسلطة تمنع ألتّدخين.

إذا هناك نهي، منع، تحريم.

ألنهي	لأي إنسان
ألمنع	للسلطة
ألتحريم	لله ولله فقط.

قد يقول البعض لكن الله يقول ﴿ ... وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾ التوبة: ٢٩، نقول

إن التحريم هنا متصل وليس منفصل، أي إنّ الله سبحانه وتعالى لم يقل مَا حَرَّمَ اللهُ وَحَرَّمَ رَسُولُهُ والفرق كبير، ذلك أن تحريم الرسول يكون تبيانا لما حرم الله وليس إستقلالاً من الرسول بالتحريم. حين نقول فلسفة ألكلمة والحرف فهذا يعني أنّ هناك فلسفة واحدة. ولكن حين نقول فلسفة ألكلمة وفلسفة ألحرف فهذا يعني أنّ هناك فلسفتان.

ألتشريع خضع للتطور

ألشعائر خضعت للإختلاف

قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ... ﴾ البقرة: ١٨٣ - ١٨٤

ألأيّام ألمعدودات عندنا غير الأيام ألمعدودات عند النّصارى. فعندما ترى إنسان يصوم شهر رمضان تعرف أنّ هذا الشخص من أتباع ألرسول ألخاتم.

لكنّ القيم لها بعد إنساني. مثلا حين نرى إنسان يبر والديه فنحن لا نستطيع أن نحدد عقيدته. فأتباع الرسول الخاتم يبرون والديهم، كذلك فإن ألنصارى يفعلون ذلك كما يفعله اليهودي والبوذي وأي إنسان مهما كانت ملته.

فالقيم هي ألفرع ألعالمي للإسلام

أما ألشعائر فهي ألفرع ألمحلي.

أتباع ألرسالة ألخاتمة في الكتاب هم (ألمؤمنون)

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢

إذا أتباع ألرسالة ألمحمديّة هم ألمسلمون ألذين آمنوا بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

هناك نوعين من الأيمان بالنسبة لأتباع ألرسول ألخاتم

- ألأيمان بالله وباليوم الآخر
- الأيمان بالرسالة ألخاتمة

الدليل

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحديد: ٢٨

ألكفل الأول عن الأيمان الأول

ألكفل ألثاني عن الأيمان ألثاني

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ القصص: ٥١ ــ ٥٣

الأسلام يسبق الأيمان.

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾

الحجرات: ١٤

ألإسلام فطري ... ألطفل إن لم تعلمه الكذب فإنه لن يكذب.

يقولون ألإسلام دين ألفطرة ويستشهدوا بالحديث ألذي يقول بني الإسلام على خمس:

- شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله
- إقامة ألصلاة
- صوم رمضان
- إيتاء ألزكاة
- حج ألبيت لمن استطاع إليه سبيلا

ونقول إنّ شهادة أن لا إله إلا الله ممكن أن يصل إليها الإنسان وحده – بفطرته ألسليمة، ولكن شهادة أن محمدا رسول الله لن يصل إليها الإنسان بفطرته بل يحتاج لمن يخبره ويرشده إلى ذلك.

أيضا إقامة ألصلاة تكليف وليس فطرة، كذلك ألصيام والزكاة والحج. كل ألتكاليف ضد ألفطرة.

ألآية ألكريمة تقول

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠ ﴾ الروم: ٣٠

فهل فطر الله النّاس أن يصوموا في رمضان؟

ألحنيفية ليست شعائر، ألحنيفية تغير وتطور، ولهذا السبب هناك أيمانين

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤ ﴾ الفتح: ٤

ألأيمان الأول هو الأيمان بالله واليوم ألآخر، والأيمان ألثاني هو الأيمان بالرسالة ألخاتمة. ألأيمان الأول .. نحن مسلمون، الأيمان ألثاني .. نحن مؤمنون.

ألم نسمع خطباء ألمساجد يرددون على المنابر ((**أللهم اغفر للمُسْلِمينَ والمُسلِماتْ ولِلْمُؤمنينَ والمُؤْمِناتْ**)) ... من هم ألمسلمين؟ ومن هم ألمؤمنين؟

ألمُؤمنون هم المسلمون الذين آمنوا بالرسول الأعظم. والشعائر ألتي جاءت مع الرسالة الخاتمة هي التي تميز أؤلئك ألمؤمنون.

صلاة ألجنازة مثلا لا يقوم بها إلا أتباع ألرسالة ألمحمدية.

ألمشكلة ألتي وقعنا فيها أننا أخذنا ألميزات ألتي يتميز بها أتباع ألرسالة ألخاتمة وقلنا أنّ هذه هي أركان ألإسلام، فأخرجنا بذلك ما نسبته ٨٠٪ من أهل الأرض من انْ يكونوا مسلمينْ. فقلنا إن قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ... ﴾ آل عمران: ١٩ ... يعني ديننا نحن.

وقلنا ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾ آل عمران: ٨٥ ، يعني ديننا نحن.

وأعتبرنا أن أركان الآسلام ألتي وردت في الحديث ألشريف ((بُنِيَ الإسْلامْ على خَمْسْ ...)) هي التي تُحدد ما إذا كان الإنسان مُسلما أم لا، عِلما أنّ هذه الأركان لا يقوم بها إلا أتباع ألرسالة ألمحمديّة، بالتالي فإنّ الجَنّة لنا فقط دون سائر ألخلق.

هذه الأركان ألتي قالوا عنها أركان الإسلام لا يوجد فيهما أي قيم ولا شرائع.

ألقيم عندنا ميتة .. عندنا إفطار يوم في رمضان أهم بكثير من الكذب أو ألغش. أركان الإسلام ألتي قدمت إلينا لا يوجد فيها أخلاق. أين ألمحرّمات؟

قالوا إن الحديث ألشريف نُقِلَ إلينا بالمعنى ولم يُنْقَلْ حرفيا تماما كما قاله الرسول الأعظم. لو أنّ هناك عشرة رواة للحديث، ولو لأن راوٍ واحد من أولئك العشرة بدل كلمة واحدة من كلمات الرسول الأعظم – عن غير قصد – لأختل ربما المعنى ألذي قصده ألرّسول ألخاتم. وقد يكون هذا ما حصل في الحديث الذي نحن بصدده ((بُنِيَ الإسْلامْ على خَمْسْ ...)) ، فلو أن الحديث جاء بالصياغة ((بُنِيَ الأيمان على خمس ...)) لكان أقرب للحقيقة، لأنّ هذه الأركان ألخمس هي التي تميز ألمسلمون ألمؤمنون ألذين آمنوا بالرسالة الخاتمة.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧ الإسلام قبل الأيمان، لأنّ الأيمان تكليف وليس فطرة.

نحن لا نصوم رمضان بالفطرة، نحن نصوم رمضان لأن هناك من حمل إلينا تكليفا بذلك، ولولا هذا التكليف لم كان هناك صيام. كذلك الأمر بالنسبة للصلاة والزكاة والحج.

لكن بر الوالدين هو فطرة إنسانية، المسلم يبر والديه، والبوذي يبر والديه واتباع الملل كلها تجد فيهم من يبر والديه ولذلك فإن بر الوالدين من الإسلام.

أركان الأيمان يجب أن يهديك أحدٌ إليها للقيام بها، ولذلك نقول ألإسلام فطرة والأيمان تكليف. أركان الإسلام تحتوي على ألقيم والشرائع وليس على ألشعائر. كون أنباع ألرسالة ألخاتمة اتخذوا موقف إقصائي فقد اعتبروا إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ يعني الإسلام ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. ولما لم يجدوا تخريجا لما قالوه في المصحف الشريف إستشهدوا بالحديث الشريف ((بُنِيَ الإسْلامْ على خَمْسْ ...)).

ولذا يجب أن نقول ((ألإيمان يجب ما قبله)) وليس الإسلام. لا يوجد شيء قبل الإسلام يجبّه.

قال تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد: ٢

أعود وأقول أنّ الأخلاق في أركان الإسلام ألتي أقروها غير موجودة. ألعبادات لا تقدم ألناس ولا تؤخرهم، هذا ليس تقليل من شأن ألعبادات، لكن العبادات هي علاقة بين الإنسان وخالقة. ألعبادات لا تنصرنا، ألعبادات شخصية. لكن الشرائع والقيم إجتماعية,

إذا صمت رمضان أم لم تصم ما علاقة ألمجتمع بك؟ ألعبادات إرضاء لمرضات الله.

كل ألمحرمات لها قيمة إجتماعية.

ولذلك فإن تعبير صحوة إسلامية تعبير خاطئ، والأصح أن نقول صحوة إيمانية.

عدد من يصوموا رمضان ازداد، المساجد ازدادت، عدد المصلين زاد .. الحجيج في ازدياد من سنة إلى أخرى .. ألأيمان في ازدياد.

بالمقابل ألكذب زاد، ألغش زاد، ألإحتيالات زادت، ألبطالة زادت، ألرشوة زادت .. أين الصحوة الإسلامية إذن؟

يجب أن ندرس ألقيم قبل أن ندرس ألشعائر. الله رب ألعالمين يُسامِحْ في حقوقة حين نحج، لكنه لا يسامح أبدا في حقوق عباده. ألقيم هي حقوق الآخرين.

﴿ ... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ... ﴾ العنكبوت: ٤٥ تنهى ولا تمنع.

ألثقافة ألسائدة تقول أنّ ألمسلمين هم أتباع ألرسالة ألمحمدية فقط، هذا غير صحيح.

يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٦٢

ألذين آمنوا أتباع ألرسالة ألمحمدية صلوات الله وسلامه عليه

ألذين هادوا أتباع موسى عليه السلام

ألنصارى أتباع عيسى عليه السلام

ألصابئين من صبأ عن موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) – أي بقية أهل الأرض.

أيام ألرسول الأعظم كانوا يقولون صبأ فلان، أي خرج عن دين الآباء والأجداد.

إذا كان ألصائبة هم جزء من أهل ألعراق كما يقول ألبعض، فإن الله سبحانه وتعالى قد سامح ٥٠٪ من سكان الكرة ألأرضية، وبالتالي فإن الآية (البقرة: ٦٢) تتكلم عن إله الشرق الأوسط – حاشا لله.

إذا هناك مسلم مؤمن، مسلم يهودي، مسلم مسيحي، مسلم بوذي ... كل من آمن بالله وعمل صالحا. الله سبحانه وتعالى يقول أن كل هؤلاء الذين آمنوا بوحدانية الله وأنّ هناك بَعْثْ وعملوا صالحا – هؤلاء فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ البقرة: ١١٢

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

هم يحتجون بهذه الآية أن الجنة لأتباع الرسول الخاتم.

نحن نقول صحيح أنّ الله لن يقبل دينا غير الإسلام أذ كيف يمكن أن يقبل الله سبحانه وتعالى دينا هو غير موجود فيه.

الأسلام كما قلنا هو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. وإن تذكرة الدخول إلى الإسلام هي شهادة أن لا إله إلا الله.

أركانْ ألإسلام وأركانْ ألأيمان

قُلنا أنّ هناك أيمانين: أيمان ألفطرة وأيمان ألتكليف، واستشهدنا بالآية ألكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ الحديد: ٢٨.

أيمان ألفطرة هو ألجانب ألعالمي من الإسلام، أو ألبعد ألإنساني من الإسلام. وإيمان ألتّكليف فهو أيمان محلي خاص بأتباع ألرسالة ألمحمديّة. ولذا نقول: ألإسلام فطرة والأيمان تكليف.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢

هذه تقوى الإسلام، هنا نتقي الله حق تقاته. رأس الإسلام لا إله إلا الله، والمحرّمات كلها من الإسلام. ألإسلام بدأ مع نوح وانتهى مع ألرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وأساسه ألتّوحيد. لا يقال بَذلتُ جُهدي لأؤمِنْ بالله واليوم الآخَرْ ولكني لم أستطع .. هنا ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ، لا يوجد أنصاف حُلولْ.

أما تقوى الأيمان فقد عُبِّر عنه في الآية الكريمة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾ التغابن: ١٦ .

إذا في الأيمان فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أنت مكلف بالصوم، لكنك مريض ولا تستطيع الصوم، لا تصوم، كذلك الصلاة والزكاة والحج تكاليف، أنت غير قادر على القيام بها كما فُرِضَتْ فإن الله رخص لك أن تقوم بها حسب استطاعتك، تصلى جالسا إن لم يكن باستطاعتك الصلاة واقفا.

ظنوا أنّ الآية (التغابن: ١٦) نسخت الآية (آل عمران: ١٠٢) ولم يدركوا أنّ لكل آية حقل.

ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ لها حقل، فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ لها حقل آخر.

أنت لا يوجد عندك مال .... لا تُزكي، غير قادر على الحج ... لا تحج، مريض وغير قادر على الصوم ... لا تصوم، غير قادر على الصلاة واقفا ... صل جالسا أو حتى بعيونك.

الأسلام فطرة والأيمان تكليف.

ألمُسْلِمونْ والمُجْرِمونْ

قال تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦ ، عكس ألمُسلم هو ألمُجْرِمْ وليس ألمُشركْ أو ألكافرْ.

ألمُجرمْ من جَرَمَ. ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ هود: ٢٢ يعني أمر مقطوع فيه. كذلك نقول ألأجرام ألسماويّة لأنها متقطّعة.

والمُجْرِم هو من قطع علاقته بالله، ﴿ ... وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ القصص: ٧٨ أو من قطع علاقته بالمجتمع.

إذا هناك مُجرمْ إجتماعي إنساني .. من قطع علاقته بالمُجتمع، ألحكم على هذا المجرم عائد للمجتمع، وهناك ألمجرم الذي قطع صلته بالله والحكم على هذا المجرم هو لله، ولا علاقة للمجتمع به.

نحنُ لا نَحْكَمْ على النّاسْ، بل نَحْكَمْ بَينَ النّاسْ. نَحْنُ نُحاسِبْ النّاسْ على القيَمْ أيْ نُحاسِبْ ألمُجْرِمْ ألقاطِعْ صِلته بالمُجْتَمَعْ.

قال تعالى

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الروم: ١٢

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ السجدة: ١٢

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يس: ٥٩

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ الرحمن: ٤١

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ المرسلات: ١٥ ــ ١٨

ألآن نريد أن نقرأ الآية ألكريمة

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الماعون: ٤ - ٥ ،

إنسانْ سَهى عَنْ صلاة ألعصر مثلا، هل يُحاسب كالمُلحِدْ أو كالمُجْرِمْ ألقاطع صلته كليّا مع الله؟

هنا يجب أن نُميّز بين المُصلينْ وبين مُقيمي ألصّلاة. ألمُصَلينْ ليسوا بالضّرورة مُقيمي ألصّلاة، ولكن بالضرورة مُقيمي ألصلاة مُصَلينْ.

هناك فعل صَلى و هناك فعل أقام ألصلاة.

صلى من ألوصل.

قال تعالى ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ القيامة: ٣١ – ٣٢

صَدّقَ ... كذبَ

صلى ... تَوَلى (إما وصل أو بعُد)

وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ الأعلى: ١٤ – ١٥، هنا صلة مع الله، كقولك مثلا "يا رب". مُجرد أنْ تقول يا رب أصبح عندك صلة مع الله. ألصلة ألتعبّدية ألآخذة شكلا ما، والتي نقوم لنأديها هي إقامة ألصلاة. وهذه تختلف من شعيرة إلى أخرى ومن ملة إلى أخرى. ولكن عند كل ألملل ألمُصَلينْ نفس ألشيء.

لنقرأ ألآيات من ألبداية

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ الماعون: ١ كذّبَ بالدين ويوم ألدين (مُجرِمْ)

﴿ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ ﴾

الماعون: ٢ - ٣ (قضايا إجتماعيّة)

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ﴾ الماعون: ٤ هنا ترك صلته بالله وليس صلاة ألظهر أو ألعصر.

نأخذ ألوليد بن ألمغيرة مثلا ونرى ما قال الله فيه ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المدثر: ٢٦ – ٣٠ وفي نفس السورة يقول سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المدثر: ٣٨ – ٤٢ ونحن نفهم أنّ الوليد بن المُغيرة هو واحد من أولئك ألمُجرمين. ألصّلاة لم تكنْ قد فُرِضَتْ بعد عند نُزول هذه الآياتْ.

نحن نحاسب ألمجرم ألحساب ألقيمي ألإجتماعي كائنا من كان .. حتى المسلم والمؤمن يحاسب إجتماعيا أيضا.

ألمُجرم ألقاطع صلته بالله حسابه على الله وليس على ألمُجتمع.

حين نقول

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧

ألصراط ألمُستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم. من هم ألمغضوب عليهم؟ هم أناس خرجوا عن ألصراط ألمستقيم، ولقد حدد الله مفهوم الصراط المستقيم في الآيات (١٥١ – ١٥٣) من سورة ألأنعام. أما ألضّالون فقد عرّفهم سبحانه وتعالى لنا في كتابه ألكريم حين قال

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦ ﴾ النساء: ١١٦

﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ ﴾ النور: ٨ – ٩

أيضا قاتل النّفس من المغضوب عليهم، من أي مله كان.

﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ و ﴿ بِصَلَاتِكَ ﴾

ألأن علينا ألتمييز بين ورود الصلاة بالواو **(صلوٰت)** أو ورودها بالألف **(صلاة)** وعلينا أن نميز أيضا بين ألفعل **(صلى)** والفعل **(أقام الصلوٰة)**.

قال تعالى

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ﴾ القيامة: ٣١ - ٣٢

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ۝١١٠ ﴾ الإسراء: ١١٠

ألصلاة في الآيتين جاءت بالألف وليس بالواو. هنا لا يقصد ألرّكوع والسّجود. هنا ألحديث عن ألدّعاء. قال عليه الصلاة والسلام «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ».

عندما يقصد ألرّكوع والسّجود يرد ألفعل «أقم ألصلاة».

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة: ٣

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ البقرة: ٤٣

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾ النساء: ١٠٣

إذن يجب أن ننتبة لرسم الكلمة ألقرآنية، وعلينا أن نعي أنّ كلمة صلاة لا تعني ألركوع والسجود دائما.

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ الكوثر: ١ – ٢

هنا لا يقصد الركوع والسجود أو إقامة صلاة الظهر أو صلاة العصر إنما صلاة هنا من الصلة.

أركان ألإسلام وأركان أللأيمان

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بُنيَ **الإِسْلامُ** على خَمْسْ : شهادة أنْ لا إله إلا الله ، وأنّ مُحَمّدا رَسُولُ الله ، وإقامْ الصّلاة ، وإيتاء الزّكاة ، وحِجْ البيت ، وَصَوْمُ رَمَضانْ) رواه البخاري ومسلم.

هذا الحديث ككل الأحاديث التي نقلت إلينا، نقلت بالمعنى وليس حرفيا كما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم. وأرى أنه لو تم استبدال كلمة **الإسلام** بكلمة **الأيمان** في الحديث الذي نحن بصدده لكان أكثر انسجاما مع كتاب الله. أي (بُنيَ **الإيمانْ** على خَمْسْ).

ألتكاليف تأتي بصيغة ألأيمان وليس بصيغة ألإسلام.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣ ألأسلام فطرة، والصيام ليس فطرة .. فالفطرة أن يأكل الإنسان حين يجوع، وأن يشرب حين يعطش، وأن يغضب عند الضرورة .. لكن الصيام يمنع كل ذلك.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ... ﴾ المائدة: ٦

ألصلاة تفرض علينا أن نصحوا من نومنا لإداء تلك الفريضة .. أو أن نتوقف عن كثير من الأشياء إذا حان وقت الصلاة .. هذا ضد الفطرة.

كذلك الحال بالنسبة للزكاة، فالله جبل الإنسان على حب المال والسعي للحصول عليه، لكن الزكاة تطلب من الإنسان أن يعطي لا أن يأخذ، وهذا أيضا ضد ألفطرة.

الحِجْ أيضا ضد ألفطرة لما فيه من مشقة وتكلفة.

أركان الإسلام ألتي وصلت إلينا كلها ضد الفطرة لأنها تكاليف، والتكليف يحتاج إلى مُبَلِغْ يُخْبرك أنّ عليك ألقيام به، أما الفطرة فأنا نفعلها دون أن يخبرنا أحد بها كأن نأكل حين نجوع أو نشرب حين نعطش.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الحجرات: ١٧

لاحظ قوله أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ .

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ الحجرات: ١٤

الأيمان يأتي بعد الإسلام. هم وضعوا ألعربة أمام ألحصان .. وضعوا ألصلاة والصوم والزكاة والحج أركانا نقوم بها قبل أن نؤمن بالله. هل يعقل أن أصلي قبل أن أؤمن بالله؟

أعود وأقول أنّ الكل يقر أنّ الحديث نقل بالمعنى وليس بالنّطق، ولو وضعت كلمة **الإيمان** بدل كلمة **الإسلام** لأصبح الحديث أكثر واقعية.

أكثر من ذلك ألإسلام عالمي والإيمان محلي. ولهذا السبب فإن المؤمنين أتباع ألرسالة ألمحمدية لا يتجاوزوا أل ٢٠٪ من سكان الأرض، وهذا ما أقره كتاب الله

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يوسف: ١٠٣ صدق الله العظيم

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ يونس: ٩٩

هذا ناموس إلهي لن يتبدل، ألإيمان خاص بأتباع ألرسالة ألخاتمة.

كل عمل خير وأخلاقي وقيمة عليا أخلاقية يقوم بها أتباع ألرسالة ألخاتمة، وغير أتباع ألرسالة ألخاتمة هو من الأسلام. (ألوفاء بالكيل والميزان، عدم ألغش، رعاية أليتيم، عدم قتل ألنّفس ...)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الكهف: ٣٠

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ – ٨

نحن نحاسب ألناس على ألقيم وليس على ألعقيدة.

كل عمل لا يقوم به إلا أتباع ألرسالة ألخاتمة – سواء أكان شعائري أو خلقي - هو من الإيمان. (ألصلاة كما فرضت،صوم رمضان، ألزكاة، ألحج، صلاة ألجنازة ..).

نحن أمة محمد لنا خصوصيات، هذه ألخصوصيات تفرقنا عن سائر الأمم، بحيث إنك إن رأيت شخصا يصوم رمضان أو يصلي ألظهر أربع ركعات فإنك تعرف أنه من أمة محمد عليه ألصلاة والسلام.

ألخطأ ألكبير أننا اعتبرنا أنّ أركان الأيمان على أنها أركان الإسلام وربطناها بالآيات ألكريمة

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ... ﴾ آل عمران: ١٩

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

وبذلك أرسلنا ٨٠٪ من سكان ألعالم إلى النار، وعزلنا أنفسنا عن ألعالم.

إنّ الله سبحانه وتعالى حين يتحدث عن سمات خاصة بأتباع ألرسول محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يذكر ألمؤمنين.

قال تعالى

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢

الأيمان ألواحد يزيد وينقص. ألذي لا يصوم رمضان مثلا نقول أنّ أيمانه نقص، كذلك الذي يتقاعس عن ألصلاة.

ألأيمان يجب ما قبله

قالوا ألأسلام يجب ما قبله، وأقول ألأيمان يجب ما قبله لأن ليس قبل الإسلام شيء. ألأسلام يسبق الأيمان. ألإنسان يكون مسلما قبل أن يؤمن. قال تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾ ﴾ محمد: ٢

عندما نفهم أركان الأيمان وأركان الإسلام بشكل جيد نستطيع أن نقدم إسلاما ذا بعد عالمي، وليس إسلام محلي كما هو حاصل أليوم.

نحن إن أردنا أن نخاطب ألعالم لن نخاطبهم بصوم رمضان ولا بصلاة ألجنازة (ليس بأركان الأيمان).

أيضا علينا أن نفهم أنّ أركان ألأيمان لا تتناقض مع ولاية ألجنسية ولا ولاية ألقومية هذه قضية مهمة جدا. ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ المائدة: ٥٥ ..

سؤال قد يتبادر على الذهن، هل ممكن أن يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر ثم لا تكون له شعائر ولا تكون له ضوابط؟

قلنا إنّ الإسلام خضع للإختلاف في الشعائر، والتراكم في ألقيم والتطور في ألتّشريع. وقلنا إنّ الأيمان بالله واليوم الآخر هو المدخل إلى الإسلام، ويسبق كل شيء.

رجل في مكان ما يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا شيء، هو مسلم رغما عن أنف ألجميع. هذا الرجل مسلم لله، ليس لي وليس لك، ولا لأحد على هذه الكرة أو في هذا ألكون. نحن نحاسب هذا الإنسان على أعماله، ولا يوجد إنسان تصوره عن الله يطابق تصور ألآخر.

أنواع ألتقوى

قلنا أنّ هناك أيمانين، الأيمان ألأول له تقوى (ألإسلام له تقوى "ألإسلام دين ألفطرة")، والأيمان له تقوى. هذا واضح في قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المائدة: ٩٣

ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ألأيمان الأول هو الأيمان بالله واليوم الآخر وألتقوى الأولى هي تقوى ألإسلام. وتقوى الآسلام هي الإلتزام ألكلي بما ورد في الآيات ١٥١ –١٥٢من سورة الأنعام كما قال سبحانه وتعالى

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣

ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ هذه ألتقوى ألثانية وهي تقوى ألأيمان

ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ هنا تقوى ثالثة ولكن لا يوجد أيمان ثالث. هنا نقول أنه ممكن أن يكون عند الإنسان تقوى أيمان دون أن يكون عنده تقوى إسلام أو ألعكس، ولكن إن اجتمعت عند إنسان واحد تقوى الأيمان وتقوى الإسلام عندها يكون من ألمُحسنين، والتقوى هنا هي تقوى ألإحسان. إذا

تقوى الأسلام + تقوى الأيمان = تقوى الإحسان ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

إذا ألإحسان أن نلتزم بتقوى الأيمان وتقوى ألإسلام، أي أن نلتزم ب ((اتّقوا الله حَق تُقاتِه)) وب ((فاتقوا الله ما اسْتطعْتُمْ)

هذا يتناسب مع تعريف ألرسول للإحسان ألوارد في صحيح مسلم ((أنْ تَعْبُدْ الله كأنّكَ تراه، فإنْ لمْ تكنْ تراه فإنّهْ يراكْ))

ألمحرّمات

قلنا إنّ ألحرام شمولي وأبدي، وأنه لا يحق لأحد أن يحرّمُ ما أحلّ الله أو أن يُحل ما حرّم الله. وقلنا أنّ ألرسول الأعظم بختم ألرسالة قد ختم ألمُحرّمات، وأنّ هذه المحرمات قد انتقلت من أمر ونهي عند موسى عليه السلام إلى تحريم مع ألرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

إن القول بأن الموسيقى حرام يعني بأنه منذ اللحظة التي قيل فيها بتحريم الموسيقى وحتى قيام الساعة فإنه لا يجوز لأحد على اي مكان من هذا الكوكب الإستماع إلى الموسيقى. ألإنسان لا يملك حق التحريم، ألإنسان ينهى ويمنع ولكن لا يحرم. ألطبيب مثلا ينهى عن التدخين، ألسلطة تمنع ألتدخين. ولكن لا الطبيب ولا السلطة تملك الحق بتحريم ألتّدخين.

ألمحرمات في ألرسالة ألخاتمة عددها ١٤ محرما، والله نهانا أن نقول هذا حرام وهذا حلال ما لم يرد نص صريح بتحريمه في كتاب الله. قال تعالى

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦

فما هي ألمحرمات ألتي وردت في كتاب الله؟

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ ــ ١٥٣

لا يوجد في الأرض إنسان إلا وله في الإسلام نصيب. الآية ١٥٣ تشير إلى أن على الإنسان أن يتبع كل ما أشير إليه في الآيتين ألسابقتين دفعة واحدة وليس بالتقسيط وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ، ألخروج عن هذا الصراط ألمستقيم لا يمكن أن يتم دفعة واحدة ولا يكون إلا بالتقسيط. إذا يستحيل أن نجد إنسان على سطح الأرض يقوم بكل تلك المحرمات دفعة واحدة: يشرك بالله، لا يبر والدية، يقتل أولاده، يقرب ألفواحش، يقتل ألنفس، يأكل مال اليتيم، يغش في الكيل والميزان، يشهد زورا ولا يفي بعهوده .. تلك إستحاله، ولذلك قلنا أنه لا يوجد إنسان في الكون إلا وله في الإسلام نصيب.

هذا الصراط المستقيم هو الذي ندعوا الله أن يهدينا إليه في كل ركعة ونحن نقرأ سورة ألفاتحة

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الفاتحة: ٦

ألخروج عن هذا الصراط ألمستقيم هو الإسراف، لأن الإسراف لا يكون إلا في الحرام

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأعراف: ٨٠ ــ ٨١

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ غافر: ٤٣

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

ألبعد ألإنساني في ألصراط ألمستقيم.

محارم ألنكاح

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ النساء: ٢٣ – ٢٤

مَحارِمُ الأطعِمَة

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن

تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣

ألربا

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٥

ألفواحش

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣

بقي أن نشير أخيرا أن الله سبحانه وتعالى حين يحرم لا يقول "يا أيها ألمؤمنون" لأنها لجميع أهل الأرض.

هذه هي ألمحرّمات ألتي ذكرت في كتاب الله، وإذا اعتبرنا وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ يصبح عدد المحرمات ١٦.

هناك تحريم مؤقت ورد في كتاب الله وهو الصَيد في الأشهر ألحرم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ المائدة: ٩٥

واكثر ما هو محرم هو **وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**

كون ألمُحرّمات لله فقط، وهي شمولية وأبدية فقد فصلها الله لنا

﴿ ... وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾ الأنعام: ١١٩

﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١١٤

أحيانا مفصّل بآيات ألقرآن وأحيانا مفصل بآيات ألرسالة وكلاهما في ألمصحف.

ألشرك

يُعَد ألشرك من رأس ألمحرمات أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ولكن كيف نوفق بين هذا القول وقوله سبحانه وتعالى .﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦

في هذه الحالة معظم أهل الآرض يذهبوا إلى ألنار! ما هو ألشرك ألذي يُدْخِلْ ألنّاس ألنّار؟

عند إنفصال الأنسان عن ألمملكة ألبهيمية – وقد ابتدأت ألمملكة ألبهيمية بالمُشخّصْ، حتى العلاقة بين ألصّوت والمدلول ابتدأت بالمُشخص، حتى ألنهي عن الشجرة جاء مشخص ((هذه))،

﴿ ...وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ... ﴾ البقرة: ٣٥ فالإنسان ميال بنفسه إلى التشخيص. ولقد تطورت ألرسالات وتطورت حتى وصلت إلى التجريد.

موسى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٥٥

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ الأعراف: ١٤٣

كان في ذهن موسى عليه السلام إنّ القوم طلبوا منه رؤية الله سبحانه وتعالى. إنتقال ألبشرية من ألتشخيص إلى ألتجريد أخذ آلاف ألسنين. بذهن قوم موسى الإله ألمجرد غير واضح.

الله أعطانا مثالا عن ألتشخيص في سورة ألبقرة حين ذكر قصة ذبح ألبقرة

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ ﴾

هنا تصوير لفكر قوم موسى إنهم يريدون بقرة محددة كي يذبحوها. ولذا فإن شريعة موسى احتوت على حوالي ٦١٣ بند تشريعي.

حتى اليوم من ينزعون إلى ألتشخيص يحددون أوصافا محددا للكبش الذي يجب أن يُضحّى به سواء بالنسبة لصوفه أو قرنيه.

بختم ألتشريع وصلنا إلى مرحلة ألتجريد، حتى آيات ألقرآن أعطيت صيغة مجردة، سيأتي يوما ونراها (تُشخّصْ).

ألشرك ألذي لا يغتفر هو ألتشخيص، أن تُشرك ب لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ .

يعني

﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ المائدة: ١٧

إذا سألت بوذيا عن تمثال بوذا، هل هذا التمثال هو خالق ألسماوات والأرض سيقول لا، لكن الذين قالوا أن الله هو المسيح شخصوا الله سبحانه وتعالى.

﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ المائدة: ٧٢

ألتّسجيد هو ألشّرك ألذي لا يغتفر.

رب ألسماوات سبحانه وتعالى جعل ألكعبة مشخصة. هذه بيت الله وليس سكن الله.

ألبيت هو مجموعة علاقات. في الكعبة تقام العلاقات مع خالق ألسماوات والأرض. والله سبحانه وتعالى ربط قمة ألمشخص (ألكعبة) بقمة ألمجرد (ألصلاة) فجعل صلاتنا بإتجاه ألكعبة.

ألتثليث

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ ﴾
المائدة: ٧٣

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ ليس كلهم، هؤلاء ليسوا في نفس ألمرتبة ألذين قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ

ألمسيحيين ليسوا واحدا هناك من قال أن ألمسيح هو الله، هؤلاء أشركوا "جَسّدوا الله".

عندما قال أن الله هو ألمسيح ذكر ألشرك ألذي يُحَرِّمْ عليه ألجنة، وعندما ذكر التثليث ذكر ألكفر.

ألكفر والشرك

لقد أوضحنا أن ألشرك ألذي لا يغفر هو شرك ألتسجيد.

ألكفر – كفر أي غطى عن سابق معرفة حتى في الإنجليزية نقول "COVER". وبالتالي فإن قوله سبحانه وتعالى ﴿ ... لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ... ﴾ المائدة: ٦٥ أي لغطيناها.

ألكفر موقف يجب أن تكون واعيا لما تكفر به ويكون موقفك منه عن سابق تصور وألقرآن ألكريم ذكر 7 أنواع من ألكفر

- ألكفر بمعنى ألشرك بالله

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ آل عمران: ١٥١

- ألكفر بمعنى ألنفاق

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٧

- ألكفر بمعنى ألإستكبار

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤

- ألكفر بالآيات ألكونية

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ آل عمران: ٧٠

- ألكفر مقابل ألشكر

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

﴿ ... عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

- ألكفر مقابل ألنعمة

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾

﴾ إبراهيم: ٢٨

- ألكفر مقابل الإنفاق

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحديد: ٢٤

إذا قلنا إنسان كافر يجب أن نقول كافر بماذا. كافر وحدها لا تكفي.
شخصان أو طرفان مؤمنين بالله واليوم ألآخر، أحدهم ضد الآخر بقضية سياسية ما، تقاتلا .. كل منهم كافر بقضية ألآخر. ألكفر يكون بقضية أو بموضوع.

مفهوم ألكفر يجب أن يكون موقف واضح. مثلا – أنا كافر بمبدأ باب سد ألذرائع، اي أنا ضد هذه ألفكرة ولا أؤمن بها.

مصطلح دار ألكفر ودار الأيمان لا يعني شيئا، هذا مصطلح سياسي تاريخي بحت، أطلقه ألفقهاء في زمن كانت فيه ألدولة ألإسلامية أقوى دولة في المنطقة. هذا ألمصطلح سياسي وليس له اي علاقة بالعقيدة.

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾
البينة: ١

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ليس كل أهل ألكتاب. هناك من أهل ألكتاب ممن سمعوا بالرسالة ألمحمدية لم يقفوا معها، لكنّهُمْ لم يقفوا ضدّها ولم يتخذوا أي موقف منها. ألذين كفروا هم من وقفوا ضدها وحاربوها وأخذوا موقف عدائي منها. هنا ألحديث ليس عمّن كفر بالله أو لم يكفر بالله. ألحديث هنا عمن اتخذ موقفا من الرسالة ألخاتمة ومن لم يتخذ موقفا منها (أي كان سلبيا).

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا

تحت شعار بر ألوالدين صار عندنا استبداد أسري واستبداد إجتماعي. ألله سبحانه وتعالى فصل لنا كيف يكون بر ألوالدين. قال تعالى

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾
الإسراء: ٢٣ – ٢٤

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٨

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لقمان: ١٥

من رَأى والدَيْنْ يُجاهِدا إبنهُما ليشرك بالله؟ من سَمِعَ بهذا؟ هناك

وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي	تهديد
وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ	ترغيب (مكافأة)

لنفهم ما هو المقصود بالشرك في الآيات (العنكبوت: ٨) و(لقمان: ١٥) نقرأ قوله تعالى في سورة الكهف

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الكهف: ٣٢ - ٣٨

ألرّجل ألأوّل لم يشرك، قال مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا .

ماذا كان جواب ألرجل ألثاني أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا .

أي هذا قانون ألتطور، والرجل ألأوّل ألغى هذا ألقانون بأنّ جنّته لن تبيد ابدا.

هنا مجاهدة الآباء تماما بنفس الصورة، يريدوا أن يثبتوا كل شيء كما عهدوه، ولا يرضوا ولا يوافقوا على تطور ألحياة، هذه ألتقاليد. كأن يقولا لإبنهما:

إذا لم تتزوج إبنة عمك أغضب عليك وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى .

وإن تزوجتها أعطيك بيتا أو سيارة وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ .

ربّ ألعالمين حسم قانون ألتطور لصالح الأبناء وعدم خضوع الأبناء لفرض ألزوج أو أختيار ألدراسة أو ألمهنة لا يعد عقوق للوالدين. أما أخلاقيا فقد حسم الله ألقضية لمصلحة ألآباء.

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . حتى وأنت تخالفهم الرأي عليك

أن تكون مؤدبا ولبقا في رفضك وأن لا يسبب رفضك أي عداء بينك وبينهم فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ .

ألبعد ألإنساني في ألعلاقات أن ألعائلة تبقى معا، في المملكة ألبهيمية فإن الأبن لا يعرف أبيه بعد أن يصبح قادرا على تأمين حياته. لذلك قال تعالى وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ، ولم يقل ((وَوَصّيْنا الوالِدِيْنْ بأبْنائِهِمْ)) لأنّ هذا أمر فطري طبيعي.

إذا من ناحية ألتطور والتقدم والتحرر وحرية الإرادة وحرية ألقرار فقد حسم رب ألعالمين الأمر لمصلحة ألأبناء ... لا تقل ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزخرف: ٢٢. أما من ألناحية ألأخلاقية فإن ألأمر حسم لصالح الآباء وليس الأبناء.

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ

هنا لا علاقة للإجهاض. ألمقصود هنا قتل الأولاد بعد ألولادة. قديما لم يكن لهم ألقدرة على إطعام الأولاد وتأمين ألحياة أليومية لهم، فكانوا يقتلونهم بعد ولادتهم فَحَرّمَ الله ذلك.

ۖوَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ

يجب أن نُميز بين **وَلا تَقْرَبوا** و **إجْتَنِبُوا**. إجتنبوا ولا تقربوا لا تعني ألتحريم.

إجتنبوا تقال لشيء تراه دائما أمامك. لا تقربوا تقال لأمور تقصد في مظنها.

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء: ٣٢

﴿ ... فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾

الحج: ٣٠

عبادة ألشمس، عبادة ألقمر، عبادة ألنّار ... كلها من ألوثنية نراها دائما أمامنا. أما ألزنى فإنه يقصد إلى أماكن خاصة ليمارسه الإنسان.

إجتنبوا (تحاشوا) ... لا حُكم فيها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة: ٩٠ - ٩١

ألخمر والميسر	نَهي عنها
ألأنصاب والأزلام	تحريم

في الآيات (المائدة: ٩٠ - ٩١) لم يعطِ حُكم. إنما جاء تحريم ألنصب والأزلام في الآية (المائدة: ٣).

رِجْسْ الأنْصابْ	....	ألذبح
رِجْسْ الأزْلامْ	....	الإستقسام
رِجْسْ ألخَمْرْ	....	ألسّكرْ

يقول ألبعض إنّ الإجْتِنابْ أكبر من ألتحريم، نقول أن الله سبحانه وتعالى قال (حُرِّمَتْ عَلَيْكمْ أمَهاتِكُم)) وأمرنا بإجتناب ألخمر. فهل شرب كأس من ألبيرة أصعب من نكح الأم. معاذ الله

أي عقل يقبل ذلك.

ألفواحش ثلاثة

- ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ ﴾ النساء: ١٥ (ألسحاق)

- ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ ﴾ النساء: ١٦ (أللواط)

- ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ الإسراء: ٣٢ (ألذكر والأنثى)

نكاح ألمحارم يعد فاحشة حتى لو كان بعقد.

لقد شرح الله لنا عقوبة الزّنى في الكتاب. قال تعالى

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾
النور: ٢ – ٣

نشير هنا لنقول أن الزّانية والزّاني تعني عازبة وعازب، أما مُشركة ومُشرك هنا فإنها تعني ألمتزوجة والمتزوج. أي ألمشركة أشركت شخصا آخر سرير زوجها. وفعل نكح هنا تعني ألعملية ألجنسية وليس ألعقد.

وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ

ألنفس هي ألتي تتنفس.

ألأصل في الأشياء ألإباحة إلا ما حرم الله، أما في القتل فالأساس ألحرام إلا ما أحل الله. ألأساس إحترام ألحياة لأن للحياة قيمة.

نحن نتكلم عن النّفسْ ألبشرية والكائن ألحي بشكلٍ عام – ألبشر والحيوان.

رب ألعالمين لم يُحرِّمْ قتل ألضّبع لأنّهْ بالأصل حرام، لكنّ الله أحلَّ لنا الأنعام، لأننا حين نريد أن نأكل لحمها علينا ذبحها، إذنْ هناك قتل. لكنّ الله طلب منا أن نُسمّي – ماذا يعني ذلك؟ نحن نذبح ألبقرة ونقول بسم الله ألله أكبر، وكأننا نجيب علىا سؤال: أنت تقتل نفسا، من سمح لك؟ فنرد بالتسمية والتّكبير أنّ الله سمح لنا.

ألذبيحة تعتبر نفسا ولهذا قال تعالى ﴿ ... وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ ... ﴾ الحج: ٣٠

هذه نفس ألتي حرّم الله قتلها إلا بالحق. لم يقل سبحانه وتعالى "حُرّمَتْ عَلَيْكمْ ألضّباعْ" لأنّ الضباع ليست من الأنعام. لذا مطلوب منا نحن أتباع ألرسالة ألمحمدية ألحفاظ على ألحياة على سطح ألكرة ألأرضية وأن لا نأخذ إلا ما يلزمنا من الطعام والدفاع عن ألنفس، وليس أكثر من ذلك.

هناك قتل ألإنسانية ولا نعني هنا قتل ألبشر فهل هذا حرام أيضا؟

ألله سبحانه وتعالى بنفخة ألرّوح أعطى ألإنسان ألمعرفة وأعطاه ألقيم. ألجهل عدو ألإنسانية – ألجهل يقتل ألروح ألإنسانية. إذا أردنا أن نحافظ على إنسانية ألإنسان علينا أن نعطيه ألمعرفة وأن نعلمه. إنّ تعليم ألإنسان هو ضرورة أساسية للبعد ألإنساني ولكي يمارس ألإنسان إنسانيته. وكأنّ هنا بعض الإشارة لقوله تعالى ﴿ ... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ ... ﴾ المائدة: ٣٢. أما قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣

فالمقصود أن ألعقاب يكون فقط من ألقاتل وليس من أي شخص آخر، وهنا إشارة إلى حرمة الثأر. الله سبحانه وتعالى يُحذرنا من التعرض لأي أحد غير القاتل نفسه – لا يُقتل إلا ألقاتِلْ.

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

جاء تسلسل الوصايا تاريخيا، في الآية ألتي تَلتْ انتقلنا إلى التّجريدْ. في أوّل ألآية التاليه إنتقلنا إلى مفهوم أليتيمْ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ ﴾ الإسراء: ٣٤
وقد فصل الله لنا ذللك كيف يكون:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ النساء: ٢

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ النساء: ٣

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾ النساء: ٦

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ ﴾ الضحى: ٩

﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧ ﴾ النساء: ١٢٧

ألقرآن ألكريم يُبيِّنْ لنا أنّ اليتيم كان معروفا زمن موسى عليه السلام، وقد ورد ذلك في قصة موسى والعبد ألصالح. قال تعالى

﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾ الكهف: ٨٢

وحددت الآية ألكريمة أنّ اليتيم هو فاقد الأب وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا . هنا ذكر اليتيم لأول مرة في القرآن ألكريم.

ألقرآن ألكريم ليس كتاب تاريخ، ولكن فيه إشارات تاريخيّة. كلمة حرام مثلا أول ما وردت في القرآن ألكريم وردت مع إبراهيم عليه السلام ووردت في المكان "بَيْتِكَ المُحَرَّمْ". كلمة يتيم أول ما وردت في القرآن الكريم وردت في قصة موسى والعبد الصالح "لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ".

من هذا المنظار ننظر إلى القصص ألقرآني. الله سبحانه وتعالى يعطينا نبذة من خلال ألقصص ألقرآني عن تطور ألتاريخ.

ليس عبثا أن نرى في الحفريات ديناصور لنستنتج من خلال ألحفريات أن هناك عصر إسمه ألعصر ألجوراسي "عصر ألديناصورات".

ألديناصور انقرض منذ ٦٥ مليون سنة ووجدناه. ألذين يقولون أن آدم عليه السلام كان طوله ٦٠ ذراعا ليعطونا دليلا على ذلك. هل ساروا في الأرض ليروا كيف بدأ الخلق – كما أمرنا الله سبحانه وتعالى؟ ما هي الدلائل التي اعتمدوا عليها ليقولوا ذلك؟

يلوم البعض أننا ندرس ألتاريخ من منظار مادي ونقول ما العيب ما دام الكون مادي.

ألوجود مادّي موضوعي .. ألوجود ألموضوعي لله، والوجود ألمادي ألموضوعي هو للكون.

ألقرآن هو كتاب الله ألمسطور، والكون هو كتاب الله ألمنشور وما دام خالق الكون هو منزل القرآن فيجب أن نرى تطابقا بين الكتاب المسطور والكتاب المنشور.

حتى نظرية ألمعرفة في ألقرآن هي نظرية مادية.

وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ

صناعات ألدّنيا قائمة على هذه القاعدة. ألمواصفات للسلع هي عبارة عن الكيل (ألحجم والوزن)، أي مواصفات يجب أن تحتوي إما ألحجم أو الوزن.

بالقِسْطِ: ألقسط غير ألعدل، ولقد جاء القسط والعدل في آية واحدة

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣

ألقسط يكون من طرف إلى آخر (أنا أقسِطْ إليك)

ألعدلْ يكون بين طرفين (أنا أعدل بينك وبين أخيك)

مثلا إذا تزوج رجلا أم يتيم فهو يقسط لليتيم، وحين يضم اليتيم إلى أولاده، فعليه أن يعْدل بين اليتيم وأولاده.

أما في البيع فالمفروض في الكيل والميزان أن يكون لمصلحة ألشاري قبل أن يكون لمصلحة ألبائع. هذا هو ألقِسْطْ.

لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ هنا ألحديث عن دقة ألوزن. نحنُ حين نبيع دواء مثلا فإن دقة الوزن تختلف عنه في حال بيعنا قمحا. أحيانا يستحيل أن يتساوى ألوزن مئة بالمئة .. الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نتوخى ألدقة حسب إمكانياتنا، لا يوجد عسر في هذا الأمر، علينا أن نستخدم ألتقنية ألموجودة.

وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

هذه ألقيمة تعتبر مادة في الدستور. هذه ليست قانون، هذه مادّة في الدستور. الله فصّلَ لنا هذه القيمة، قال تعالى

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥

في دساتير معظم دول ألعالم يحق للإنسان أن يمتنع عن الشهادة إذا كان هناك احتمال أن تؤدي شهادته إلى تجريمه. يحقّ له أنْ لا يشهد ضد نفسه، ولكن إن شهد عليه قول ألحق. إذا رضيت أن تشهد على نفسك إياك أن تقول إلا ألحق. كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ هنا عندما تشهد على نفسك.

وقال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

هنا عندما تشهد على أشخاص لا تحبهم أو بينك وبينهم عداوة عليك أن تشهد بالحق أيضا.

قلنا ونعيد، هذه ليست قوانين .. هذه نص دستوري. كيان ألدولة قائم على الدستور. الدستور أساس نظام ألقضاء وهو أعلى من ألقانون.

بعض ألمجتمعات وصلت إلى هذه ألقيم. ألقيم أعلى كثيرا من ألقوانين.

وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ

هناك اصطلاحات يجب ألتمييز بينها: ألعقد، ألعهد والميثاق.

ألعقد يكون بين شخصين (عقد بيع سيارة، عقد شراء بيت)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ ... ﴾ المائدة: ١

ألعهد لا يكون إلا مع الله.

انت أصبحت مواطن لدولة ما، فتقسم يمين ألمواطنة والإنتماء للدولة. هذا اليمين لا يحق لك نقضه والتكفير عن ذلك بصيام أيام ثلاث. كذلك الطبيب لا يمكنه بأي حال من الأحوال نقض ما أقسم عليه.

لنأخذ مثا ربما يوضح ألموضوع أكثر. أنت خالفت إشارة ضوئية أثناء قيادتك لسيارتك هذا موضوع ليس له اي علاقة بالحلال والحرام. لكن لو إنك قبل حصولك على إجازة ألقيادة أطلعت على قانون السير علنا وأقسمت أمام الناس أنك لن تخالف هذا القانون وأن تتقيد بحذافيره ومن ثم خالفت وتجاوزت ألإشارة فإنّ هذا يصبح حرام لأنك تكون قد نقضت ألعهد.

ألعهد يجب ان يكون علني.

ما يحز في ألنفس أنّ الكثير يقسمون على المهنة دون معنى. ألطبيب مثلا الذي أقسم على أن يحافظ على أسرار مرضاه ثم يخبر تلك الأسرار للآخرين هذا حرام.

ألميثاق هو مضمون ألعهد (اي ألبنود نفسها)

علينا أن نبدأ بتربة أجيالنا بحيث حين يصل الإنسان إلى سن ١٨ عاما أن نأخذ منه ميثاق الأيمان وميثاق الإسلام طوعا حتى يقر أنه دخل الإسلام عن قناعة وليس بالوراثة.

ميثاق الإسلام يعني ألإلتزام بالقيم

ميثاق ألإيمان ألإلتزام بالشعائر والعبادات.

بقي أخيرا ان نقول في هذا الأمر أنّ الآية ١٥٣ من سورة الأنعام تشير إلى أن علينا أن نتبع هذه الوصايا كلها دفعة واحدة ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾ الأنعام: ١٥٣

محارم ألنكاح

بينت الآية ٢٣ من سورة النساء محارم النّكاح المحرم على الإنسان عقد نكاح معهنّ.

ألترتيب ألوارد في هذه الآية هو ترتيب أنثروبولوجي – اي ترتيب تاريخي.

ما يميز الإنسان عن الحيوان في هذا المجال، أن الحيوانات ليس عندها محارم نكاح.

ألمجتمع بدأ مجتمع أمومة. ألأنسنة بدأت إجتماعيا وليس معرفيا. ألإنسان تعرف على أمه بعد ألبلوغ (دخلت أمه بالوعي – مجتمع أموي) وعلماء الأجتماع يُسمّون ذاك ألمجتمع مجتمع ألمشاع.

إذاً أدرك الإنسان أمه أولا، ولم يدرك أخته وعمته وخالته أو أبوه. ولهذا بدأ ألتحريم بالأم.

ولنرى أن المجتمع ألعربي مجتمع غارس في القدم، فإن آثار هذا التحريم كان في ألسفاح، حيث كان أكثر من عشرة رجال يجامعون إمرأة واحدة وإذا حملت فإنها تحدد من هو والد الطفل، ولا يحق للذي اختارته أبا أن يرفض ذلك الإختيار. هذا من بقايا مجتمع ألأمومة.

هذا ألترتيب مهم تاريخيا – وعي الأم، وعي ألبنت ووعي الأخت. هنا تشكلت ألأسرة. بعدها بدأ الإنسان يعي من هو أبيه، ومن ثم أصبح ينتسب لأبيه وليس لأمه. حتى ألمرأة أصبحت تنتسب لزوجها.

ألنسب للأب مرحلة حضارية. هذه قفزة في ألمجتمعات ألحضارية. هذا مفهوم إنساني لأن المجتمعات ألبهيمية مجتمعات أمومية (غريزية).

إذن أصبح هناك ما يعرف بمحارم ألنكاح، أصبحت ألبنت تعي أنّ هذا أبوها ولا يجوز أن تجامعه.

آخر ما ورد في هذا الترتيب هو ﴿ ... وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ ... ﴾ النساء: ٢٣ لأنّه حتى قبل بعثة ألرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يجمعوا بين الأختين، لهذا نقول أنّ ترتيب ذكر المحارم جاء ترتيبا تاريخيا.

ألرِّبا

ألربا ذكر في آيات سبع في ألمصحف ألشريف

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ ﴾ البقرة: ٢٧٥

هل البيع أصلا حرام حتى يقول سبحانه وتعالى وأحلّ البيع؟

قال تعالى

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ﴾ الروم: ٣٩

هنا قارن ألربا بالزكاة. نحن نتصدق على ألفقراء والمساكين، هؤلاء إذا أعطيناهم قرضا هل لهم ألقدرة على ايفائه. هنا ألحديث ليس عن شركات ألنفط ولا على المصانع الكبرى، هنا ألحديث عن شريحة في المجتمع لا تقدر أن تفي دين.

كان هناك من يُقرض هذه الفئة وحين يعجز الأفراد عن السداد يزيد عليهم المبلغ (يربوا) حتى يبلغ أضعاف ألمبلغ الأصلي.

هنا أيضا لا يتكلم عن فوائد ألبنوك.

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٦

هذه هي الحالة ألأولى من الربا.

هناك حالة ثانية

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٩

هنا أخذ ألتضخم في الإعتبار.

أنت أقرضت إنسان ١٠٠٠ دولار على أن يسدها إليك بعد ٣ سنين مثلا. حين يأتي لإرجاعها إليك تكون قيمتها الشرائية تغيرت,

ألحالة ألثالثة

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠

نقول أخيرا

فوائد ألبنوك – عقد

ألمساكن بالتقسيط – لا غبار عليها

ألبنك يتقيد بنسب ألفوائد، ألمرابي لا يتقيد ويزيدها أضعاف مضاعفة (وهذا هو ألربا ألحرام).

مهما طال ألقرض في ألبنك لا يجوز أن تبلغ ألفائدة ألضعف

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٠

ألحنيفية والإستقامة وعلاقتها بالحدود

عندما نقف لنُصّلي نَستفتح صلاتنا بدعاء فنقول ((وَجّهْتُ وَجْهي للذي فَطرَ السّمَاواتِ والأرضِ حنيفا مُسلما وَمَا أنا مِنَ المُشْرِكينْ ...)).

ثُم نقرأ سورة ألفاتحه فنقولْ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ الفاتحة: ٦ . في الدّعاء كنا نقر بالحنيفيّة، وفي ألآية الكريمة نطلب من الله سبحانه وتعالى أنْ يهدينا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ .

ألحنيفية والإستقامة قد يبدو لمن يتأمّل ويتدبّرْ أنهما متعارضتانْ. هلْ هُما مُتعارضتان؟ هل هما متكاملتان؟ هل هما من الأزواج؟ أم هل هما من جدل الأضداد؟

يبدو أن أللفظتين للكثير من الناس متعاكستين!

ألحنيفية والإستقامة هما من جدل الأزواج، وليسا من الأضداد. هناك تأثير وتأقير متبادل بين ألحنيفية والإستقامة.

- **ألحنف** هو ألميل ألأحنف بن قيس كان قدمه مائلا
- **ألجنف** هو ألميل في ألوصية
- **ألخنف** هو ألميل في ألصوت

كل هذه الأمور ميزات جذر واحد وهي تعني ألميل.

ألطبيعة نفسها هي الميل (حنيفية)، متغيرة. أوّل من اكتشف هذا القانون قانون ألحنيفية هو سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ ۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ الأنعام: ٧٤ – ٧٩

ألحنيفية صفة ألسماوات والأرض .. في الطبيعة كل شيء متغير ولا يوجد أي شيء ثابت فيها، من الكواكب والنجوم إلى أصغر الذرات والألكترونات كلها متغيرة. ألثبات غير موجود في الطبيعة. ألثبات لله فقط.

هنا جاءت ألحنيفية – صفة ألتغير. ميل كل نقطة يختلف عن ميل ألنقطة التي قبلها. ألتطور في كل شيء والثبات غير موجود. لو أخذنا صورة ميكروسكوبية لجسم ما ثم أخذنا صورة أخرى بعد ثانية واحدة سنجد أن الصورة ألثانية تختلف عن ألصورة الأولى. هناك تغير مستمر في كل جسم في هذا الكون. ألكون نفسه أيضا متغير.

وعي هذا التغيير بالنسبة للأجسام ألحية هو ألموت، وفي الأجسام غير ألحية تغيّر ألشكلْ.

قد يقول قائل، ألنّمو أيضا تغير، ألطفل يكون صغيرا ثم يكبر، هذا أيضا تغير. نقول هذا التغير إذا لم نؤمن به يكون هناك شرك. وهذا ما أرادنا الله أن نفهمه في مثل ألرّجلين في سورة ألكهف:

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾

الكهف: ٣٥ – ٣٧

ألرّجل الذي دخل جنّته ألغى قانون التطور، وثبت الحال،وبهذا لم يعد هناك أي معنى للسّاعة بالنسبة له ولهذا قال له صاحبة أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ليذكره بأنّ كل شيء هالك.

إذا ثبتنا كل شيء ينتهي الموت، وينتهي البعث، وتنتهي ألساعة.

الله لم يلهمنا ألحنيفية – نحن طلبنا من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا ألصراط ألمستقيم، لأن طبيعتنا حنيفيّة.

ألأمثال في كتاب الله هي من ألقرآن

أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (ليس المقصود هنا الجنس وإنما جعلك تسير على رجليك)

إذا هنا إشارة لقانون التطور وعدم الثبات .. تراب، نطفة، رجلا.

إبراهيم عليه السلام ربط الثبات أيضا بالشرك. قال تعالى:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٩.

وهذا واضح أيضا في علاقة الأبناء بوالديهم:

﴿ ... وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ... ﴾ العنكبوت: ٨

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ... ﴾ لقمان: ١٥

هنا يريد الآباء أن يثبتوا التطور وأن يلزموا أبناءهم بأن يتقيدوا بما ورثوه هم عن أجدادهم وبذلك يوقفوا حركة التاريخ. فالشرك هنا هو الثبات أي ألحفاظ على ألعادات والتقاليد والموروثات.

قلنا إن الطبيعة حنيفية، وكل مظاهرها كذلك.

ألسُّكر في ألدم مثلا. نسبة ألسكر في الدم من ٧٠ – ١١٠. في كل لحظة فإن نسبة السكر تتغير بين أل ٧٠ وال ١١٠. إذا نقص عن أل ٧٠ معناه أن هناك نقص والإنسان يشعر بذلك، وإذا ازداد عن أل ١١٠ أصبح هناك ارتفاع في السكر، والوضع غير طبيعي. هذ يعني أن رب ألعالمين قد وضع في الطبيعة نفسها مجال ألحنيفية

قد يقول قائل، كيف أكون حنيفا (متغيرا) وبنفس الوقت أكون مستقيما. نقول تماما إن مثال السكر في الدم هو خير جواب على هذا ألتساؤل. نسبة السكر تتغير في كل لحظة بين أل ٧٠ وال ١١٠ ومع كل تغير بين هذين الحدين فإن النسبة صحيحة.

كوننا حنفاء بطبيعتنا - طلبنا من رب العالمين – أن يهدينا ألصراط ألمستقيم.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠

ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ أي ألمسيطر.

هذه ألطبيعة ألحنيفية ألمسيطرة على كل أهل الأرض. ألآية ألكريمة ذكرت ألفطرة، إذا جزء من طبيعة ألإنسان أن يكون حنيفيا متغيرا منسجما مع طبيعة ألكون.

ألرسالة ألمحمديّة رسالة حنيفية ((حنيفا مسلما)). أليهود والنصارى مسلمين ولكن ليسوا حنفاء.

﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾ آل عمران: ٦٧

أليهود والنصارى ليسوا دين بل ملة

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ... ﴾ البقرة: ١٢٠

شريعة موسى عليه السلام غير حنيفية، ولذا فهي شريعة مؤقتة.

ألرسالة ألمحمدية

نقول أن محمدا علية الصلاة والسلام هو الرسول ألخاتم أي معه خُتِمَتْ ألمحرمات. بعد محمد صلى الله عليه وسلم لا يحق لأحد أي كان، سواء أكان بشرا أم برلمانا أم مجمعا فقهيا أن يقول عن شيء لم يرد نص صريح بتحريمه أن هذا الشيء حرام. ألحرام لله وهو شمولي وأبدي، وأي تحريم جديد يحتاج إلى رسول جديد. ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل فأن المحرمات ختمت بما نُصّ عليه في كتاب الله.

﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ ﴾ الأنعام: ١٦١

في هذه الآية نجد

صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

دِينٗا قِيَمٗا

حَنِيفٗا

مِّلَّةَ

ألقيم في ألصراط ألمستقيم، والشرائع جاءت حنيفية.

ألعالمية في ألتشريع (ألشرائع عالمية)، ألشعائر محلية (خاصة بأتباع ألرسالة ألمحمدية)

معظم ألقيم موجودة في ألمحرّمات.

سؤال قد يتبادر إلى الذهن وهو أن المجتمع ألعربي زمن ألرسالة كان مجتمعا بسيطا جدا، والرسالة ألخاتمة جاءت عالمية. كيف استطاع هذا المجتمع استقبال هذه الرسالة وكيف استوعبها؟

كيف استوعب ألمجتمع ألعربي ألبسيط رسالة عالمية شاملة؟

هناك قاعدة تقول أن ألمعرفة تتراكم، وأن التشريع يحصل نتيجة قفزات.

لقد كان ألمستوى ألمعرفي والمستوى الإجتماعي والمستوى ألثقافي والمستوى الإقتصادي للعرب في غاية ألبساطة بل إنه كان بدائيّ جدا.

حياة ألرسول الأعظم في ألمدينة ألمنورة كانت غير كافية لإستنفاذ أحكام ألرسالة ألخاتمة. ألرسول الأعظم عاش حوالي ١٠ سنوات في ألمدينة ألمنورة، والرسالة ألمحمدية عالمية، هذه ألعشر سنوات غير كافية لأستنفاذ أحكام ألرسالة ألتي جاء بها ألرسول ألخاتم. ألتعددية ألزوجية حتى الآن لم تطبق.

نستنتج أن تشريع الرسالة ألمحمدية كالنبوة تماما ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنعام: ٦٧ ألمستوى ألمعرفي كان كثيرا متخلف زمن ألرسالة، وكلما تقدم ألمستوى ألمعرفي كلما تأولت لنا آيات ألنبوة. ألتأويل ألنهائي للآية هو تحويل ألنبأ إلى خبر أي يصبح واقعا يُرى. ألآن معظم أهل الأرض تَبنتْ وتُقلد ألرسالة ألخاتمة.

محلية ألرسالة ألخاتمة في ألسيرة ألنبوية.

هناك فرق كبير. ألرسول ألأعظم عاش في شبه جزيرة ألعرب، ولد سنة ٥٧٠ ميلادية، وتوفى سنة ٦٣٢ ميلادية، أي إنه عاش في إطار جغرافي تاريخي محدد.

ألسيرة ألنّبوية، وبالذات ما ثُبّتَ منها في المصحف، مثل سورة ألتوبة وسورة الأنفال وما جاء في سورة آل عمران وبعذ ألسور ألتي ورد فيها ذكر لأحداث حصلت في زمن الرسول الأعظم – أي ألجزء ألقرآني للسيرة ألنبوية، عبارة عن أحداث محدودة في ألتاريخ والجغرافيا وهي من القصص ألقرآني، تماما كقصة يوسف أو قصة موسى عليهما السلام. هذه القصص لا يُؤخذُ منها أحكام بل يؤخذ منها العبر. هذه الأحداث التي حصلت في عهد الرسول الأعظم وذكرها القرآن ألكريم لها علاقة بالسلطة ولها علاقة في تقييم ألسلطة .. هي أحداث كأحداث موسى عليه السلام مع فرعون أو أحداث نوح عليه السلام مع قومه .. هذه قصص قرآني وليست رسالة. هذه الأحداث هي عبارة عن القصص المحمدي وهي من ألقرآن وهي ليست منسوخة.

ألرسالة هي الأحكام والنبوة هي ألقرآن.

ألقصص ألمحمدي جزء من ألنبوة، لا يؤخذ منه أحكام وهو وحي تلازم فيه ألإنزال والتنزيل وهو جزء من القرآن نأخذ منه ألعبر، تماما كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١.

الله سبحانه وتعالى ثبت هذه الأحداث في ألمصحف ليقول لنا أن ما يلزمكم من ألسيرة ألنبوية في ألزمان والمكان موجود في هذا ألكتاب ألموحى إلى نبيه.

في ألمصحف دين وعقيدة .. خارج ألمصحف تاريخ.

كيف استوعب ألمجتمع عالمية ألرسالة؟

هنا لا بد لنا من توضيح ألفرق بين شريعة ألرسول الأعظم والشرائع ألسابقة، كشريعة موسى عليه السلام. لقد كانت شريعة موسى شريعة عينية حدّية لكل حالة جاء حكم بعينه يتناسب مع مجتمعهم ومع الإشكاليات ألموجودة آنذاك، ولذلك نجد في شريعة موسى عليه السلام ٦١٣ بند تشريعي. بينما شريعة ألرسول ألأعظم شريعة حُدوديّة وليست عينية.

ما هو ألمقصود بأن ألشريعة ألخاتمة شريعة حُدودِيّة؟

عين ألإنسان تستطيع رؤية موجات ألضّوء ألتي تتراوح بين ٤٠٠ – ٧٠٠ نانوميتير، وهي الألوان ألتي تتراوح بين أللون الأحمر واللون ألبنفسجي. إذا هذه هي حدود ألرؤية للعين ألبشرية. حد أدنى ٤٠٠ نانوميتر وحد أعلى ٧٠٠ نانوميتر. كل اطوال موجات ألضوء ألواقعة بين هذين ألحدين يمكن للعين ألبشرية أن تراها. أما موجات ألضوء ما دون أل ٤٠٠ نانوميتر أو تلك ألتي هي فوق أل ٧٠٠ نانوميتر فإن ألعين ألبشرية غير قادرة على رؤيتها.

الأذن ألبشرية تستطيع أيضا أن تميز ألأصوات ذو ألذبذبات ألمحصورة بين ٢٠ – ٢٠٠٠٠ هرتز. أي أصوات خارج هذه ألحدود فإن الأذن غير قادرة على سماعها.

أعلى نقطة على سطح الأرض هي قمة أفرست ألبالغ ارتفاعها ٨٨٨٤ م عن سطح ألبحر، وأقل نقطة إنخفاضا على سطح الأرض عند ساحل ألبحر ألميت (٣٦٢ م تحت مستوى ألبحر). سكان ألكرة الأرضية يعيشون بين هذين ألمستويين. إذا لا يتجاوز أولئك الذين يسكنون المناطق الأقل إنخفاضا عشرات الآلاف وتلك الأكثر ارتفاعا ألعشرات، بينما البقية من سكان الأرض ينوسون بين المستويين.

لا يصح أن يأتِ إنسان ليقول لك أنّ عليك أن تعييش على ارتفاع ٦٥٠ م عن سطح البحر. تماما كما لا يصح أن يقول لك الطبيب أن تسبة السكر في الدم لديك يجب أن تثبت عند أل ٧٨ مثلا .. هذه استحالة.

أيضا ألحد ألأدنى للسرعة للخروج عن نطاق ألجاذبية الأرضية هو ١١ كلم/ثانية، لكن هذا لا يعني أن علينا أن نرسل صاروخ بهذه السرعة ليخرج عن نطاق جاذبية الأرض، إذا يمكن للصاروخ أن ينطلق بسرعة ٢٠ كلم/ثانية أو ٣٥ كلم/ثانية أو أي سرعة فوق ال ١١ كلم/ثانية. دائما هناك حد معين.

سكان مصر أيضا، عددهم حوالي ٩٠ مليون نسمة مثلا. كم عدد سكان مصر ألذين يعيشون تماما على حدود ألأراضي ألمصرية، نسبة لا تذكر بالنسبة لعدد السكان. سكان مصر بشكل عام يتمركزون ضمن حدود ألدولة ألمصرية وينوسوا ضمن هذه ألحدود.

ملعب كرة ألقدم له حدود، لا مشكلة إن لمست ألكرة ألحد أثناء اللعب، لكن غير مسموح أن تتجاوز ألكرة حدود ألملعب. هناك احتمالات لا نهائية للعب داخل ألملعب.

هذه الفكرة عن الحدود هي تماما ما نراها في المصحف وهي تماما ما نعنيه عندما نقول أن ألرسالة ألخاتمة هي رساله حدوديّة وليست حدّية.

الله سبحانه وتعالى عندما ذكر آيات الإرث قال بعدها:

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ النساء: ١٣ - ١٤

لاحظ قوله سبحانه وتعالى وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ، ألإرث حدود، ليس عين الإرث، لكن حدود الإرث. ماذا تعني حدود؟

إرث ألزّوجة ألربع والثمن هو الحد الأدنى لإرث ألزّوجة. إذا توفى رجل وليس له أب أو أم أو أولاد، وله زوجة وله إخوة. ألإخوة يأخذوا ألثلث والزّوجة تأخذ ألثلثين.

مهما كلنت ألظروف فإن ألحد الأدنى لحصة ألزّوجة هو ألثمنْ. سيتم شرح موضوع ألإرث لاحقا لكن ما نريد أن نقوله هنا إنّ الأنثى هي الأساس في الإرث وإنّ الذكر تابعا لها. قال تعالى ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ لنعرف حظ ألذكر لا بد من أن نعرف حظ ألأنثيين. تماما كما نقول حظك مثل حظ أخيك، فلنعرف حظك لا بد من أن نعرف حظ أخيك.

آيات ألمواريث من ألرسالة (حدود)، علم ألمواريث له طابع تاريخي .. طابع زماني، مكاني معرفي.

هنا أريد أن أقول أنّ النسبة قد تزيد أو تنقص لكن يجب أن لا تقل عن نسبة معينّنة، تماما كنسبة السكر في الدّم.

هناك حدود لا يجب أن نتعداها . وهناك حدود يجب أن لا نقربها.

أحيانا يجب أن نقف على الحد وأن لا نتجاوزه كأن نعطي ألمرأة ألثمن في الآرث مثلا (لا تعتدوها).

أما قوله سبحانه **لا تقربوها** فقد جاء في قوله تعالى

﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾ البقرة: ١٨٧

هنا نوع ثان من الحدود فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ .

إذا كان لك سور لحديقة، وجاء شخص ووضع يده على السور .. هذا مسموح. لكن ضمن ألحديقة هناك مئات الإحتمالات وأحد هذه الإحتمالات أن تجلس على ألسور من الخارج أو من الداخل. ولكن إذا قمنا بكهربة ألسور يصبح الإقتراب من السور خطر جدا وبالتالي يمنع الإقتراب منه. لهذا قال تعالى ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء: ٣٢ لأنك إذا اقتربت من الزنا وقعت فيه.

إذا فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ تعني أنّ علينا أن لا نقف على ألحد، لأنّ وقوفك على الحد يعني أنّ هناك مشكلة.

الصيام مثلا طلب منا عدم الإقتراب من الحدود وبالتالي علينا الإمساك قبل دقائق من الفجر. دائما حين تذكر ألحدود فإنّ هناك حقل. حقل الصيام مثلا من الفجر حتى ألغروب.

كلمة حدود لا تعني عين ألتشريع، لكن تعني أنّ هناك حقل – نحن نتحرك ضمن حدود هذا الحقل.

نعود نقول أن الرسالة الخاتمة هي رسالة حدوديّة، أحيانا يسمح لنا بالوقوف عند الحد، وأحيانا يمنع علينا الإقتراب منه. في حالة الإرث مثلا فإن الحد الأدنى لأرث الزوجة هو الثمن وبالتالي لا يحق لأحد أن يمنع المرأة من أن ترث أقل من ذلك، أما في حالة الزنى فإن الوقوف على الحد هو بحد ذاته زنى لذلك قال تعالى وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ .

وَلَا تَقۡرَبُواْۖ تصف ألواقع تماما. ألزّنى يُذهبُ إليه في مظانه، يُقصدُ وليس موجودا على الطرقات أو في الأماكن ألعامة. الله طلب منا أن نترك مسافة بيننا وبينه أن لا نقربه.

أهل الأرض بالفطرة حين يشرعوا يتحركوا ضمن حدّين – حد أعلى وحد أدنى، هنا نرى عالميّة ألرسالة ألخاتمة.

حد ألقتل

ألحد الأعلى لعقوبة ألقتل هو الإعدام (ألنّفس بالنّفس)، والحد الأدنى هو ألصفح. ألله سبحانه وتعالى ذكر الحد الأعلى في قوله لبني إسرائيل ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٥.

لو أنّ أناس ما في مكانٍ ما ألغوا عقوبة الأعدام أو أقروها فكلاهما على حق لأنهم في الحالتين تحركوا ضمن ألحدود ألتي أقرها الله سبحانه وتعالى. بين ألحد الأعلى والحد الأدنى هناك مئات ألعقوبات التي ممكن أن تطبّق على قاتل ألنّفس.

قد يسأل أحدهم وهل هناك ما هو فوق الحد الأعلى ممكن أن يطبق على قاتل ألنفس؟ الله سبحانه وتعالى أجاب على هذا السؤال وبيّنه لنا حين قال

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣

إن الإسراف في القتل هو تجاوزا للحد الأعلى في عقوبة ألقتل. وهذا يعني أن القصاص يجب أن يكون من القاتل نفسه ولا علاقة لأحد من أهله أو أقربائه أو عشيرته بذلك، وتحت هذا فإن ما يعرف بالثأر هو حرام في شرع الله. إذا ألإسراف في القتل هو تجاوزا للحد الأعلى في عقوبة ألقتل.

ألعقوبات بين ألحد الأعلى والحد الأدنى عقوبات متغيرة من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر أيضا، أي إنها ليست ثابتة لأنه كما قلنا فأن هناك الآلاف من الإحتمالات دائما بين ألحدّين. ألمهم أن لا نتعدى حدود الله في بعض الحالات وأن لا نقربها في حالات أخرى.

هذا ألتحرك بين الحدين هو الحنيفية. رب العالمين في حالة القتل مثلا وضع حدا أعلى للقتل (إعدام القاتل) ووضع حدا أدنى (ألصفح عن القاتل)، بين هذين الحدين ألمجتمع يقرر كيف يعاقب.

حد ألسِّرْقة

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨

القطع في ألتّنزيل ألحكيم له معنيان، أحيانا يكون قطع معنوي وأحيانا يكون قطع مادي

قال تعالى

﴿ .... وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنفال: ٧

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٧

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنعام: ٤٥

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ محمد: ٢٢

أما ألقطع ألمادي فليس بالضرورة أن يكون بترا ايضا اي أن يتم فصل جزء عن جزء آخر.

قال تعالى

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ يوسف: ٣١

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٤

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة: ٣٣

إذا حين يكون هناك آلة حادّة فإن فعل ألقطع يأتي مشدّدا (**قطّع**) ولكن ليس بالضّرورة ورود الفعل مشددا أنّ هناك آلة حادّة.

نعود لقضية ألسارق. في حالة القتل قال تعالى﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا ﴾ وقال تعالى

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

أي ليس بالضرورة أن يكون القتل مهنة، هنا ألحديث عن قاتل ارتكب فعلته ولو لمرة واحدة. أما في حالة السرقة قال تعالى وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ (إسم فاعل)، ألسرقة هنا أصبحت مهنة يمارسها الفاعل بحيث أطلق عليه إسم **ألسّارقْ** أو **ألسّارِقة** إذا كان الفاعل أنثى. لم يقل سبحانه وتعالى ((ومن يسرق)) كما جاء القول في حال القتل. هذه إشارة تبين لنا أنّ علينا أن نميز بين حد السرقة وحد القتل.

منطوق الأية (المائدة: ٣٨) يقول إذا كان مقصود بالقطع هنا أن يكون بآلة حادة فإن علينا أن نقطع الأربع أيادي (**فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا**) أربع يدين. ألقطع هنا أيضا جاء بدون تشديد وبالتالي لا يوجد آلة حادة للقطع. قطع يد السارق إذن تكون بأن نكف يد ألسارق عن ألمجتمع، أن نسجنه مثلا.

هنا ممكن أن يكون هناك توبة، هذا ألتّنكيل (نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ). ألحد ألأدنى مفتوح. عمر بن ألخطاب

رضي الله عنه لم يُلغِ حد ألسرقة في عام ألرّمادة كما يظنْ ألبعضْ. ما فعله عمر رضوان الله عليه هو أنه لم يطبّق الحد الأعلى إنما تحرك ضمن الحدود، أي إنّه اجتهد ضمن ألحنيفية. كل ألعقوبات تخضع للتاريخ وهذا من ألحنيفية.

ألحنيفيّة عند كل ألمُجتمعات بالفطرة يمارسونها في تشريعاتهم، وهم بذلك يقلدوا ألرّسالة الخاتمة في ألتشريع وإن لم يعوا ذلك.

نعود ونقول إنّ قطع أليد غير تقطيع أليد، وقَطَعَ تختلف عن قَطّعَ (بتشديد ألطاء) . قَطْعْ أليد تعني كف اليد. وقلنا إذا كان هناك آلة حادّة تعني قطّعَ، ولكن قَطّعَ لا تعني ضرورة وجود آلة حادَة، كقوله سبحانه وتعالى (وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ) .. هنا لا يوجد ساطور أو أي آلة حادّة.

هنا (فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا) ألسجن يكف يد ألسارق عن ألمجتمع.

نحن نستعمل فعل قطع مثلا حين نقول .. قطع ألطريق، ماذا يعني هذا، يعني ببساطة أن السير قد توقف على تلك ألطريق. وحين نقول قطع يد السارق فإن ذلك يكون بأن نضعه في ألسجن لنكف يده عن المجتمع، أي لنمنعه من السرقة, لذلك قال تعالى فاقْطعُوا أيْدِيهُمَا – سبل الوصول إلى ألسرقة.

ألعقوبات هي حد أعلى. هنا قال **ألسّارِقْ** (اسم فاعل) أي إنّ السرقة أصبحت مهنة بالنسبة له. وتتابع الآية التالية ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾ المائدة: ٣٩ . إذا قطعا يد السارق كما يفهم، فما هي الفائدة بأن يتوب؟ لكن إذا كففنا يد السارق عن السرقة بسجنه مثلا، ورأينا أن سلوكه أصبح أفضل واقتنع بنفسه بعدم جواز السرقة وتاب وندم على ما فعل فمن الممكن أن نسامحه وأن نعيده إلى المجتمع الذي عزلناه عنه بالسجن – نفرج عنه، باب ألتوبة مفتوح. لكن إن كنا فهمنا القطع ببتر اليد فكبف نعيد يده إليه.

يقول البعض، لكن (**ألزّانِيَة وَالزَانِي**) جاءت ايضا كإسم فاعل، فكيف نفسر ذلك، هذا كلام خطير! هكذا يقولون.

سنرد على هذا السؤال في فصول قادمة، فلنتركه إلى حينه.

ألرّسول الأعظم قال ((ادْرَأوا الحُدود بالشّبَهاتْ))، هذ قاعدة يتبعها كل أهل الأرض. الله أعطانا في القتل وفي السرقة العقوبة ألقصوى. إذا كان هناك إنسان متهم بجريمة قتل وهناك شك بأنه ليس القاتل، لا يتم إعدامه – طبعا ليس بالضرورة أن تسامحه، لكنك لا تقتله. في كل قوانين العالم هناك ما يعرف بالشك ألمنطقي (Reasonable doubt).

إذا حصل الشك ألمنطقي لا تُطَبّقْ عقوبة الإعدامْ. هنا لا يُطلب منك أن تعفوا عن المُتّهم، ولكن لا يجوز تطبيق حكم الإعدام عليه إذا كان هناك شكا بأنه ليس القاتل. هذا يتوافق مع الحديث الشريف.

لو أردنا أن نفهم الحديث الشريف قانونيا ((ادْرَأوا الحُدود بالشّبَهاتْ))، فإننا نقول أنه يعني (أنّ الأدلة ليست كافية).

كل تشريعات أهل الأرض على مر العصور تتوافق مع هذا المعنى. كل تشريعات أهل الأرض حدودية تعلمتها من ألشريعة ألمحمدية.

ألكونغرس ألأميركي، مجلس ألعموم ألبريطاني، ألبرلمان ألفرنسي عند تشرع فإنها تضع تشريعات حدودية. مثال ألضرائب: يُنَصْ أنّ هناك حد أدنى لذوي الدّخل المحدود وهناك حد أعلى لأصحاب ألدخول الكبيرة. هنا نرى عالمية ألتشريع.

نحن لا نقول أن مشرعوا تلك الدول قد اطلعوا على الرسالة الخاتمة واستنتجوا تشريعاتهم من تلك الرسالة، لكن ما فعلوه هو تصديقا لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠

الله سبحانه وتعالى أعطانا تجريد في التشريع. كلما تقدم الإنسان حضاريا وثقافيا ومعرفة، كلما وضحت ألحدود أكثر.

ألمفكر جودت سعيد قال إن رسالة محمد ونبوته ستظهر في التاريخ وليس في القرن ألسابع ألميلادي. ألتاريخ ألإنساني برمته هو ما سيظهر نبوة ورسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ألفقهاء بفطرتهم عرفوا أنّ هذه حدود عُليا لأنهم قالوا أنه لا يجوز تطبيق عقوبه أكبر من تلك العقوبة ألمنصوص عليها في كتاب الله. أما لماذا لم يُشرِّعوا حُدوديا فذلك عائد ألى المستوى ألمعرفي والمستوى ألإجتماعي.

ألحد ألأدنى – محارم ألنِّكاحْ

قال تعالى

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ

أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣ ﴾ النساء: ٢٢ – ٢٣

هذا هو ألحد الأدنى من محارم ألنّكاح والذي لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال. لكن من الممكن أن نزيد على هذا العدد من المحرمات نهيا ومنعا ولكن ليس تحريما. ألمجتمعات ألتي تمنع زواج أبن العم من ابنة عمه تعمل ضمن هذا المنطق.

رب ألعالمين في القرآن الكريم خاطب الرّسول الأعظم بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾ الأحزاب: ٥٠ ألسؤال هنا: لماذا أحل الله للنبي الزّواج من ابنة عمه مثلا علما بأنها ليست حرام؟ نفس الشيء بالنسبة للمذكورات في الآية.

رب العالمين سبحانه وتعالى يعطينا إشارة هنا إلى أنه يمكن للمجتمعات أن تمنع زواج الأقارب. ألمَنْعُ ليْسَ شُمولي وَليْسَ أبدي وَمُمْكِنْ أنْ يتغيّرْ ..أيضا إذا تزوج شخص ما ابنة عمه في بلد يمنع الزواج من ابنة العم يكون قد خالف القانون ولم يخالف ألشرعْ، وأحكام ألشرع، ولا يجوز أن نقول أنه زاني.

قال عليه الصلاة والسلام ((كُنْتُ قَدْ نَهَيْتَكمْ عَنْ زِيارَة القُبورْ ألا فَزوروها)) ألرّسول يأمر وينهي في ألحلال، ألحَلالْ مُطلَقْ ولا يُمارَسْ إلا مُقيّدْ.

ألرّسول الأعظم أضاف إلى مُحرَمات ألنكاحْ، ألجمع بين ألبنت وعمتها أو ألبنت وخالتها. ألرسول نهى ولم يحرِّمْ.

نَهْيْ ألرّسولْ لَيْسَ تحْريماً .. ألتّحْريمْ شُمولي وأبَدي.

الله سبحانه وتعالى لم يُعط الحَقْ لأحد بأنْ يُحرم ما أحله أو أن يُحلل ما حرمه. لكن البعض يستشهد بقوله سبحانه وتعالى ﴿ ... مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾ التوبة: ٢٩ نقول أن التحريم الذي جاء به الرسول جاء من خلال الرسالة التي جاء بها. الله سبحانه وتعالى لم يقل (مَا حَرّمَ الله وحَرّم رسوله)، لو جاءت بهذه الصيغة لكان هناك تحريم لله وتحريم للرسول.

في الطاعة هناك حالتين كما ورد في كتاب الله:

﴿ ... أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ... ﴾ آل عمران: ٣٢ (طاعة متصلة)

﴿ ... أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ... ﴾ النساء: ٥٩ (طاعة منفصلة)

ألحد ألأدْنى في مُحَرّماتْ ألنّكاحْ

قال تعالى

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ ﴾ المائدة: ٣

حرم ألأنصاب والأزلام، ألخمر والميسر إجتنابْ

تفصيل

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ ﴾ الأنعام: ١٤٥

ألدّم ألمسفوح هو ألمحرم وليس الدم ألمطلق. حين نذبح الدابة فإن الدم الذي ينزف هو الدم ألمحرم، هذا ما نفهمه من مسفوح. لو كان جنس الدم هو المحرم لكانت مصيبة، لأنه بعد ذبح البهيمة يبقى بعض الدم في العروق (غير مسفوح). ألناس ايضا تأكل الكبد والطحال لأن الدم هنا ليس دما مسفوحا.

ورد في تحريم الأطعمة فقط فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ. ألإضطرار هو تجاوز مُحَرّمْ ذُكرْ.

ألإضطرار غير الإكراه.

المصطلح ألفقهي ألمتبع ((ألضّرورات تُبيحْ ألمَحْظوراتْ)) هذا الإصطلاح للأسف غير دقيق.
ألحظر ورد في كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

الإسراء: ٢٠

ألحظر يكون في العطاء وليس له اي علاقة بالأحكام والتّحريم. ولذا أقول إنّ هذا الإصطلاح وهذه القاعدة ألشرعية ((ألضّرورات تُبيحُ ألمَحْظوراتْ)) ليست دقيقة، ولم ترد لا في حلال أو حرام ولا في أمر أو نهي ولا في إفعل ولا تفعل.

هناك محرمات وهناك منهيات في المصحف ألمحظور ليس له أي علاقة بالمحرمات والمنهيات،

لأن الحظر ذكر مرة واحدة في مقام ألعطاء وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا .

أنت غير مضطر لأكل مال اليتيم، ولست مضطرا لأن تشرك بالله، ولست مضطرا لأن تزني. الإضطرار ورد فقط في مجال الأطعمة.

علينا أن نفرق بين الإضطرار والإكراه. ألإضطرار في الظروف فقط والإكراه يكون من الآخر وساحته كل ألمحرمات. شرط للإضطرار الذي وضعه رب العالمين هو أن تكون **غير باغ ولا عاد**.

نفرض أنك في مدينة ما وأنّ هناك مطعم لا يقدم سوى لحم ألخنزير، وأنت قصدت ذلك المطعم للأكل، **في هذه الحالة أنت بغيت،** (أنت بغيت أي قصدت ذلك).

نفرض أنك في مطعم يقدم مختلف أنواع اللحوم، ألسمك، ألبقر، ألدجاج، لحم الخنزير ... أنت طلبت لحم الخنزير **في هذه الحال أنت عاد** (هذا عدوان).

أما الإكراه فيكون بضغط من الآخر عليك. عمار بن ياسر مثلا، حين أكره على سب الله ورسوله ماذا قال رسول الله له ((فإن عادوا فَعُدْ))، والله سبحانه وتعالى قال ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ النحل: ١٠٦ وقيل إن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر..

أيضا بلال مؤذن الرسول، تعرض للتعذيب أيضا لكنه ضل على قوله: **أَحَدٌ أَحَدْ**.

ألرّسول عليه الصلاة والسلام لم يلم أي من عمار أو بلال، لأن لكل إنسان قدرته على التحمّل.

إضافة للحد ألأدنى من مُحرّمات ألأطعمة

نفرض أن طعاما ما في بلد ما تسبب للناس بمرض ألكوليرا، يصدر قرار يمنع تقديم ذلك الطعام في المطاعم. هذا قرار صحيح لا يعارض شرع الله، هذا ليس تحريم .. هذا نهي ومنع.

هذه هي ألحنيفية، ألحياة كلها حنيفية. وزارة ألصحة تمنع أصناف من التداول بناء على توصية الأطباء. هذا الأنواع من الأطعمة ألتي يتم منعها هي فوق الحد الأدنى من محرمات الأطعمة ألتي ذكرها الله لنا.

هنا نرى أنّ ألبرلمانات والمجالس ألتشريعية لها دور لا يتعارض مع التشريع ألإلهي. آيات الأحكام لم تلغِ ألمجالس ألتشريعية والبرلمانات.

ألدّول تضع قانون السير من يتجاوز ألقانون يغرّم. لكن تجاوز تشريع الله حسابه على الله. ألبرلمان ألبريطاني حين أقر قانون زواج ألمثليين تجاوز حدود الله .. ألله يحرس حدوده.

شخص قُتِلْ والقاتل لم يعرف، ألقضية سُجّلتْ ضد مجهولْ. هل انتهت ألقضية هنا؟ ألن يعاقب الله ألقاتل؟ ألم يتجاوز القاتل حدا من حدود الله؟ الله يحرس حدوده.

حدود المجتمع يحاسب عليها ألمجتمع، وحدود الله يحاسب الله عليها.

حالة ألحَدْ ألواحِدْ – أعْلى وأدْنى سَوَاءْ.

حالة ألزّنى

قال تعالى

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾
النور: ٢ - ٣

الله سبحانه وتعالى وضع ألزّانية قبل ألزاني ليقول لنا أنّ العمليّة بالرّضا وليس اغتصابْ. الأنثى ألتي تغتصب ليست زانية. ألقتل والسرقة جرائم ليست بالرضا.

ألزّنى سُمّيَ كذلك لأنَ الجِنسْ زَنّ على مرتكبيه حتى أتوه علنا.

كون ألزنى حالة عينية فقد وضع الله سبحانه وتعالى شروطا لتنفيذها. لا يقام الحد إلا بشهادة شهودٍ أربع (في القتل يكفي شاهد واحد). حتى يتم إقامة حد ألزنى فإن الفاحشة يجب أن تكون علنية (يشهدها أربعة على الأقل).

ألزّنى جريمة تتم بالتراضي وهو في نفس الوقت غريزة، وشروط اقامة الحد عليه هو أن يكون علنيا وأنا أرى لو أن زوجا جامع زوجه في حديقة عامة لوجب إقامة حد الزِّنى عليهما

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور: ١٩

حالة الحَدْ الأدْنى والحَدْ الأعْلى في الإرْثْ

ألحد ألأدنى للزّوجة هو ألثمن

ألحد الأعلى ممكن أن يصل إلى كل شيء

قال تعالى ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ ﴾ التوبة: ٩٧

ألحُدود تحتاج إلى وضع متقدم حتى تُفهمْ. الأعراب لم يكن الوضع مهيأ لها أن تفهم ألرسالة.

قلنا في السابق أنّ ألرسالة ألمحمدية جاءت لا تتناسب مع ألوضع ألإجتماعي، والثقافي، والإقتصادي والمعرفي للأعراب فلقد جاءت متقدمة عن عصرهم. وقلنا إن سنوات عشر عاشها الرسول الأعظم في المدينة ألمنورة لم تكن كافية لتستنفذ خلالها آيات الأحكام. فالظروف لم تأتِ لتسمح للرسول الأعظم بتبيان كل ما أنزل الله من الأحكام.

ألأحكام ألشرعية حدودية. هناك حد أدنى وحد أعلى. بالنسبة للتعددية ألزوجية فإن اصحاب ألشبهات يطرحون سؤالا كيف تفسرون أن الرسول الأعظم تزوج من أكثر من أربعة، وما هو بالأصل حكم ألتعددية في الإسلام؟

نقول إننا حين نبحث فقة ألمرأة في الآسلام فإننا سنجيب على هذا السؤال بالتفصيل، لكننا الآن نكتفي بالتالي:

إن آية ألتعددية هي آية حدودية. قال تعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣

ألحد الأدنى: واحدة

ألحد الأعلى: أربعة (وليس: ٢ + ٣ + ٤ = ٩ كما يحاول أن يقول البعض)

نحن نقول جاء القوم مثنى وثلاث ورباع، هذا لا يعني أنهم جاؤوا تسعة تسعة، وإنما جاءوا إثنين إثنين، ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة.

ألزّوج ألثانية والزوج ألثالثة والزوج ألرابعة يجب ان يكونوا أرامل، وذلك فهمناه من الآية الكريمة ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ النساء: ٢٠

حالة الحَدْ الأدْنى موجبْ لا يجوزْ تجاوزهُ وحالة الحَدْ الأعلى سالبْ يجوز تجاوزه

لنقرأ آيات ألربى في كتاب الله

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٠

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الروم: ٣٩

﴿ ... وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ... ﴾ البقرة: ٢٧٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٨ – ٢٨٠

لا يقال عن الربى ربا إلا إذا كان المُدانْ يقبض ما لا يستطيع أيفائه. في هذه الحالة ربط الربا بالزكاة،(الروم: ٣٩) . ألإنسان لا يزكي أو يتصدق لشركات ألبترول أو مصانع السيارات. ألإنسان يتصدق على من ذكرهم الله في الآية ألكريمة ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

ألرسول صلى الله عليه وسلم حدد ألحد الأدنى للزكاة ب (٢,٥٪) أما ألحد الأعلى فتركه مفتوحا. لهذا قال لنا سبحانه وتعالى أنه إن كان هناك إنسان مُدانْ وغير قادر على إيفاء دينه فاصبر عليه (البقرة: ٢٨٠)، وإن كنت قاسيا معه فلك ما دفعت له – رأس ألمال (البقرة: ٢٧٩)

إذا حدودية ألربا تكون بالشكل ألتالي:

مع أصحاب ألصدقات الذين لا يستطيعوا أن يفوا ديونهم إما أن تسترد منهم ما دفعته لهم إذا كنت قاسيا معهم (هذا ما نسميه ألقرض ألحسن)، وإما أن تسامحهم وتتصدق عليهم (وهذا خيرٌ لك).

هناك عُرف في البنوك أن الفائدة يجب أن لا تتجاوز ضعف ألمبلغ (ألحد الأعلى أضعاف مضاعفة). من يتجازو هذا الحد يصبح من ألمرابين، وقانون معظم دول العالم يمنع ألمرابين ويطلقون عليهم إسم **ألقرش**.

أما لماذا قال سبحانه وتعالى (وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ) والبيع بالأصل حلال؟

نحن حين نتصدق على أصحاب الصدقات، فإنهم سيشترون حاجاتهم بالمبالغ ألتي تصدّقنا بها عليهم. ألبائع سيربح منهم تماما كما يربح من أي إنسان آخر سواء أكان غنيا أو متوسط الحال أو إنسان عادي، ألبائع سيبيع ألجميع بسعر واحد، وهذا حلال. تصور أن التاجر سيسأل من يشتري أي بضاعة منه: هل أنت فقير؟ هل أنت مسكين؟ هل أنت من أصحاب ألصدقات قبل ان يبيعه؟ عندها سيحصل مشكلة كبيرة في المعاملات ألتجارية. ولذلك فأن الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه في البيع فأن اصحاب ألصدقات يعاملون تماما كما يعامل أي إنسان آخر.

إذا أصحاب ألصّدقات وأصحاب ألزّكاة لا يُعْطَوْا قروض وإنما يُعْطوا هبات.

لإصحاب ألصدقات ألربى ممنوع والبيع مسموح.

عظمة هذا الدين أنه يجمع بين الحنيفية والإستقامة. ألإستقامة هي حدود الله - ألثوابت.

ألحد ألأدنى تستطيع أن تتجاوزه. مثلا في محرمات النكاح ذُكِرَ من لا يجوز على الإنسان عقد نكاح معهنّ. لكن المجتمع يستطيع أن يضيف بحيث يمنع جواز الأقارب مثلا، والطبيب يستطيع أن يمنع جواز أي إثنين إذا كان هناك أسباب طبية لذلك، لكن إياك أن تسمح بالزواج ممن ذكرن في محرمات ألنكاح.

أيضا ألحد الأعلى لعقوبة ألقتل هي الإعدام. هذا هو الثابت نفسه في القرن السابع وحتى تقوم ألساعة. هذه الحدود التي وضعها الله كحد أعلى أو كحد أدنى لا يجوز تجاوزها.

ألإنسان والمجتمع الإنساني يضع تشريعات ايضا، لكن هذه التشريعات حنيفية، متغيرة. مثلا قد يوضع حد لضريبة الدخل ثم يعدل هذا الحد بالزيادة أو ألنقصان حسب ظروف ألدولة.

ألرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه نظم المجتمع ونظم السوق بتشريعات إنسانية تناسب الفترة التي عاشها والمجتمع الذي عاش فيه. ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الفضة بالفضة ، ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ، ولا الملح بالملح إلا مثلا بمثل سواء بسواء عينا بعين)) هذا ليس تشريعا إلهيا ثابتا لا يتغير. هذا تنظيم لمجتمع عاش فيه الرسول الأعظم علينا أن نتعلم منه كيف ننظم لمجتمعنا ولعصرنا.

كل التفاصيل ألتي وضعها ألرسول للسوق هي لمجتمعه وهي ليست شموليه وليست أبدية. هذا ما يجب ان نفهمه.

ألإسلام وقضايا ألمرأة

ألوصية والإرث

ألمجتمعات ألعربية بمختلف أيدولوجياتها، يمين أو يسار، تقدمي أو رجعي، متدين أو علماني كل هؤلاء عندما يكون الحديث عن المرأة فأنّ جميعهم يتحولون ألى ذكر متعصب. جميعهم يصبح لديه نفس ألرأي. أقول وأنا أذكر أن هناك خمس مصطلحات عربية أساسية تسيطر على ألعقل ألعربي مرتبطة بشكل كبير مع المرأة – وهي كلمات عربية فصحى – لم تذكر في التنزيل ألحكيم. هذه المصطلحات هي: ألشرف، ألعرض، ألشهامة، ألمروءة والنّخوة.

هذه الكلمات الخمس لو وجدت في التنزيل الحكيم كيف كنا نفهمها. كلمة "الشرف" لو وجدت، كيف يفهم ألشرف، هل كنا نفهمه كما يفهمه العربي أو كما يفهمه أليباباني. إن مفهوم الشرف عند الرجل ألعربي هو امرأته أما شرف الرجل الياباني فهو إخلاصه في عمله، علاوة على أن المرأة لا شرف لها بمعنى أن الرجل ليس شرف ألمرأة، لو أخطأ الرجل العربي فإن ذلك لا يعيب المرأة، ولكن لو أخطأت ألمرأة فإنها تعيب ألرجل.

لو كان التنزيل الحكيم من تأليف ألرسول الأعظم، لوجدت هذه المصطلحات الخمس بين كلماته. ألكتاب حقا تنزيل رب العالمين.

عندما نقرأ الكتب نفرق بين البعد ألمحلي والبعد ألعالمي واستحالة أن نقيس ألبعد ألعالمي على ألبعد ألمحلي. هذا مستحيل. قال تعالى

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ... ﴾ الأعراف: ١٥٨

ألمرأة شأنها شأن الرجل في العقوبات ألمذكورة في كتاب الله، لا تمييز بين ألزانية والزاني ولا بين ألسارقة والسارق، كذلك من قتل سواء أكان رجل أو إمرأة فالعقوبة واحدة. أما في العطاء فحصة المرأة هي نصف حصة الرجل (كما حو شائع). يقال أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى ألذكر كالأنثى في الأرض. عندما أعطى عمر هذ الأعطية لم يحتج أحد ولم يعلق أحد لأنّ هذا ليس إرثْ ألدّولة توزع أملاكها، ألدولة تعامل ألذكر تماما كالأنثى. لو كان ما فعلة عمر إرثا لوجدت هناك من يحتج.

نقل ألمُلكيّة في الإسْلامْ

أوّل ما جاء في كتاب الله حول نقل الثروة هو ألوصية والإرث. ألوصيّة جاءت تكليف كالصلاة، لكن هذا التكليف جاء لكل أهل الأرض وليس فقط للذين آمنوا. قال تعالى

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠ – ١٨١

لاحظ قوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يوجد ((يا أيها الذين آمنوا)) هذه لكل أهل الأرض، تماما كالمحرمات حين قال سبحانه وتعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمّهاتِكمْ ...) (قُلْ تَعالوا أتْلوا ما حَرّمَ رَبكمْ ...). كل أهل ألأرض توصي إلا نحن !!!

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ قانون عام .. ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ هنا قال لِلْوَالِدَيْنِ..

في الإرث قال ﴿ لأبَوَيهْ ﴾ ..

هذه أول طريقة لنقل ألثروة .. ألنّصيب معلوم، ألحظ مجهول.

يقال ألنصاب ألقانوني في مجلس ألشعب $\frac{٢}{٣}$ من مجموع الأصوات أو فوق أل ٥٠٪. إذا ألنصيب يكون معلوما. نصاب الزكاة معلوم أيضا. وحين قال تعالى

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ النساء: ٧ فإن المقصود هنا ألوصية لورود كلمة نَصِيبًا. لأنه سبحانه وتعالى استعمل كلمة **حَظْ** حين ذكر الإرث

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ النساء: ١١

إذا نقول ألوصية أساس وهي خاصة وموقعها عام. كل إنسان يوصي لوحده وهو أعرف الناس بمن حوله وبثروته. الإنسان يستطيع أن يوصي لميتم في بلد ما كالهند مثلا، في الإرث لا تستطيع. أيضا الإنسان ممكن أن يوصي لشخص يعمل عنده كان له الدور الأكبر في تكوين ثروته، في الإرث لا يستطيع. في الوصية تستطيع أن توصي لأبن معاق غير قادر أن يعيل نفسه في الإرث كل الأبناء يحصلوا على نفس المبلغ. أيضا يمكن أن توصي لذوي القربى في الإرث لا يوجد ذوي قربى.

أما الإرث فهو قانون عام لكل أهل الأرض أما ساحته فهي خاصة.

في الإرث لا يوجد مساكين. في الإرث ولد معاق يتساوى مع طبيب مُختص في ما يحصل كل منهما. في الإرث طفل لم يبلغ ورجل يملك ثروة هائلة يحصلا على نفس المبلغ إذا ورثا أبيهما ولذا قال تعالى أن الوصية تُؤخذ بعين الإعتبار.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ النساء: ٨

يعني أنت توصي تكتب وصيتك تستطيع أن تعطي لأولوا القربى واليتامى والمساكين – هؤلاء لا شيء لهم في ألإرث.

لتقييد الوصية سبب سياسي

أجمع ألفقهاء أن ألحديث ألنبوي لا يَرُدْ ألقرآن ولا يناقضه. قالوا "لا وصية لوارث"

ولكن إعطاء ألطفل ألمعاق كالطبيب تماما في الإرث والله يقول

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩

نعود لآية ألإرث والتي بدأت بقوله سبحانه وتعالى ب ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾.. وهناك آيات تنتهي ب

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .. هل تنطبق وصيّة الله على ألوصية والإرث؟

ألوصية كتبت على ألناس. ألناس يجب أن توصي، فكما كتب الله ألصلاة والصوم على الناس كذلك كتب الوصية. في الوصية الله سبحانه وتعالى لم يعط قيما ولكن أعطى توجيهات، كما جاء في الآيات (ألنساء: ٧)، (ألنساء: ٨) و(ألنساء:٩) ولما كان بالإمكان أن تكون الوصية شفهية فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ البقرة: ١٨١

ألوصية فرض عين كالصلاة، لأن الموصي يعلم ما لدية ويستطيع أن يوص لبعض من لم يرد لهم نصيب في آية ألإرث، وممكن أن نقول أن أية ألمواريث هي الإحتياط وليس الأساس. الله سبحانه وتعالى في آية المواريث قسم الثروة لمن لم يوص ولذلك يرد في آيات المواريث دائما قوله سبحانه وتعالى ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ .

ألفقهاء يقولون إذا استغرق الدين كل الثروة لن يرث أحد، فلماذا إذا استنفذت ألوصية كل الثروة لا يكون ألحال نفسه أي لا يرث أحد أيضا.

الآن سنبحث أيات ألمواريث. إنسان لم يوص، نطبق آيات المواريث وينتقل المال للأبناء بالحظ وليس بالنصيب. ألحظ أنّ هناك معطيات لا الوالد ولا الأبناء أيضا لهم أي دور فيها. لكن نشير هنا أن معظم أهل الأرض يعتمدون ألطريقة الأولى في نقل ألثروة – أي ألوصية وليس الإرث.

ألولد في أية المواريث ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ ممكن أن يكون ذكرا أو أنثى، ولكن لسبب سياسي بحت أعتبر الولد هو الذكر فقط. نقول أن الولد هو إما ذكراً أو أنثى معتمدين على قوله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾ البقرة: ٢٣٣

فهل الوالدات يرضعن الذكور فقط؟ كذلك قوله ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ ﴾ البلد: ٣ أيضا هل يُلدُ الذكر فقط؟ إذا نؤكد أن الولد ممكن أن يكون أما ذكر أو أنثى, لكن هنا نريد أن نقول أن الأنثى هي الأساس في الإرث وأن الذكر تابعا لها. فلكي نعرف حصة الذكر يجب أن نعرف حصة الأنثى، نقول ذلك ونحن نقرأ ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ ، أي لنعرف حصة الذكر علينا أن نعرف ما هي حصة الأنثيين. فالأنثى هي المتحول والذكر هو ألتابع.

الله سبحانه وتعالى لم يقل ((للذكر <u>**مثلا**</u> حظ الأنثيين)) وإنما قال لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ، أي ثنى ألمعدود وليس ألعدد. لأنه كان بالإمكان أن يقول ((للذكر مثلا حظ الأنثى)). ألمثل هو القيمة الرياضيّة أو القيمة ألحسابية (ألمبلغ). لو قال سبحانه وتعالى **للذكر مثلا حظ الأنثى** لكانت هذه هي القاعدة ألعامّة للإرث ولتوقفت آيات الإرث هنا. لكن الله سبحانه وتعالى أوضح لنا غير ذلكن لأن الآية هنا تشير إلى حالة خاصة عدد الإناث إثنتين مع وجود ذكر واحد. ولكن ماذا إذا كان عدد الإناث والذكور غير ذلك؟ يقول تعالى ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ ﴾ ،

إذا عدد النساء هنا **فوق** إثنتين. في هذه الحالة تكون حصة الإناث $\left(\frac{2}{3}\right)$ وحصة الذكور $\left(\frac{1}{3}\right)$ ولا يحصل الأعمام أو الأخوال على اي شيء. أما الحالة الأخيرة فهي حالة وجود أنثى واحدة. قال تعالى ﴿ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ ﴾ أي في هذه الحالة تحصل الأنثى على النصف وبقية الذكور على النصف.

إذا اية النساء ذكرت الحالات الثلاث

- عدد الذكور ضعف عدد الإناث
- عدد الإناث فوق إثنتين
- أنثى واحدة

الأنثى تغيرت من الواحد إلى أي عدد وفي كل الحالات كان الذكر تابعا لها.

رب العالمين هو صاحب هذا الكتاب، وهو منزل آيات الإرث. رب العالمين معلوماته أكثر من جمع وضرب وطرح وقسمة – تلك العمليات التي كانت معروفة لدى الفقهاء زمن التنزيل وشرح آيات الإرث. فإذا كان هذا الكتاب للناس كافة وهو كذلك فإنه يحق لنا كوننا من الناس أن نستعمل الرياضيات الحديثة وأن نستعمل ألهندسة ألتحليلية والتحليل ألرياضي ونظرية الإحتمالات وكل علوم الرياضيات الحديثة لفهم آيات الإرث. أي نستعمل أدوات معرفية جديدة لم تكن متوفرة زمن التنزيل.

نحن حين استخدمنا الرياضيات الحديثة حلت كل إشكالات علوم الفرائض، وكل ما هو صحيح في علوم الفرائض إنتقل بشكل مباشر وتلقائي للحسابات الجديدة. أقول هذا لأن علوم الفرائض القديمة جعلت أبن عباس يقول حسب ما ورد إلينا: ((وروى سيف بن عميرة، عن ابى بكر الحضرمى عن ابى عبدالله عليه السلام قال: (كان ابن عباس يقول: ان الذى احصى رمل عالج ليعلم ان السهام لا تعول من ستة)).

فوق وأكثر

قال تعالى

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾

﴿ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾

قبل توضيح الفرق بين فوق أو أكثر نوضح ما يلي:

نساء هنا جمع أنثى ولكن لماذا ورد كلمة نساء ما دامت **(كُنّ)** تُعبّر عن النساء؟ يقول الدكتور شحرور أن كلمة نساء هنا أضافت شيئا أي مفهوما للآية أي إنها تشير إلى أن النساء بالغات.

الآن نعود إلى فوق وأكثر

أكثر تُستعملْ للعدد الصحيح

﴿ ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٧

﴿ ... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ التوبة: ٢٥

فوق تستعمل في حال وجود عنصرين

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٨

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ النور: ٤٠

فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ

نقول في المجلس ألنيابي صوت ٧٨ صوتا ضد ٥٠ نسبة التصويت فوق ال ٥٠٪

نسبة التصويت $\frac{(١٠٠×٧٨)}{١٢٨} =$ ٦٥٪

نفرض الآن أن عدد النساء ٥ وعدد الذكور 2 إذن نسبة الإناث بالنسبة للذكور هي $\frac{٥}{٢}$ أي ٢,٥ فوق إثنتين

في هذه الحالة فإن حصة النساء ال ٥ تكون $\frac{٢}{٣}$ من المبلغ وحصة الذكور ال ٢ هي ال $\frac{١}{٣}$ ألباقي

إذا المساواة في الإرث تكون بين مجموعة الذكور ومجموعة الإناث لا بين الذكر والأنثى لأن هذا قانون لكل أهل الأرض وليس لأسرة واحدة.

آيات المواريث غير تاريخية، علم الفرائض تاريخي.

الرد والعول أنتهى والميراث أصبح حدود

بإعتمادنا على ما توصلنا إليه فإن كل حالات المواريث تشكل معادلة قطع زائد والنقاط كلها تقع على هذا المنحنى. بينما في علم المواريث التراثي فإن النقاط عشوائية (لا علاقة لها بالطبيعة).

أقول وأؤكد

- لا يرث إلا المذكور في الآية
- العم والخال لا يرثا
- الذي عنده بنت واحدة أو كل ذريته بنات ترث أو يرثن كل شيء
- (إذا كانت واحدة فلها النصف)، يعني أن هناك ذكور. ألتذكير الحكيم لم يذكر أبدا حالة الجنس الواحد.
- رجل عنده فقط بنات أو فقط أولاد ذكور، ألإرث يكون بالتساوي.
- الأساس بالمواريث ألأنثى.

ألإسلام وقضايا ألمرأة

ألتعددية ألزوجية

قضايا ألمرأة، مسائل ألمرأة، مشكلات ألمرأة، ألمرأة في الإسلام، ألمرأة ألعربية .. عناوين بارزة لقضايا متشعبة .. قديمة جديدة .. عميقة في جذورها في التاريخ. معالجتها أيضا عميقة لدى علماء الدين والمفكرين والفلاسفة والباحثين. فالمرأة ليست ألزوجة فقط، هي أيضا ألأم والإبنة والأخت . هذه المسائل شعبت إشكالات كثيرة عند البعض، حتى إنّ تعدّد الزّوجات اعتبره الدكتور محمد شحرور من أهم ألمشكلات ألتي تواجه ألمرأة ألعربية ألمسلمة، وأيضا من أهم ألمشكلات ألتي تثير علينا كمسلمين ألكثير من الشبهات في الغرب والشرق أو من غير ألمسلمين.

آيات ألتعددية ألزوجية يعلمها الجميع وهي معروفة وواضحة، لكن الدكتور محمد شحرور قرأها بصورة مغايرة. ربما لم يكن هو الوحيد الذي فهمها بمفهوم مغاير عما فهمه السلف. كيف فهم الدكتور شحرور التعددية؟ يقول الدكتور:

المصطلح صحيح مئة بالمئة، تعدد ألزّوجات وليس تعدد ألأنكحة. في التنزيل ألحكيم هناك تعدد زوجات وهناك تعدد أنكحة. بالنسبة لتعدد ألأنكحة قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ ﴾ المؤمنون: ٥ - ٦

ألتنزيل الحكيم فرق بين: أن هناك زوج وهناك ملك يمين، هذه ليست هذه والنكاح في كليهما، وبالتالي نحن نتكلم الآن عن الزّوجات فقط. ألزوجات حسب التّنزيل الحكيم لها تعريف ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ ﴾ الفرقان: ٥٤ هنا نرى أن هناك نَسَبْ وصِهْرْ. وفي سورة النحل قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾ النحل: ٧٢ هنا نرى أن الزواج ينتج الأبناء والحفدة.

إذا ألزّوج هي صِهْرْ ونَسَبْ وأسْرَة. ليس فقط نكاح، أنت تعيش مع إمرأة بهدف أن يكون هناك نسب ومصاهرة بين ألعائلات وهناك نية لتأسيس عائلة.

رابطة إجتماعية ورابطة أسرية هذا الزواج وهذا لا يكون في المصحف إلا واحدة، وحددها بشرط واحد. قال تعالى

﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ

مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١ ﴾ النساء: ٢٠ - ٢١

ما هو هذا ألميثاق ألغليظ؟

نلاحظ أنه في الآية (النساء: ٢٣) جاءت كلمة وَأَخَذۡنَ بنون ألنسوة، وهنا إشارة إلى أن الميثاق الغليظ يعطى من الرجل إلى ألمرأة. هل الميثاق ألغليظ هو العقد؟ قطعا لا ذاك يُسمى عقد ألزواج وليس ميثاق.

ألزوج يُستبدل. ليكن معلوما أننا حين نقول زوج هذا يعني أنّ هناك أسرة. ألزواج – صهر، ونسب وأبناء. وإذا كان هناك زوجة ثانية فإن شروط ألزواج يجب أن تتحقق، هنا تظهر ألتعددية.

آية ألتعدّدية ألزوجيّة جاءت لمجتمع لا يُوجد فيه تعددية زوجيّة لذا قال تعالى ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ ﴾ النساء: ٢٠ ولكن التّطور التاريخي يسير من التعدّد إلى اللا تعدّدْ. هذا سير التاريخ. لاحظ ما قال سبحانه وتعالى عن زوجات ألنبيّ ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨ ﴾ الأحزاب: ٣٨ هذا ليؤكد أنّ التّعدّدية قديمة جدا .. والبشرية تسير بإتجاه عدم ألتعدّد. ألعشرة ألمُبشّرين بالجنّة زوجاتهم معروفين، عدد الزوجات عدا ملك اليمين بمعدل ٩ لكل واحد. في عصر الرسول الأعظم الأساس أنه لا يوجد تعددية، ألأساس أنْ يُجْمَعْ. واحد من العشرة ألمُبشرين بالجنّة أبو عبيدة عامر بن الجراح كان له زوجه واحدة فقط. عبد الرحمن بن عوف ٢٠ زوجة. أقول هذا لأن هؤلاء الصحابة عاشروا ألمرحلة ألإنتقالية أي وقفوا عند الأربعة ولم يزد أي منهم عن الأربعة بعد أن نزلت آية التعددية ألزوجية. "هنا أريد أن أقول أن هؤلاء الصحابة كان لديهم ٤ زوجاتْ ولكن كان الواحد منهم يطلق واحدة ويتزوج من أخرى إلى أن وصل معدل زوجات كل منهم ٩ زوجات.

إذا أعراف ألمُجتمع كانتْ تبيّن أن زوجة واحدة قليلة. ألتعددية لجيل الصحابة ليست نموذجا لنا.

كل فقهاء المسلمين يعتبرون أن التعدد حلال، ولكن لو أخذنا دولة مثل سوريا مثلا، ما هي نسبة التعدد هناك – قليل جداً. ألتطور ألإنساني يسير بإتجاه إلغائه بشكل طبيعي. إنّ عدد المتزوجين من ٢ قليل جدا وال ٤ يكاد يكون نادرا. ألوعي ألإجتماعي والشروط هي التي حددت ذلك وليس الفقه.

ربّ العالمين قال أن هناك شرط يجب أن يتحقق لكي يكون هناك تعددية. وحتى لو ألغيت ألتعددية وتحقق الشرط فبالإمكان إرجاعها – شرط إنساني بحت. نُفصِّلْ: قال تعالى

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ...(١٥٢) ﴾ الأنعام: ١٥٢

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) ﴾ النساء: ٢ - ٣

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴾ النساء: ١٠

إذا في سياق الحديث عن اليتامى عطف آية التعدّدية على آية اليتامى. نسأل الآن: من هو اليتيم؟

اليتيم طبقا للتنزيل الحكيم هو فاقد الأب والقاصر.

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾ الكهف: ٨٢

لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ... وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا تُبينُ أنّ اليتيم هو فاقد الأب

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا تُبينُ أنّ اليتيم هو القاصر

ولذا حين يوصي الله سبحانه وتعالى باليتامى فإنه سبحانه وتعالى لا يُوصي قطعاً أباه، بمعنى أنه إذا كانت ألأم متوفاه فإن الله لا يوصي ألأب، وإنّما يُوصي كافل أليتيم. والحديث ألشريف "لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ" هو الحد الأدْنى كما ورد في قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ ...(٦) ﴾ النساء: ٦ إشارة للحد الأدنى.

بعض الدول تعتبر أن الطفل يبلغ الحلم حين يصبح ١٥ عاما، دول أخرى تعتبر أن سن الرشد ١٨.
إذا ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا تختلف من بلد إلى آخر. ألحُلمْ ظاهرة طبيعية والحد الأدنى ممكن رَفْعُهْ

ألآن إمرأة تَوفّى زوجها وترك عندها أيتام، رجل يُريد أنْ يُقْسِط للأيتام (ألقِسْط يكونْ من طرفٍ لآخر، بينما العدلْ يكون بين طرفينْ) كيف ممكن أن يقسط لليتيم، الحل أن يتزوّجْ أمَه، إذا أصبح هناك أسرة. ألزوجة ألثانية ليس للمتاع وإنما الهدف الأساسي للزواج منها هو أن تقسط للأيتام. هؤلاء الأيتام كلما كانوا صغارا كلما كان الأجر أكبرْ ومنطقي أن تكون أمهم أصغر سنا، وهكذا فإن الرجل يكفل الأيتام مدة أطول ويتمتع بأمهم أيضا.

الآن .. الزوجة الأولى عندها أولاد، كذلك ألزوجة الثانية عندها أولاد، كذلك الثالثة ... إذا أصبح الرجل المتعدد الزيجات يعيل عددا أكثر من الأبناء، وهنا حدد الله شرطين أساسيين للتعددية:

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ... ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ألعدل هنا بين الأولاد وليس بين الزوجات كما هو شائع .. هذا الشرط أي كثرة العيال والخوف من العدل بينهم وعدم القدرة على إعالتهم إضافة إلى الشرط ألأول وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ .. يجب أن يتحققا معا ..

هل تتصور كيف فسروا هذه الآية؟

قالوا رجل كفل يتيمة لكي يُربّيها، وحين كبرت أراد ألزّواج منها دون أن يدفع لها مهرا .. فقال له سبحانه وتعالى تزوّج غيرها.. هل يُعْقل هذا؟ هل هذا الرّجل الذي كفل اليتيمة ورباها حتى كبرت ممكن أن يُفكر بالزّواج منها؟

الله سبحانه وتعالى قال اليتامى ولم يقل أليتيمات، واليتامى ممكن أن يكونوا ذكور أو إناث. واليتامى يكونوا قاصرين لأنهم بعد أن يبلغوا الحلم لا يعودوا يتامي .. وأيضا هناك شرط وجواب الشرط. ألشرط وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ وجواب الشرط فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ .

إذا ألرّجل يريد أن يُقسِط لليتيم، كيف يفعل ذلك؟ يتزوج أمّه، يكفله ويضمّهُ إلى أولاده. هنا الزّواج يكون عن طيب خاطر وليس فقط من أجل ألمتعة مَا طَابَ لَكُمْ ، عن طيبة نفس وليس مكره .. لأنّ هذا الزواج هو عِبْء على الرجل وبالتالي يجب أن يكون عن طيب خاطر.

نعود لنؤكد أن العدل يكون بين أولادك والأولاد اليتامي الذين تزوجت أمهم ولا يوجد أي إشارة للعلاقة بين الرجل والزوجات ونهاية الآية تشير إلى أن المقصود بالعدل هو العدل بين الأولاد، لأنّ الرجل حين يضم أولاد الزوجة الأولى إلى أولاد ألزوجة الثانية ... يصبح لدية ألعديد من

الأولاد (ألعيال) أي يصبح عيال كما نقول، ولذلك قال تعالى بعد أن أمرنا بالعدل بين الأولاد ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ وإلا على الرجل أن يكتفِ بواحدة.

ألآية بدأت بمثنى لأنها تتوَجّه للرجل ألمُتزوّجْ وليس للأعزبْ لأنّ الأعزب إن أراد أن يتزوّجْ أرملة ولها أطفال لا يوجد هنا تعدّديّة.

الله سبحانه وتعالى لم يَطلبْ العَدلْ بين الزّوجات، ألكلام من البداية للنهاية يدور حول أليتامى.

أما قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ ﴾ النساء: ١٢٩ فإنه يدور حول النّساء ولذا قال تعالى أنّ العدل بين النساء لن يتحقق ولذلك لم يطلبه الله سبحانه وتعالى من الرجل، ولكنه طلب منه أن يعدل بين أولاده وأولاد الأرملة ألتي تزوجها. لكن علينا أن نعامل الأرملة كزوجة وأن لا نميل كل الميل لواحدة منهن ونترك الأخرى كالمُعَلقة.

قد يتساءل البعض إذا كان ما تقوله صحيحا وأن المشكل كله يدور حول الأيتام فإن هناك دولا قد وجدت حلا بأن أقامت دور رعاية لهؤلاء الأيتام. نقول ألفرق بين دار رعاية اليتيم وهنا أنّنا حين نضع اليتيم في الميتم فإننا نفرق بينه وبين أمه ولكن في حالة التعددية فأن اليتيم يبقى مع أمه وهذا مهم جدا. الله سبحانه وتعالى حرص على أنْ تظل الأم إلى جانب أولادها ولكن حين يدخل الرجل عليها، عليه أن يعاملها كزوجة. إذا الآية (النساء: ١٢٩) لا تعني أن على الرجل أن ينام ليله عند الأولى وليلة عند الثانية، لكنها تقول:

- أن تُعامل أولاد الأرملة تماما كأولادك
- أنْ تُعامل الأرملة معاملة ألزوجة ولا تَدْخُل عليها كالضيف مثلا.

ماذا إذا لم يكن بمقدور الرجل أن يُعطي ألأرملة صِداق. الجواب على هذا السؤال جاء في قوله سبحانه وتعالى﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ١٢٧ ﴾ النساء: ١٢٧

هنا ذكر يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ حين نقول "تاريخ ألكتُبْ" فإننا قطعا لا نعني "كتب ألتاريخ"، تماما كما إن

"ظلمات ألبحر" لا تعني أبدا "بحر ألظلمات". هنا أيضا نقول أنّ **يتامى ألنَساء** لا يقصد بها بأي شكل **ألنّساء أليتامى** أصلا لا يوجد نساء يتيمات لأنه كما جاء في الحديث ألشريف "لا يتم بعد احتلام". ألمقصود هنا وجود نساء عندهنّ يتامى وترغب بأن تتزوج واحدة من أولئك النسوة – وليس اليتامى – ولا تأتيهن الصّداق. هنا سمح الله سبحانه وتعالى بأن لا يُعطى صِداق إذا تكفل

الرجل باليتامى وعاملهم معاملة أولاده. وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ

هنا

- كفل أليتيم
- لم يُفرِّق بين الأم والأولادْ
- أمّنَ للمرأة رجلْ

ومع ذلك فإنّ التّعدّدية بدأت بقوله (**وَإِنْ خِفْتُم**) فإن لم يكن هناك خوف فلا يوجد أي مشكل.
وبالتالي إذا منعت بلدٍ ما ألتّعَدّدية الزّوجية وأمّنتْ مراكز للأيتام وكفلت الأراملْ، فهذا ممكن.
وإذا زاد عدد الأرامل في بلد ما وكثر عدد اليتامى فإنّ التعدّدية الزوجية يجب أن تكون حَلاً (يُسْمح بها حتى لو كانت ممنوعة). إنّ عدم السماح بالتعددية في هذه الحالة سيؤدي إلى انتشار الفاحشة لا محال.

نقول

إذا سُنّ قانون يمنع التعددية الزّوجية فليس خطأ. لكن هذا المنع يكون لفترة وليس أبدي لأنه إذا كان أبديا يصبح تحريما. وبالتالي إذا تزوج شخص ما بعد المنع فإننا نحاسبة قانونيا (اي على أساس مخالفة ألقانون) وليس كزان.

يتساءل البعض لماذا يتنقد الغرب التعددية الزوجية؟

نقول لو فهم الغرب التعددية كما قلنا لقبلوا بها وربما اعتمدوها، لكنهم فهموا التعددية كما وردت في كتب التفسير، وبالتالي فإن حكمهم جاء بناء على الموروث لا على النص القرآني.

آيات الأحكام لم تُستنفَذ في عهد الرّسول الأعظم، أي إن الفترة التي عاشها الرسول الخاتم في المدينة المنورة لم تكن كافية لتطبيق آيات الأحكام.

ألبشرية اليوم تسير في طريق منع ألتعددية. وهذا منطقي مع ما ورد في الآية الكريمة. فلقد ابتدأت الآية بأداة الشرط (**وَإنْ**) ونحن نعرف أنّ الفعل بعد إنْ إحتمالي الوقوع. بينما نجد أن ظاهرة الطلاق لا يمكن إلغاؤها، حتى أن كثيرا من الدول التي كانت قد ألغتها في السابق قد أعادتها من جديد ولذا نجد أن آية الطلاق قد بدأت بقوله سبحانه وتعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ...﴿١﴾ ﴾ الطلاق: ١

ونحن نعرف أنّ الفعل بعد (**إذا**) حتميّ الوقوع.

ألقوامة

قال تعالى

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء: ٣٤

فهم الكثير عبر التاريخ أنّ الرجال متفوِّقون ومسؤولون أيضا عن النساء وهم في درجة أعلى وفي مرتبة أعلى، لكن القوامة حتى عند العلماء هي مسؤولية وهي تكليف.

قال تعالى ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ولم يقل **ألذّكورُ قَوّامونَ على الإناث**. ألرجال غير الذكور والنساء غير ألإناث. مُمْكِنْ أن يكون ذكور نساء وممكن أن يكون إناث رجالْ. قال تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحج: ٢٧ فهل الحج فُرِضَ على الرجال فقط؟ رجالاً هنا تعني مُترجِّلينْ.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٣ إنّ أول من قضى نحبه في الإسلام إمراة (أم عمار) وليس رجلا.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۚ ... ﴿٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٤ فهل جُعِلَ لأمرأة قلبين في جوفها ؟

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧ فهل المرأة سُوِّيتْ بطريقة مُختلفة؟ رجلاً هنا تعني ترجّلَ أي أصبح واقفا على رجليه.

إذا الرجل في كتاب الله لا تختص دائما بالجنس وكذلك لفظة ألنساء لا تختص دائما بجنس ألإناث. ألرجل هو المتمكنْ في شروطه ألمادية وألإدارية والمعنوية، والنساء هم ما تلى ذلك في التمكن والإمكانية. أي تأخر عنه من (نسيء).

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ يجب أن نرى مِصداقيتها في العالم كله، في اليابان والسويد ولوس أنجلوس تماما كما نراها في مكة والقدس ودمشق والقاهرة. هذه الآية للناس كلهم وليست تكليف خاص بالمؤمنين أتباع الرسالة ألخاتمة.

في العالم كله صاحب المال له ألكلمة وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ .

أيضا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ – وليس (بَعْضَهُمْ على بَعْضَهُنَّ) – للتأكيد على أن بعضهم ذكور وإناث.

قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ الإسراء: ٢١ ذكور وإناث.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾
الإسراء: ٢٠ أيضا (**هَؤُلاءِ**) تعني ألذكور والإناث.

إذا نقول:

- (ألرِّجال) تعني ذوي ألإمكانيات ألممتازة (ذكور وإناث)
- (ألنساء) تعني ذوي ألإمكانيات ألأقل – من نسيء (ذكور وإناث)
- (بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ) بالإمكانات ألمادية والذهنية (وَبِما أنْفَقُوا مِنْ أمْوالِهِمْ)

إمرأة صاحبة مصنع، تُعيَنْ مُديرا للعمل. أوّل ما حصل هذا الأمر مع الرسول الأعظم نفسه، فقد عمل عند أم ألمُؤمنين خديجة بنت خُويلد رضي الله عنها فهل هذا يُعيب الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا أمر لم يُعِيبُها ولم يعيبه. هذا نموذج لنا. في حقل التجارة كانت القوامة لخديجة رضي الله عنها وعندما بُعِثَ الرسول وتفرغ للدعوة لم يعد يعمل كانت خديجة هي من تتكفل بالمصاريف. ألرسول كان دائما يذكر خديجة بالخير.

علاقة ألرّجل بالمرأة مُوجهة بين أتّجاهَينْ:

- العلاقة ألعاطفيّة: ألمَوَدّة والرّحْمَة
- ألعلاقة ألإقتصادية ألإجتماعيّة: ألقوامة (ألإدارة)

علاقة ألمودة والرحمة هي قبول أحدهما ألآخر، من هنا يبدأ ألأيجاب والقبول. يقال أن ألمودة من المرأة والرّحمة من الرجل، أنا أقول أنها مُتبادلة ﴿ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ ﴾ البقرة: ١٨٧

ألجانب ألإداري

إمرأة صاحبة مصنع، عيّنتْ مدير ألمصنع رَجُلاً. ألكلمة لها لأنها صاحبة ألمال. ألمثال ألرسول الأعظم وزوجه خديجة رضي الله عنها . قد يكون ألإنفاق متبادل – هنا ألكلمة لكليهما. ومثال على ذلك إذا دعا شخص ما شخص آخر على مطعم فإنّ الداعي يختار المطعم، أما إذا كل منهما سيدفع حسابه فإنّ كليهما يتفقا على المطعم ونوع الطعام.

ألقِوامَة إدارة ومالْ

كفاءة ألإدارة والكفاءة ألماليّة تحدد ألقوامة

بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ألكفاءة ألإدارية

وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ ألكفاءة ألماليّة (أنفقوا .. ذكور وإناث)

ألأن إذا كانت ألقوامة للإناث

﴿ ... فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء: ٣٤

فَٱلصَّٰلِحَٰتُ تعني هنا صالحات للقوامة. بدأ بالمرأة هي المديرة ليس المقصود صالحات ألأخلاق. قال تعالى في سورة ألأنبياء ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٠ هنا **أصْلَحْنا** تعني أنها كانت عاقر فجعلناها ولود، ولا تعني أنها كانت فاجرة فأصبحت تقيّة.

نعود للآية (النساء: ٣٤) موضوع ألآية ألقوامة. ألصالحة هنا هي ألهادئة ليست مُشاغبة تَحفظْ خُصوصيّات زوجها ولا تعيّره بأنها هي التي تصرف على البيت .. بعض النساء قد تنشز في هذه الحال. والنشوز هو التكبر والإستعلاء. يقال نشز الرجل إذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١ إذا النشوز لا يعني ألخروج عن الطاعة، وإنما تعني هنا أن ألزوجة تَمُنّ على الزّوج وتتكبر عليه، وقد تسيء إلى شعوره بشكل كبير جداً. قال تعالى ﴿ ... وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ... ﴾ البقرة: ٢٥٩ أي عليت ووقفت وهنا أيضا نشزت ألمرأة أي تكبرت وعلت. ماذا علينا حينها، قال تعالى

﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ ألعظة لأي كان له قوامه. لأنّه لا يشترط أن تنشز ألزوجة فقط، فقد تكون ألمرأة أرملة تقوم على تربية أبنائها فتمنّ عليهم بأنها تطعمهم وتعلمهم وتربيهم. يجب في هذه الحالة أيضا أن نوجه النصيحة لها بأن هذا التصرف لا يرضاه الله.

﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ مقاطعة. وهنا يقصد بهجر الزوج.

﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ ألضرب في المصحف له معنى فيزيائي ومعنى محمول عليه.

عندما يأتي الضرب بالمعنى ألفيزيائي يضع ألفعل

﴿ ... فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ... ٢٩ ﴾ الذاريات: ٢٩

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ... ١٨ ﴾ طه: ١٨

﴿ ... فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ... ١٥ ﴾ القصص: ١٥

كل أحتكاك جسدي فيزيائي له فعل يعبر عنه إستعمله التنزيل في أكثر من موقع. هناك أللطم، ألصفع، ألرفس ... هذه أفعال. إذا كانت (اضْرِبُوهُنَّ) هنا تُشير إلى معنى فيزيائي فقد تكون لطم، رفس، صفع، وكز ... أو أي فعل من الأفعال ألتي تشير إلى الضرب.

ألحديث ألشريف " اتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ " [مسلم : ١٢١٨]
قال عطاء: قلت لأبن عباس، ما ضرب غير ألمبرح؟ قال بالسواك ونحوه.

أما إذا كان الضّرب محمولا عليه كقوله تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ ﴾ إبراهيم: ٢٤

هل هناك ضرب؟ أوْ قوله سُبحانه وتعالى

﴿ ...وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿١٠١﴾ ﴾ النساء: ١٠١

﴿ ...وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ...﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

هذه المعاني للضرب محمولا عليها. والضرب في الآية (النساء: ٣٤) يعني أن الرجل يتخذ موقفا صارما من الزوجة، حينها ماذا يجب فعله، يقول تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ النساء: ٣٥ .. ألرجل والمرأة وصلا ألى مرحلة لا يستطيعا حل مشكلتهما. ألقوامة للمرأة، نشزت، ألرجل اتخذ موقفا تجاهها، ألمرأة لم ترتدع. هنا يتم تدخل طرف آخر ليصلح بينهما.

ألمرأة لا تستطيع أن تنشز أن لم تكن تملك ألقوامة. ألنشوز يكون حين تكون هي صاحبة ألكلمة، وهي التي تتصرف وبيدها الحل، ولا حول ولا قوة للرجل في هذا المجال. ألرجل رقم ٢ في الإدارة أو رقم ٢ في الإنفاق.

هنا نشوز عن عدم ألصلاحية للقوامة.

مررنا على جزء من الأية (النساء: ٣٤) وهو فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا أي إذا اتخذتم موقفا وأطعنكم فالأمر ينتهي عند هذا الحد.

قد يتشاءل البعض، هل تستطيع ألمرأة أنْ تكون ناشزا وزوجها صاحب القوامة .. ألجواب **لا**. لكن ممكن أن يكون ألزوج ناشزا أي يتكبر ويمنن زوجته لدرجة ألتجريح والإهانة.

قال تعالى

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ النساء: ١٢٨

هنا أعطانا سبحانه وتعالى ألحالة ألثانية. ألرجل هو ألناشز، هنا قال بعلها ولم يقل زوجها. ألفرق كبير جدا بين ألبعل والزوج. في حال ألفراش هو زوج ما عدا ذلك هو بعل. ولذلك نقول حين قال

بعل فإن الحديث يدور حول موضوع إجتماعي بحت لا علاقة له بالموضوع ألجنسي على الإطلاق.

ألرجل يكون بعلا في ألمأكل والمشرب والمجالس والمؤانسة ... في آية ألزينة (آية ألحجاب) قال تعالى ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

وفي سورة البقرة قال تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨

مما يؤكد أن ألبعل لا يمكن أن يكون له نفس دور ألزوج لأن الحديث يدور هنا حول ألمطلقات. كيف يقول أزواجهنّ وهنّ مطلقات.

ولهذا قالت إمرأة إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ هود: ٧٢ أي لم يكن هناك مجال للعلاقة ألجنسية.

لذلك حين قال تعالي وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فإن الحديث يدور عن أمر إجتماعي لا علاقة له بالفراش.

نحن نرى أنّ هناك نوعين من الرجال:

- إمّا دكتاتور في البيت بحيث لا يكون للزوجة رأي
- وإمّا مُعرِض غير مكترث وتارك أمور البيت تسير على الهوى، يقضي وقته بعيدا عن البيت غير مهتم بأبنائه وغير مكترث بأمورهم ألدراسية.

هذين النوعين من الرجال موجودين في كل مُجتمعْ وفي كل عَصرْ، ولذا قال تعالى ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ ﴾ إحتمال أن يكون هناك إمرأة مع واحد من هذين الصنفين ألذين ذُكِرا إمّا رجلا ناشزاً وإمّا رجلا مُعرضا وترضى ألمرأة أن تعيش معه، تلك مشكلتها.

إذا نحاول أن نصلح ألأمر ﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ عندما يأتي الرّجلْ وإمرأته ليتصالحا فإنّ كل منهم يضع ألعِلَلْ في الآخر، كل منهم لا يذكر سوى سيئات ألآخر، هذه هي ألأنفس ألشّحْ، كل يتهم الآخر، ولذا إن استطعتم أن تصلحوا فأصلحوا بينهما وإن لم يكن ففراقْ ..

ألشّحْ: أنْ تأخُذْ كل شيء أيجابي لك وتضعْ كل شيء سلبي على ألآخر.

قلنا إن لم يكن مجال للصلح ففراق ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ ﴾ النساء: ١٣٠ ألمرأة غير مجبورة أنْ تتحمّلْ. هنا نرى مصداقية كتاب الله في مسألة ألقوامة.

نعود لنموذج ألرسول صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة رضي الله عنها لنقول، بعد أن بُعِثَ الرسّول وتفرّغَ للدّعوة فإنّ خديجة هي التي كانت تقوم بأمور ألبيت، ولم تنشُزْ، وهنا نرى مثالا للصالحاتْ ألمشار إليهنّ في الآية ألكريمة.

بعد أنْ رأينا نُشوز ألمرأة ونشوز ألرّجُلْ نسألْ هل من الممكن أن تكون ألقوامة مشتركة؟ وهل هذا له علاقة بعقد النّكاح؟ ألعِصْمة بيدها .. كما يقال بالعامّية، أو ألعصمة بيده؟

الميثاق ألغليظ مطلوب من الرّجلْ ﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١ ﴾ النساء: ٢١ لاحظ نون النسوة في وَأَخَذۡنَ لتشير إلى أن المرأة هي التي تأخذ ألميثاق من الرجل.

هناك ميثاق ألإسلام. الله أخذ ألميثاق من بني إسرائيل .. لا تقتلوا، لا تسرقوا ولا ... ومن بني إسرائيلْ أخذ أيضا ميثاقا غليظا. ما هو ألميثاق ألغليظ؟

ميثاق ألزّوجيّة من المفروض أن يقوم به ألقاضي الذي يعقد عقد الزّواج، وهذا الميثاق يجب أن يكون علني أمام شهود وهو شبيه بيمين ألولاء ألذي يقسم به الضابط حين تخرجه، أو قسم الطبيب أو قسم ألسفير. في الميثاق الغليظ يضع الزّوج يده على المصحف أمام ألشهود ويُقسِمْ على أنْ:

- أن يتعهد بالصّدق مع الآخر وعدم غشّه.
- أن يتعهد بعدم إرتكاب ألفاحشة (ألخيانة ألزّوجية).
- أن يتعهد بالمحافظة على صحة الآخر وماله، والصبر على السراء والضراء والصحة والمرض.
- أن يتعهد برعاية ألأولاد رعاية كاملة.
- أن يتعهد بالمحافظة على خصوصيات ألآخر وعدم ألثرثرة أمام الآخرين بهذه الخصوصيات.

هذه هي بنود ألميثاق ألغليظ التي يجب أن يقسم بها ألزوج (والزوجة) ويتعهد (يتعهدا) على الألتزام بها قبل إعلانهما زوجا وزوجة.

أما ما يوجد في عقد ألزّوجية من ذكر للصداق من مُقدّمْ ومُؤخّرْ فهذا ليس ميثاقا .. في الميثاق يجب أن تأتي ألزوجة نفسها ولا يصح أن يأتي وكيلها، بل هي نفسها، تتعهد أمام الله بوجود شهود على أن ترعى زوجها وتحافظ على ما اشترطت عليه تماما كما يحافظ الزوج ويُقسم (على الأقل الميثاق يجب أن يقوم به ألرّجل) أما المرأة فليس شرطا إن أحبت قامت به ولها أن لا تقوم به.

ألميثاق ليس يمين كاذب ممكن أن يُفتى، هذا ميثاق لا يمكن أن يُفتى.

هنا أوجّه قضيّة إلى رجال ألذّين أنْ يهتمّوا إلى هذه ألقضيَة.

أللباسْ

بعض ألمفكرون تحدّثوا عن مشكلة الزّي، آخرون قالوا ألحِجابْ، آخرون قالوا ألجِلبابْ وآخرون قالوا ألخِمارْ لأنّ الخمار لفظة قرآنيّة ﴿ ...وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ... ﴾ النور: ٣١

والحِجابْ ورد في القرآن الكريم كلفظ والجِلبابْ ورد في القرآن الكريم أيضا ﴿ ... يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ... ﴾ الأحزاب: ٥٩ ولكن لماذا اختار الدكتور شحرور كلمة **أللباس؟** علما أن لفظة ألقميص أيضا قد وردت في كتاب الله. هل اختيار كلمة اللباس جاء بناء على الآية الكريمة ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأعراف: ٢٦

ألتّنزيل الحكيم يستعمل كلمة ثيابهن ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ النور: ٦٠ هذا أسم الجنس. وضع الثياب يعني أن تبقى عارية.

ألثياب ما يُرَدْ عليك، تماما كالثّوابْ. أنت تفعل خيرا يُرد عليك أجره.

هناك جلباب، لباس خارجي، لباس داخلي، قيص، خمار ... هذه الأسماء عبارة عن قطع من الثياب. أما إسم الجنس فهو ألثياب – ما يرتد على جسم الإنسان. ومنها جاءت ثوابا.

ذُكِرَتْ ألفتنة في التنزيل ألحكيم مع مُشتقاتها ٦٠ مرة. لم تذكر مرة واحدة مقترنة بالنساء. لم تُقرَنْ ألفِتنة مع ألمرأة على الإطلاق.

يقولون فتنة ألمرأة. ما ألمقصود بفتنة ألمرأة؟ في التنزيل ألحكيم ذكرت ألمرأة وذكرت ألفتنة ولكن لم يرد إرتباط ألمرأة بالفتنة. أكثر من هذا – موسى عليه السلام قال لرب ألعالمين ﴿ ... إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ... ﴾ الأعراف: ١٥٥ ألربط بين ألمرأة والفتنة غريب.

في التّنزيل ألحكيم ألمرأة مذكورة وألفتنة مذكورة والزّنى مذكور والفاحشة مذكورة. لكن نكرر ليس هناك أي ربط بين المرأة والفتنة في التنزيل الحكيم.

(ألمرأة كلها فتنة) وهناك من اعتبرها (كلها عورة). أنا لا أرد على الفقهاء بهذا الكلام، لكن اقول إن ربط المرأة بالفتنة خطأ، لأنّ ديننا جاء من عند الله بالنّص والمُحتوى وفي التّنزيل الحكيم لا يوجد هذا الرّبط الذي يدّعون.

ألعورة

ألعورة جعلوها مفهوم إجتماعي ومفهوم تاريخي بينما في كتاب الله لها مفهوم خاص جدا. الرسول الأعظم استعملها كما يجب.

ألعورة هي ما لا يرغب المرء في إظهاره من فعل أو عمل أو جنسه.

رجل أصلع وضع باروكة، هذا الرجل اعتبر صلعته عورة.

ألرّسول الأعظم قال (كل ألمرأة عورة ما عدا وجهها وكفّيها) في هذا المفهوم ١٠٠٪ صح.
ألرسول كان يشرح ولم كن يُحَجِّبْ. فالمرأة ألتي تخجل من رقبتها ممكن أن تغطيها، كذلك أي جزء من جسمها، إلا إنه عليها أن لا تغطي وجهها وكفيها. لأنّ ألوجه هو هوية ألإنسان. على المرأة ألا تستحي بإظهار وجهها.

هذا المعنى للعورة يتناسب مع التنزيل الحكيم في الآية الكريمة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ النور: ٥٨ أنت لا ترغب أن يراك النّاس خلالها.

أيضا يقولون

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١٣

أيضا بيته مكشوف للضرب وليس الأمر كذلك.

ألرسول الكريم حين قال (مَنْ سَتَرَ عَوْرَة أخيهِ المُسْلِمْ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ يَوْمْ القِيامَة) هل كان يعني أنّ شخصا يرتدي شورت فجاء رجل وغطى رجليه. المقصود هنا أن يستر نقائص أعماله. رجل يعمل عملا ما لا يرغب أن يراه ألنّاس فالواجب أن لا يفضحه أحد.

أيضا قوله سبحانه وتعالى

﴿ ... أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ ... ﴾ النور: ٣١

ولكن هناك أيحاءات أنّ هذه أللفظة إصطلاحيّة شرعيّة تعني ما يخجل منه الإنسان جدا حتى أنه يقال ألعورة ألمُغلظة أي ألسّوْأة.

قال تعالى

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ٢٧

هناك ربط بين ما يخجل ألإنسان منه وبين الثياب وهذه قضيّة شرعية وليست إجتماعية. عندما أخْرِجَ أبَوَيْنا من الجنّة هل كانوا يرتدوا الثياب؟ نزع أول إحساس بالذنب. نزع لباسه لا تعني أنه صار عار. هنا أدرك أنه ارتكب عمل سيّء وأراد أن يختبأ

ألمرأة ليست فتنة.

ألعورة ليست عورة بالمفهوم ألشائع عند الناس.

ألأيات ألتي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى (قُلْ)

يرى الدّكتور محمد شحرور أنّ الآيات ألتي تبدأ بقوله سبحانه وتعالى (قُلْ) لها مفهوم خاص. قال تعالى

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾
الأنعام: ٦٥

﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ ﴾ ص: ٦٧

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ الملك: ٢٤

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ الإخلاص: ١

والعديد من الآيات.

مَرّة سأل ألعقيد معمر ألقذافي قائلا: قال الله قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ فنحن علينا أن نقول هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ .. هذا السؤال قد يخطر على بال أكثر من واحد، أنا إن قلت لك: قل أحمد، تقول أحمد. هذه هي ألـلغة. ولكن في التنزيل ألحكيم هناك ثلاث أطراف

- ألله سُبحانهُ وتعالى
- جبريل عليه السلام
- ألرّسول الأعظم

ثلاث ذوات مُختلفة. من يُكلم من؟ ألله سبحانه وتعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى ألرّسول الأعظم وقال له: يا جبريل قل لمحمد أن يقول (هو ألله أحدْ). ماذا يقول جبريل عليه السلام للرسول الأعظم؟ هناك فرق بين أن يقول سبحانه وتعالى لجبريل عليه السلام:

- (قل له أن يقول) أو
- (قل له)

في الحالة الأولى فإن الرسول يقول (قل هو الله أحد)، أما في الحالة ألثانية فإن الرسول الأعظم سيقول (هو الله أحد).

ألله جل جلاله أرْسلَ جبريل عليه السلام ليقول للرّسولْ الخاتم ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ ﴾ الروم: ٢ بلغها الأمين للرسول الأعظم فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾. ولكن لو أن الله سبحانه وتعالى قال لجبريل عليه السلام قل للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول غُلبتِ الرّومُ لقال عليه السّلام (قُلْ غُلِبَتِ الرُّومُ).

هناك أللوح ألمحفوظ والإمام ألمُبينْ، هناك آيات من اللوح ألمحفوظ وآيات من الإمامِ المُبين.
وُضِعَتْ الآيات معا. في سورة الأعراف مثلا هناك آيات تحدثتْ مثلا عن موسى عليه السلام بعدها

جاءت الآية ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾

الأعراف: ١٥٨ ثم تابعت الآيات للحديث عن موسى عليه السلام.

لو لم ترد لفظة ﴿ قُلۡ ﴾ في الآية " الأعراف: ١٥٨ " لكان الخطاب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ كأنّ موسى عليه السلام هو من يقوله، وكأن موسى هو من بعث للنّاسِ جميعا وليس الرسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ ﴾ الزخرف: ٨١ – هذه مداخلة. هذه ليست من اللوح ألمحفوظ ولا من الإمام ألمبين.

نعود لموضوع ألقواعِد من ألنّساءْ. هناك إستثناء حتى للحد الأدنى ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۢ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾ النور: ٦٠ هنا وضع سبحانه وتعالى إسم ألجنس ثِيَابَهُنَّ ولكن ما هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ومنْ هُنّ القواعِدْ من النّساء. قال تعالى

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ... ﴾ آل عمران: ٣٦

﴿ ... وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ... ﴾ الطلاق: ٤

إذا نفهم أنّ الله سبحانه وتعالى قد أجاز للقواعد من النساء أن يتعرّين تماما إذا اقتضت الضرورة ونفهم أنّ القواعد من النساء لسْنَ فقط اللواتي لا أمل لهنّ بالزواج بسبب ألعمر وإنما ممكن أن يضاف لهن ألعاجزات، ألمُصابات بالشلل أللواتي تحتاج أجسادهنّ للتعرّض للشّمسْ. هؤلاء النسوة جعل الله أهل الأرض جميعا محارم بالنسبة لهنّ.

أما قوله سبحانه وتعالى﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ ﴾ فالمقصود منها أنّ هذه المرأة لا تخلع ثيابها من أجل إبراز زينتها.

كيف تخرج ألمرأة إلى ألطريق

قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩

ما ورد في مناسبات ألنّزول في هذه الآية حول التّعرض للمُؤمنات صحيح. أللباس ألخارجي لأي إمرأة يجب أن يكون بحيث لو خرجت ألمرأة إلى الطريق لا تعرّض نفسها للأذى﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾. إمرأة مُؤمنة في باريس لبست أللباس ألتّقليدي لأهل باريس، من يتعرّض لها؟ قطعا لن تتعرض للأذى بسبب هذا اللباس.

ألحد ألأعلى للباس يتبع للأعراف والطقس وألبيئة. ألمرأة في سيبيريا تلبس وتُغطي نفسها أكثر من ألمرأة في ألحجازْ هذا حُكمْ ألبيئة.

أللباس ألشرعي من أين جاء؟

لباس فقهاء ألمسلمين كلهم أخِذَ بالقياس. أخذوا ما لبست ألمرأة المُسلمة في القرن ألسابع وقالوا هذا لباس ألمرأة ألمسلمة. اعتبروا إذا ذلك النموذج للباس على أنه أللباس ألشرعي معتبرين أنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل حكما به. وبالتالي بات هذا اللباس جزءا من الفرائض وجزءا من الإسلام.

يقول البعض أن لا أحد يقول أنّ هذا اللباس مفصل من عند الله، لكن هذا اللباس يستر ما أمر الله به أن يستر. أيضا هذا اللباس يحقق ألحشمة بأفضل شكل كان، ومن حق ألمرأة ألمُسلمة أن تستر جسمها كله ما الخطأ في ذلك؟

أقول حق ألمرأة ألمسلمة أن تستر جسمها كيف تشاء، هذا صحيح ولكن هذا ليس فريضة، هنا وجه الخلاف. ألآيات ألواردة في اللباس أعطت ألحد الأدنى والحد الأعلى للباس ألمرأة. وأعطت ألحد ألذي لا يجب تجاوزه، كما أنها اعطت تعليمات للباس ألخارجي ألذي إذا خرجت به المرأة المسلمة لا تعرض نفسها للخطر. هذا اللباس أعراف، تقاليد، تعصب للمرأة ألعربية في القرن ألسابع أوافق، ولكنه ليس دينا وليس حكما شرعيا. ألمرأة ألعربية لباسها لم يتغير قبل وبعد ألبعثة ألنبويّة؟

نبذة تاريخية

أخذ ألعرب ألحجاب عن ألفرس ألزرادشتيين، ألذين كانت ألمرأة عندهم كائنا غير طاهر، عليها أن تربط فمها وأنفها بعصابة كيلا تدنس بأنفاسها ألنار ألمقدّسة. وقلد ألعرب ألبيزنطيين في عزل ألمرأة وانزوائها بالمنزل، الذين أخذوا ذلك عن الإغريق، حيث كان المنزل نصفين مُسْتقلين،

أحدهما للرجال والآخر للنساء، وتعزز هذا التّقليد كليا أيام ألوليد ألثاني في ألعهد الأموي، الذي كان أول من أحدث ركن ألحريم في ألمنزل ألعربي[1].
وكان ألعرب قبل وإبان ألبعثة ألمحمدية يتألفون من طبقتين، طبقة الأحرار وطبقة ألعبيد. فقد كان ألرّق نظاما معمولا به عند العرب قبل وبعد ألبعثة ألمحمدية. وكان للرق والعبيد مصدران، أسواق ألنخاسة والغزو. ولم تخرج ألغزوات في العصر النبوي عن كونها مصدرا من مصادر الرق،

فالإمام الواحدي في أسباب ألنّزول يربط نزول قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ ... ﴾ النساء: ٢٤. بغزوة أوطاي فيقول عن أبي سعيد ألخدري: أصبنا سبايا يوم أوطاس نعرف أنسابهنّ وأزواجهنّ فكرهنا أن نقع عليهنّ فسألنا ألنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهنّ[2]. والإمام ألرازي في تفسيره الكبير يرى للإحصان أربعة وجوه أحدها ألحرّية. فالمحصنة هي ألحرّة. ولما سقطت هذه الصفة عن ألمرأة ألمسبية في ألغزو أصبحت من مُلك أليمين فحل وطؤها. ويستشهد بقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ... ﴾ النساء: ٢٥ [3]

ألرسول ألأعظم فتح ألباب في تحرير ألرق وتحرير ألمرأة ولكنه لم يتم إلغاء الرق تماما زمن ألرسول ألخاتم.
إذاً كان هناك ألحرة والأمة وكان العرب يميزوا في لباس كل منهما. ولقد فرّق العرب قبل البعثة المحمدية وأثناءها وبعدها، بين لباس ألحرة ولباس الأمة. فلباس ألحرة ألعربية هو لباس السيدة خديجة رضي الله عنها التي تزوجها ألنبي قبل البعثة. غطاء للرأس يَقي من ألحر ويجمع ألشعر أن يتبعثر، وثوب طويل يستر ألقسم الأسفل من الجسد لعدم وجود ألبسة داخلية وقتها، وفضفاض يسمح لها بحرية ألحركة في أعمالها وتحركاتها داخل ألبيت وخارجه، ولم يكن في الثوب فتحات أو جيوب إلا فتحة ألصدر، تبدو منها نهود ألمرأة حين تنحني إلى الأمام وهو ألجيب الذي ضربت عليه ألمرأة ألمؤمنة خمارها حين نزلت أية (ألنور ٣١). ولم يكن لباس ألرجل يختلف من هذه ألزاوية ألبيئية الإجتماعية عن لباس ألمرأة، فقد كان يُغطي رأسه من الحر، ويلبس ثوبا طويلا كيلا تظهر عورته حين يقعد لعدم وجود ألبسة داخلية وقتها. بالإضافة إلى لحية كان يطلقها الرجل، حتى لا يعاب بين قومه. وتروي ألسّيرة أن النبيّ كان ليبس كما يلبس الناس من حوله، حتى إن الرجل يدخل ألمسجد فيسأل ألقاعدين: أيّكم محمد؟.

أما لباس الأمة، التي اعتبروها مُلك يمين فقد كان لباسها مُختلف عما ذكرنا.
حتى أنه في كتب الفقه هناك أحكاما للحُرّة والحُر وأحكاما للأمة والعبد في مجال النكاح والطلاق وقذف المحصنات والزنا وغيرها.

---

(١) أنظر حسين ألعودات " ألمرأة ألعربية في الدين والمجتمع" ص ١٠١،١٠٢
(٢) أسباب ألنّزول، ألإمام على بن أحمد ألواحدي ص ٨٥.
(٣) ألتفسير ألكبير، ألإمام فخر الدين ألرازي، ج٩ ص٣٢.

- فللعبد في موطأ مالك أن يتزوج بإمرأتين أما الحر فبأربع.
- يقع الطلاق من العبد بتطليقتين ومن الحر بثلاث
- عدة الطلاق للأمة شهر ونصف، وعدّة الترمل بعد وفاة الزوج شهران وخمسة ايام.
- حد العبد والأمة في الزّنا خمسون جلدة، وحدّهما في قذف المُحصنات أربعون جلدة، وليس على قذف الأمة حد.
- لا يجوز للعبد إذا طلق زوجته أن يرتجعها إلا بعد أن يطأها رجل آخر.

ألمصدر موطأ مالك ص ٤٦٤ – ٤٧٦

أما في مسألة الحجاب فقد منعت الأمة من أن تتشبة بالحرائر في لباسها، حتى أن الفقهاء اعتبروا أن عورة الأمة هي تماما كعورة الرجل أي من السرة إلى الركبة – حتى في الصلاة تصلى الأمة وهي مكشوفة الرأس والصدر. ألخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمتع الأمة أن تضع غطاء للرأس وسار على هذا ألخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ولكن نسأل عندما قال رب العالمين

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ هل فرق بين ألحرة والأمة؟ للأسف ألمجتمع فرّق.

ألآن لا يوجد حُرّة وأمة. أي لباس مقبول؟ أنا أسأل أي لباس مقبول عند رب ألعالمين وليس عند ألمجتمع ؟. ألمشكلة أنّ الإعتماد على الأحاديث أكثر من الإعتماد على الآيات في أحكام ألفقه.

أسئلة وأجوبة

لا إجتهاد في مورد ألنّص. ألذين قرأوا ألآيات وجدزا فيها حكما شرعياً ولذلك توقف الإجتهاد ألبشري وتوقف ألعُرف. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾
الأحزاب: ٥٩

يرد ألّدكتور: ألله سبحانه وتعالى إشترط ألمعرفة بالأذى. إذا خرجت إمرأة في بلد ما بفستان عار وسارت في الشارع ولم تتعرّض لأي أذى، هل يحصل هذا في ألعالم أم لا يحصل؟. ألمرأة ألتي تتعرّض للأذى مهما كان لباسها لا يوجد قانون في العالم يسمح بذلك، ألعكس صحيح ألقوانين صارمة بحق من يتعرض لأي إمرأة مهما كان لباسها.

لماذا نضع ألذنب على ألمرأة، يجب أن تلبس هكذا حتى لا يعتدي عليها أيّ عديم أخلاق؟ لماذا لا نحاسب عديم الأخلاق على التّحرش؟.

هل إذا وجدنا آية فيها فَرْضٌ فَرَضَهُ الله عَلَيْنا – ولم تنته الآية بعقوبة أو وعيد من الله، ألا يُفْهَمْ ضِمنا أنّ مُخالفة أوامر الله يُحاسَبْ عليها ألإنسانْ؟

ببساطة رب العالمين قال ﴿ ... وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ... ﴾ غافر: ٤٣

ألإسراف هو الإنتقال من حقل ألحلال إلى حقل ألحرام. ألمُحرّمات معروفة.

لم أصل إلى ألجواب، إن وجدت آية أنّ عليّ أنْ أرُدّ ألتحيّة ولم أفعلْ ما يعني هذا، أنت تقول أنه لا يحق لأحد أن يضع عقوبة لم يضعها الله!!

لا .. يحق وضع عقوبة إجتماعية، كمن يُخالف إشارة ألمرور مثلا فإنه يتعرض لغرامة لكنّ الله لنْ يُحاسبه على مخالفة ألإشارة ألضوئية. هذه القضية ليست أمرا شرعيا. تنظيم الحلال وتنظيم حالات ألمجتمع تخضع للتطور، وتخضع لتغيير الأحكام بتغيير ألزّمان والمكان. ألحلال لا يمارس إلا مُقيّد.

هل تعتبر لباس ألمرأة ألمسلمة – ألحجاب والجلباب من أمور ألمجتمع أم من أمور ألدين؟

هم وضعوه من أمور ألدين والحقيقة أنه أمر إجتماعي.

يقول ابن تيمية ألحجاب مختص بالحرائر دون ألإماء.

ويقول ناصر ألدين ألألباني في كتاب " حجاب ألمرأة ألمسلمة في ألكتاب والسنة": كان من شرط ألمسلمين ألأولين على أهل ألذمة أنْ تكشف نسائهنّ عن سوقهنّ وأرجلهنّ كي لا تتشبّهن بالمسلمات.

ما يُقال عن ألحجاب هو لزوم ما لا يلزم.

ألحجاب اصبح علامة مميزة للمرأة ألمسلمة، أقصد ألجلباب. وهنا لا نحكم على ألنّوايا في ألقلوب. كل أصحاب ألأديان يميلون إلى وضع علامة مميزة وكأنّهم يعتزّون بما يعتنقون. لماذا هذه ألحملات على ألمحجبات؟ مع أن ألصحوة ألإسلامية تركز على ألحجاب وكل إنسان من حقة أن يدعو إلى دينه وقناعاته ومذهبه. بعض ألدول تمنع ألشعارات ألدينية ثم تشمل ألحجاب ضمن تلك ألشعارات والغريب أن تلك ألدول تدعي ألحرية.

أولا ألصحوة ألإسلامية بعد ألسبعينات تميزت بالشعائر والحجاب. عدد ألمصلين زاد، كذلك عدد ألحجيج وعدد ألمحجبات. ألتّركيز على اركان ألأيمان وليس اركان ألإسلام.

ثانيا بعد حرب ال ٦٧ خفنا على ضياع ألهوية. هذه قضية هامة جدا. بعد ال ٦٧ ضاعت ألأمة، فبحثنا عن هوية .. ماذا حدث؟ ألثورة ألمعلوماتية انتشرت والهجرة إلى أوروبا زادت .. نحن أمة مأزومة ومهزومة. في نفس الوقت بحثنا على قيمة موجودة عندنا وليست موجودة عندهم. هل نستطيع أن ننافسهم في ألقضاء؟ هل نستطيع أن ننافسهم بالتأمينات ألإجتماعية؟ بالأيفاء بالعقود والمواصفات؟ بتنظيم ألمجتمع؟ بالعناية بالأيتام؟ ب ... كل هذه الأشياء لا نستطيع أن ننافس بها مع أنها قيم إسلامية. فوجدنا حجاب ألمرأة وجعلناه قيمة. هذه موجودة عندنا وليست موجودة عندهم

(أحيينا قيمة ولم نجدها)

ألمهم جعلناها قيمة. يقولون هناك حملة على ألمحجبات. أقول هناك أيضا حملة على ألسافرات من قبل من يدعوا ألى ألحجاب .. ألمرأة سواء تحجبت أم لا هذا ليس دين.

لكن هناك من يسعى لبناء مجتمع صالح من خلال ألشعائر.

ألشعائر شخصيّة. ألشعائر لا تبني دولة. ألذي يبني دولة هو ألقيم وهو ألعمل، وسلطة ألدولة علاقة لها بسوق الناس بالقوة إلى ألجنة أو بإدخالهم ألنار بالقوة. هناك قيمة كان يجب الإهتمام بها وهي ألحرية .. لكنها للأسف هي ليست قيمة في فقهنا ألموروث. ألحرية ليست من ألقيم ألمقدسة في كتب ألفقه.

ألتي تتحجب تلتزم بالحد الأعلى للباس ولكن لا تزايد على أحد بحجابها أنها أكثر تدينا من الأخريات ألسافرات.

آيات ألحدود وآيات ألتعليمات

ألتعليمات أنْ تلبس ما لا يعرِّض للأذى. هذه ليست تشريعات. ألتشريع هو ألحد الأدنى.

تعليمات ألرسالة ألحدودية .. ١٠ سنوات في ألمدينة لم تكن كافية لأستنفاذ آيات الأحكام كلها. إلى الآن البشرية تتطور وتطبق ألحدود .. ألرسالة عالمية ومصداقيتها تظهر مع تقدم البشرية. كذلك النبوة فإنها عالمية أيضا وكلما ابتعدنا زمانيا عن زمن التنزيل كلما كانت النبوة أكثر وضوحا.

لقد تم التعامل مع ألمرأة على أنها متاع .. إذا خرجت سافرة فإن أول من يلقاها في الطريق سيسهل عليه الخروج معها وكأن المرأة لا رأي لها .. هناك إرادة وهناك إغتصاب.

أحاديث نبوية عن ألمرأة

روى ألترمذي وأحمد وأبو داوود عن النبي أنه قال: ((لوْ كنْتُ آمرُ أحَداً أنْ يَسْجُدُ لأحدْ لأمرتْ المرأة أنْ تسْجُدْ لِزَوْجُها)) (ألترمذي ١٠٧٩) هذا الحديث لا يتفق مع قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١

روى ابن الأحوص عن النبي أنه قال ((ألنّساءْ عَوْرَة فاحْبِسوهُنَّ في ألبُيوتْ)) وهذا لا يتفق مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((اسْتَوْصوا بالنّساءِ خَيْراً)) - البخاري ٤٧٨٧ إلا إذا كان الخير عند النبي هو السّجن. حاشاه.

جاء في صحيح ألبخاري أنّ ألنبيّ خرج في أضحى أو فطر إلى ألمصلى، فمر على نساء فقال: ((يا مَعْشرَ النّساء تَصَدّقنَ فإنّي رَأيْتَكنّ أكثر أهلِ النّارْ، قُلنَ وبِمَ يا رَسول الله؟ قال: تُكثِرْنَ اللّعن وتُكفّرنَ العشيرة، فما رَأيتُ ناقصاتِ عقلٍ ودينْ أذهَبْ للبّ الرّجل الحازمِ مِنْ إحْداكنّ، قُلنَ وما نقصان ديننا وعقلنا؟ قال: أليْسَ شهادَة المرْأة نِصف شهادة الرّجل، فذلك مِنْ نقصانِ عَقلها، أليسَ إذا حاضَتْ لمْ تُصَلّ ولَمْ تَصُمْ، فَذلك مِنْ نُقصانِ دينها)).

رُوِيَ عن أبو هريرة أنّه قال ((تَقْطعْ صلاة الرّجل، ألمرأة والحِمارْ والكلبِ الأسْوَدْ)) – مسلم ٧٩٠ وكان هذا الحديث مدار حوار طريف بين السيدة عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة.

أورد الإمام الغزالي الملقب بحجة الإسلام في كتابه إحياء علوم الدين حديثا أخرجه ألطبرائي، يقول فيه ألنبي: ((للمرْأة سِتْران ألزّوج والقبْر))

وأورد حديثا آخر أخرجه ألحافظ أبو بكر يقول فيه ألنبي: ((للمرْأة عَشر عَوْرات، إذا تَزَوّجَت سَتَرَ ألزّوج واحِدَة، وإذا ماتَتْ سَتَرَ القبْر ألعُورات ألعَشْرْ)) ..... وغيرها الكثير

ألأب والوالد

تطوّرَت الأسْرة وتطور المجتمع من سُلطة الأم إلى سلطة الأب، عندها تكامل تَشكيل كيان الأسرة مما اقتضى إنزال تَشريعْ سماوي يأمر ببر ألوالدين. إذن **ألبر للوالدين والإرث للأبوين**، ما ألفرق بين الأبوبن والوالدين؟ وماذا يتفرّعْ منْ هذه المسألة؟

ألفرق كبير جداء، جذر ولد يختلف تماما عن جذر أب وجذر أم .. مختلفين تماما في الجذر وبالتالي لا يمكن أن يكون ألمعنى واحد. في التّنزيل أسْتِعملَ كل معنى منفصل عن الآخرْ. ما جعلني أقوم ببحث ألفرق بين هذه ألمعاني أمورٌ عِدّة، أهمّها:

- **مسألة ألتّبَنّي**. هناك مآسٍ كبيرة جدا في التبنّي. هل التبني حرام؟ سمحوا في طفل الأنابيب وفي نفس الوقتْ اعتبروا أنّ استِئجار الرّحم حرام!
- **ضياع الأنساب**. ألخوف على ضياع الأنساب. إذا فرّقنا بين الأبوين والوالدين نرى أنّ مشكلة ألتبني قابلة للحلْ تماما ونرى أنّ الأنسابْ لا يمكن أن تضيع أبدا.

ألوالد من جذر "ولد" وهو يعني ألنّسل وينطلق على ألذكر والأنثى. قال تعالى

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ ﴾ البلد: ٣

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ ... ﴾ البقرة: ٢٣٣

ألوالدة صاحبة ألبويضة فقط، ألتي تلد هذه تضع ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ٣٦

نقول فعل الولادة في المصحف هو (**وَضع**)

﴿ ... وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤

إذا ورد فعل (وضع) وليس (يلد)

قد يسأل البعض ماذا تقول في قوله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ هود: ٧٢ هنا إمرأة إبراهيم عليه السلام كانت كبيرة في ألعمر (**عَجُوزٌ عَقيم**) ولا أمل لها في الإنجاب، أي أن لا دورة شهرية تأتيها. ولذلك قال

تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾

هود: ٧١ .. هنا إشارة إلى أن إمرأة إبراهيم عليه السلام قد شعرت بأن الدورة قد حدثت لها، والعرب تقول أنّ المرأة تفرح عندما تأتيها ألدّورة ألشّهرية لأنها تشعر أنها ما زالت ولود.

فعل الولادة مشترك بين الإنسان والحيوان (عملية بيولوجية بحت). تحليل الحمض النووي يحدد الوالد والوالدة، لكنّه لا يحدد الأب والأم. قد تكون ألوالدة أم وقد لا تكون، وقد يكون الوالد أب وقد لا يكون. في أغلب الأحيان الأب والوالد يكونا واحد كذلك الأم والوالدة أيضا تكون واحدة.

هناك معنىً آخر للولادة في القرآن الكريم وهو إعطاء ألمعلومات والقناعة والعقيدة والتربية. قال تعالى﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ ﴾ نوح: ٢٦ – ٢٧ لو كانت الولادة هنا بيولوجية، أي إنّ الفاجر الكفار يأتي نتيجة ال DNA – هكذا يولد .. فأين الحساب إذن. ألمقصود بالولادة هنا ألتربية.

ولأنّ الأم هي التي تربي قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ ﴾ المجادلة: ٢ أي اللواتي ربّوكم.

إذا وَلَدْ مُمكن أن تكون بالمعنى ألبيولوجي ومُمكن أن تكون بالمعنى ألتربوي.

الأبْ أيضا لها أصلانْ:

١) ألعُشبْ الذي تأكل منه ألأنعامْ ﴿ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ ﴾ عبس: ٣١ – ٣٢ .. يُقال في بلاد ألشام "أبَّ ألرّبيعْ" أي طلع ألعشب.

٢) ألأب أي ألقصد، يُقال أبَّ ألرّجُلُ إلى سيفه أي توجّه إليه وقصده.

أبوك من أبّ لك ومِنْ أجلك لا علاقة له بوالدك.

ألأمْ أيضا لها أكثر من معنى

١) ألأصْل والمرجعيّة

نحن نؤم ألمسجد ألحرام. أتباع ألرّسالة ألمحمدية أهل ألقِبلة كلهم يقفوا ويتجهوا لسلوك واحد، ومنها جاء الإمام والأمّه.

عندما كفر إبراهيم عليه السلام بالسلوك والمنهج ألسّائد في عصره، قال تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل: ١٢٠ – مع أن إبراهيم شخص واحد. ألأمه سُلوك وثقافة. نحنُ أمّة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم نقوم بسلوك مُوحّد يدل على أننا من أتباع ألرّسول الخاتم.

ألأمّه ليست وقفا على الإنسانْ ألبهائم أيضا أمم، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨ هناك سلوك خاص بالشامبانزي، سلوك خاص بالغوريلا وسلوك خاص بالدلفين ...

٢) وسلوك الأمة يكون موحّداً ، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القصص: ٢٣ ... إنّ لفظة يَسْقُونَ تشير إلى السلوك ألموحّد لتلك الأمّة.

وعِندما قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤ هنا أيضا حين ذكر سبحانه وتعالى ألأمّة أعطى سلوك هذه الأمّة من دعوة للخير، وأمرٍ بالمعروفْ ونهي عن المنكر.

ولذلك كان سلوك الأبناء لما كان عليه آباءهم (داء الآبائية) هو الذي يحدد ما إذا كانت تلك الأمة أمة كفر أم أمة أيمان .. ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الزخرف: ٢٢

٣) ألأمة تشير إلى فترة زمنية .. قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ يوسف: ٤٥

٤) الأم تشير إلى ألتربية .. فلانه تؤم فلانا أي تربيية

٥) كل ما يَضُم ما قبله وما حواليه يسمى أم (**أمْ ألقرى**) (**أمْ ألكتابْ**) (**أمْ ألرّأسْ**)

إذا أمك من أمّتك ورَبّتك وغذَتك

ألوالدة تُعطي بُويضة، ألبُويضة تلقّحْ .. يتكون ألجنين، ألجنين ينمو في ألرّحمْ. هذا ألرّحم أصبح أم لأنّه يغذي ألجنين .. والآيتين التاليتينْ توضحا ألفرق بين ألوالدة والأم

قال تعالى

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ... ﴾ هود: ٧٢ أي لا أمل بأن تُعطي بويضة

ولكن إذا يُصبح الجنين في الرحم ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢ **في أرْحَامِهنّ**.

لماذا قال ربّ ألعالمين ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ... ﴾ النساء: ٢٣

ألوالدة واحدة، لكن هناك أكثر من أم. هناك ألأم ألمُرْضِعة، ألأم ألحاضنة للجنين، ألأم ألتي ولدت، أم ألمؤمنين. ألآية (النساء: ٢٣) شملت ألجميع. لو قال سبحانه وتعالى (حُرِّمَتْ عليْكمْ والِداتُكُمْ) لخرج من ألحرمة ألأمْ ألمُرضِعة، والأم ألمُرَبّية وأم ألمُؤمنين.

ألأبْ

قال تعالى

﴿ ... مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ... ﴾ الحج: ٧٨

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ... ﴾ يوسف: ٤

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ... ﴾ الأنعام: ٧٤

﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ... ﴾ الزخرف: ٢٢

﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الشعراء: ٨٦

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ... ﴾ نوح: ٢٨

قلنا ألأب من أبّ لك ومِن أجلكْ، والأب من ربّاك.

إبراهيم عليه السّلام تبرأ من أبيه واستغفر لوالده. آزر هو أب إبراهيم وليس والده. آزر هو من ربّى إبراهيم، ولذلك قال تعالى ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ ذكر الإسم، بينما في سورة يوسف، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾ ، لم يقل لأبيه يعقوب. والد إبراهيم هو تارح.

إبراهيم تبرّأ من أبيه آزرْ.

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٤

إبراهيم عليه السلام استغفر لوالده تارح.

موضوع ألتبنّي

هل التبني مسموح في الإسلام؟

قلنا إنّ قوله سبحانه وتعالى إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ يقصد به ألتّربية.

ألأم حين تُطلقْ على واحدة على أساس ألحُرمة فهذا زور، ولكن إذا أطلقت على اساس ألتقدير والإحترام فهذا ممكن. الله سبحانه وتعالى حين يُطلق على إمرأة لقب ألأم فقد حُرِّمت .. أما ألإنسان فلا يجوز له أن يطلق لقب أم على أي إمرأة من أجل تحريمها.

عندما عدد سبحانه وتعالى محارم ألنّكاح ذكر مِمّنْ ذكر ﴿ ... وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ... ﴾ النساء: ٢٣ إذا بالضرورة هناك أبناء ليسوا من أصلابنا وإلا أصبحت لفظة ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وحاشا لله.

ألإبن بالتبني يَرِثْ وَيَحْمِلْ إسم أبيه .. ألأنساب إنسانية. ألبيولوجيا بهيميّة (ألبويضة والحيوان ألمنوي)

إنّ فَحْصْ أل DNA يُحَدّدْ ألبيولوجيا (ألوالد والوالدة)، ألإنساني هو ألأم والأب.

ألإبنْ بالتبني إذا تزوّجَ إمرأة وطلقها يحق لك ألتّزوّج منها. ألرسول الأعظم تزوج زوج زيد.

ولكن ما هي شروط ألتبني؟

كل الأمّهات لهن حُرمة، لكن أم واحدة لها ألحرمة والبر والإرث وهي ألتي دخلت وعي ألطفل.

عيسى عليه السلام حين كان صغيرا لحظة ولادته قال ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ مريم: ٣٢ ذكر ألوالدة. أما حين كبر ودخلت مريم عليها السلام وعية وعلى أنها هي التي ربته، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦ لاحظ هنا ذكر ألأم.

متى يَبْطُلْ ألتّبني

قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ لقمان: ١٤

أحد أنواع ألفِصال هو فصال ألذاكرة.

تبدأ ذاكرة ألطفل بالتّشكيل حين يبلغ ألسّنتين من ألعُمر، وبالتالي ألتبني يجب أن يكون قبل أن يبلغ ألطفل ألسّنتين من عمره.

عالم ألنفس ألتربوي **جان بياجية** يقسم مراحل ألطفولة فيقول هناك:

- مرحلة ألطفل ألصّغير
- مرحلة ألإندماج مع ألذات
- مرحلة ألإنفصال عن ألذات

ويقول **جان بياجية** إن الطفل يعي أولا أمّه ثم أباه بعدها يبدأ بالتعرف على ألآخرين.

في مرحلة ألطفولة ألأولى ألطفل لا يعي ذاته، لذا نراه يأكل رجله ويده ويعض أعضاء جسمه.

عادة في مراكز ألأطفال أللقطاء فإنّ معظم ألذين يتبنون الأطفال يختاروهم بحيث تقل أعمارهم عن ألسنتين. وأحيانا تقوم إمرأة غير متزوجة بالأصل بتبني طفلا ما. وسبحان الله نقولها ونحن نقرا قوله عَزّ وجَلْ

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

زيد بن حارثة وقصة تبنيه

نشأته

زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقد جاء ذكر اسمه في القرآن الكريم تكريماً له, وقصة زيد بن حارثة تبدأ حين كان بصحبة أمه في زيارة لأهلها فخطف وبيع زيد في سوق عكاظ وكان غلاماً صغيراً واشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة بنت خويلد"رضي الله عنها" فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وتمضي الأيام وفي موسم الحج رآه بعض أقاربه فتعرفوا عليه وعادوا إلى ديارهم فأخبروا أباه الذي أسرع ليفتدي ابنه ويحرره, وكان زيد يحظى عند النبي صلى الله عليه وسلم بمكانة عظيمة, لدرجة أنه كان يقال عنه: (زيد بن محمد).

قصّة ألتبني

روي أن أباه وعمه جاءا إلى النبي قبل أن تبناه، وطالبوا به، فقال له النبي: " **إخترني أو اخترهما** ". فقال زيد: " ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم ". فقالا له: " ويحك! أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ " فقال لهما: " ما أنا بالذي أختار عليه أحداً. وإني يا أبي رأيت من ذلك الرجل الشيء الحسن فما أنا بمفارقه ". فحينها فرح الرسول ووقف على صخرة أمام الكعبة وقال: " **يا أهل قريش اشهدوا، هذا زيد ابني يرثني وأرثه** ". فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا. ومنذ ذلك الحين دعي بـزيد بن محمد، حتى جاء الإسلام فنزلت الآية الكريمة: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٥ فدعي منذئذ **زيد بن حارثة**، ونُسب بعد ذلك كل من تبناه رجل من قريش إلى أبيه.

قلنا أن الإنسان له أبٌ واحدٌ قد يكون هو ألوالد وقد لا يكونْ، أمّا ألأم فقد تكون أكثر من واحدة. هناك ألأم ألمرضعة، ألأم ألمربية، ألأم ألحاضنة والأم ألولود.

أللقاح والنّكاح

سابقا كان ألحمل والنكاح مرتبطين معا. ألآن هُناك حمل بلا نكاح ، وهو ما يعرف ب (أللقاح) أي فصل ألجنس عن ألحمل. عبارات ألشرف والمروءة والكرامة ألمرتبطة بالجنس لم يَعُدْ لها دور، لأنها ألفاظ مُرْتبطة بالجنسْ.

طفل الأنابيب مثلا .. يُؤخَذْ ألحيوان ألمنوي من ألرجل والبويضة من ألمرأة ويتم ألتلقيح خارج ألرحم وبدون نكاح. هذا ألجنين بعد مدة يوضع في ألرّحم.

حالة ثانية .. ألأم عندها بويضة والرجل عنده حيوان منوي، ألزّوجة رحمها لا يعمل، ممكن بهذه الحالة أن يتيم تلقيح بويضة ألمرأة بالحيوان ألمنوي للرجل وبعدها يُضع الجنين في رحم إمرأة أخرى، أي يتم إستئجار جنين ألمرأة لتحمل هي ألمولود وتضعه، بعدها لا يعود لها علاقة بالطفل بعد ولادته. هذه المرأة ألتي أسْتُئجِرَ رحمها هي أم للطفل (أم حاضنة للجنين) وليست والدة، وهي مُحَرَمة عليه إذا كبر بناتها أيضا. هذه الأم لا ترث. قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الزمر: ٦

هذ الأم ألتي حملت ألجنين ليست والدة، وهي محرمة على الطفل حين يكبر وهي ايضا لا ترث منه. ويحق للمرأة أن تستأجِرْ رحم أمّها أو رحم أختِها، هنا لا يوجد جنس.

ربّ ألعالمين طيب خاطر ألجميع، لكن ألمشكلة في من شدّد من ألبشر.

لنفرض أنّ هناك رجل لا يُرزق أطفال والسبب هو وليست زوجه، هذا الرجل يرغب بالحصول على طفل، هناك طريقتين:

- ألأولي أن يتبنى طفل. في هذه الحالة فأن الرجل يكون أب للطفل وليس والد، كذلك الأم تكون أم وليست والدة.
- ألثانية أن يذهب إلى بنك حيوان منوي بحيث يأخذ منه حيوانا منويا يتم تلقيح بويضة زوجه به. في هذه الحالة فإن الرجل يكون أب للطفل وليس والدا أما ألأم فهي أم ووالدة.

ذوي ألقربى وأولي ألقربى

ذوي ألقربى ليس لهم علاقة رحم مع ألشّخص، وقد ذُكِروا مع أليتامى والمساكين. شخص يعمل معك منذ فترة، قريبا دائما منك، هذا من ذوي ألقربى. قد يدخُل ضمن هذا التعريف ألسكرتير، ألسائق، زميل ألعمل، ألخادم ... هؤلاء لا يُنسوا في ألوصِيَة.

أولي ألقربى هم أقارب ألدم والنسب .. ابوك، أمك، أخيك، أختك، عمك، خالك ...

ألعِبادْ والعَبيدْ

ألعِبَادة والعُبودِيّة.

هناك فرق بين ألعباد والعبيد.

مع نفخة ألرّوح في آدم بدأت جدلية ألطاعة والمعصية، وبدأ معها جدلية ألتوبة والمغفرة ومعها جدلية ألثواب والعقاب. هذه ألثنائيات ألثلاث

- ألطاعة والمعصية
- ألتوبة والمغفرة
- ألثواب والعقاب

لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان الإنسان مُختارا، إذا لم يطبق على الإكراه، أي إنّ الأنسان أطاع مُختارا أو ارتكب ألمعصِية مُختارا بحيثُ يستطيع أن يتوب وهناك مغفرة أي أن يكون هناك ثواب وعقاب. هذه الإصطلاحات ألستة مرتبطة بعضها ببعض.

عبد من أفعال الأضْدادْ في أللسان ألعربي. عَبَدَ تعني ألطاعة وفي نفس ألوقت تعني ألمعصية. وأنا مُطيع عابد وأنا عاصي عابد. عندما قال سُبحانه وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ أي ليطيعوني بإختيارهم أو ليعصوني بإختيارهم. فالذين أطاعوا بإختيارهم عباد الله والذين عصوا بإختيارهم هم عباد الله أيضا. إذا عبد قد تأتي في ألجانب ألسلبي (عصى) وقد تأتي في ألجانب الإيجابي (أطاع).

<u>ألجانب ألسلبي</u>

﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

أسرف تُبيِّن أنه وقع في ألحرام ﴿ ... وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

غافر: ٤٣ ومع هذا يخاطبهم الله ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾

<u>أما في ألجانب ألإيجابي</u>

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ إبراهيم: ٣١

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣

ولقد ورد معنى ألعباد بالمعنين معا في قوله تعالى ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ ق: ١٠ – ١١

يوم ألقيامة أيضا ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ غافر: ٤٧ – ٤٨

ألله سبحانه وتعالى حكم بين الناس ألمُختارينْ ولم يُحاسِبْ من ارتكب ألمعصية أو ألحسنة بالإكراه.

نعود الآن للآية (ألذاريات: ٥٦) لنقول أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجن والإنس ليطيعوه بإرادتهم أو ليعصوه بإرادتهم، ومن أجل هذا خلقهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ هود: ١١٨ – ١١٩ .. إذا غاية ألخلق هي ألحُرّية، وهنا جاءت جدلية ألثواب والعقاب، ألناس مُختارين وعندما قال تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ إستثنى فقط مجموعة الأنبياء. هؤلاء هم الذين لم يختلفوا لأنهم جميعا بعثهم إله واحد. ألذين لم يختلفوا هم فقط الأنبياء.

إذا ألغاية من ألخلق هي ألحرية والله سبحانه وتعالى كرم الإنسان بهذه، ومن يُهِنْ إنسان فإنّه يُهنْ رب ألعالمين .. ألله خلق ألناس ليكونوا عبادا له يُطيعوه على إرادتهم ويعصوه على إرادتهم وعليه يكون ألثواب والعقاب. والله سبحانه وتعالى يحب ألعصاة ألذين يستغفرون ليغفر لهم ويتوب عليهم. نؤكد أنّ ألغاية من الخلق هي حرية الإختيار واللا إكراه. ألإكراه لا يكون إلا للبهائم. ألبهائم تُساق والإنسانْ يُهدى ولا يُساقْ.

ألله طلب من الإنسان أن يكون عاصيا في آية واحدة.

إنّ صلب ألعقيدة هي أن الله واحد لا شريك له ولقد بين الله ذلك في آيات عديدة في الكتاب، قال تعالى

﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ ﴾ الإخلاص: ٣

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ البقرة: ١١٦

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ مريم: ٨٨ – ٨٩

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٥

هذه الآيات تؤكد أنّ الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد وليس له شريك في الملك ولذلك طلب من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أنه سيكون أو ألعاصين إذا ثبت أن للرحمن ولدا.

ولهذا قال ﴿ **قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ** ﴿٨١﴾ ﴾ الزخرف: ٨١ .. ألله سبحانه وتعالى يقول للرسول الأعظم: قل يا محمد إذا كان للرحمن ولد فأنا أول ألكافرين به. لهذا السبب جاء لفظ ﴿ **إن** ﴾ إحتمالية .. لاحظ أيضا أنّ الآية جاءت مداخلة بدليل لفظ ﴿ **قُلۡ** ﴾ ألعابدين جاءت تماما هنا في مكانها.

بينما رب ألعالمين حين يذكر ألعبد وينسبة لنفسه فإنّه يتحدّث عن ألعبد ألجيد، كما في ألآيات:

﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ﴾ الإسراء: ٤ – ٥

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ص: ١٧

﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ ص: ٣٠

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ ص: ٤١

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ ﴾ مريم: ٢

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ٤٥ ﴾ ص: ٤٥

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١ ﴾ الإسراء: ١

في كل الآيات ألسابقة نرى أن الله سبحانه وتعالى حين ينسب ألعبد لنفسه، فإنّه يذكرها على ألعبد ألمؤمن، ألعبد ألطائع .. **إلا مَنْ رَحِمَ رَبّكَ**.

ألعبد بالمعنى ألإيجالي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ﴾ الفاتحة: ٥

ألآنْ كيف نعبد ألله وكيف نستعين به؟

أنْ تعبُد الله شيء وأن نَستعين به شيء آخر، ولكل منهما ورد اللفظ ﴿ إِيَّاكَ ﴾

لقد بين لنا الله كيف نعبده وكيف نستعين به. فبالنسبة لعبادته قال تعالى

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١ ﴾ يس: ٦٠ - ٦١

ونحن ندعوا الله في صلاتنا في قراءتنا لسورة الفاتحة في كل ركعة أن يهدينا الله هذا الصراط

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ ﴾ الفاتحة: ٦ فهدانا الله هذا الصراط في الآيات ١٥١ – ١٥٣

من سورة الأنعام، والتي انتهت بقوله ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾

ولكن كيف نستعين بالله؟

أيضا جاء الجواب في الآية الكريمة ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾ البقرة: ٤٥ ..

إذا ألعبادة شيء، والإستعانة شيء آخر. نحنُ نعبد الله بالصلاة ألمُستقيم ونستعين به بالصبر والصلاة. ولقد بين الله سبحانه وتعالى لنا هذه الحقيقة في أكثر من آية. قال تعالى

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾ طه: ١١ ـ ١٤

إذا أولا فَٱعۡبُدۡنِي وبعدها وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ البينة: ٥ إذا هناك ألعبادة و هناك إقامة الصلاة و أيتاء ألزكاة.

إذا حين يقول تعالى عبد و عباد فإن الحديث يدور جول أناس لهم حرّية ألإختيار تماما. أما **ألعبيد** ألذين لا يمكلون الحرية فإن مُفردها في ألتنزيل ألحكيم **عَبداً مَمْلوكا**. قال تعالى

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾ النحل: ٧٥ **ألعبد ألمملوك** مسلوب ألإرادة، ليس له حرية ألإختيار. أما **عبد** لوحدها فتشير إلى إنسان حر في اختياره.

إذا عبد مملوك تُجمَعْ على عبيد، ولذلك حين يقول تعالى ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢ ﴾ النور: ٣٢ فإن الحديث لا علاقة له بالرّق هنا. عندما يُذكر الرّق في ألقرآن يقول **تَحْريرُ رَقَبَة** و لا يذكر **ألعبيد**.

ألعبيد مسلوبوا ألإرادة ووردت في ألتّنزيل ألحكيم في مواقع خمس، والآيات تتحدث كلها عن يوم ألحِسابْ، لأنّ النّاس يوم ألحِساب لا إرادة لهم.

في الدّنيا ذكر الله **ألعباد** لأن الإنسان مُختار لتصرفه. قال تعالى

﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ ﴾ غافر: ٣١

في الآخرة ذكر الله **ألعبيد** لأن الإنسان مسلوب ألإرادة. قال تعالى

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ﴾ آل عمران: ١٨٢

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ ﴾ الأنفال: ٥١

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ ﴾ الحج: ١٠

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾
فصلت: ٤٦

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ ﴾ ق: ٢٩

كل الآيات تتحدث عن أليوم ألآخر. ألعبد ألمملوك لا يملك إرادة وجمعها عبيد. نحنُ الناسْ أحرار لسنا رِقّ لله ، نحن في الحياة ألدنيا لسنا عبيد لله نحن عبادا له وفي يوم ألحساب نحن عبيد لله لأنه في ذلك اليوم لا إرادة لنا. أما بعد ألحساب فنحن عباد لله ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ ﴾ الإنسان: ٦. إذا

- في الدنيا نحنُ عباد الله
- يوم ألحِسابْ نحن عبيد الله
- بعد الحِساب نحن عباد الله

ألله سبحانه وتعالى لم يطلب من ألناس ألعُبودية، ألله طلب ألعبادة وليس ألعبودية.

نعود إلى قوله سبحانه وتعالى

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ الفاتحة: ٥ - ٦

نقول ألشعائر (ألصلاة، ألصوم، ألزكاة ...) هي تكاليف ألإيمان. عندما تعصى وتريد أن تتوب وتستغفر فكل ذنوبك مع الله تغسلها ألشعائر.

ألله يُعبدْ بالصِّراطِ ألمُسْتقيم ويُحبْ بالشّعائِرِ وعلى رَأسِها ألصّلاة. ألله في وجداننا بالشعائر.

أريدُ هنا أنْ أؤكد أنّه إذا كان هناك عُبوديّة في ألحياة ألدنيا فهي بالضرورة ليست لله. ألعبودية لله غير مطلوبة. ألطاعة ألعمياء تكون في ألشعائر.

في أركان ألأيمان ألإبداع بدعة، وفي أركان ألإسلام بَدّع ما شِئت في ألعمل ألصالح.

ألشعائر حُبْ رمزي لله، ألقيام بالصلاة كما أمر بها الله وكما بينها ألرسول الأعظم دليل على حُبِّنا لله. هذه ليست عبادة. قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ الحج: ٧٧

اعبدوا جاءت بعد ألركوع والسجود (وأحيانا تأتي قبل)

أيضا في ألزكاة. قال تعالى

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

ألصدقات صدقات الإسلام والزكاة زكاة الأيمان.

أينَ يُعْبَدُ الله؟

الله يعبد في ألصّراط ألمُستقيم. قال تعالى ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحديد: ٢٠ وصف ألحياة ألدّنيا بتفاصيلها، وهنا لا يُوجَدْ ذم ولا يُوجَدْ مدح، إنما هناك حقائق تُعطى.

ماذا يريد ألشيطان؟

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤

لاحظ نهاية الآية (ألحديد: ٢٠) ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ونهاية ألآية (الإسراء: ٦٤) ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

يعني أنّ ألشيطان له عمل في ألحياة ألدنيا فقط. إذا ما ذكر في الآية (ألحديد: ٢٠) هي مداخل الشيطان و هذه الأشياء ليس فيها صلاة أو صوم.

لقد وردت اللفظتين لعب ولهو في آيات أخرى.

قال تعالى ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأنعام: ٣٢

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ محمد: ٣٦

وفي سورة ألعنكبوت قدم أللهو على أللعب ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٤

لماذا جاءت آية ألعنكبوت لَهْوٌ وَلَعِبٌ بينما الآيات الأخرى جاءت لَعِبٌ وَلَهْوٌ ؟

أللعب

ألحياة عبارة عن مباراة، تماما كمباراة كرة ألقدم، تُلْعَبْ مرة واحدة. ألحياة ألدنيا منذ الولادة وحتى ألموت هي فترة ألنشاط ألإنساني، هي لعبة واحدة يلعبها الإنسان، ولن يستطيع أن يلعبها مرتين. إما أن يفوز وإما أن يخسر وليس هناك مجال لمباراة أخرى لتعود خسارتك.

أللهو

لو أخذنا مباراة كرة ألقدم كمثال. هناك ١١ لاعبا في كل فريق. كلما كان اللاعبون أسرع في اللعب كلما كانت أللعبة أمتع وهذا هو أللهو. أللهو هو إنتقال ألطابة من لاعب إلى آخر.

كذلك ألحياة ألدنيا. ألكل يُلهي عن الوقوف، والوقوف يلهي عن الجلوس، والصلاة تلهي عن الأكل. بإختصار أللهو هو الإنتقال من بند إلى آخر في الحياة. هذه هي الحياة كلها.

لنوضح ذلك نقول: كما في كرة ألقدم، كلما كانت أللعبة اسرع، أي كلما كان عدد نقلات ألكرة من اللاعبين اكثر كلما كانت أللعبة أمتع، كذلك في الحياة كلما كان الإنتقال من بند إلى آخر – أي من

حركة إلى أخرى – من عملٍ إلى آخر اسرع، كانت الحياة أكثر حيوية. وبالتالي كلما زادت البنود زاد اللهو. نشير هنا إلى أن اللهو يعني معنىً سيّء. أللهو هو فقط ألإنتقال من بند إلى آخر. ألإنتقال من الجلوس إلى ألقيام هذا بند، من الوقوف ألى المشي هذا بند ...

ألسجين تقل عنده ألبنود، ولذلك يقل عنده اللهو. جالس ينتظر ويثقل عليه الزمن.

ألآن من الطبيعي إنّ ازدياد بنود اللهو عند الإنسان تعرضه أحيانا للكذب، الغش، أكل مال أليتيم، نقص ألكيل ... أي بنود ألصراط ألمستقيم وهي ملعب ألشيطان. إذا عند الإنتقال من بند إلى بند في هذه الحياة، على الإنسان أن يحرص على أن يطبق ألصراط ألمستقيم. أي أن لا يقتل، لا يرتكب فاحشة، لا يعق والديه، لا يكذب ...

إنّ مادة أللهو هي ألزينة قال تعالى

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

هنا يلزمنا ألصراط ألمستقيم .. أي في الحياة ألعامة. أما في ألمسجد فلا يلزمنا ألصراط ألمستقيم. ونحن في المسجد لا مجال لأكلِ مال أليتيم، والزّنا. في المسجد نُحبْ الله. في المسجد الله في وجداننا.

ألزينة هي مادة أللهو. زينة ألمكان – أي ألإنتقال من مكانٍ إلى آخر .. ألإنتقال من بندٍ إلى آخر في الحياة الدنيا، في المتاع .. هذه الزّينة.

ألتفاخر .. كُل إنسان يُدخِلْ شيئا في الزينة يُميّز منتوجه عن الآخر، نقول مثلا ((ألمرسيدس فخر ألصناعة ألألمانية)) .. ألتفاخر يكون في المتاع، في ألزّينة.

نتيجة أللهو والزينة والتفاخر يأتي **ألتكاثر في الأموال والأولاد** (مادّة ألشيطان) ..

أللعب أساسي، هذه هي ألحياة ألدنيا في كل ألبلاد.

متاع ألغرور

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ وهنا ألحديث عن المتاع، ونهاية ألأمر

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ ﴾ وهي ألمتاع.

ألغرور هو شيء غير ناضِجْ، أنت تظن أنك الأفضل علما أنّ هناك دائما من هو أفضل منك. أي إنّ كل شيء ممكن تجاوزه في هذه الدنيا. لا يوجد شيء في الحياة ألدنيا إسمه نهاية ألمطاف. نهاية ألمطاف هي ألحياة ألآخرة، عندها يبعث الناس في كون ليس فيه موت. ألحياة الأخرى فيها **ألبقاء** والحياة ألدنيا فيها **ألدّوام**. ألدّوام هو ألتقطع والإستمرار، مثلا حين نقول: إنّ المطر ينزل في

الشتاء فهذا لا يعني أن المطر ينزل طيلة ألوقت خلال فصل الشتاء وإنما ينزل وينقطع. إذا لم يكن هناك إنقطاع نقول مُسْتَمِرْ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ القمر: ١٩ .. ولذا نقول: هَطَلَ المطر ٣ ساعات مستمرة.

ألدائم ليس من أسماء الله ألحسنى وإنما **ألباقي**. وحين قال عيسى عليه السلام ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ مريم: ٣١ هذا لا يعني أنه استمر بالصلاة والزكاة طول الوقت، بل كان هناك إنقطاع بين صلاة وصلاة أو زكاة وأخرى.

كل شيء في الحياة ألدنيا ممكن تجاوزه، ونحن نقول أن فلان غر أي لا يوجد عنده نضوج وخبرة.

هناك آية واحدة وضع الله سبحانه وتعالى فيها أللهو قبل اللعب وهي ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٤ لأن حقل هذه الآية هو ألدار ألآخرة. في ألدار ألآخرة لا يوجد بنود كثيرة إذا لا لعب، أللهو مستمر ولذا بدأ سبحانه وتعالى باللهو، ولذلك نقول وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ أي منتهى ألحيوية. أللهو لا يتوقف ولذلك قُدِّمَ اللهو على اللعب.

في هذه ألبنود تكمن ألطاعة والمعصية في ألصراط ألمستقيم. أثناء ألقيام بها يخالف ألإنسان ألصراط ألمستقيم ألذي أمر الله بإتباعه، يلهو ويتفاخر، تماما كالنبات يهيج ويصفر وينموا ويُعطي ألثمر ثم يموت. هذه ألدورة لا تتوقف، هي كذلك بالنسبة للإنسانْ. لهذا قال سبحانه وتعالى

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحديد: ٢٠ لماذا قال عَذَابٌ شَدِيدٌ لأن في هذه البنود طاعة الله ومعصيته.

أخيرا نقول

ألله خلق الناس من أجل أن يكونوا أحرارا، وإنّ حرية الإنسان هي ألقيمة ألعليا في هذه ألحياة. لا يوجد قيمة أعلى من ألحرية وهي فوق ألعدالة، لأنّ الإنسان ألحر يستطيع أن يطلب ألعدالة وغير ألحر لا يستطيع أن يطلب شيئا. والحرية مرتبطة بالمعرفة وكلما زادت معرفة الإنسان بالمقدرات زادت معرفته وزاد طلبه لها، وبالتالي زادت حريته.

ألشهادة والشّهيد

ألشاهد والشهيد والشهادة.

لقد ورد تصريف هذا أللفظ في ألقرآن ألكريم مرات عديدة.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾ ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ ﴿ شَٰهِدِينَ ﴾

تارة نراها في ألجمع **شاهِدين،** وتارة نراها **شهداء** .. هذا الأمر إستلفت نظر ألدكتور شحرور في قراءته ألمُعاصرة، مما جعله يميز بين ألشاهد والشّهيد.

فَمَنْ هو ألشاهد، وَمَنْ هو ألشهيد؟

ألشهيد والشاهد إسمان مُفردان مُختلفان في الإشتقاق ومن أصلٍ واحد هو فِعْلْ شهد. فهل شهد شهادة شهيد أم شهادة شاهِد؟

ألتنزيل ألحكيم أعطانا آيات فرّقت بالضبط بين ألشاهد والشهيد. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فصلت: ٢٠ ألشهادة عبارة عن معرفة – شهد عليهم سَمْعُهُمْ وأبْصَارُهمْ وَجُلودُهمْ. إذن هناك معرفة عن طريق ألحواس. ألشهيد يجب أن يكون سميع بصير وموجود في الحادثة نفسها ألتي يُقدِّم شهادته عليها. والشهيد لا يمكن أن يُطلَقْ إلا على مَنْ هو على قيد ألحياة.

ألشهيد والشهادة ليس لهما علاقة بالموت والقتل إطلاقا – لا من قريب ولا من بعيد. في التنزيل الحكيم لا يُوجد شيء إسمه قتلْ وشهادة – تماما كما لا يوجد أي علاقة بين ألفتنة والمرأة. في ألتنزيل ألحكيم ألعلاقة غير موجودة بين قُتِلَ واستشهد، أكرِّرْ ألشهيد لا يمكن أن يُطلقْ إلا على من هو على قيد ألحياة.

قال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩

ألنبيّ أخَذَ لقب ألنبوّة وهو حي، **والصّديقْ** أيضا أخذ لقبه وهو على قيدِ الحياة ، كذلك **ألشهيد** لا يأخذ لقبه إلا وهو حي، بالوفاة ينتهي كل شيء.

ألقتال ذكر في ألتّنزيل ألحكيم، لكن لم يُذكر معه شهادة ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١

كيف رُبِطَ بين ألقتل والشهادة؟

ألشّهيد مُمكن أنْ يموت، وممكن أن يبقى على قيد ألحياة وهو شهيد.

﴿ ... وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ المجادلة: ٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢

لقد ورد لفظ شهيد وتصريفه في آية ألمداينة عدة مرات، ولو استعرضنا تلك المرأت لرأينا:

وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ هل نطلب منهم أن يموتوا أم أنْ ندعوهم وهم أحياء للشهادة؟

مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ هؤلاء لم يأتوا من مقابر ألشهداء.

وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ أيضا ألشهداء .. عليهم أن يأتوا للشهادة وألغيت الأعذار بدليل

وُجود مَا بعد إِذَا .

وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ هنا شهيد عقد بيع لا أكثر ألشرط أن يكون حاضرا.

ألشاهد أيضا من فِعلْ شهد، ولكن له معنىً آخر مرتبط بالمعرفة. هذه ألمعرفة ليست سمعيّة بصرية كما في ألشهيد أي ليست حُضوريّة. في قصة يوسف وإمرأة ألعزيز نقرأ قوله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يوسف: ٢٦

هذا ألشاهد لم يكن حاضرا عندما راودت إمرأة ألعزيز يوسف عليه ألسلام، لكنه قدم شهادته نتيجة خبرته. فالفرق إذا بين ألشاهد والشهيد أنّ

- **ألشاهد علِيمٌ خبيرْ**
- **ألشهيد سميعٌ بصيرْ**

عندما يقول رب ألعالمين وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ قال شَىْءٍ يتحدث عن شيء.

ولكن حين قال سبحانه وتعالى

﴿ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾،

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ ﴾ الأنبياء: ٧٨

أنا شهيد على كل شيء، ولكن ألحكم عبارة عن أمر قرار .. أنا خبير عليم – هذا ليس شيء.

في عالم ألمُجرّدات تحتاج إلى خبرة.

ألكافر لا تعرفه مِن شكله

﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ ﴾ التوبة: ١٧

ألكافر ليس شيء أمّا عَقد ألبيع فهو شيء أمامك .. بعد أن يرى ألقاضي أو كاتب ألعدل ألعقد، الذي لم يكن هو حاضرا عند توقيعه، يُدققه يُصحّح ما فيه من أخطاء (يضع خبرته) ثم يكتب عليه "**شوهد**" ، هنا ألقاضي أو كاتب ألعدل أصبح **شاهدا** على ألعقد.

لذلك حين نتحدث عن عقد تحريري لا نحتاج إلى رجل وامرأتان. في ألعقد ألتحريري لا يوجد مجال للنسيان لتذكر ألواحدة ألأخرى، كل شيء مكتوب. كل ما يمكن أن يسأله ألقاضي: هل التوقيع على العقد صحيح وغير مزور. رجل وامرأتان فقط في حالة ألعقد ألشفوي.

ألنبي صلى الله عليه وسلم لم يصعد إلى السماء ويرى الله سبحانه وتعالى ويتأكد أنه واحد أحد لا شريك له.

هل نحن نشهد أن لا إله إلا الله شهادة شاهد أم شهادة شهيد؟

بالطبع نحن نشهد شهادة شاهد وليس شهادة شهيد، ولهذا قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾ الأحزاب: ٤٥

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ ﴾ الفتح: ٨

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ ﴾ المزمل: ١٥

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾
آل عمران: ٥٣

آمَنّا .. يتحدث عن مجرد .. ألفرق دقيق.

نعود الآن للأية (ألتوبة: ١٧) .. لو كان ألمشركين **شهداء** فإنهم سيشهدون ألمسجد نفسه كمادة .. لكنهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، ألكفر مفهوم مجرد ولذلك جاء قوله تعالى **شٰهدين**.

إذا استعرضنا الآيات نجد أنّ ألفرق واضح بين ألشاهد والشهيد وبالتالي ألشهيد ليس له أي علاقة بالحرب وبالموت وبالقتل.

نأتي الآن لقوله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزمر: ٦٩

لماذا وضع الله سبحانه وتعالى **ألنّبيّينَ والشُّهَداء** معا؟ ومن هم هؤلاء ألشهداء؟

ألنبيّ هو من أعطى غيبيّاتْ.

كانت ألطبيعة كلها غيبيات بالنسبة للناس، جاء أناس واكتشفوا بعض هذه الغيبيات وقدموها للبشر.
إبن ألهيثم مثلا واحدا مِن هؤلاء. لقد قدّم هذا العالِمُ العديد من النظريات في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري.
أثبت ابن الهيثم حقيقة أن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين، وليس العكس كما كان يُعتقد في تلك الفترة، وإليه ينسب مبادئ اختراع الكاميرا. أبن ألهيثم هو واحد من هؤلاء ألشهداء.

كانَ هناك شيء غيبي بالنسبة للناس جاء ابن الهيثم شهده وقدم شهادته للناس، كتبه وقدمه .. هذا الذي يأتي مع النبي وليس الذي يقتل في القتال كما يتصور البعض.

لا يكفي أن يعلم ألشخص لنفسه ما هو غيب عن الآخرين، يجب أن يُقدّمه للآخرينْ أن يشهد على تلك ألمعرفة ألتي وصل إليها ليستحق أن يكون من الشاهدينْ.

شهيد عليم .. يجب أن يشهد وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ .

ألشّهداء من كل أهل ألأرض، لا علاقة لهم بدين أو عقيدة. كل من اكتشف غيبا وقدمه للناس فهو شهيد. إبن النّفيس اكتشف الدّورة ألدّمويّة وقدمها للناس، فهو شهيد مع النبيين. باستور إكتشف ألجراثيم وقدم شهادة للناس فهو من الشهداء مع ألنبيين. ماري كوري إكتشفت ألراديوم هي من الشهداء رغم التطبيق ألشيطاني له. ألكسندر فلمنج إكتشف ألبنسلين وقدمه للناس فهو من الشهداء.

ألشهداء من كل أهل ألأرض، يأتون بدرجة مباشرة بعد ألأنبياء.

سيقول ألبعض أنّ هناك آيات كثيرة في الكتاب تصف أعمال الذين كفروا كرماد اشتدت به الريح، أو كسراب بقيعة، والذين تذهب أعمالهم هباء. وربط ألقرآن ألكريم بين ألعمل ألصالح والأيمان بالله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ التين: ٦ .. هؤلاء ألمُكتشفون، أنت تجعلهم يُحشرون مع النبيين بصرف النّظر عن معتقدهم، سلوكهم، توحيدهم أم إشراكهم، كيف تستريح لمثل هذه ألفكرة.

أقول إنّ قناعة هولاء برب ألعالمين ليست مشروطة أن هؤلاء مُؤمنين برب ألعالمين بنفس ألطريقة ألتي يؤمن غيرهم بها. إيمانهم بالله وتوحيدهم لله لا يُشترط أنْ يُشبه أيمان مَنْ يتهمهم بالشرك. هؤلاء بالضرورة ليسوا من الذين ﴿ ... أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ... ﴾ النور: ٣٩

ولا من الذين أعمالهم ﴿ ... كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ... ﴾ إبراهيم: ١٨.

صحيح إن الإيمان بالله شرط أساسي، ولكن ألصحيح أيضا أن الإيمان بالله ليس بالطريقة ألتي أريدها أنا.

ألإيمان بالله والعمل ألصالح هذا هو تذكرة الدخول إلى الإسلام. رب ألعالمين أعلم بمن يُؤمن به وهو يحكم بين العباد يوم ألقيامة. أنا أحكم أنّ هذا الإنسان إكتشف شيئا كان غيبيا عن الناس وقدمه لهم.

هناك أيضا شهداء ألرأي. معظم ألصحافيين في العالم شهداء. صحافي ذهب لتصوير معركة، هو شهيد ألمعركة (وهو حي)، إذا أخفى ألصور فلا علاقة له بالشهداء، أما إذا قدم ألصور للناس فهو شهيد.

هؤلاء الشهداء جعلوا من الناس شاهدين أي أوصلوا ألخبر والدراية إلى الناس. ألشهداء هم السبب أن يتحول ألناس إلى شاهدين. شهداء معركة بدر هم من حضر معركة بدر من الأحياء ومن الذين قضوا خلال ألمعركة، لهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ((قَتلانا في ألجَنّة، وَقتلاكمْ في ألنّار)). شهداء ألحرب ألعالمية ألثانية هم من حَضرَ ألحرب ألعالمية ألثانية من الأحياءِ والأموات، من حضر ألحرب فهو شهيد. أليوم نحن شاهدين على ألحرب ألعالمية ألثانية.

ماذا يفعل ألشهداء؟

ألشهداء هم من يجعلوا ألناس شاهدين.

ألذين يأخذوا عينات من الأرض ويضعوها تحت ألمِجهرْ ويفحصوها، يصبحوا بعدها شاهدي ألعصر ألكريتاسي، والعصر ألجيوراسي والعصر ألديفوني. هم شهداء ألعينات فتحولوا إلى شاهدين للعصور ألجيولوجيّة. ألتقدم ألمعرفي له علاقة بالجدلية بين الشاهد والشهيد.

إنسان قدم رأيه في مقال كشف فيه ألفساد، هذا قدم شهادة. فَرْقٌ بين من يعرف أنّ هناك فساد ولم يفعل شيئا (يكتم شهادة) ، ألشخص ألذي قد شهادة إذا اعتقل فهو شهيد الرأي (هو على قيد الحياة).

كيف نفهم ﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ البقرة: ١٨٥

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨

ألشهر يُشهدْ شهادة شهيد وشهادة شاهد. ألرسول الأعظم قال (صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ) ألبخاري – كتاب ألصوم – رقم ألحديث ١٧٨٥. لكن

لا يوجد رُؤية وحيدة. هُناك رُؤيا ألعين ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾ آل عمران: ١٣

إذا هناك رؤيا غير رؤيا ألعين. هناك أيضا رؤيا ألمنام ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾

الصافات: ١٠٢. هناك أيضا رؤيا فلكية، يُقدم الإنسان حسبات فلكية ثم يقول: ارى أن شهر رمضان يبدأ غدا ألساعة ألسادسة مساء.

إذا ليس شرطاً أن تكون ألرؤية بصرية، ممكن أن تكون ألرؤيا عقلية. رؤيا ألعين أنْ تخرُجْ وترى ألهلال بعينك. لذلك فمن شهد منكم شهادة الشهيد فليصم، ومن شهد منكم شهادة ألشاهد فليصم ايضا.

ولكن حين قال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾، هل رأى أولوا العلم ألله سبحانه وتعالى ليشهدوا؟ هنا شهادة شاهد بالضرورة.

ألمسيح عيسى بن مريم قال ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ المائدة: ١١٧

ألفرق بين إسم الله ألشهيد وألشهيد ألإنسان

ألشّهيد ألإنسان ناقص ألمعرفة، ولهذا السبب يكتسب ألمعرفة عن طريق ألحصور (سميعٌ بصير). ألله سميعٌ بصير، لكنّ الله يسمع بدون أذن ويرى بدون عين لأنه كامل ألمعرفة. كامل ألمعرفة لا يلزمه ولا يحتاج إلى حواس لكي يكتسب ألمعرفة.

ألله **شاهد** منذ الأزل على إحتمالات السلوك ألإنساني **وشهيد** على ألإحتمال ألمحدد ألذي يختاره الإنسان.

لنوضح ذلك نقول أنّ الله خلق الوجود من العدم. والعدم كما فهمناه هو ألدّال بدون مدلولْ. ألدال بدون مدلول لن يحدث بعد على الأشياء .. ألوجود هو كلمات الله أي إن كلمة الشمس بالنسبة لله هي عين ألشمس. قبل الوجود كان هناك دال بدون مدلول (كانت كلمات الله ولم تكن ألمدلولات ألتي تدل عليها) كانت ألشمس كدال، لم يكن شيء إسمه ألشمس. لهذا قلت أنّ الله شاهد على كل شيء قبل خلقه، كان الله **عليمٌ خبير**، وبعد الخلق **سميعٌ بصير**، صار هناك أشياء والله عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ . ولكن هناك شيء حتى يسمع وشيء حتى يرى. فالله سبحانه وتعالى على كل شيء شهيد. ألله بصير وشهيد على كل حدث وهو شاهد على كل الإحتمالات.

نُعطِ مثال لتوضيح الصورة أكثر .. إنسان يُريد أن ينتقل من مدينة (أ) إلى مدينه (ب). هناك أكثر من إحتمال للسفر. ممكن أن يسافر بالطائرة، بالقطار، بالسيارة، على الدراجة، على الدابة ... حتى

بعد إختياره لوسيلة السفر هناك عدة طرق للوصول . ألله سبحانه وتعالى يعلم كل الأحتمالات للوسائل ألمتاحة ويعلم كل الطرق ألتي ممكن أن يسلكها ألمسافر، سبحانه وتعالى عليم خبير فهو شاهد عليها. ألآن حدد المسافر ألوسيلة واختار الطريق، ألله شهيد على ما اختار هذا المسافر، فالله سميع بصير.

في أول سورة ألمجادلة يقول تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة: ١ لكن هذا الإحتمال موجود في علم الله منذ الأزل.

من هو سيد ألشهداء؟

هناك إحتمال كبير أن يدفع إنسان ما حياته ثمنا لإداء شهادته. هو شهيد حتى وهو على قيد الحياة، ولكن إذا حصل ودفع الإنسان حياته ثمنا لإداء شهادته، فهو سيد ألشهداء. أي صحافي يدفع حياته ثمنا لرأيه فهو من أولئك ألسادة.

في غزوة أحد قال الرسول الأعظم (سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ) – ألأمالي ألمُطلقة لأبن حجر – رقم ألحديث ١٨٢ . لقد قال عليه الصلاة والسلام عن حمزة أنه سيد الشهداء لأنه شهد شهادة علنية أمام الناس يوم اتجه إلى أبو جهل وضربه بالرمح على رأسه، بعد أن كان أبو جهل قد شتم الرسول وشج رأسه .. ولكن رغم إن حمزة كان ما زال على عدم إيمانه إلا أنه فعل ما فعل، وقال بعد أن قالوا له أنّ الرسول يسفه آلهتم:

ومن أسفه منكم وأنتم تعبدون الحجارة. وصرخ حمزة رد علي إن استطعت "أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله" وهكذا كان إسلام حمزة. لذا استحق ان يكون سيد الشهداء.

كذلك الرجل الذي أدلى بشهادة أمام حاكم جائر فأمر بقتله هو أيضا من سادة ألشهداء.

والطبيب ألهولندي ألذي ذهب إلى أندونيسيا وقد كان مرض الكوليرا منتشرا هناك، وجعل نفسه يُصاب بالمرض لكي يصف ألكوليرا سريريا كطبيب، وكيف يشعر ألمُصاب بالكوليرا، وسجل كل ذلك ومات. هذا الطبيب وضع حياته للإدلاء بشهادة تنفع ألناس. هذا سيد ألشهداء أيضا.

شخص شهد على عقد بيع وقتل بسبب شهادته، هو أيضا سيد ألشهداء.

كل ألسجناء ألذين رضوا أنْ يُقام عليهم تجارب مقابل الإعفاء عنهم إذا دفعوا حياتهم مقابل ذلك هم أيضا من سادة ألشهداء.

بعد غزوة أحد وفي سورة آل عمران قال تعالى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٠. شُهَدَآءَ ألذين بقوا على قيد ألحياة لأنّ الله يخاطبهم.

ألرسول صلى الله عليه وسلم قال عن حمزة أنه سيد ألشهداء لأنه شهد شهادة لم يشهدها أحد غيره.
والصحافي ألذي يُسجن هو شهيد ألرأي وليس مُعتقل ألرأي.

ألشهود والأشهاد

أحيانا لا نجد ألشاهدين ولا الشهداء، وإنما نجد ألشهود والأشهاد فإلى أي طرف تميل هذه الألفاظ؟

ألشهود هم ألشهداء والشاهدين معا. لكن الزنا يحتاج إلى شهداء وليس شاهدين، كذلك قذف ألمُحصنات. لقد ورد لفظ ألشهود في قوله تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ البروج: ٤ - ٧.
هناك من سمع بما حصل للمؤمنين وهناك من حضر الحدث.

أما **الأشهاد** ففي يوم الآخرة فقط. قال تعالى

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ ﴾
غافر: ٥١

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ﴾
هود: ١٨

ألأشهاد عندما يُبعث الناس يوم ألقيامة ويقدموا للشهادة. لم يستعمل أشهام إلا يوم ألقيامة.

نأتي أخيرا إلى قوله سبحانه وتعالى

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ ﴾ الإسراء: ٧٨ فكيف نفهم هذه الآية؟

نرتل آيات القرآن. قال تعالى

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ الفجر: ١ – ٢ ألفجر الأول

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ القدر: ٥ ألفجر ألثاني

ألفجر ألموصوف في القرآن ألكريم إنفجار مادي، وليلة ألقدر تستمر حتى يحصل ألنفجار ألثاني.

ألولاء والبراء

ألولاء له معنيان متضادان:

- ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ القيامة: ٣١ – ٣٢ تولى عكس صلى
- ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الله يتولاهم في رعايته.

أيضا نقول فلان مَوْلى فلان (أي خادم)، والله مَوْلانا (أي سيدنا)

إذا ألولاء إما الإتباع أو ألإعراض، ولقد ورد ألمعنيين للفظ في ألقرآن ألكريم.

ألبراء له ايضا معنيين. إما مادي وإما معنوي

- ألمعنى ألأول أنْ يَبْرَأ من ألمرض ﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ آل عمران: ٤٩ (مادي)
- ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنعام: ٧٨ أنا شفيت وأرفض كل ما له علاقة بالشرك. (معنوي)

ألولاء والبراء يتبع أمور ثلاث:

- ألولاء والبراء كأمه (ألأمّة سُلوك)
- ألولاء والبراء كقوم (ألقومية لسان)
- ألولاء والبراء كشعب (ألشعب نظام سياسي)

قال تعالى

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

فكيف نربط هذه الآية الكريمة بقوله

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة: ٥١

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠

ألشعوب منهم أليهود والنصارى. نحن كأمة مولانا الله ورسوله والذين آمنوا، كمِلة نحن ملة إبراهيم. حين ذكر اليهود والنصارى لم يذكرهم كشعب ذكرهم كملة حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ . ألشعب نظام .. كل شخص قائم بذاته ومجتمعين في نظام واحد.

أنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قوميتي عربية، وأنا مواطن سورى. إنتمائي إذن

- كقومية للعرب
- كأمة للأمة ألمُحمدية
- كشعب للجمهورية العربية ألسورية

هذه الولاءات ألثلاث لا تناقض بينها.

سافرت إلى أمريكا وعشت هناك وحصلت على ألجنسية ألأميركية وأقسمت يمين ألولاء:

- ولائي للشعب الأمريكي
- وكأمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم
- وفي البيت أتحدث ألعربية مع أبنائي وأعلمهم أياها وهذا ولاء قوميتي.

إن ما يفيدنا من طرح موضوع ألولاء والبراء هو أن نع أنّ ألولاء ألسياسي للإنسان لا يكون إلا للشعب. ألأمة ألمُحمدية ليست شعب واحد وأنا ولائي للأمة ألمحمدية في ألشعائر (في خصائص ألرسالة المحمدية).

قال تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠

هناك حروب بين الناس إسمها حروب التدافع. تضارب المصالح يؤدي لتدافع بين ألناس. ألهيئات ألدولية هي ألتي لا تحول ألتدافع إلى حروب.

ألدين والسّلطة

لماذا ألدين والسلطة، وليس الدين والدّولة؟

تساءل الدكتور شحرور في كتبه لماذا لم تُذكر كلمة ألحرية في ألتنزيل ألحكيم، مع أنّ كتاب الله ذكر كلمة ألطغيان بلفظ ألطاغوت. كما تكلم عن الإستبداد وأنواع الإستبداد ومنها أإستبداد ألمعرفي والإستبداد الإجتماعي والإستبداد السياسي وغيره.

قد يقول قائل إنه استغرق في ألتنظير ألفلسفي والسياسي، ولكن بعد أن يقرأ ألرّبط بين ما نقول وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتولد لدى هذا القائل أكثر من سؤال. بداية نسأل: ألدولة ألإسلامية التي أسسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في ألمدينة ألمنورة، أليست نموذجا وقدوة في هذا المجال؟

ألدولة ألتي أسسها ألرسول الأعظمْ في ألمدينة ألمنورة أسست ضمن مقاييس وتطبيق ألقوة ومقاييس ألسلوك ألعسكري والسلوك ألتوحيدي في ذلك الوقت، لذا كل أعمال تأسيس ألدول قام بها ألرسول الأعظم من مقام ألنبوة، وملوك بني إسرائيل كلهم كانوا أنبياء، وهي تدخل ضمن ألقصص ألنبوي ولا تدخل في ألرسالة.

كما إن الآيات ألتسع لموسى عليه السلام وقصة موسى تدخل ضمن القصص القرآني، وكما إنّ قصة يوسف عليه السلام تدخل أيضا ضمن ألقصص ألقرآني، كذلك هناك جزء خاص في القرآن ألكريم (سورة التوبة مثلا، وجزء من سورة آل عمران، وسورة محمد وسورة الأنفال ...) غطت ألقصص ألمحمدي في ألقرآن ألكريم. ألرسول الأعظم له حصة في هذا ألجزء وعلى راسها سورة ألتوبة. في القصص ألمحمدي تم إستعمال ألقوة.

نحن الآن في عصرنا ألحالي، نستطيع أن نستفيد مما قام به الرّسول الأعظم في هذا ألجانب لأنّ رب ألعالمين قال لنا ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١، نحن نَدرُسْ ألقصص ألمحمدي لنأخذ منه العبر لا لنأخذ منه الأحكام ألشرعية. لقد أوردنا فيما سبق مثال على ذلك حين ذكرنا أنّ العبرة ألتي ممكن أن نأخذها من سورة ألمسد وقصة ابو لهب هي أن الإنسان يجب أن لا يتطرف في مواقفه لدرجة يستحيل معها أن يتراجع عن تلك ألمواقف.

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ أي يكونوا عبادا لي يُطيعون بملئ إرادتهم ويعصون بملئ إرادتهم. في ألتنزيل ألحكيم هناك:

- أمر ونهي
- طاعة ومعصية
- ثواب وعقاب

ولكن لا إكراه. ألإكراه غير موجود. لا يوجد شيء إسمه منع في التنزيل ألحكيم. عندما منع قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ الإسراء: ٩٤

لهذا السبب كان ألعنوان ألدين والسلطة وليس ألدين والدولة.

ألسلطة مُرتبطة بالسماح والمنع. مثال، قال تعالى ﴿ ... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ... ﴾ العنكبوت: ٤٥ .. لم يقل (إنَّ الصّلاة تَمْنَعْ ألفحشاء والمُنكرْ ...).
الله سُبحانه وتعالى سأل إبليس حين أبى أن يسجد لآدم عليه السلام

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢

نشير هنا أنّ الله سبحانه وتعالى أمر إبليس أن يَسجُد ولم يَقُل له (**أَسْجد**) لأنّه سبحانه وتعالى لو قال لإبليس أَسْجد، لسجد .. لأنّ الله حق وقوله الحق.

رب العالمين قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢ هذه الْ لَا هي "لا ألناهية"، الله سبحانه وتعالى نهى عن التجسس ونهى عن ألغيبة، ولكن عندما قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦ فإنّ ألْ لَآ هنا هي " لا ألنافية"، أي نفي لجنس الإكراه. عندما نقول لا ماء في البيت، نحن ننفي جنس الماء، نحن لم نقل إشربْ أو لا تشربْ، فقط أعطينا حقيقة أنْ لا ماء في البيت. لا يوجد أمر ولا يوجد نهي.

ألله سبحانه وتعالى يقول أنّ كل شيء يقوم على الإكراه ليس من الدين، ليس من الرسالة ألمحمدية وليس دينا.

لا يوجد سلطة في العالم إلا وتملك اداة الإكراه. من لا يملك أداة ألإكراه لا يمكن أن يكون له أي سلطة. ولهذا قلت ألسلطة والدين وليس ألسلطة في الدين.

كيان ألسلطة أنها تملك أداة الإكراه. هنا أتحدث عن سُلطة ألدولة ألتي تملك أداة الإكراه وممكن لها أن تمارسه ممارسة حقيقية إن أرادت. هنا لا فرق سواء أكانت ألسلطة ديمقراطية أو دكتاتورية.
أداة الإكراه بالنسبة للسلطة هي ألجيش، ألأمن، ألشرطة، جهاز ألمُخابرات .... أدوات تنفيذ ألقانون. اي شخص يُخالف أوامر ألدولة فإنه يُعتقل من قبل أجهزتها أو أدواتها.

ألسلطات في الدولة تتألف من:

- سُلطة تشريعيَة
- سُلطة قضائيّة
- سُلطة تنفيذيَة

إذا كان هناك سلطة تشريعية وسلطة قضائية ولا يوجد سلطة تنفيذية، عندئذ لا يمكن أن يكون هناك سلطة قادرة على تطبيق ألقرارات. ألدولة هي ألسلطات ألثلاث مُجتمعة، لكن ألسلطة ألتنفيذية هي التي تملك أداة ألإكراه. هذه السلطة لا يمكن أن تأخذ شرعيتها من الدين. جنس الإكراه غير موجود في الدين. ألدين يقوم على حرية ألإختيار.

إذا كان هناك تقارب بين الدين والسلطة، معناه أن هناك قيمة عُليا مشتركة بينهما وهي ألحُرّية. أيْ كلما زادت حرية ألناس وقل الإكراه كلما اقتربت ألسلطة من ألدينْ. لذلك قُلتْ أنّ كل أدوات الإكراه والقتال ألواردة في ألمصحف هي من القصص ألمحمدي في ألقرآن، يُؤخذُ منها عبر ولا يؤخذ منها تشريع.

حين قال تعالى (**قاتِلوا**) و(**ٱقتلوهُمْ**) ألحديث هنا أكيد عن ألسلطة ولا يوجد أحكام ودين. ألدين يعني أنْ لا إكراه. وإلا صار هناك تناقض رهيب.

مُجرد أن ٱمتلكت أداة الإكراه ابتعدت عن الدين. ألسلطة ممكن أن تأخذ قيمتها من الدين، والقيمة العليا في ألدين هي ألحرية (عَباديّة ألناس لله)، لكن ألسلطة لا تستطيع أن تأخذ شرعيتها من الدين.

يقول ألبعض أنت تركز على لفظة ألحُرية وتنسبها إلى الدين، علما بأن هذه اللفظة غير موجودة ضِمْنْ ألفاظ ألتنزيل ألحكيم.

أقول في مُفردة ألعباد نجدها كثيرا. مفهوم ألحرية متطور، ألحر في ألقرن ألسابع كان ضد ألرق. ألحرية في ألتنزيل ألحكيم وجدت بما يقابلها والذي هو ألإستبداد – ألذي سماه الله ألطغيان.
والطغيان له طيف واسع. هناك:

- ألطغيان ألفردي
- ألطغيان ألإجتماعي
- ألطغيان ألسياسي
- ألطغيان ألمعرفي

ولكن حين نذكر نوع معين من ألطغيان نذكر ألحرية ألتي تقابله. فحين ذكر ألرق والذي هو نوع من الطغيان ألفردي ذكر (تحريرُ رقبة).

لو جاءت لفظة ألحرية في التنزيل ألحكيم لفهمها شخص في القرن ألسابع بطريقة مختلفة عن مفهوم شخص في ألقرن ألعشرين. لكن ألله سبحانه وتعالى أعطانا مفهوم ألحرية بشكل غير مباشر أن لا إكراه في الدين، والربط بينه وبين ألدنيا وهو ألكفر بالطاغوت.

عدم الإكراه ورفض ألطغيان، هذه هي ألعروة ألوثقى ألتي لا انفصام لها. لم يقل سبحانه وتعالى ألحرية ولكن قال رفض ألطغيان، أي ألكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

مرجعيات ألحرية

ألحرية من أين تستمد مرجعياتها إذا كنا لا نجد لها اساسا شرعيا كلفظ في ألتنزيل ألحكيم؟

لقد أضاءت (تحرير رقبة) قليلا على ما نريد توضيحة. فحين عرّف الله ألضد – نوع ألطغيان (الرق) ذكر كلمة تحرير.

هناك طغيان سياسي، هذا ليس رق. هناك طغيان إجتماعي، هذا ليس رق ايضا. عندما نعرف ألطغيان ألإجتماعي نقول ما هي ألحرية ألتي تقابله. من الطغيان الإجتماعي مثلا ضغط ألعادات والتقاليد بحيث إنك لا تستطيع أن تفعل أمرا ما لأنّ المجتمع لا يقبل ذلك.

يُتّهَم ألدكتور شحرور أنه مهتم كثيرا بالحرية، وخاصة في كتبه ألأخيرة خاصة أنه قال سابقا أنّ ألحُرية لا نجدها في أركان ألإسلام أو أركان الأيمان ألتي نعرفها، وربما قال أكثر كن ذلك! لماذا يطالب ألدكتور شحرور ألتنزيل ألحكيم بأيراد كل ألمُصْطلحات ألتي يولدها ألعصر وكل زمن والتطور أيضا؟

ينفي ألدكتور شحرور هذا الإتهام ويقول، ألعكس هو الصحيح .. ولهذا السبب فإن التنزيل ألحكيم لم يذكر ألحرية ألسياسية، والحرية ألشخصية والحرية ألإجتماعية وإنما ذكر شيئا أساسي **إنّ أيْ إكراه مِنْ أيْ نوعٍ كانْ ليْسَ منَ ألدينْ** .

مرجعيات تقييد ألحرية

- ألمَرْجَعِيّة ألمعرفيّة

ألتنزيل ألحكيم طلب من الناس أن تتقيد بالأوامر والنّواهي والشعائر بمحض إرادتها وبدون إكراه. ألطبيب مثلا ينهى عن ألتدخين، ألدّولة تمنع ألتدحين. ألدين ينهى عن الفحشاء والمنكر ولكن لا يمنع ولا يوجد سلطة تمنع. ألمنع يأتي من أنّ ألدين بأنْ يُنمّي ألضمير عند الإنسان بحيث أن نفس الإنسان تمتنع عن الفحشاء والمنكر. لا يوجد آلية سلطوية في الدين لتمنع بالقوة.
مثلا حجر ألحرية للنهي عن التدخين يأتي نتيجة ألمرجعية ألمعرفية ألتي تبين أضرار التدخين وما يمكن أن ينتج عنها من أمراض ومشاكل إقتصادية ايضا. عندما يعرف ألإنسان أضرار ألتدخين فإن الإنسان يمتنع بذاته عن ألتدخين.
ألمرجعية ألمعرفية تحتاج لترسيخ عند الناس. لذلك نرى أنه قبل أن قررت ألدولة مَنْعْ ألتدخين فإنها قامت بحملة إعلامية طوال سنوات بينت خلالها للناس مضار ألتدخين، لدرجة أنّ الناس أنفسهم أصبحوا على استعداد لتقبل هذا ألمنع.
أحيانا تقول ألدولة أن أنواعا معينة من الخضار يمنع تقديمها في المطاعم لأنها قد تسبب ألكوليرا، هذا ألمنع أيضا جاء نتيجة إرشادات وأبحاث تمت خلال سنوات حتى أصبح الناس على ثقة أن هذا المنع يأتي حرصا على صحتهم، ولهذا يتقبلوا هذا المنع.

- ألمَرْجَعِيّة ألأخْلاقِيّة

وهي ألوصايا أو ألقيم ألمشتركة في كل الأديان.
ألإنسان لا يسرق، لا يقتل، لا يشهد زور، لا يغش في الميزانْ ... أي ألقيم ألعليا ألمُستمدة من ألدين. هذه ألمرجعية تراكمت عبر التاريخ (ألوصايا ألعشر وبقية الأخلاقيات).

معظمها يتقيد بها أهل الأرض ويعتبرونها قيم ويستنكروا إذا قام بها أحدٌ من الناسْ، فكل المجتمعات ألإنسانية ترفض ألتجسس، والغيبة، والسُّخرية، وأنْ تُدْخَلْ ألبيوت من غير أبوابها أو أن يشهد أحد زورا أو يغش في الميزان ... هذه قيم إنسانية مشتركة.

- ألمَرْجَعِيّة ألإجْتِماعِيّة (ألعيب)

هناك أمور قد يرغب ألبعض أن يقوم بها، لكن عادات وتقاليد ألمجتمع لا تقبل ذلك فيضطر هذا الشخص مراعاة لمجتمعه أن يكف عن القيام بما يرغب حتى لا يكون حديثا بين ألناس. مثلا حفلات ألزفاف لها شروطها وأعرافها في المجتمعات ولذا يتقيد أغلب أعضاء ألمحتمع بتلك الشروط، حتى ولو كانوا غير مرتاحين لها. هذا ما نعبر عنه بمفهوم (**ألعَيْبْ**).

هذه ألمرجعية ألإجتماعية ايضا تقيد خيارات ألإنسانْ. ونرى تأثير هذه ألمرجعية أيضا بصراع ألأجيال بين الآباء والأبناء. وللأسف فإن هذه الدكتاتورية ألإجتماعية كبيرة جدا في عالمنا ألعربي. أحيانا كثيرة نعيش من أجل أن لا نغضب الآخر حتى لا ينتقدنا.

- ألمرجعية ألجمالية

رجل عمره ٧٠ سنة مثلا، لا يستطيع أن يخرج للشارع وهو يرتدي بنطلون أحمر وقميص أصفر، هذه ملابس لا تليق بالكبار. هذا الأمر حتى ولو كان منطقيا فإنه يقيد حرية ألإنسانْ.

- ألإكراه ألمُباشِرْ

ألسلطة ألعليا.

هذه ألسلطة ألعليا لها طيف واسع جدا بدءا من سلطة ألضبط إلى سلطة ألقمع – وما بينهما. ألسلطات في أماكن معينة تقوم بدور ألمراقب على تطبيق ألقوانين وكلما زاد استعمال السلطة اتجهت ألسلطة من ألضبط إلى ألقمع، إلى أن تصل إلى اشد أنواع ألدكتاتورية.

مهما كان نوع ألسلطة فإن الشعائر ليس من اختصاصها. ألرسول الأعظم لم يرسل شخصا واحدا ليراقب الناس ويرى من لا يصلي أو من لا يصوم ليعاقبه أو يعتقله. استعمل ألترغيب والترهيب فقط. ألرسول الأعظم لم يستعمل ألسلطة ألتي اسسها في المدينة في الشعائر. لم يعاقب تارك ألصلاة، أو فاطر رمضان أو من لم يحج. لكنه استعمل السلطة في ضبط ألمجتمع – في السرقة، في ألزنا، في جرائم ألقتل وفي السُّكْرْ. وهذا طبيعي، فنحن نرى أنّ كل دول ألعالم تستعمل سلطتها في ضبط ألمجتمع.

ألسلطة ألتي تؤمن بالحريات بالنسبة لها ألمسجد والكنيسة والكنيس، وكل أنواع ألمعابد تكون جنبا إلى جنب. لا تتدخل فيها إطلاقا .. هذا ما اراده الله

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ الحج: ٤٠

لاحظ وضع كل ألمعابد في هذه الآية.

تصور دولة مثل ألصين مثلا، ماذا كان ممكن أن تفعل بالبوذيين لو لم يكن هناك دول مثل أمريكا وروسيا والدول الأوروبية .. كانت ألصين هلكت ألبوذيين، ولكن دفع الناس بعضهم ببعض منعها من ذلك.

تصور لو اتباع ألرسالة ألمُحمدية كانوا ٩٥٪ من سكان الأرض، حينها لن يكون هناك تدافع وحينها لن تر كنيسة واحدة. تدافع ألناس هو الذي يمنع ذلك، ورب العالمين يريدها كذلك.

ألسلطات ألثلاث

سلطة ألضبط أو تلك التي تملك أداة الإكراه، من أجل أن تضبط ألمجتمع تحتاج إلى قانون. إذا لا بد من وجود هيئة تسن ألقوانين. ألبشرية توصلت إلى مفهوم ألسلطات ألثلاث وفصل بعضها عن بعض. هذه السلطات هي:

- ألسلطة ألتشريعية
- ألسلطة ألقضائية
- ألسلطة ألتنفيذية

ألسلطة ألقضائية كان ألرسول الأعظم يمارسها كمجتهد. قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ وفي كتب الحديث عَنْ أُمِّ سلمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيّ، وَلَعَلّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَىَ نَحْوِ مِمّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقّ أَخِيهِ شَيْئاً، فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النّارِ."

ولعل الحكمة الإلهية اقتضت أنّ الرسول الأعظم قد توفى بعد أقل من ستة أشهر من إنقطاع ألوحي، ذلك أنه كان هناك مقامان للرسول، مقام ألنبوة ومقام ألرسالة. عندما أغلق مقام ألرسالة اصبح ألنبي صلى الله عليه وسلم كرئيس دولة ولا ينبغي له. وأنا أقرا في هذه الحكمة أنّ رئاسة ألدولة هي من اختيار ألناس ولا علاقة لها لا بنبوة ولا برسالة ولا بدين.

ألسلطة ألتشريعية هي التي تشرع ألقوانين لكنها لا تملك أداة الإكراه لتطبيقها. هذه السلطة هي التي تقيد ألحلال أو تطلقه، ولا تتدخل في الحرام. برلمانات ألعالم كلها لم تخضع ألإيمان بالله للتصويت. كذلك لا يوجد برلمان صَوّتَ على وُجود ألخالق أو هل يجب ان يبر الإنسان والديه. ألعقائد والقيم لا يُصوّتْ عليها. حتى ألبلدان ألتي يؤكل فيها لحم ألخنزير لم تسن قانون ينص على أن الإنسان يجب أن يأكل لحم خنزير.

عمل ألبرلمانات هو تنظيم ألحلال، تقييد أو إطلاق – وهنا تتغير الأحكام بتغير الأزمان.

ألرّسول نظم ألمجتمع ألذي كان يعيش فيه وهذا لا يلزمنا إذا كان لا يناسب حاضرنا.

ألأمر بالمعرووف والنهي عن ألمنكر

أؤكد مرة أخرى أنّ ألدين لا يعطي شرعية ألسلطة لأحد. لا يحق لأي كان ان يأخذ ألسلطة من الدين. هناك طريقين للوصول إلى السلطة: إما عن طريق ألناس (إنتخابات) وإما بالقوة (إنقلاب) وفي الحالتين ليست من الدين. من يدعي أنه أخذ شرعيته من الدين فهو طاغوت.

يقول البعض كيف تفهم قوله سبحانه وتعالى

﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٥

﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٧

وقد وصف الله سبحانه وتعالى من لم يحكم بما أنزل مرة ب ٱلْكَٰفِرُونَ ، مرة ب ٱلظَّٰلِمُونَ

مرة ب ٱلْفَٰسِقُونَ أقول معظم أهل الأرض لم تتجاوز حدود الله. والله حارس لحدوده. لكن ١٢٠٠٠٠٠ مسألة فقهية لا يمكن أن تكون شريعة إسلامية.

نعود لموضوع ألأمر بالمعروف والنهي عن ألمُنكرْ لأقول: أمر ونهى يعني أن لا وجود للسلطة. ألطبيب يأمر بالحمية وينهى عن ألتدخينْ، أين السلطة؟

هناك أكثر من طرف في ألمجتمع يأمر وينهي ولا يملك سلطة:

- ألصحافة،
- ألنقابات
- منظمات حقوق ألإنسان
- أحزاب ألمُعارضة
- مؤسسات ألمجتمع ألمدني

هؤلاء من يجب أن يُمارس ألأمر بالمعروف والنهي عن ألمنكر. ألصحافة مثلا ليس لديها أداة إكراه لكنها تنتقد من يخالف القوانين وتفضح من يمارس الفساد. ألصحافة عملها أن تفضح الخطأ دون أن تملك أداة ألإكراه. كذلك بقية ألأطراف ألتي أشرنا اليها.

كل من يملك أداة إكراه لا يحق له أن يأمر بالمعروف وينهى عن ألمنكر.

من سلطة ألضبط إلى سلطة ألقمع، نقول كلما ابتعدت السلطة عن استعمال أداة الإكراه كلما اقتربت من الدين.

يسأل البعض متى تندمج ألسلطة بالدين؟

ألجواب إذا انحلت ألسلطة، وهذا مستحيل في ألحياة ألدنيا.

هنا كان خطأ كارل ماركس. لقد اراد الوصول إلى مجتمع شيوعي حيث لا يوجد سُلطة أي ان يصل ألناس إلى إدراك أنهم غير مُحتاجين للسلطة. أيضا ألقاعدة ألمادية ألتي نظر اليها ماركس لا تكون إلا في ألجنة حيث (**لَهُمْ فيها مَا يَشاؤونْ**) (**وَلَهُمْ مَا يَدّعونْ**).

كذلك مع السلطة أداة ألإكراه لن تبطل.

قال تعالى

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١

أمه تعني أنّ هناك جماعة لها سلوك موحّد. هذا السلوك كما تشير الآيات:

- يُؤمِنونَ بالله واليوم الآحر
- يأمُرونَ بالمَعْروفِ وينْهَوْنَ عَنِ ٱلمُنْكرِ
- يُسارِعونَ في ألخَيْراتْ

إذا هم أناس لا يملكون أداة ألإكراه.

آيات في سورة ألتوبة لها علاقة بالقصص ألمحمدي وهي ليست من ألرسالة

قلنا أن هناك في التنزيل ألحكيم جزء يتناول ألقصص ألمحمدي، تماما كقصص بقية الرسل والأنبياء ألذين ورد ذكرهم في ألقرآن. بالنسبة للذين عاصروا ألرسول ألخاتم لم تكن تلك قصص وإنما كانت واقعا يعيشوه. أما بالنسبة لنا أليوم، ونحن نقرا كتاب الله فإنها قصص تماما كقصة موسى لمن عاصر ألنبي ألخاتم، نتعاما معها كما تعامل صحابة رسول الله مع قصة يوسف وقصة موسى وقصة بقية الرسل عليهم جميعا ألسلام. أي نأخذ منها العبر ولا نأخذ منها أحكام شرعية.

قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ التوبة: ٢٨

لقد استمدوا من هذه الآية حكما شرعيا لا يستطيع أحد تجاوزه. لكن الآية تقول أن المشركين لا يقربوا ألمسجد ألحرام **بَعْدَ** عامهم. أي إن تشير إلى أنّ ألمدة مفتوحة منذ أن نزلت ألآية وحتى يرث الله الأرض وما عليها.

فعلاً بعد هذا أليوم حدث ذلك. لكنْ

قبل فتح مكة كانت ألعرب تحجْ، وكانوا يطوفون عراة في البيت ألحرام ويقولون: (لبيكَ لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك) .. ألشرك في الأية ٢٨ من سورة ألتوبة هو في ألكلمة. ألمسيح عليه السلام قال: (ألنّجَسْ ما يَخْرُجْ مِنَ ألفَمْ لا مَا يَخْرُجْ مِنَ ألجَوْفْ) ألكلمة تلك ألتي كانوا يرددوها وهم يطوفوا في ألبيت ألحرام هي النجس، وهذه فعلا إنتهتْ. بعد عامهم هذا ليس لها اي علاقة باليهود أو ألنصارى أو اي شخص آخر، لأنه في آية أخرى يقول تعالى

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ التوبة: ١٢٦

منذ العام ٦٣٠ م إلى اليوم أين الفتن؟ في كل عام مرة أم مرتين، فكم فتنة نعُدْ. إذا كانت ألآية (التوبة: ٢٨) كما فهمت، فإن هناك تناقض واضح مع ألآية (التوبة: ١٢٦).

أيضا آية ألجزية

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩

نفرض أنّ رئيس أقوى دولة في ألعالم مسلم ويريد أن يطبق هذه الآية اليوم، فعلى من يطبقها:

- لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
- وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
- وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

إستحالة أنْ تتحقق كل هذه ألشروط على احد في العالم أليوم.

هذه الآيات من القصص ألنبوي ألتي يؤخذ منها عبر ولا يؤخذ منها أحكام.

ألدين والسلطة

ألحاكمية ـ ١

ألدكتور محمد شحرور يتناول ألحاكمية بمفهوم جديد، ويرى أن للحاكمية مستويات ثلاث:

- حاكمية لله
- حاكمية لله والمجتمع
- حاكمية للإنسان

ولكل واحد من هذه المستويات الثلاث مجاله.

لكن أليس الإسلام دين ودنيا كما يقولون؟ أليس الإسلام قادرا على أن ينظم ألمجتمعات ويضبطها وينظم شؤون الناس فيها، أم أنّ هذا الأمر متروك بعضه للسلطات وقيم ألمجتمع والعادات والتقاليد ألتي تختلف من مكان إلى مكانٍ آخر.

يقول ألدكتور شحرور أنّ مفهوم ألحاكمية متشعب وقد طرح خلال ألتاريخ ضمن سياقات مختلفة، وليس ضمن سياق واحد. فطرْح ألحاكميّة لدى ألخوارج يختلف جذريا عن طرح ألحاكمية لدى أبو الأعلى ألمودودي أو لدى سيد قطب أو حتى لدى ألحركات ألإسلامية ألمعاصرة، أو ما يُسمّى بالحركات ألجهادية – مع الأخذ بالإعتبار ألتباعد ألزمني بين الطروحات ألمختلفة.

ألذين اعتمدوا الحاكمية في ألقرن ألعشرين اعتمدوا على الآيات ألواردة في سورة ألمائدة:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ
شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ
يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ
بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٤ - ٤٧

هم عندما يذكروا هذه الآيات ويريدوا أن يستشهدوا بها يذكروا نهاية الآيات: ٤٤ ـ ٤٥- ٤٧

وبالتلي فإنّ من لم يحكم بما أنزل الله هم ٱلْكَٰفِرُونَ ، ٱلظَّٰلِمُونَ ، ٱلْفَٰسِقُونَ علما أن الله سبحانه وتعالى عندما قال

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ فقد كان يذكر أهل ألإنجيل.

وعندما قال

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

فإن الحديث كان عن أهل ألتوراة أي بني إسرائيل.

ولذا فإننا نسأل: هل المقصود في الآيات أن يحكم أهل ألتوراة وأهل ألإنجيل بما أنزل الله إليهم، وفي هذه الحال فأنه لا علاقة لنا بالآيات، أم إن الله سبحانه وتعالى يُطالبهم بأن يحكموا بما أنزل الله على ألرسول الأعظم؟ وهل المقصود أهل ألتوراة والإنجيل أم ألمقصود نحن في تلك الآيات؟ أنا موافق أنّ المقصود في آيات المائدة: ٤٤ - ٤٧ هم نحن أتباع ألرسول ألخاتم وأنّ علينا أن نحكم بما أنزل الله وأننا إن لم نفعل ذلك نكون كافرون، ظالمون وفاسقون.

لكن ما هي ألحاكمية؟ وكيف نحكم بما أنزل الله؟

قبل الإجابة نقول أنّ ألظلم هو وضع الشيء في غير محله. هنا وردت في الأحكام. يعني إذا سرق إنسان وحكمنا عليه بالقتل نكون ظالمين، لأن حد السرقة في القرآن الكريم هو قطع اليد وليس القتل. وحين تطبق حكما في غير محله فأنت ظالم.

أما الحكم بما أنزل الله فقد ورد إشارة إليه في سورة يوسف

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠

كيف نعبده؟ سنرى.

كيف استعمل ألحكم في ألتنزيل ألحكيم؟

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران: ٢٣

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

يجب أن نفرق بين ألكتاب والحكم. عن يحيى عليه السلام، قال تعالى

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: ١٢

أي أنّ يحيى عليه السلام أصبح يحكم بالكتاب، لأنه بعد موسى وحتى الرسول ألخاتم لا يوجد سوى ألكتاب الذي أوحِيَ إلى موسى عليه السلام.

عن لوط عليه السلام قال تعالى ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٤

ألكتاب هو كود كامل من ألتشريع، مجموعة تشريعات.

ألحكم يعني ألتشريع (ألأحكام)، والعلم يعني ألنبوة.

شعيب عليه السلام أتاه حكما واحدا

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ هود: ٨٤ - ٨٥

طبعا بالإضافة إلى عبادة الله ألواحد الأحد – عدم ألشرك وهو ما اشترك به جميع الأنبياء والرسل.

هناك رسل جاءهم كود كامل من التشريعات (مجموعة تشريعات)، أي منظومة كاملة من ألتشريع. موسى عليه السلام جاءه ٦١٣ بند تشريعي، ألرسول الأعظم لم يأته أكثر من ١٦٠ بند تشريعي، بينما شعيب جاءه بند واحد إضافة إلى عدم الشرك بالله.

نتابع سرد الآيات

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ ﴾ الممتحنة: ١٠

واضح هنا ألحكم هو بند تشريعي.

ولذا قال تعالى ﴿ ... وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ... ﴾ ألبقرة: ٢١٣

عن ألشريعة يقول تعالى ألكتاب ولا يقول ألقرآن أبدا.

نعيد: ألكتاب كما ورد في ألتنزيل ألحكيم عبارة عن كود من ألتشريعات .. قد تكون مجموعة صغيرة أو مجموعة كبيرة، ولكن نحن نعلم أنّ التشريعات خضعت للتطور. والإنسان منذ آدم، حين فُصِلَ الإنسان عن ألمملكة ألحيوانية حتى ترقّى ووصل إلى زمن ألرسول ألخاتم، ولم يعد هناك رسل، كانت ألتشريعات توازي تطور ألبشرية، كلما استجد أمر بعث ألله نبي أو رسول بتشريع سماوي. هكذا استمر الأمر. ونحن اليوم نعيش زمن ما بعد ألرسالات. وعلينا أن نفهم أننا لسنا كقوم نوح ، ولسنا كقوم إبراهيم عليهما السلام.

ألتراكم ألمعرفي بالضرورة يؤدي إلى قفزات تشريعية.

ألتشريع ألذري ظهر بعد تفجير أول قنبلة ذرية بسنوات، هذا التشريع ظهر نتيجة لتراكم ألمعرفة بالذرة، حين أصبح ذلك ضرورة. كذلك فإن قانون ألسير لم يظهر بعد اختراع أوّل سيارة، لكن ضرورة تنظيم ألسير في الشوارع أدّى إلى ظهوره.

قد يتساءل ألبعض أنا نقول أن ألشرائع الإنسانية تتبع تطور ألإنسان وأن ألشرائع ألسماوية ختمت مع ألرسول ألخاتم، والإنسان يتطور فكيف نحل هذه ألمشكلة.

نقول قبل الإجابة على هذا السؤال ألهام جدا علينا أولا أن نوضح مفهوم ألحاكمية، متى ظهر وكيف تطور عبر ألأزمنة، بدءاً من طرح ألخوارج بعد قضية ألتحكيم إلى طرح أبو الأعلى ألمودودي في الهند مرورا بسيد قطب في مصر وحتى أيمن ألظواهري في عصرنا ألحالي، ونرى ما هي ألظروف ألتي أنتجت ألحاكمية عند كل منهم؟

ألخوارج

لم يكن في تلك ألفترة ألتي ظهر فيها ألخوارج فقه، ولا علم توحيد، ولا فقهاء أربع ولا إمام غزالي. لم تكن أيضا قد ظهرت ألمذاهب (ألسني والشيعي). كان موجود كلمة **تحكيم** .. ألخوارج ظهروا من قضية ألتحكيم والذي كان بسبب ألسلطة وليس لسبب دينيّ .. ألتحكيم كان بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان .. ألخوارج لم يرتاحوا للقضية وقالوا قولتهم ألمشهورة ((لا حُكمَ إلا لله))، فكان رد الإمام علي رضي الله عنه ((إنها كلمة حق أريد بها باطل، إنهم يعنون ألأمر والملك))، أي صَحّحَ لهمْ.

ألقرآن ألكريم عندما يذكر ألسلطة يرد لفظ ألملك أو ألأمر.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ .. ﴾ البقرة: ٢٥٨

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ النمل: ٢٣

﴿ ...مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ .. ﴾ يوسف: ٧٦

﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾
يوسف: ٧٢

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ ... ﴾ يوسف: ٤٣

هنا ٱلْمَلِكُ هو مفهوم ألسلطة.

لكن حين يقول تعالى ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ ﴾ فإنّ الأمر يكون للناس ليس لله.

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ فالأمر هنا هو أمر دنيوي.

ونحن حين نقول أن فلان هو أمير دولة كذا، فإن هذا ال فلان لم يُعيّنْ من قبل الله، وإنما عينه ألبشر. إنّ حكم الله له علاقة بالتشريع وليس له علاقة بالسلطة. الأمر له علاقة بمن هو الأمير، هذا الأمر تابع للناس – من يكون أميرهم – بار أو فاجر .. ألإنسان ممكن أن يكون فاجرا ويكون أميرا.

يقول ألبعض أن هناك آيات كثيرة تُسند الأمر لله، كقوله تعالى:

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ النحل: ١

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠

نأخذ فعل "**أمر**". أمر لها معانٍ خمس أحدها ألأمر ضد ألنهي.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤، هنا الأمر يعني ألشأن.

ولكن حين قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٣٥

هنا الأمر ليس ضد ألنّهي.

نعود ألى الآية ٤٠ في سورة يوسف، الله أمر الناس ألا يعبدوا إلا إياه، ولقد شرحنا مفهوم ألعبادة وكيف نعبد الله، لكن الله لم يأمر الناس أن يعينوا فلان ملكا أو أميرا.

ألخوارج طرحوا فكرة صائبة وسبقوا الناس بها. كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان كلاهما من قريش، وكان العُرْف أن يكون الأمير قريشيا. جاء الخوارج بطرحهم أن أي إنسان ذو قدرة على الإمارة ممكن أن يكون أميرا وليس بالضرورة أن يكون قريشيا. هذا الطرح متقدم جدا ولكن ليس وقته. ألطرح كان سابقا لأوانه وغير مقبول، أليوم لم يعد هذا الطرح غريبا، أليوم أي إنسان ممكن أن يكون رئيسا وليس بالضرورة أن يكون قريشيا أو منتميا لأي قبيلة أو مدينة. لكن طرح ألخوارج جاء في وقت كانت فيه الدولة في طريقها لتصبح إمبراطورية والمشكلة الأخرى أن الأسلوب الذي اتبعه الخوارج للوصول إلى هدفهم كان غير مقبول .. أعني ألإغتيال. إذ قرر الخوارج اغتيال كل من الإمام علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، ولقد نجحوا في اغتيال علي وفشلوا في اغتيال معاوية. أيضا عمد الخوارج إلى تكفير الناس الذين يؤيدوا الخليفة، فكانوا إذا أوقفوا شخصا ما وسألوه عن موقفه فإن قال لهم أنه مسلم يرى الحق إلى جانب الخليفة يُقتَلْ. أما إذا قال: أنه مُشْرِكْ، وطلب منهم توصيله إلى بيته فإنهم يقوموا بذلك

وتبريرهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦.

ألخوارج كانوا تعساء بالوسيلة ولذا لم ينجحوا، رغم شجاعتهم في القتال. آليتهم ألفاشلة لطرحهم السليم أدّتْ إلى ما أدّتْ إليه .. والسبب ألرئيس أنّ الخوارج فهموا ألحاكمية على أنها سُلطة.

ألحاكمية في ألقرن ألعشرين

أول ظهور لمفهوم ألحاكمية بعد مفهوم الخوارج كان في أربعينيات ألقرن ألماضي، عند استقلال شبه القارة الهندية. ألهند استقلت سنة ١٩٤٧م. قبل الإستقلال تشكلت ألرابطة الإسلامية مع **أبو الأعلى ألمودودي** ألذي طرح ألحاكمية كتشريع لأنّ الإشكالية بالنسبة إليه كانت أن أكثرية السكان في شبه القارة الهندية كانوا من الهندوس وأن المسلمين كانوا أقلية بالنسبة لعدد السكان، وبالتالي فأنه في حال استقلال الهند فإن الدولة المستقلة ستكون ذو أكثرية هندوسية وأن حقوق مسلمي تلك الدولة ستكون في خطر، فدولة ديمقراطية ذات نظام برلماني علماني – دولة مواطنة ستكون بلا شك خطرا على الأقلية المسلمة، ولذا طرح أبو الأعلى ألمودودي ألحاكمية على أساس أن الحكم لله حصرا. هذا الطرح هو ما أدى إلى إنفصال الولايات ذات الأغلبية الإسلامية وبالتالي قيام دولة باكستان.

إذا فإن أبو الأعلى ألمودودي ناضل ضد دعاة "القومية ألهندية ألواحدة" وضد مبادئ "ألدولة ألديمقراطية" ألتي تحكمها الأغلبية وتضطر فيها الأقلية للخضوع، وضد ألعلمانية ألتي تفصل الدين عن الدولة وتقوي الروح ألمادية للحضارة ألغربية. وفي الحقيقة فإن هذا النضال

"الإنفصالي" الإسلامي ألذي خاضه المودودي يخالف في جوهره طبيعة الإسلام التوحيدية ألشمولية، لكنه كان يهدف إلى حماية الذات والهوية حسب رأيه وقهر الأغلبية الهندوسية ألتي رفعت شعاري "السيادة للأمة" و "الدولة الديمقراطية" وغيرها من الشعارات العلمانية. لقد كان أسلوبه في التصدي لذلك ببدء استخدام مفهومي "ألجاهلية الجديدة" و"الحاكمية الإلهية" ولقد أسس أبو الأعلى المودودي عام ١٩٤٣م "ألجماعة الإسلامية".

إنّ فهم المودودي للحاكمية يعتبر الخلية الأولى التي انقسم منها الفكر الإسلامي المتطرف في العالم العربي والإسلامي، ذلك أن المودودي جاء بنظرة متشددة ومشحونة بمشاعر القهر والإنتقام من الغرب نتيجة ما عايشه من الإستعمار الغربي في القارة الهندية، فدفعه شعوره بالظلم الذي عاشه تحت حكم غربي جائر إلى التمرد عليه والبحث عن حاكم غيره، فراح يبحث عن مفهوم الحاكمية بناء على منطلقاته الإسلامية حتى توصل إلى أن الحاكمية لا تكون إلا لله في قوله: ((الحاكم الحقيقي في الإسلام إنما هو الله وحده ...)) ولذلك كان من الضروري بالنسبة له أن توجد هناك حكومة إسلامية بمقابل الحكومة البريطانية التي كانت تحكم شبه القارة الهندية، هذه الحكومة تحكم بما جاء به التشريع الإسلامي، ولا تلتفت للتشريعات الوضعية. وذكر في كتابه **الحكومة الإسلامية** أن الإسلام: "ينص على أن الله وحده خالق الكون وحاكمه الأعلى، وأنّ السلطة العليا المطلقة له وحده، أما الإنسان فهو خليفة هذا الحاكم الأعلى ونائبه، والنظام السياسي لا بد أن يكون تابعا للحاكم الأعلى في كل شيء، وإدارة النظام السياسي طبقا لأحكامه".

هذه الحاكمية المودودية تتأكد كما أوضحها الدكتور حسن حنفي، من خلال ثلاث حقائق:

- الأولي أنّ السلطة العيا التي يجب أن يخضع لها الإنسان ويقر بعبوديته لها والتي بناء عليها يتأسس النظام الأخلاقي للمجتمع والحضارة تتمثل في سلطة الله وحده ويجب التسليم بها والإنقياد لها على هذا الأساس.
- والثانية تابعة للأولى ومكملة لها وهي طاعة النبي بوصفه ممثلا ونائبا عن السلطان الأول (الله) والحاكم المطلق للكون.
- والثالثة أنّ القانون ألذي له صلاحية إقرار الحلال والحرام في جميع ميادين الحياة هو القانون الإلهي وحده الناسخ لكل القوانين البشرية دون أن يكون للعباد حق نقاش هذا القانون أو رفضه، فما حرمه الله يكون حراما وما حلله يكون حلالاً لأنه مالك هذا الكون وسيده، وهذا القانون مبين في القرآن وفيه يوضح الله وجوب طاعة الإنسان لله والرسول وأولي الأمر من جهة. ومن جهة ثانية نص كتابه على وجوب اتباع حاكمية الله وذم من يعصي هذا الأمر الإلهي ويحكم بهواه في قوله تعالى وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ، ثم نجده يصفهم مرة أخرى في كتابه بالظالمين، ومرة ثالثة بالفاسقين. فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صرامة حاكم الكون في الأمر بإتباع قانونه الإلهي والعمل به معبرا بذلك عن سلطته المطلقة على الكون.

المتأمل في أفكار أبو الأعلى المودودي يرى أن الروح الإنتقامية المشحونة بكل أنواع الكره للأنظمة الغربية التي يجب القضاء عليها بواسطة الإنقلاب لإرساء نظام جديد يقوم على اساس ألحاكمية لله في الأرض. ويمكن ان يخلص ألمتأمل إلى الأمور النتائج المهمة ألتالية:

- تمكن المودودي من توظيف مفهوم "الجاهلية" للتعبير عن إدانته لأنماط العيش في المجتمعات الغربية التي لا يرى أنها تتطابق مع النظام الإسلامي، ففي حين استعمل

العرب هذا الإصطلاح للإشارة إلى حياة العرب قبل الإسلام، استخدمه المودودي ليعبر به عن المجتمعات ألغربية المبتعدة عن المنهج الربّاني والغارقة في الرغبات والهوى.

- استخدم المودودي مفهوم "الجاهلية" كسلاح فكري لرفض الفكر ألغربي وفلسفته، كما استخدمه كأداة سياسية وإجتماعية لرفض أنماط ألعيش والإجتماع والنظم ألسائدة في الهند وفي العالم الغربي على حد سواء.

- عبر المودودي عن مفهومه للإسلام والحاكمية الإلهية تحت ضغط "الخصوصية الهندية" التي دخل الإسلام إليها ثم دخلها المستعر البريطاني وعكر صفو دينها الإسلامي الصافي وشوه أفكارها ومعتقداتها. لكنه عمم هذا الحكم على كل الأنظمة الغربية بناء على ما شاهده وعاناه من ويلات الإستعمار البريطاني.

- قدم المودودي تفسيرات بالغة "التعميم"، وحول مصطلحات خاصة إلى مفاهيم شحنها بمدلولات كان هدفها الحقيقي أنْ تستخدم في إطار الصراع السياسي ألخاص، أي إنه سخر العام للخاص، وأعطى هذه التفسيرات بعدا إسلاميا شموليا جعل الخروج عنها "كفرا" و"جاهلية".

نصوص ألمودودي هي في المقام الأول والأخير تنطلق من الواقع الهندي الخاص، ولا يمكن قراءة المودودي بمعزل عن البيئة السياسية والثقافية والإجتماعية ألهندية التي نشا فيها.

- انفرد المودودي بفتحه الباب أمام استعمال مصطلح "التكفير" في عملية تقييمه وحكمه على المجتمعات الغربية لتبنيها أنظمة وضعية، مع أنّ المودودي لم يكن خارجي ألمذهب، وبناء على ذلك فكل المجتمعات التي لا تطبق "الحاكمية الإلهية" والشريعة الإسلامية هي مجتمعات جاهلية. وحول جدلية الصراع بين محتل وصاحب حق إلى جدلية صراع بين الإسلام والغرب، وحول حياة المسلم إلى صراع دائم، فصير المودودي حياة المسلم جحيم لا يطاق.

نقول أخيرا أن مصطلح "الحاكمية" حديث العهد في الثقافة الإسلامية، باعتبار أن صيحة "الحكم لله" التي نادى بها الخوارج مختلفة في المضمون والمعنى والهدف عن الحاكمية المعاصرة التي طرحها أبو الأعلى المودودي في أربعينيات القرن ألعشرين. ثم مع **سيد قطب** في مصر في ستينات القرن ألعشرين الذي أخذ أبعادا أخرى متداخلة عقائديا وسياسيا، لأنه تجاوز طرح المودودي الذي قام بتكفير الدول الوضعية الغربية ووصف مجتمعاتها بالجاهلية، وتعداه سيد قطب إلى أخطر من ذلك بتعميمه حكم التكفير على كل الأمة الإسلامية بما فيها أنظمتها ومجتمعاتها.

الحاكمية كأيديولوجيا في فكر سيد قطب

إذا اعتبرنا أنّ ألقارة ألقارة ألهندية هي الرحم ألذي ولد منه نفهوم الحاكمية في ألفكر الإسلامي، فإن مصر تعتبر ألحاضنة التي احتضنته وحولته إلى أيديولوجيا فرخت أفكارا سلبية متطرفة فانتشرت في العالم العربي كله بعد ذلك، بل وانتقلت حتى بين أوساط الجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا.

لكن قبل التطرق إلى الحاكمية التي طرحها سيد قطب في مصر نريد أن نشير إلى أن أبو الأعلى المودودي لم يكن عربيا وأنّ ضعفه في اللغة العربية أثر على مفهومه للمصطلحات القرآنية.

لكن أيضا نشير إلى أن الظروف التي وجد فيها سيد قطب تختلف عن تلك الظروف التي وجد فيها أبو الأعلى المودودي. فبالنسبة لأبو الأعلى المودودي كان هناك إستقلال لشبه القارة الهندية، وكان هناك برلمان ومشروع دولة ديمقراطية علمانية غالبية سكانها من الهندوس. بينما ظروف سيد قطب كانت مختلفة، فقد وضع سيد قطب في السجن وألف كتابه **معالم في الطريق** والذي دفع حياته ثمنا له.

تدور فكرة كتاب **معالم في الطريق** على فكرة الحاكمية وما يتبعها من الجاهلية، وصراع الثنائية التي وضعها المودودي من قبل، وهو الصراع بين الإسلام والغرب.

الإسلام عند سيد قطب محصور فيما بلغه الرّسول صلى الله عليه وسلم من نصوص، لأنه كان هناك نص فالنص عنده هو الحكم لا غيره ولا يحق معه اجتهاد، أما إن لم يكن هناك نص فهنا يأتي دور الإجتهاد من أصوله المقرره في منهج الله كما رسمه الأصوليون والفقهاء، لا وفق الأهواء والرغبة لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩ والأصول المقررة للإجتهاد والإستنباط معروفة وليست غامضة ولا مائعة، فليس لأحد أن يقول لشرع يشرعه لنفسه هذا شرع الله، لأنّ الحاكمية العليا لله، ومصدر السلطات هو الله سبحانه لا "الشعب" ولا "الحزب" ولا أي من البشر مهما كان.

لقد اعتبر سيد قطب أن المجتمع الحالي هو مجتمع جاهلي ويجب أن يبدأ بالإسلام من الصفر، وكفر الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله واعتبر أن من يرضى بحكم أولئك الحكام هو كافر أيضا وبالتالي فقد كفر المجتمع كله، ومن ثم كفر الأمة كلها، واعتبر أن الجميع مرتدين حكام وشعوب، وبالتالي شرع محاربتهم وشرع العنف لذلك.

نقول هنا بالمناسبة أن مفهوم الردة في الفقه السني هو مفهوم سياسي بحت، وكل من يتهم السلطة كان يتهم بالحرابة والردة، ويقتل على هذا الأساس. حتى حروب الردة التي حدثت أيام الخليفة أبو بكر الصديق كانت بسبب أن مجموعة قررت أن لا تدفع أموال الزكاة ألى الدولة المركزية في الوقت الذي كانت الزكاة هي المصدر الرئيسي للدولة الأسلامية .. الوضع شبيه تماما بأن تقرر إحدى الولايات الأميركية بأنها ستمتنع عن دفع الضرائب للحكومة المركزية الأميركية، عندئذ لن يكون بد بأن تجبر تلك الولاية على دفع الضريبة ولو بالقوة وهذا ما فعله الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين حارب المرتدين وقال: ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه)). وكل كتب التراث ذكرت أن الردة كانت ردة جماعيّة ولم يرد أن شخصا ما قد قتل لأنه ارتد عن الإسلام. حروب الردة سياسية مئة بالمئة.

أيمن الظواهري أيضا اعتبر أن الحكام العرب مرتدين ويجب أن يُحاربوا وقال أيضا أنّ توبتهم لا تُقبل.

بالنسبة **لتنظيم القاعدة** فإن كل الأسس التي بنوا عليها نظريتهم صيغت في القرنين ألثاني والثالث الهجري، عندما كانت الدولة الإسلامية أقوى دولة في ذلك العصر، حيث كان هناك مفهوم دار الكفر ودار الإسلام، وايضا مفهوم الجهاد وأنواع الجهاد. ولقد وضع الفقه ألمناسب لتلك الدولة. ألمشكلة أن ذلك الفقه هو ما يستعمل اليوم علما أن الظروف اليوم مختلفة تماما عما كانت عليه في تلك المرحلة.

ألحال تماما، لو أردنا أن نقيسه على واقعنا اليوم نقول أن الولايات المتحدة الأميركية هي اليوم أقوى دولة في العالم، وبالتالي فإنها قادرة على أن تضع القوانين التي تناسبها وقادرة على أن تجبر بقية الدول على قبول تلك القوانين. لكن تصور أن الولايات الخمسين استقلت كل واحدة عن الأخرى، ثم قررت واحدة من تلك الولايات أن تفرض على العالم تلك القوانين التي كانت تفرضها الولايات المتحدة الأميركية .. هذا مستحيل.

للأسف هذا هو واقع أمتنا اليوم، وبغض النظر عن مفهوم الجهاد الفقهي فإن من يحاول تطبيقه اليوم فلا بد أن يفشل وسيفشل.

ألحاكمية عند أبو القاسم حاج حمد

أبو القاسم حاج حمد يعتبر من أواخر من حاول طرح مفهوم الحاكمية فلقد ولد العام ١٩٤٠ م وتوفى العام ٢٠٠٤ م. ولقد استطاع أبو القاسم حاج حمد بالطريقة التي طرح بها ألحاكمية أن يبرر معجزات موسى عليه السلام.

قسم ابو القاسم حاج حمد ألحاكمية إلى ثلاث درجات:

- **ألمرحلة الأولى: ألحاكمية ألإلهية ألمباشرة**

في هذه المرحلة سيطر الله على الإنسان والطبيعة ولم يدع الله أي مجال للإنسان لإن يقوم بأي شيء. حصل هذا مع موسى عليه السلام (فلق الصخر، شق البحر، إنزال المن والسلوى ..) لم يقم بنوا إسرائيل بشيء، حتى القتال ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المائدة: ٢٤ .. ألتدخل إلهي. كان الإنسان عاجزا على أن يتصور الغيب .. ألإله المُحتجب .. ألإله الذي ليس كمثله شيء. ألإنسان غير مؤهل لإدراك الإله الذي لا يُرى لأنّ الآلهة في عصرهم كانت كثيرة. ولذا نرى في قصة موسى أن الدور كله كان لله ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ الشعراء: ٦٢ في هذه بالذات قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٤٧ فالتفضيل لم يكن بالجنس، ولا بالعرق ولا بالمال ولا بما شابه، ولكنّ التّفضيل كان بأنّ ما حصل مع موسى عليه السلام وقومه لم يحصل مع أي نبي آخر أو قوم آخرين – ونحن المؤمنون نقر بذلك. لكنّ هذا التفضيل لا يحمل ألصفة ألعالمية بل كان لقوم بعينه ولعصر معين.
فالتفضيل لتلك الفترة حصل حتى في رغد العيش

﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١

مقابل ذلك أعطاهم شريعة ألإصر والأغلال، أي شدّد عليهم. مقابل ذلك الدّلال وتعنتهم ومكابرتهم شدد الله عليهم. فرغم ما أوتوه إلا أنهم طلبوا من موسى رؤية الله

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٥٥

وايضا طلبوا أن يُصنع لهم إلها مشخصا ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ البقرة: ٥١

حتى أنّ موسى عليه السلام طلب رؤية الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٣

- **ألمرحلة ألثانية: ألخلافة**

قلنا أن تدخل الله سبحانه وتعالى مع موسى عليه السلام كان تدخلا مباشرا. أما مع داود وسليمان فقد استخلفهما الله وسخر لهما قوانين الطبيعة لأن تعمل من أجلهما، كذلك جعل لهما جنودا من الجن. قال تعال

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦

﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٩

﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: ١٦

﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ: ١٠

إذن هذه خلافة الله، فلقد أعطى الإمكانيات لداود وسليمان وسخر لهم ما لم يسخره لغيرهم من الأنبياء والرسل.

- **ألمرحلة ألثالثة: ألحاكمية ألبشرية مع ألرسول الأعظم**
  مع الرسول الخاتم كان التدخل الإلهي تدخلا غير مباشر، حتى أن الله سبحانه وتعالى حين أرسل ألملائكة لنصرة رسوله والمسلمين فإن أحدا من المسلمين لم ير أيّ من الملائكة.
  أي إنّ الله سبحانه وتعالى ترك شؤون البشر للبشر.

نقول:

إنّ خطأ ألحاج حمد يكمن في حصره الخلافة والإستخلاف في داود وسليمان فقط، بالإضافة للخطأ ألثاني ألذي وقع فيه في تصورة للحاكمية الإنسانية، ويكمن في التناقض الذي يظهر في طرحه حين يقدم الرسول صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين على أنه أقوى الأنبياء من ناحية تسخير الطبيعة له وأقدرهم على ألخوارق والمعجزات لأنه إمامهم، ففي هذا الطرح يظهر ابوالقاسم حاج حمد متأثرا جدا بالطرح التراثي الذي نُسب للرسول صلى الله عليه وسلم خوارق ألمعجزات، فقط بفارق بينهما يكمن في أنه صلى الله عليه وسلم ظهر في الطرح التراثي بصورة الممارس لهذه الخوارق بينما قدمه طرح ألحاج حمد على أنه له القدرة على ممارسة تلك الخوارق لكنه لم يمارسها.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ٣٥

ألدين والسّلطة

ألحاكمية ــ ٢

رأينا كيف أنّ أبو القاسم حاج حمد قدم مفهوما للحاكميّة إعتمادا على القصص ألقرآني، فلقد شرح الحاكمية إعتمادا على المعجزات، لكنّ شرحه هذا جاء من مقام ألربوبية.

قبل أن نشرح مفهومنا للحاكمية نريد أولا أن نوضح بعض الأمور الأساسية:

- إنّ الإسلام دين واحد من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الدين خضع للتراكم في القيم، والتطور في التشريع والإختلاف في الشعائر.
- إنّ الإسلام هو دين الفطرة الإنسانية
- إنّ الرسالة المحمديّة هي الرسالة الخاتمة
- إن الرسالة المحمديّة تحمل الصيغة ألعالميّة
- إنّ الرسالة المحمدية جاءت رحمة للعالمين.

ألخصائص الثلاث للرسالة ألمحمديّة

- **ألرّحْمَة**

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ لأنّ الله عز وجل أراد أن يشفق على عباده من هول التشريعات ألحدية ألعينية ألتي كانت موجودة قبل ألبعثة ألمحمدية.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾
الأعراف: ١٥٧
وهذا ما سنوضحه حين نقارن الرسالة الخاتمة مع ما سبقها من تشريعات، سواء أكانت تشريعات وضعيّة بشرية أو تشريعات سماوية إلهيّة.

- **ألخاتمية**

قال تعالى في محكم تنزيله ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ الأحزاب: ٤٠ ألرسول

محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، وأهم بند ختمت به الرسالة الإلهيّة هو المحرّمات ألتي تم ختمها بشكل نهائي في الرسالة المحمدية، حيث تم إغلاق باب ألتحريم بصورة نهائية، وفيها تتجلى خاتمية الرسالة بمعناها ألمباشر بحيث أصبحت بها ألرسالة المحمدية تستحق أن تكون هادية للإنسانية وأن توصف بالعالمية.

ألعالمية

تتجلى عالمية الرسالة المحمدية في شموليتها كما جاء في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨

فعالمية ألرسالة المحمدية تتمثل في شمولها كل جوانب التشريع الإنساني من خلال نظرية الحدود الخاصة بالتشريع التي سمحت لها بأن تكون شاملة، واستحقت بها أن تكون خاتمة الرسالات الإلهية كلها، لأنّ الحدود الواردة في الرسالة تجعل منها رسالة قابلة للتطبيق في كل التشريعات الإنسانية عبر العصور والأزمنة، لاستعابها كل التشريعات الإنسانية مهما تعددت واختلفت.

نسأل كل غيور على هذا الدين، وعلى هذه الرسالة، أين هي الرّحمة؟ أين هي العالمية؟ ونحن حين نقول عالمية الرسالة فإننا نعني تماما أنا نريد أن نرى مصداقية الرسالة في اليابان ولوس أنجلوس وموسكو وبكين تماما كما نراها في مكة والقدس والقاهرة ودمشق.

لقد بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٠م، ونحن نعيش اليوم في العالم ٢٠١٤م، أي أن ١٤٠٤ عاما قد مضت منذ البعثة وحتى اليوم.

قبل أن يبعث الرسول الخاتم كان هناك العديد من الحضارات الإنسانية، وكان هناك تشريعات إنسانية كشريعة حمورابي، أشهر ألشرائع الإنسانية والتي ظهرت العام ١٨٠٠ ق.م. تقريبا، أي أن هناك ما يقارب أل ٢٤٠٠ سنة بين حمورابي والرسول الخاتم (١٨٠٠ + ٦١٠). بين الرسول الأعظم وبيننا ١٤٠٤ عاما، وبين الرسول الأعظم وموسى عليه السلام أكثر مما بيننا وبين الرسول الخاتم.

نحن لا نستطيع أن نرى ألرحمة إلا إذا قارنا الشريعة الخاتمة مع الشرائع ألسابقة.

شريعة حمورابي

تعتبر شريعة حمورابي اقدم وأشهر ألشرائع ألإنسانية ألمتكاملة ألتي وصلت إلينا. تحتوي شريعة حمورابي على ٢٨٢ بند تشريعي، من هذه البنود هناك ١٧ عقوبة جسدية (قلع عين، قطع يد، جذع أنف ...) وهناك ٣٣ عقوبة إعدام.

ألعقوبات ألجسدية في شريعة حمورابي

- إذا ألراهبة / ألكاهنة ألتي هي ليست مقيمة في ألدير فتحت خمّارة، أو دخلت خمارة من أجل ألجعة (البيرة)، تلك السيدة يكوونها.
- إذا سيد رفع إصبعاً (بالتشهير) على كاهنة أو زوجة سيد ولم يثبت التهمة، هذا السيد يجلدونه أمام ألقضاة ويحلقوا له (نصف شعر رأسه).
- إذا زوجة سيد بسبب ذكر ثانٍ رفع إصبع عليها بالإتهام لكن لم تضبط في اضطجاع مع ذكر ثانٍ، من أجل زوجها تخوض النهر (في الإختبار).
ظلت هذه العقوبة في إنجلترا حتى العصور الوسطى، كانوا يرمون الساحرة في النهر، إذا نجت فهذا يعني أنها حقا ساحرة فيحكم عليها بالموت، وإذا ماتت تكون قد ماتت.
- إذا سيد هتك ستر إبنته، ذلك السيد ينفونه من المدينة.
- إذا ابن عضو الحاشية (المتبني) أو ابن الراهبة (المتبني) قال للأب مُرَبّيه والأم مُربّيته "لست أبي أنت، لست أمي أنت" يقطعون لسانه.
- إذا ابن عضو الحاشية (المتبني) أو ابن الراهبة (المتبني) عرف بيت أبيه وازدرى الأب مربّيه، والأم مربّيته، وذهب إلى بيت أبيه، ينسخون عينه. (قلع عين)
- إذا أعطى سيد إبنه لمرضعة، وذلك الإبن مات في يد المرضعة. إذا كانت المرضعة قد تعاقدت، بلا موافقة أبيه وأمه، على إرضاع ابن ثان، يدينونها، وبسبب أنها تعاقدت، بلا موافقة أبيه وأمه، على إرضاع إبن ثان، يقطعون ثدييها.
- إذا ضرب ابن أباه يقطعون ذراعه.
- إذا اختبط سيّد عين ابن سيد يخبطون عينه.
- إذا كسر سيد عظمة سيد يكسرون عظمته.
- إذا أوقع سيدٌ سن سيدٍ، كفئه، يوقعون سنه.
- إذا ضرب سيد وجنة السيد الذي هو أكبر منه، يضرب في المجمع ستين جلدةَ بسوط ثور.
- إذا ضرب عبد سيد وجنة ابن سيد، يقطعون أذنه.
- إذا أجرى آسي جراحة كبرى بمبضع البرونز على سيد وأمات السيد، أو فتح بمبضع البرونز صدغ سيدٍ واختبط عين السيد، يقطعون ذراعه.
- إذا حلق حلاق خصلة عبد ليس له بلا موافقة صاحب العبد، يقطعون ذراع ذلك الحلاق.
- إذا قال عبد لسيّده: "لست سيدي أنت"، سيده يثبته باعتباره عبده ويقطع أذنه.

عقوبات الإعدام عند حمورابي

- إذا اتهم سيد سيداً،وأقام عليه دعوى قتل، ولم يدنه، مُتهمه ينعدمْ.
- إذا أقام سيد دعوى سحر على سيدٍ، ولم يدنه، الذي عليه دعوى السحر مقامه يذهب إلى النهر. النهر يغمر المتهم بالفعل، فإذا النهر غلبه متهمه يستولي بيته. إذا ذلك السيد برأه النهر حقاً وسلم بالفعل، ينعدم الذي أقام عليه دعوى السحر. الذي غمر النهر جسمه يستولي على بيت متهمه.
- إذا أدلى سيد في قضية شهادة زور، ولم يثبت الكلمة التي نطق في قضية، بشهادة زور، ولم يثبت الكلمة التي نطق إذا تلك القضية قضية حياة، ذلك السيد ينعدم.
- إذا سرق سيدٌ ثروة الإله أو القصر، هذا السيد ينعدم. والذي تسلم السرقة من قبضته ينعدم.

- إذا اشترى سيد إما فضة أو ذهباً أو عبداً أو أمه أو ثوراً أو خروفاً أو حماراً، أو أي ما كان له إسم، من يد ابن سيد أو عبد سيد بلا شهود أو عقود، أو تسلم على سبيل الأمانات، هذا السيد سرّاق ينعدم.
- إذا سرق سيد إما ثوراً أو خروفا أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً، إذا كان المسروق للإله أو إذا كان للقصر يدفع السارق لغاية ثلاثين ضعفا له. إذا كان المسروق لمسكين (من عامة الناس) يعوض السارق لغاية عشرة أمثاله. إذا اللص لا يملك ما يكفي الدفع يعدم.
- إذا السيد الذي اشياء له مفقودة ضبط أشياءه المفقودة في قبضة سيد. ألسيد الذي المفقود مُنضبطٌ في قبضته قال: "بائع باع لي، وأنا أمام الشهود اشتريت". وصاحب المفقود قال: "لأجلبنّ الشهود العارفين لمفقوداتي". ثم إن المشتري جلب البائع الذي باع له والشهود الذين اشترى أمامهم. وصاحب المفقود جلب الشهود العارفين مفقوده، القضاة ينظرون كلماتهم. ويقول الشهود الذين بحضورهم اشترى المشتري والشهود العارفون المفقود معلوماتهم أمام الإله. (يكون) البائع سراق وينعدم. صاحب المفقود يتلقى مفقوده. المشتري يتلقى من البائع الفضة التي وزن.
- إذا المشتري لم يجلب البائع الذي باع له والشهود الذين اشترى في حضورهم، صاحب المفقود نفسه جلب الشهود العارفين مفقوده. المشتري سراق ينعدم. صاحب المفقود يتلقى مفقوده.
- إذا صاحب المفقود لم يجلب الشهود العارفين مفقوده، فإنه كذاب ادعى كيداً ينعدم.
- إذا خطف سيد ابن سيد صغيراً، ينعدم.
- إذا أخرج سيدٌ من البوابة أما عبد القصر أو أمه القصر أو عبد مسكين أو أمه مسكين، ينعدم.
- إذا آوى سيداً في بيته إما عبدا أو أمه، هارباً يخص القصر أو مسكين، ولم يخرج إياه لصيحة المنادي، صاحب ذلك البيت ينعدم.
- إذا ذلك العبد احتجزه السيد الذي ضبطه في بيته. فيما بعد ضبط العبد في قبضته، ذلك السيد ينعدم.
- إذا ثقب سيد بيتاً يعدمونه أمام ذلك الثقب ويولجونه فيه.
- إذا سيد سلب سلبة وضبط، ذلك السيد يعدم.
- إذا اندلعت النار في بيت سيد، والسيد الذي ذهب للإطفاء وضع عينه على متاع صاحب البيت والتقط متاع صاحب البيت، هذا السيد يقذف إلى تلك النار.
- إذا إما الجندي النظامي أو المتطوع، الذي يعلن ذهابه إلى حملة الملك، لم يذهب أو أجر أجيرا أو بعث بديلا، سواء هذا الجندي النظامي أو المتطوع ينعدم. فاضحه يستولي على بيته.
- إذا ما ضابط أو ضابط صف ضم في صفوفه عسكريا هارباً أو تسلم وقاد أجيراً بديلاً غلى حملة ألملك، هذا الضابط أو ضابط الصف ينعدم.
- إذا ما ضابط أو ضابط صف استولى على متاع جندي نظامي، اختبل جنديا نظاميا، أعطى جنديا نظاميا للأيجار، أشرك جنديا نظاميا في قضية لمتنفذ، استولى على هدية كان الملك قد أعطى لجندي نظامي، هذا الضابط أو ضابط الصف ينعدم.
- إذا لك تتسلم صانعة الجعة حبوبا عن ثمن الجعة، ولكن تسلمت فضة بموجب حجر وزن كبير، وقللت قيمة الجعة بالنسبة إلى قيمة الحبوب، صانعة الجعة هذه يدينونها وإلى الماء يرمونها.
- إذا صانعة جعة تجمع مجرمين في بيتها ولم تضبط ولم تقد أولئك المجرمين إلى القصر، صانعة الجعة هذه تنعدم.

- إذا الرهينة ماتت في بيت مرتهنها بالضرب أو بالتعذيب، صاحب الرهينة يدين تاجره، وإذا الرهينة كان ابن السيد، يعدمون ابنه. إذا الرهينة كان عبد السيد، على التاجر أن يزن ثلث من فضة، ويخسر أي شيء من كل ما أعطى.
- إذا زوجة سيد انضبطت في اضطجاع مع ذكر ثانٍ، يقيدونهما ويرمونهما في الماء. إذا صاحب الزوجة قرر أن يحفظ حياة زوجته، ألملك أيضا يحفظ حياة عبده.
- إذا سيدٌ، زوجة سيد آخر التي هي ما عرفت ذكرا ولم تزل مقيمة في بيت ابيها، كبلها واضطجع في حضنها وضبطوه، ذلك السيد ينعدم، ويطلق سراح تلك المرأة.
- إذا احتجز سيد وفي بيته يوجد ما يكفي للأكل، على زوجته، طوال ما زوجها محجوز، أن تصون جسدها، ولا تدخل إلى بيت شخصٍ ثانٍ. إذا تلك المرأة لم تصن جسدها، ودخلت إلى بيت شخص ثان، تلك المرأة يدينونها ويرمونها إلى الماء.
- إذا هي غير مصون ومتغيبة، تشتت بيتها، تستصغر زوجها، تلك المرأة يرمونها في الماء.
- إذا تسببت زوجة سيد، بسبب ذكر ثانٍ، بقتل زوجها، تلك المرأة يضعونها على الخازوق.
- إذا اختار سيد كنة إلى ابنه، وابنه خبرها. بعدئذ هو اضطجع في حضنها وضبطوه، ذلك السيد يقيدونه ويرمونه إلى الماء.
- إذا سيد، بعد وفاة أبيه، اضطجع في حضن أمه يحرقونهما كليهما.
- إذا ضرب سيد إبنة سيد وأسقط جنينها، يجب أن يوزن عشرة شيقلات فضة تعويضا عن جنينها، إذا تلك المرأة ماتت يقتلون ابنته.
- إذا سيد دحض حلاقا فحلق خصلة عبد ليس له، ذلك السيد يعدمونه ويضعونه في بابه، ألحلاق يجب أن يقسم: "لم أحلق عن علم" ويطلق سراحه.
- إذا شيد بنّاء بيتا لسيد لكن لم يقو عمله فانهار البيت الذي شيد وتسبب في موت صاحب البيت، ذلك البناء ينعدم.
- إذا تسبب في موت ابن صاحب البيت، يعدمون ابن ذلك البناء.

نلاحظ من خلال هذه البنود، اشتمال شريعة حمورابي على ١٦ عقوبة جسدية و ٣٣ عقوبة إعدام. ونلاحظ ايضا قسوتها وشدتها مما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: بما أن هذه العقوبات كانت في فترة حمورابي، اي وضعت حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد، فهل ظلت سارية المفعول حتى عهد عيسى عليه السلام أم تم تخفيفها إلى أقل من ذلك؟

ألعقوبات في شريعة موسى حسب ما ورد في التوراة

تضمنت شريعة موسى عليه السلام ٤ عقوبات جسدية و ١٦ عقوبة إعدام. ورغم أنه قد تم تقليص العقوبات من شريعة حمورابي إلى شريعة موسى، إلا إننا نجد أن العقوبات الجسدية وعقوبات الإعدام ظلت قائمة، ولم تمسح إلا بمجيء الرسالة المحمدية، فهي الرسالة التي نسخت شريعة موسى بما طرأ عليها من تعديلات جاء بها المسيح عيسى فيما بعد.

- **عقوبة قذف المحصنات**

١٣ «إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا أَبْغَضَهَا،
١٤ وَنَسَبَ إِلَيْهَا أَسْبَابَ كَلاَمٍ، وَأَشَاعَ عَنْهَا اسْمًا رَدِيًّا، وَقَالَ: هذِهِ الْمَرْأَةُ اتَّخَذْتُهَا وَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا لَمْ أَجِدْ لَهَا عُذْرَةً.
١٥ يَأْخُذُ الْفَتَاةَ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلاَمَةَ عُذْرَتِهَا إِلَى شُيُوخِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَابِ،

١٦ وَيَقُولُ أَبُو الْفَتَاةِ لِلشُّيُوخِ: أَعْطَيْتُ هذَا الرَّجُلَ ابْنَتِي زَوْجَةً فَأَبْغَضَهَا.
١٧ وَهَا هُوَ قَدْ جَعَلَ أَسْبَابَ كَلاَمٍ قَائِلاً: لَمْ أَجِدْ لِبِنْتِكَ عُذْرَةً. وَهذِهِ عَلاَمَةُ عُذْرَةِ ابْنَتِي. وَيَبْسُطَانِ الثَّوْبَ أَمَامَ شُيُوخِ الْمَدِينَةِ.
١٨ فَيَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الرَّجُلَ وَيُؤَدِّبُونَهُ
١٩ وَيُغْرِمُونَهُ بِمِئَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَيُعْطُونَهَا لأَبِي الْفَتَاةِ، لأَنَّهُ أَشَاعَ اسْمًا رَدِيًّا عَنْ عَذْرَاءَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَتَكُونُ لَهُ زَوْجَةً. لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ. ((سفر التثنية: ٢٢))

تعليق

((نحن تأثرنا بهذه العقوبة وما زالت بعض المجتمعات حتى اليوم تفاخر بإثبات عذرية الفتاة إذا تقف النساء تنتظر الزوج حين يدخل على زوجه ويخرج بعدها برقعة قماش عليها دم العذرية – أي العلامة كما يسمونها))

- **عقوبة أيذاء الآخرين**

٢١ لاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْل.
((التثنية: ١٩))
٢٠ كَسْرٌ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنْسَانِ كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ.
((اللاويين: ٢٤))

١ «إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أُنَاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْقَضَاءِ لِيَقْضِيَ الْقُضَاةُ بَيْنَهُمْ، فَلْيُبَرِّرُوا الْبَارَّ وَيَحْكُمُوا عَلَى الْمُذْنِبِ.
٢ فَإِنْ كَانَ الْمُذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ، يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ.
٣ أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لاَ يَزِدْ، لِئَلاَّ إِذَا زَادَ فِي جَلْدِهِ عَلَى هذِهِ ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً، يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ ((سفر التثنية: ٢٥))

تعليق

((جاء حد السكر في الفقه الإسلامي بأربعين جلدة تأثرا بنفس العدد الذي كان موجودا في شريعة اليهودي، بحيث أن حد الخمر أربعين جلدة، وللإمام أن يبلغ به الثمانين تعزيزا إذا رأى انهماك الناس في الشراب، لما جاء في الحديثين التاليين:
١ – عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَجَلَدَهُ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ ((أخرجه مسلم))
٢ – وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه (جَلَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرِّيفِ ، قَالَ : مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ الْخَمْرِ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ :أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الْحُدُودِ ، قَالَ : فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ) ((متفق عليه))

١١ «إِذَا تَخَاصَمَ رَجُلاَنِ، رَجُلٌ وَأَخُوهُ، وَتَقَدَّمَتِ امْرَأَةُ أَحَدِهِمَا لِكَيْ تُخَلِّصَ رَجُلَهَا مِنْ يَدِ ضَارِبِهِ، وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِعَوْرَتِهِ،
١٢ فَاقْطَعْ يَدَهَا، وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. ((سفر التثنية: ٢٥))

- **عقوبات السحر وشهادة الزور**

١ ـ تهمة ألسحر:

٢٧ «وَإِذَا كَانَ فِي رَجُل أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ». ((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

ظل هذا الحكم ساريا في الفقه الإسلامي استنادا إلى المرويات التي يستشهد بها الفقهاء فيه، كما ورد في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة، قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن اقتلوا كل ساحر وساحرة"، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصحَّ عن حفصه رضي الله عنها: "أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت". وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: "صحّ عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم".

ج١/ص ٣٥٣ـ ٣٥٤

٢ ـ شهادة الزور

١٦ إِذَا قَامَ شَاهِدُ زُورٍ عَلَى إِنْسَانٍ لِيَشْهَدَ عَلَيْهِ بِزَيْغٍ،

١٧ يَقِفُ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ.

١٨ فَإِنْ فَحَصَ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ كَاذِبٌ، قَدْ شَهِدَ بِالْكَذِبِ عَلَى أَخِيهِ،

١٩ فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ. ((سفر التثنية: 19))

- **عقوبات الزنا وسفاح المحارم**

٢٠ «وَلكِنْ إِنْ كَانَ هذَا الأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ.

٢١ يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ. ((سفر التثنية: 22))

تعليق

لا يوجد في الفقه الإسلامي مرويات تقر بقتل ألزانية ألبكر بل الفقه يحكم بجلدها مائة جلدة والتغريب استنادا للعديد من الأحاديث. غير أنّ هذه الظاهرة منتشرة بكثرة في البلدان الإسلامية تحت عنوان "جريمة الشرف"، بحيث يقوم ذكر أو أكثر من الأسرة بقتل الفتاة التي يشتبه في أو يتأكد في أن لها علاقة مع أحد الشباب أو مارست معه الجنس خارج إطار الزواج. وتكثر جرائم الشرف خاصة في الدول التالية: مصر، باكستان، لبنان، الأردن، سوريا، تركيا، اليمن، تحت وطأة اعتقاد شعبي بأنّ الأديان السماوية تدعم هذا القتل، وبسبب من الحماية القانونية التي توفرها بعض هذه البلدان للقتلة إذا أثبتوا أن دافعهم كان "شريفا".

وعادة لا تأخذ هذه الجرائم هذا الإسم إلا في البلدان التي لديها نوع من الحماية القانونية تعفي القتلة من العقاب، مثلما هو الحال في بلدان مثل سورية، الأردن. حيث توجد في سورية مادتين تحميان القتلة بهذا العذر: المادة ٥٤٨ والمادة ١٩٢ من قانون العقوبات السوري. وقد أطلقت حملات كثيرة مناهضة لجرائم الشرف في العالم، بعضها محلي وبعضها عالمي، مثل حملة في الأردن توصلت إلى تعديل المادة ٣٤٠ التي تحمي القتلة بهذا العذر، وتم تعديل المادة التي كانت تمكن القتلة من الخلاص من العقوبة بشكل كامل، وتمنح أحكاما مخففة في بندها ألثاني، ولا يستفيد من البندين سوى الذكور، بحيث ألغي احتمال أن يحصل القاتل على إعفاء كامل من العقوبة، ومنح الحق بالتخفيف من العقوبة للنساء أيضا في حال ارتكبن الجريمة نفسها للأسباب نفسها. كذلك حملة في سوريا أطلقها "مرصد نساء سوريا" بعنوان "الحملة الوطنية المناهضة لجرائم الشرف في

سوريا" منذ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥ (وما تزال قائمة حتى الآن) بهدف إلغاء المادة ٥٤٨ من قانون العقوبات السوري وتعديل المادة ١٩٢ من القانون نفسه، بحيث يجري اعتبار القتلة بهذا العذر كالقتلة بأي عذر آخر، دون إمكانية الإستفادة المسبقة من القانون. وأثمر عمل "مرصد نساء سورية" إخراج هذه الجرائم من مجال الصمت إلى مستوى "الرأي العام" كما جرى في العديد من البلدان عمل مهم أيضا في مناهضة هذه الجرائم. فقد قامت تركيا منذ قيام الدولة الحديثة فيها بإلغاء أية أعذار قانونية للقتلة بهذه الذريعة. كما قامت باكستان بذلك، وتونس أيضا. بينما لا يزال القتلة يستفيدون من دعم القانون لهم سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في بلدان كثيرة مثل أفغانستان، أيران، اليمن، الصومال، السودان، مصر، الأردن، سوريا، لبنان ... وغيرها. لمزيد من التفاصيل يمكن الإطلاع على الموقع الرسمي لمرصد نساء سوريا على الرابط ألتالي:
http://nesasy.org

٢٢ «إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْل، يُقْتَلُ الاثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ((سفر التثنية: ٢٢))

١٠ وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ. ((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

يقي حكم القتل في الزنا الذي كان سائداً على عهد اليهود ساري المفعول في الفقه الإسلامي إستنادا إلى أحاديث عديدة نشك في صحتها، لكن الفقه يعتمدها لتثبيت حكم الرجم في الزنا رغم إنّ ذلك غير وارد إطلاقا في التنزيل الحكيم، ومن جملة الأحاديث الواردة في حكم الرجم نذكر الأمثلة التالية:

- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ : (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ المُفَارِقُ للجمَاعَةِ) (رواه البخاري ومسلم)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ (أَتَى رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ - فَنَادَاهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إنِّي زَنَيْت ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ . فَتَنَحَّى تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إنِّي زَنَيْت ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، حَتَّى ثَنَّى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ .فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ : دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَبِكَ جُنُونٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ أُحْصِنْت ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ) (رواه البخاري)

- سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَإِنَّ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الِاعْتِرَافُ وَقَدْ قرأ بها "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نِكالاً مِنَ الله والله عَزِيزٌ حَكِيم")

(أنظر: ابن قدامة، المغنى، ٩ / ٤)

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفاً بِالزّنا قَالَ لَهُ لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، لَعَلَّكَ غَمَزْتَ، لَعَلَّكَ نَظَرْتَ، لَعَلَّكَ لامَسْتْ، قَالَ لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ زَنَيْتْ قَالَ (أَنِكْتَهَا) لَا يَكْنِي قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ. (صحيح ألبخاري)

(فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه) (سنن أبي داود)

- عن أنس رضي الله عنه (أنّ إمرأة أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم واعترفت بالزّنى وكانت حاملا فأخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعت ثم أمرها فشدّت عليها ثيابها ثم أمر برجمها ثم صلى عليها فقال رجل: أتصلي عليها وقد زنت ورجمتها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد تابت توبة لو تاب بها سبعون من أهل المدينة لقبل منهم هل وجدت أفضل أن جادت بنفسها) (أخرجه الطبراني في معجمه الصغير)

٢٣ «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُل، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا،
٢٤ فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ.
٢٥ وَلكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوبَةَ فِي الْحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، يَمُوتُ الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ.
٢٦ وَأَمَّا الْفَتَاةُ فَلاَ تَفْعَلْ بِهَا شَيْئًا. لَيْسَ عَلَى الْفَتَاةِ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ، بَلْ كَمَا يَقُومُ رَجُلٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَقْتُلُهُ قَتْلاً. هكَذَا هذَا الأَمْرُ.
٢٧ إِنَّهُ فِي الْحَقْلِ وَجَدَهَا، فَصَرَخَتِ الْفَتَاةُ الْمَخْطُوبَةُ فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُخَلِّصُهَا.

((سفر التثنية: 22))

١١ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٢ وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَّتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ كِلاَهُمَا. قَدْ فَعَلاَ فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٣وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا.
١٤ وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَّهَا فَذلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرِقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ.
١٥ وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمِيتُونَهَا.
١٦ وَإِذَا اقْتَرَبَتِ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا، تُمِيتُ الْمَرْأَةَ وَالْبَهِيمَةَ. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا

((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

- حكم فعل اللواط، وهو الفاحشة بين ذكرين، الوارد في الفقه الآسلامي مستمد من شريعة اليهود، ورد في حديث ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ وَجَدْتُموهُ يَعْمَل عَمَلَ قوْمِ لوط فاقتُلوه) (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في مسنده)
- حكم إتيان البهيمة الوارد في الفقه الإسلامي مستمد من شريعة اليهود وبقي ساري المفعول فيه وفق الواردة في الحديثين ألتاليين:
  - عن ابن عباس عن رسول الله قال: (مَنْ وَقَعَ عَلى بَهيمَة فاقتُلوه واقتُلوا البَهيمة) (رواه أحمد وأبو داود والترمذي)

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ وَقَعَ عَلى ذاتِ مَحْرَمْ فاقتُلوه، وَمَنْ وَقَعَ عَلى بَهيمَة فاقتُلوه واقتُلوا البَهيمَة) (رواه ابن ماجة)

- **عقوبة القتل**

١٧ وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ.
١٨ وَمَنْ أَمَاتَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا نَفْسًا بِنَفْسٍ.
١٩وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا، فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ.
٢١ مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا، وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ.
٢٢ حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ».

((سفر اللاويين: 24))

١٦ «إِنْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةِ حَدِيدٍ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ.
١٧ وَإِنْ ضَرَبَهُ بِحَجَرِ يَدٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ.
١٨ أَوْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةِ يَدٍ مِنْ خَشَبٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ.
١٩ وَلِيُّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ. حِينَ يُصَادِفُهُ يَقْتُلُهُ.
٢٠ وَإِنْ دَفَعَهُ بِبُغْضَةٍ أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ شَيْئًا بِتَعَمُّدٍ فَمَاتَ،
٢١ أَوْ ضَرَبَهُ بِيَدِهِ بِعَدَاوَةٍ فَمَاتَ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الضَّارِبُ لأَنَّهُ قَاتِلٌ. وَلِيُّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ حِينَ يُصَادِفُهُ.

٣٠ كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا فَعَلَى فَمِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الْقَاتِلُ. وَشَاهِدٌ وَاحِدٌ لاَ يَشْهَدْ عَلَى نَفْسٍ لِلْمَوْتِ.
٣١ وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ.
٣٢ وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً لِيَهْرُبَ إِلَى مَدِينَةِ مَلْجَئِهِ، فَيَرْجعَ وَيَسْكُنَ فِي الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِ الْكَاهِنِ

((سفر العدد: ٣٥))

١١«وَلكِنْ إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ مُبْغِضًا لِصَاحِبِهِ، فَكَمَنَ لَهُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ ضَرْبَةً قَاتِلَةً فَمَاتَ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الْمُدُنِ،
١٢ يُرْسِلُ شُيُوخُ مَدِينَتِهِ وَيَأْخُذُونَهُ مِنْ هُنَاكَ وَيَدْفَعُونَهُ إِلَى يَدِ وَلِيِّ الدَّمِ فَيَمُوتُ.

((سفر التثنية: ١٩))

- **عقوبة عقوق الوالدين**

١٨ «إِذَا كَانَ لِرَجُل ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلاَ لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلاَ يَسْمَعُ لَهُمَا،
١٩ يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ،

٢٠ وَيَقُولاَنِ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: ابْنُنَا هذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا، وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسِكِّيرٌ.
٢١ فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ.
((سفر التثنية: ٢١)

٩ «كُلُّ إِنْسَانٍ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. قَدْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ.
((سفر اللاويين: ٢٠))

تعليق

إنّ السلطة الأبوية المستمدة من شريعة اليهود ظلت قائمة في الفقه الإسلامي وامتد أثرها إلى حد أن تجاوزت حد السلطة وصارت ملكية خاصة فصار الإبن وماله لأبيه كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً قال: (يا رَسُولُ الله لي مالاً وَوَلَداً وَإنَ أبي يُريدُ أنْ يَجْتاحَ مالي)، فقال: (أنْتَ وَمالَكَ لأبيك) (رواه ابن ماجة). وطالما أنّ الأبوة والبنوة تحولت إلى ملكية في الفقه فقد أعفى هذا الأخير الأب من العقاب في حال قتله لإبنه لما ورد في حديث عمر بن الخطاب وابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يُقْتَلْ والِدْ بِوَلَدِه) أخرج النسائي حديث عمر، ورواهما ابن ماجة وذكرهما ابن عبد البر، وقال: هو حديث مشهور عند أهل العلم بالحجاز والعراق، مستفيض عندهم يستغني بشهرته وقبوله والعمل به عن الإسناد في مثله مع شهرته تكلفا.

- **عقوبة التعدي على حرمة الإله**

٢ «إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ،
٣ وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ،
٤ وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدٌ. قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ،
٥ فَأَخْرِجْ ذلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوِ الْمَرْأَةَ، وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ.
٦ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الَّذِي يُقْتَلُ. لاَ يُقْتَلْ عَلَى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ.
٧ أَيْدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ.

١٢ وَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ بِطُغْيَانٍ، فَلاَ يَسْمَعُ لِلْكَاهِنِ الْوَاقِفِ هُنَاكَ لِيَخْدِمَ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَوْ لِلْقَاضِي، يُقْتَلُ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ.
١٣ فَيَسْمَعُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَيَخَافُونَ وَلاَ يَطْغَوْنَ بَعْدُ.
((سفر التثنية: ١٧))

٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ. ((سفر التثنية: ١٨))

١٣ فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً:
١٤ «أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ.
١٥ وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ،
١٦ وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ.

تعليق

أخذ الفقه الإسلامي عن شريعة اليهود هذا الحكم، وهو ما يسمى حكم الردة الذي نجده مذكورا فيه صراحة حسب الروايات ألتالية:
١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزاني والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) رواه البخاري ومسلم .
٢ – عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ بَدّلَ دينَهُ فاقتُلوه)) (رواه البخاري)
٣ – روي الدارقطني بإسناده (أنّ إمرأة يقال لها أم مروان ارتدت عن الإسلام، فبلغ أمرها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأمر أن تُستَتاب، فإنْ تابت، وإلا قتِلتْ).
علما أن الردة التي يتناقلها التاريخ الإسلامي جاءت جماعية ولأسباب سياسية بحتة ولم تأتِ فردية.

- **عقوبة استرقاق شخص إسرائيلي**

٧ «إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتَرَقَّهُ وَبَاعَهُ، يَمُوتُ ذلِكَ السَّارِقُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ.

ألقوانين ألآشورية

(يحق للزّوج أنْ يجْلدْ زوجته، أو أن ينتزع شعرها ويشق أذنيها ويؤذيهما دون أن يترتب على ذلك أي أثر قانوني)

هذا هو الحال قبل ألرسالة ألمحمدية. فلنر الآن كيف أصبح الحال مع بعثة الرسول الخاتم.

ألدّين والسلطة

ألحاكمية ـ ٣

ألعقوبات في الرسالة المحمدية

كل القوانين التي جاءت في الشرائع السابقة للرسالة الخاتمة سواء أكانت شرائع إنسانية أو شرائع سماوية، كانت جائرة وقاسية، ولذلك حين تم إرسال الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل في محكم التنزيل ﴿ . وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ . ﴾ الأعراف: ١٥٧ .. إذا بعث الرسول لفك تلك القيود ألتي كانت تقيد أهل التوراة والإنجيل، ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ ولقد تحدثنا سابقا عن خصائص الرسالة المحمدية الثلاث: الرحمة ــ ألعالمية ــ الخاتمة، وسنتناول الآن ببعض الأمثلة هذه الخصائص الثلاث.

ألشرائع السابقة ــ كشريعة حمورابي، أقدم شريعة إنسانية هناك ٣٦ بند إعدام، ولقد استعرضنا تلك البنود في فصل سابق ورأينا مدى الظلم فيها. أما الشريعة السماوية الأقرب إلى شريعة حمورابي وهي شريعة موسى عليه السلام فقد احتوت على ١٦ عقوبة إعدام. وكنا قد رأينا مدى الإصر في شريعة موسى ورأينا أنّ باب التوبة غير موجود في العقوبات.

هذه الشرائع ألتي سبقت الرسالة المحمدية ظهرت في نفس المنطقة ألتي بعث فيها الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن بقايا تلك التشريعات ظلت عالقة في المنطقة وبالتالي ليس غريبا أن يفهم قوله تعالى ﴿ ... وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ... ﴾ النساء: ٣٤ عند نزوله بأن المقصود به هو الضرب الجسدي، وأن لا يفهم **الضرب** على المعنى ألمحمول للكلمة كما شرحنا في مكان سابق.

كذلك فإن قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن صح (مَنْ بَدّلَ دينَهُ فاقتُلوه) إن يفهم على القتل الجسدي، علماً أنّ أحد معاني "القتل" كما جاء في لسان العرب هو "ألمقاطعة". بالتالي إنْ فهمنا نحن اليوم القتل على أنه مقاطعة فلا يلومنا أحد.

١ـ عقوبة الإعدام "ألقتل"

أشير هنا أن الحديث وما سنتناوله يدور عن عقوبة وليس عن حرب، لأن الحروب سواء في شريعة موسى أو في الشريعة المحمدية لها وضع خاص. نحن نتكلم هنا عن عقوبة الإعدام كعقوبة مفروضة في التشريع المدني لتنظيم ألمجتمع.

لقد ورد في الرسالة المحمدية عقوبة إعدام واحدة وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣ ولقد جاءت هذه العقوبة كحد أعلى ممثلة في القتل دون إسراف، أي إنه لا يجوز القصاص إلا من القاتل نفسه، فلا يحق لأهل القتيل أن يقتلوا أي شخص من أهل القاتل، وإنما يقتصوا فقط ممن قتل. هذا هو المقصود بقوله فَلَا يُسۡرِف .

ومفعول هذه الآية ساري منذ عهد الرسول الأعظم حتى يومنا هذا، فهناك بعض الدول التي تطبق عقوبة الإعدام كحد أعلى، وهناك دول أخرى تطبق عقوبة ألسجن ألمؤبد أو السجن بسنوات محددة وفي هذا المثال تتجسد الرحمة والعالمية في الرسالة ألمحمدية.

ألناس اليوم تطبق تشريعات الرسالة المحمدية بالفطرة ودون أن تعلم، لأنّ الأسلام كما أخبرنا سبحانه وتعالى هو دين الفطرة. وعند احتجاج الملائكة على خلق آدم وجعله خليفة قالوا:

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ .. ألله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون، فهذا المخلوق الذي احتجت الملائكة على خلقه وخلافته في الأرض، وصل إلى القمر وغاص في أعماق المحيطات...، بحيث ساعده الله عز وجل بإن قام بتطوير فكره ودفعه إلى الوصول إلى أرقى مراتب ألتجريد، واكتساب المعارف أكثر وأكثر. ولما جاءت الرسالة المحمدية الخاتمة، ضمنها الله أحكاما تشريعية عالمية صالحة لكل زمان ومكان، لأن الله يعلم بعلمه المطلق الخط العام الذي تسير فيه الإنسانية.

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يونس: ٢٤

٢ ــ عقوبات الزنا والقذف "الجلد"

تم في الرسالة المحمدية وضع عقوبة جسدية واحدة لا تنطبق إلا على حالتين اثنتين، الأولى هي

الجلد عقوبة الزنا والثانية مرتبطة بالأولى وهي حد القذف. ولقد ورد التشريع السماوي في الرسالة الخاتمة للحالتين في الآيتين حيث قال عز وجل بالنسبة لحد الزنا

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾ النور: ٢

أما بالنسبة لقذف المحصنات فقد قال تعالى

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ النور: ٤

ألزنا فاحشة يزن الجنس فيها على الإنسان ويلح عليه حتى يصبح في وضع نفسي يلغي فيه كل اعتبار للمجتمع. وهي جريمة إرادية بحته تحصل بموافقة الطرفين، الذكر والأنثى، وهي ليست كالقتل أو كالسرقة ألتي يقوم بها طرف واحد. وعقوبة الزنا كما ورد في التنزيل الحكيم في سورة النور، الآية: ٢ هي ١٠٠ جلدة، لا أقل ولا أكثر وتتم بوجود شهود على تطبيق حد الله. لكن شرط تطبيق حد الزنا صعب جدا أن يتحقق إذا يصعب جدا أن تمارس هذه الفاحشة بحيث يشهدها أربع شهود، ولو شئنا أن نطبقها هذه الآيام فإنها لا تطبق إلا على ممثلي الأفلام الإباحية. ولقد تم تقديم ذكر الزّانية على الزاني للإشارة إلى أن هذه الفاحشة تمت بالتراضي ولا يوجد هناك أي إغتصاب.

العقوبة الجسدية الثانية في الرسالة المحمدية هي ما نصت عليه الآية: ٤ من سورة النور، وهي ما يعرف بقذف المحصنات، بمعنى أنه إذا تم إتهام إمرأة ما بالزنا ولم يكن هناك شهود أربع فإن هذا الإتهام يعد قذف للمحصنات – حتى ولو كان الإتهام صحيحاً. فلو شهد ثلاث أشخاص ولم يكن هناك شخص رابع فإن كل واحد من هؤلاء الثلاثة يتم جلده ٨٠ جلدة ولا يقبل له شهادة بعد ذلك.

كيف طبقت هذه الجريمة منذ الرسالة الخاتمة وحتى اليوم؟ لقد كان تطبيقها في التاريخ الإسلامي محدود جدا، بل وطلب ممن اعترف باقترافه هذه الفاحشة أمام الرسول بسحب اعترافه قبل تطبيق الحد عليه فيما نسبت للرسول من أحاديث.

٣ – عقوبة السرقة "القطع"

قال تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾ المائدة: ٣٨، وضع الله "القطع" كحد للسرقة، أي قطع ايدي من يقترف هذه الجريمة.

لقد شرحنا وفصلنا سابقا ما هو المقصود بقطع اليد، وقلنا أن القطع هنا يعني كف اليد وليس البتر. فالله سبحانه وتعالى لم يحدد من أين تقطع اليد، كذلك جاء قوله **أَيْدِيَهُمَا** بالجمع ..

ما أريد أن أوضحه هنا، أن قطع اليد ليس عقوبة جسدية، وإنما هي عبارة عن **كف اليد** ويكون ذلك بالسجن أو بأي طريقة يراها المجتمع. وهذا ما نراه في كل دول العالم .. هذه هي الفطرة.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

الروم: ٣٠

فعلا الناس فطروا على تطبيق شرع الله دون أن يدروا.

هذه هي العقوبات الجسدية التي وردت في الرسالة الخاتمة. عقوبة **إعدام** واحدة "القتل دون إسراف" **والجلد** ١٠٠ جلدة لمن ارتكب فاحشة ألزنا أو ٨٠ جلدة لمن اتهم إمرأة بالزنى ولم يأتِ بشهود أربع.

من هنا نرى أن الرسالة المحمدية جاءت تصديقا لقوله تعالى ((وَما أرْسَلناكَ إلا رَحْمَةَ للعالمينْ))، هذه الرحمة نراها ونحن نقارن بين ما جاء من تشريع في الرسالة الخاتمة مع التشريعات التي جاءت في الرسالات السابقة. وبالتالى هذا الدين وهذه الرحمة تتنافى مع القاعدة الشرعيّة التي تقول ((ألمشقّة تجْلبْ ألتّيْسيرْ)) .. أين المشقة في الرسالة المحمدية والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

﴿ . وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ . ﴾ الأعراف: ١٥٧

ما حصل أنّ الفقهاء أدخلو الإصر والأغلال بإعتمادهم مقولة ((شريعة من قبلنا شريعتنا)) ولقد رأينا كيف هي شريعة من قبلنا، بالتالي أدخلوا القاعدة الشرعية ((ألمشقّة تجْلبْ ألتّيْسيرْ)) .. إذا كانت المشقة حالة خاصة لوضع شخص ما، فهي ليست من الرسالة، وبالتالي لا يمكن أن توضع كقاعدة تعمم على كل الناسْ.

لقد كان الإعتماد على مقولة "شرع من قبلنا شرعٌ لنا" السبب الرئيس للإصر الذي نراه في شريعتنا، وأمثلة ذلك كثيرة في الأحاديث التي نسبت للرسول صلى الله عليه وسلم، كالحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس ((مَنْ بَدّلَ دينَهُ فاقتُلوه))، فقد تم فهم هذا الحديث من بقايا موروث شريعة موسى.

إنّ الرسالة الخاتمة جاءت رحمة للعالمين، ولقد رأينا الرّحمة في التخفيف في الأحكام بين شريعة موسى وما جاء به الرسول الأعظم. لكن ما نعني حين نقول أن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

ألخاتمية تعني أن الرسالة المحمدية قد أقفلت باب المحرمات تماما. فالحرام كونه من عند الله فهو شمولي وأبدي – ولقد ختمت المحرمات مع الرسول الأعظم وهنا تظهر حاكمية الله، وهذا ما سنفصله في الصفحات التالية.

أقول حاكمية الله هي حصرا في المحرمات والتي جاءت مفصلة في التنزيل الحكيم. الله سبحانه وتعالى لم يعطِ الحق لأحد أن يضيف محرما واحدا على تلك المحرمات التي حددت في الرسالة الخاتمة وأي تحريم جديد يحتاج لرسول جديد. المحرمات إذا لا تزيد ولا تنقص.

كل مجامع الفقه، كل البرلمانات، كل الفقهاء وكل الإستفتاءات لا تستطيع أن تحلل ما حرم في كتاب الله أو أن تضيف حراما جديدا لم يرد ذكره في التنزيل الحكيم. إنّ من يقول أنّ الدّخان حرام يكون قد وضع نفسه مكان الله – الإنسان ممكن أن يمنع التدخين لكن لا يحق له أن يحرمه.

يقول البعض لكن الله عز وجل يقول ﴿ ... يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴾ الأعراف: ١٥٧ ألا يمكن أن نعتبر الدّخان من الخبائث وأن نعتبره من المحرمات. أقول لا .. لأنّ الآية تقول أن الله أحل الطيبات وحرم الخبائث. إذن الخبائث هي ما حرمها الله والطيبات هي ما أحلها الله، أي إن لحم الخنزير والميتة والدم ... من الخبائث. هكذا نفهم الآية الكريمة.

كذلك حين يقول عز وجل ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ النور: ٢٦ فإنّ هذه الآية ليس لها علاقة بالزواج كما هو المفهوم السائد عند أكثر المسلمين. ما هو المقصود بهذه الآية إذا؟

نقول أن لحم الخنزير من الخبائث، وبالتالي فإنّ من يأكل لحم الخنزير يكون من الخبيثين والخبيثات. ايضا لحم البقر من الطيبات (حلال) وبالتالي من يأكل لحم البقر يكون من الطيبين والطيبات. إذا فهمنا أنّ للآية علاقة بالزواج، فإن الآية وحاشى لله تفقد مصداقيتها، فكم من خبيث حسب مفهومهم تزوج من طيبة، وكم من طيب تزوج من خبيثة.

إذا حين وصل الإنسان إلى مرحلة صار فيها قادرا على أن يشرع لنفسه إنقطع إتصال السماء بالأرض، فلا نبيّ ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم. مع الرسول الخاتم صارت المعرفة الإنسانية قادرة على التراكم والتشريع وصار للضمير الإنساني دور أساسي، وهذا نراه في أحكام الرسالة الخاتمة. في شريعة موسى كان حكم عاق والديه أو من يشهد زورا الإعدام، لكن مع الرسول الأعظم أمرنا الله أن نبر والدينا وأن لا نشهد زورا دون أن يترتب أي عقاب على من يخالف تلك الأوامر، وإنما ترك العقاب لله، ليوم الحساب.

يقول أحد المفكرين:

((لقد انغلق العقل المسلم على نفسه فأمسى الطرح ألعقلاني كفرا، والإفتراض تناقضا مع الأيمان، والبحث العلمي خرقا لدائرة المقدسات والمُسَلماتْ، حتّى بلغ الحد ظهور تيارات فكريّة تكفيريّة تطلق الأحكام على كل من لا يسير على دربها أو يأتي بما يخالف نصوصها)).

لذلك هناك نزعة مادية تريد أن تضع العقل الإنساني أو الضمير الإنساني مكان الشرع. فكيف ترد على من يقول ذلك؟

يرد الدكتور محمد شحرور: " أنا لنْ أخرجْ عَمّا شُرِّعَ في كتاب الله بنداً واحداً".

والآن بعد أن رأينا الرحمة وأدركنا قيمتها حين قارنا ألشرائع ألسابقة بالشريعة المحمدية، وفهمنا الخاتمية على أنها إقفال المحرّمات نسأل: أينَ تكمُنْ مَلامِحُ العالمِيّة في الرِّسالة الخاتِمَة؟

قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾
الأعراف: ١٥٨

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وردت كلمة إليكم لأنّ هناك جميعا وهناك أجمعون، وجميعا غير أجمعون.

ولكن لماذا قال ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ هنا، الجواب ليقول لنا أنّ هذا النبي لا يحمل أي من الشرائع السابقة

أعني شريعة موسى أو عيسى عليهما السلام. فلفظة الأميّ كانت تطلق على من لم يكن يهوديا أو نصرانيا. وبالتالي ألغيت كل الإصر والأغلال التي كانت موجودة في الشرائع السابقة.

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ يؤمن بالله وكلماته، وليس كلامه، والفرق كبير بين كلمات الله

وكلام الله. هذا الوجود هو كلمات الله وقوانينه، وهذا النبي الأميّ جاءكم وعنده رسالة عالمية، وأنتم في المُستقبلْ ستدرسون كلمات الله بشكلٍ أفضل. إذن:

ألله حق (خالق الوجود)، "لقد شرحنا سابقا ما معنى الحق"

كلمات الله (الوجود)، "قوله الحق"

إذا هناك إيمان بالله – ألحق، ألذي له وجود موضوعي خارج ألوعي الإنساني. وهناك أيمان أيضا بالوجود المادي والذي هو كلمات الله.

ألبشريّة أخذتْ العالمية بالشرائع

الطلاق مثلا كان في بعض المجتمعات ممنوعاً، لكن تلك المجتمعات اضطرت للسماح به. نرى

كيف أن الله سبحانه وتعالى حين ذكر الطلاق قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ... ﴾ الطلاق: ١ لاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ

ونحن نعرف أنّ الفعل بعد إِذَا يكون حتميّ الوقوع.

أيضا حين تم الحديث عن تعدد الزوجات قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣ لاحظ أنه استخدم وَإِنْ لأنّ الفعل بعد "إنْ" إحتمالي الوقوع، وهذا دليل على أن ظاهرة تعدد الزوجات ممكن أن تلغى، وهذا ما نراه حيث أنّ التعددية في معظم المجتمعات آخذة في التناقص حتى أن بعض المجتمعات تنظر نظرة دونية لمن يتزوج بأكثر من واحدة.

أيضا نقل الأموال في كل الدول يتم بطريقتين إما بِ "الوصيّة" أو بِ "الإرث".

إذا نظرية الحدود ألتي جاءت بها تشريعات الرسالة الخاتمة تتبعها تشريعات كل أهل الأرض. هناك حدود للسرعة، حدود للضرائب (حد أدنى وحد أعلى) .... وكلما ارتقت البشرية أكثر كلما اعتمدت الحدود في تشريعاتها وكلما اقتربت أكثر من الإسلام. هنا نرى العالمية.

والعالميّة أيضا هي الضّمير الإنساني. لا يمكن أن يظهر ما يعرف بحقوق الإنسان أو "جمعيات حقوق الإنسان" لولا إرتقاء البشرية وصحوة الضمير.

ألبشرية آخذة في التطور، وكلما ارتقت كلما كانت أقرب إلى الإسلام، ولذا فإن الحديث الوارد في الصحيحين على لسان أبي هريره :" خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " – لا أعتقد أن الرسول قد قاله، لأنّ هذا الحديث يُقر أنّ البشرية تسير إلى الوراء، ولو كان الأمر كذلك فلا بد من رسول جديد.

للأسف في العقل المسلم اليوم التاريخ يسير إلى الوراء! بعد أن صيغ الفكر الإسلامي كفر فقهي، استقال العقل تماما.

ابن رشد، ابن سينا، ابن الهيثم، البيروني ... لم يساهموا في صياغة العقل العربي الجمعي, لا يوجد لهم وجود في العقل العربي الجمعي – لم يتأثر بهم. لكنه بالمقابل تأثر بالغزالي والشافعي وابن حنبل وابن عربي ... وهؤلاء هم من صاغوا هذا العقل الفقهي. هذا العقل لا يستطيع أن ينتج المعرفة، وللأسف هذا ما نراه في واقعنا اليوم.

ألعقل العربي يبحث عن الحلال والحرام ولا يبحث عن المعرفة.

الدين والسلطة

ألحاكميّة ـ ٤

بعد أنْ بينا الفرق بين الشرائع السابقة للرسالة الخاتمة – سواء كانت شرائع وضعية كشريعة حمورابي أو شريعة سماوية كشريعة موسى عليه السلام، ورأينا كم كانت قسوة عقوبات الإعدام والعقوبات الجسدية مقارنة مع رسالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وكيف استحقت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أنْ تتصف بالرحمة والعالمية والخاتمة.

من هنا سننطلق لنتحدث عن الحاكمية كما فهمناها في الرسالة الخاتمة. وكيف نحكم بما أنزل الله؟ كيف يُطبَّقْ حُكم الله؟ ومنْ له الحق بالتّشريعْ؟

يرى الدكتور شحرور أن للحاكمية مستويات ثلاث، ولكل من هذه المستويات مجاله الذي يعمل فيه. هناك حاكميّة إلهية، وهناك حاكميّة إلهيّة إنسانية مشتركة وهناك حاكمية إنسانية. حين يتحدث الدكتور شحرور عن الحاكمية فإن المقصود هو التّشريعْ.

١ - حاكميّة الله

قلنا أنّ الحاكميّة عبارة عن تشريعات، أي إنّ الشعائر لا تدخل ضمن التشريعات. الشعائر لها وضع خاص وأي مُخالفة لأي شعيرة من الشعائر التي كلف الله النّاس بها، فإنّ ذلك لا يستوجب أي عقاب دنيوي، ولا علاقة للسلطة بذلك.

كون الحاكميّة عبارة عن تشريعات هناك جزء من هذه التّشريعات مُختص بالله وحده، ولا يوجد لأي شخص أو سلطة علاقة بها.

التّنزيل الحكيم فصل بينها وبين المنهيات. في التنزيل الحكيم هناك ﴿ ... وَلَا تَجَسَّسُواْ ... ﴾

وهناك ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣

هذه غير تلك (التّجَسّسْ غير القتل – ولكل حكمه. ألمُحرّمات شموليّة وأبديّة، وهذا التشريع لا يملك الحق به سوى الله، وكون الرّسالة المحمدية هي الخاتمة فقد اقفل باب المحرمات بها، أي أنه لا يحق لأحد بعد الرسالة الخاتمة أن يضيف محرما واحدا لم يرد ذكره في التنزيل الحكيم، تماما كما لا يحق لأحد أنْ يُحِلْ مُحرّما واحدا ورد تحريمه في كتاب الله.

ألمحرمات ألموجودة في التنزيل الحكيم هي فقط ما أراد الله تحريمه، والله سبحانه وتعالى لم يعطِ الحق لأحد من بعده بأن يحرم أو يحلل. الحرام شمولي وأبدي، وكل ما لم يرد تحريمه في كتاب الله فهو حلال، ولكن كيف يمارس الحلال هذا ما سنبينه حين نتحدث عن المستوى الثالث للحاكمية – أعني حاكمية الإنسان. إذن لا الرسول ولا مجامع الفقه ولا برلمانات العالم أجمعين لهم الحق بأن يضيفوا محرما واحدا على ما حرّمه الله. أي تحريم جديد يحتاج لرسول جديد والرسول الجديد يحتاج لنبوة ويحتاج إلى برهان أنه نبي.

ألمحَرّماتْ وعالمية الرّسَالة

أ. ألتّوحيد

قال تعالى في سورة الأنعام ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ... ﴾ الأنعام: ١٥١ نحن نرى عالمية ألرسالة المحمدية في قوله سبحانه وتعالى، إذا لا يوجد برلمان واحد في العالم يخضع وحدانية الله للتصويت. بمعنى لا يوجد برلمان إنساني اقترح يوما من الأيام أن يستفتي مواطنيه على أن الله موجود أو غير موجود، أو أن المجتمع سيبعد الله أو يعبد غيره.

ب. ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ ﴾

أيضا نقول أن كل التشريعات الإنسانية، وفي دول العالم كلها لا يمكن أن تأمر بعقوق الوالدين. نحن لا نتلكم هنا عن أشخاص تبر الوالدين أم لا، نحن هنا نتكلم عن تشريع أي قوننة قانون يقول أن على الإنسان أن لا يبر والديه. هذا أيضا غير موجود لأن قانون كهذا يتناقض مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تقبل ذلك.

ت. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾

هذا ما يقره العالم أيضا. لا توجد دولة واحدة في العالم تقول أن على الإنسان أن يقتل إبنه.

ث. ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ﴾

قد يقول البعض أن هناك دول تسمح بالفاحشة ..

أقول أن هذا ربما هو الحرام الوحيد الذي قد تم قوننته في بعض الدول، حين سمحت بعضها بما يعرف بالزواج ألمثلي. ربما هذا التجاوز الوحيد .. ألمشكلة ليست ممارسة اللواط أو السحاق أو الزنا، لأنّ هذه الممارسة كظاهرة موجودة في دول العالم كلها تقريبا .. ففي أي مجتمع تجد هناك من يمارس هذه الفواحش لكن المشكل أن تتم قوننة هذا الفعل، أي أن ينص دستور البلد أنه يحق للفرد ألذكر أن يتزوج من ذكر آخر أو أن يحق للأنثى أن تتزوج من أخرى.

هنا تم تجاوز حدود الله .. والله قادر على أن يدافع عن حدوده.

ج. ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾

لا يوجد مجتمع إنساني يسمح بقتل النفس الإنسانية، ولقد وضعت المجتمعات عقوبات لمن يفعل ذلك تتراوح بين الغرامه، والسجن لسنوات قد تصل حتى المؤبد وهناك من يقر بإعدام قاتل النفس. لكن ما نريد أن نقوله هنا أن الله سبحانه وتعالى قد شدد على أن الإصل في قتل النفس هو الحرام وأن القتل هو إستثناء وهذا ما بينه بأن ذكر تحريم قتل النفس مرتين. مره في بداية الآية حين قال قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ومرة ثانية حين قال وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ.

قتل ألنفس أي نفس ألأساس فيها الحرام والشواذ هو الحلال.

ح. ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾

المجتمعات ألإنسانية قاطبة تهتم بالأيتام وترعاهم وتقيم المؤسسات لتعويضهم ما حرمتهم الحياة منه، وربما تجد الإهتمام باليتيم في البلدان (ألكافرة) بدرجة أكبر بكثير منه في الدول الإسلامية. صحيح هم لا يفعلوا ذلك من منطلقات دينية، لكنهم يفعلوه من منطلق إنساني لأن فطرة الإنسان تدفعة لأن يعطف على اليتيم، وما الإسلام إلا دين الفطرة.

خ. ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ ﴾

هذه القيمة واضحة جدا في أيامنا هذه. فمنتجات الدول نرى عليها ملصقات تحدد ما هي المواد التي أدخلت في صناعة هذا المنتج، وما هو وزن ذلك المنتج وما هي مدية صلاحيته ومن يغش في هذه المعلومات يتعرض لعقوبات قانونية شديدة تبدأ بالغرامة المالية إلى السجن وقد تصل إلى إغلاق المصنع الذي ثبت تلاعبة بتلك المعايير.
هذه القوانين الخاصة بالبيع والشراء والإيفاء بالكيل وعدم الغش في الإنتاج قوانين إنسانية موجودة في كل دول العالم. وكل الدول تحاسب من يخالف الإلتزام بها.

د. ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾

لا يوجد برلمان واحد في العالم كله شرع أحقية شهادة الزور. كل دول العالم تقر أن من يثبت أنه قد شهد زورا فإنّه يلاحق قانونيا ويعاقب بعقوبات تقرها تلك ألبرلمانات.

ذ. ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ﴾

أليمين ألقانوني .. هذا هو ما نجده في الدّول كلها. إنّ الطبيب الذي يقسم يمين أبقراط عند تخرجه هو عهد عاهد به الطبيب الله على أن يحافظ على اسرار مرضاه وأن يساعدهم قدر استطاعته.
كذلك اليمين الذي نقسم به أمام القضاة على قول الحق هو عهد بيننا وبين الله.
إذا ثبت أن أي منا أخل بما عاهد الله عليه فإنه يتعرض للعقوبة.

هذه المُحَرّمات التي ذكرها الله في سورة الأنعام: (١٥١ – ١٥٢) ونحن نرى أن القوانين الوضعية تقرها جميعا (بإستثناء التسامح في بعض الدول بقوننة زواج المثليين).

ر. **محارم ألنّكاح**

نتابع ما حرّم الله في كتابه، ونذكر مُحَرّمات النكاح أي ما يعرف ب "نكاح المحارم"

لقد عدد الله محرمات النكاح في سورة النساء

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ

وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ النساء: ٢٢ ـ ٢٤

لا يوجد برلمان واحد في العالم شرع قانون يسمح به للرجل بأن يتزوج من واحدة ورد ذكرها ضمن أولئك اللواتي حرّم الله الزواج منهن.

حين نقول ذلك فأن ما نريد أن نوضحه أن المحرمات في كتاب الله تأخذ الطابع العالمي الأبدي. وهذا ما أقرته الشرائع ألإنسانية.

محارم الأطعمة

قال تعالى

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣

قد يقول البعض أنّ كثيرا من المجتمعات تأكل لحم الخنزير، أعود وأقول أنا هنا أتحدث عن قوننة أكل لحم الخنزير بمعنى: هل يوجد دولة في العالم تنص قوانينها أن على الإنسان أن يأكل لحم خنزير؟ أنْ تأكل لحم خنزير أو لا تأكل هذا أمر لا يخضع للتّصويت.

ألبرلمانات ألوضعية لا تتدخل في المحرمات إطلاقا، هنا العالمية .. عرفت ذلك أم لم تعرف!

أعود وأقول: لا يوجد تشريع في دولة واحد يقول إنّ من لم يأكل لحم خنزير يعاقب أو إن لم يمارس الفاحشة يسجن ..

ألربا

كنا قد فصلنا ما هو الربا، هنا نكتفي بأن نقول أن الحرام هو ربا الصدقات ومن يمارسه يعتقل.

ألسرقة

لا يوجد بلد واحد في العالم لا يعاقب السارق والسرقه هي ﴿ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

ألآن وبعض أن استعرضنا المحرمات في كتاب الله، نرى أن بعض برلمانات العالم قد قوننت محرم واحد وهو "الزّواج المثلي"، هنا تعدوا على حاكمية الله. إنّ ممارسة الحرام يختلف عن قوننته، فاللواط كظاهرة موجود في أغلب ألمجتمعات، لكن أن يقونن اللواط فذلك هو التعدي على حاكمية الله.

قال تعالى

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ النحل: ١١٦

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣

إنّ تحليل الحرام لا يقل عند رب العالمين من تَحريم الحلال.

ما هو عدد المحرمات في الفقه الإسلامي؟

إذا كان مجلس العموم البريطاني قد قونن الزّواج المثلي، ولعنة الله عليه على ذلك .. لكن بالمُقابلْ كم أضاف الفقهاء من محرمات لم يرد ذكرها في التّنزيل الحكيم ولم يُحرِّمها الله؟ أنا هنا أتحدث عما أجمع عليه الفقهاء على أنّه حرام. كيف يستوي ما ورد في كتاب "**الكبائر**" للذهبي، مع ما قاله سبحانه وتعالى في سورة النحل، ألآية: ١١٦.

يقولوا أنّ بابا روما قائم مقام عن المسيح. وعندنا "المُفتي قائم مقام عن الرّسول" كما يقول الشاطبي أو "مُوَقِعْ عَن الله" كما يقول إبن القيم.

مهما بلغ الإنسان فإنه لا يحق له أن يحرّم ما لم يُحرّمهُ الله. قالوا مثلا: (لقد أجمع مجمع الفقه الإسلامي أنّ التّدخين حرام) هذا غير صحيح. غير صحيح ايضا أنّ الموسيقى حرام ولا الرسم والنحت .. هذه الفنون كلها ليست حراما.

أن نقول أنّ الموسيقى الصاخبة ضارة على النّفس ويجب وقفها – ونقدم الدليل على مضارها، فهذا ممكن وجائز. هنا نفهم الفرق بين ألتحريم والمنع.

من يتجاهل محرما (ينتهك محرما)، أو من يضيف محرما .. سواء بسواء. كلاهما نَصّبَ نفسه مكان الله. كلما كثرت المُحرّمات كلما كثرَ الإصر والأغلال. ألتشديد على الناس عقوبة كما أخبرنا سبحانه وتعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٦

لذلك جاءت الرحمة في الرسالة الخاتمة لتصبح المحرمات شُموليّة – إنسانيّة – عالميّة – أبديّة يتقيد كل أهل الأرض بها.

كيف يُعقل أن يأتي الذهبي في كتابه "الكبائر" ليجعل عدد الكبائر ٧٦، والمصيبة الكبرى أن يجعل "النرد" من الكبائر، هل يستوي عقلا أن يتساوى نكاح المحارم مع لعب النرد. من يقول ذلك مُشرِّعْ سيّء يجب أن لا يُسمَعْ له وأن لا يكون له رأي.

كل المحرمات التي خارج التنزيل الحكيم لا يمكن أن تكون حراما.

رب العالمين حدد لنا، وفصل لنا ما هو الحرام، وربّ العالمين لا يتسامح في مُحرّماته بعضها يلزمه حُدود وبعضها يلزمه توبة.

أعود لأكرر أنّ برلمانات العالم لم تتعد على هذه المحرمات (باستثناء تقنين الزّواج المثلي).

٢ – الحاكمية الإلهيّة الإنسانية

هنا يوجد الجانب الإلهي والجانب الإنساني أيضا. جانب إلهي كونه ورد في التنزيل الحكيم، لكنه ورد بشكل نهي ولم يرد بشك تحريم، كما هى الحال في الحاكميّة الإلهيّة. هناك فرق بين "النواهي" و "المحرمات".

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ ... ﴾ الأنعام: ١٥١

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾ الأعراف: ٣٣

والمحرّمات كونها إلهية – فهي شموليه أبديّة وقد جاءت في كتاب الله مفصلة

قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ الأنعام: ١١٩

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾
الأنعام: ١١٤

ألحاكميّة المشتركة كتشريع كيف نفهمها؟

(١) التجسس والغيبة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢

الله سبحانه وتعالى نهى عن التجسس وعن الغيبة. ألتّجسّس كظاهرة شمولي وأبدي – لا يبطل، دائما موجود .. صفة لاصقة بالإنسان وبالمجتمعات الإنسانية والنّهي عنها جاء في التنزيل الحكيم. ألناحية الإنسانية في التجسس قد تكون ضرورة ولذا لا يوجد برلمان في العالم يقول إن التجسس ممنوع على الإطلاق، في نفس الوقت فإن البرلمان لا يسمح بالتجسس على إطلاقه. كل برلمانات العالم تحدد الشروط التي يسمح بها التجسس، وما هي الحالات التي يجوز فيها ذلك، أيضا ما هي الحالات ألتي يمنع فيها ألتجسس.

ألتجسس على العدو مسموح بل وضروري كي تعرف الدولة ما يحضر لها العدو من مفاجئات. ألتجسس على عصابات المافيا، على تجار المخدرات، على المجموعات التي تعد لأعمال إرهابية أمر ضروري يجب القيام به، وهذا أمر مشروع. لكن حتى في هذه الحالات فإن الدولة تحتاج لإذن رسمي من السلطة القضائية لتقوم بذلك والأمر ليس مفتوحا. ألتجسّس إذا مقوننْ.

التجسس منهي عنه في الكتاب وليس محرم، لكن ممارسته ظرفية، ولقد مارس الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام التجسس على العدو وحدد شروط التجسس بالنسبة لعصره. وقد ورد بعض الأمثلة على ذلك في كتب السيرة – كسيرة إبن هشام.

إذا الإنسان والبرلمان يقوما بقوننة ألتجسس.

كذلك بالنسبة للغيبة فإنها بالأمور العادية فإن الله نهى عنها ولا تجوز، لكن إذا علمت أنّ هناك من يسعى لغش الناس وسلبهم أموالهم بطريقة ما فعليك أن تحذر الناس وتخبرهم بذلك.

(٢) أكل الأموال بالباطل

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ البقرة: ١٨٨

الله سبحانه وتعالى نهى عن أكل الأموال بالباطل. قوانين دول العالم تفرق بين "الرشوة" و"العمولة". فالرشوة هي ما نهي عنه وهي أكل الأموال بالباطل ومرتكبها يغرّم في معظم دول العالم إن لم يكن فيها كلها، أما العمولة فهي أمر مشروع لا يترتب أي أثر على من يتقاضاها.

(٣) قتل النفس

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ النساء: ٢٩

الله يُحرّم قتل النفس إلا بالحق. ولكن ماذا بالنسبة لمن يقتل نفسه؟

إذا كان الإنسان يقتل نفسه بهدف قتل الآخرين، فحكمه هو حكم قاتل النفس﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

لكن إلى الآن ألإنسانية تعاني من مشكلة القتل الرّحيم. هناك من يقول بجواز هذا النوع من القتل، وهناك من يحرم ذلك أي إنّ هناك من يقونن إمكانية القتل الرحيم إذا كان الإنسان يعيش مرضا قاتلا لا أمل منه بالشفاء ويعاني نتيجة ذلك المرض آلام لا تُحتملْ.

(٤) دخول البيوت بإذن أهلها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ النور: ٢٧

الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نستأذن أصحاب البيوت قبل دخولها، لكن القانون قد يسمح في حالات ما بدخول البيوت دون استئذان – دون أن تستأنس أو تسلم على أهلها. هذا الأمر يحصل كثيرا عند

وجود مذكرة تفتيش. من يضع هذا القانون الذي يسمح بدخول البيوت دون إذن ومن يضع الشروط لذلك .. ألقوانين ألوضعية (ألإنسان).

(٥) دخول البيوت من أبوابها

﴿ ... وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ... ﴾ البقرة: ١٨٩

لدفع ضرر أو جلب مصلحة فإن البيوت قد تُؤتى من أي مكان. ولكن من أجل ذلك لا بد لك من قانون يسمح لك بذلك، كأن يسمح في حال المداهمة لإعتقال قاتل أو مهرب أو عميل. من يضع هذا القانون؟ ألإنسان.

(٦) ألخمر والميسر

لو نظرنا إلى دولة مثل الولايات المتحدة مثلا فإننا نرى أن القمار مسموح به فقط في لاس فيغاس، لكنّ اليانصيب (اللوتو) مسموح به في كل الولايات. فرقوا بين الإثنتين .. إعتبروا أن اليانصيب ليس من القمار. فهل بالإمكان أن يُقال ذلك. يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة: ٩١ .. ألميسر المنهي عنه هو الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل يصد اللوتو عن ذكر الله وعن الصلاة؟ كذلك فإنّ اللوتو لا يوقع العداوة والبغضاء بين النّاس.

الفكر الإنساني فرق إذن بين الميسر واللوتو، ما يصيغه الإنسان في رقيه وتقدّمه يتماشى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ألضمير الإنساني موجود وإن كان تأثيره ليس كما يجب.

(٧) التشهير

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١

ألبشرية تفرق بين قول الحقيقة وبين التشهير. فنحن نرى ألصحافة مثلا كيف تنشر أمورا تطال بعض الشخصيات العامة.. هذا الأمور إذا كانت حقيقة فأنّ السلطة قد تلاحق المعني بالأمر. أما إذا كانت تلك الأمور إفتراء فإنها تعتبر تشهير ويلاحق ناشرها قانونيا.

(٨) ألأمانات والعدل

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨

هناك أمرين:

- أنْ تُؤدّوا الأمانات إلى أهلها
- أنْ تحكموا بالعدل بين الناس

هناك قانون يبين كيف تؤدى الأمانات. أيضا ألحكم بين الناس، فإن الإنسان نفسه هو من يقونن الشروط العدلية ألتي يتم الحكم بها.

رب العالمين يعطينا القاعدة في الأوامر والنواهي، ألتطبيق الإنساني ظرفي ينطبق عليه (تغيير الأحكام بتغيير الأزمان) فلو أخذنا التجسس كمثال فإنّ هذه الظاهرة موجودة في كل العالم، والله سبحانه وتعالى نهانا عن التجسس. لكن ظروف السماح به تختلف من بلدٍ إلى بلد آخر.

قد يتساءل البعض، طالما أنّ البشر قد تطورت بهذا الشكل. هل كان ممكن أن تصل إلى ما وصلت إليه بوجود الدين أو عدمه؟ لماذا نضع كل شيء على الفطرة والتطور؟ أين دور الدين؟ أليس الدين هو ما ارتقى بالبشرية لتصل إلى ما وصلت إليه؟

هذه الإسئلة سنجيب عليها بعد أن نتناول ألمستوى الثالث من الحاكمية، أعني ألحاكمية الإنسانية.

٣ حاكمية ألإنسان

مجالها تنظيم ألحلال.

ألحلال لا يمارس بشكل مطلق إلا إذا كان الإنسان يعيش وحيداً. غير ذلك فإنّ الحلال لا يمارس إلا مقيد. ألبيع، ألسفر، ألشراء، ألتعليم .... كل حلال لا نمارسه إلا بشكل مقيد.

قيادة السيارة من العمل إلى البيت حلال! لكن حين نقود السيارة فإنّ هناك قانون للسير علينا أن لا نتعداه. هذا القانون يحدد لنا ما هي السرعة الممنوع تجاوزها، يلزمنا بالوقوف على الضوء الأحمر، يفرض علينا أن نضع حزام الأمان أثناء القيادة، كما أنه لا يسمح لنا إلا بعدد محدد من الركاب داخل السيارة، وفي حال وجود أطفال فإن إحتياطات معينة يجب ان نقوم بها. إنّ اي مخالفة أو تجاوز لهذه القوانين والتي يضعها البشر تفرض علينا غرامة نؤديها، لكن لا نقول بأن أي إنسان خالف أي من تلك القوانين أنه ارتكب حراما.

أيضا بناء المنزل حلال، ولكن إن أردنا أن نبني بيتا فإن قوانين البناء تلزمنا بشروط لا يمكن تجاوزها، كمكان البناء، إرتفاع البناء، ألمساحة المسوح بالبناء عليها، وأحيانا لون الدهان المسموح به. هذه القوانين لا علاقة لله بها ورغم أن الأصل في البناء الحلال إلا اننا لا نستطيع القيام به إلا ضمن تلك القوانين التي وضعها ألمجتمع. ألحلال لا يمارس إلا مقيد.

الأمر نفسه، لمن أن يريد أن يشتري سيارة مثلا. ألشراء بذاته حلال، لكن هل يستطيع الإنسان أن يشتري السيارة كيف يشاء. الدولة تحدد ما هي السيارات المسموح بإستيرادها، وما هي سنة إنتاج السيارة، وما هي الضريبة التي يجب أن يدفعها لمن يريد أن يشتري سيارة من الخارج. هناك

قانون التجارة الخارجية الذي يحدد الشروط التي يجب أن تتوفر ليسمح بإستيراد السيارة. هذه القوانين يحددها المجتمع، ولا علاقة للتشريع الإلهي بها.

إذا التشريع الإنساني مجاله الحلال، وهو غير أبدي تنطبق عليه قاعدة تغير الأحكام يتغير الزمان والمكان. فالله لن يرسل لنا رسولا ليعلمنا كيف يكون قانون ألسّير.

الرسول الأعظم مارس تقييد الحلال.

عندما يقول الفقهاء تقييد المطلق وإطلاق المقيد فإنّ الحديث يدور حول الحلال.

كل برلمانات الأرض تقيد الحلال ولها قوانينها.

نقول أن دول العالم كلها، من أكبرها كالصين إلى أصغرها كموناكو نجد فيها هذه المستويات الثلاث للحاكمية وإن لم تكن تقوم بها من منطلق ديني. هنا نرى عالمية الرسالة المحمدية. تشريعات الله لا تخضع للتصويت. لا يوجد أحمق في العالم يخصصها للتّصويت.

ألآن حين ينادي البعض بدولة إسلامية، ما هو شكل تلك الدولة؟

قلنا أنّ مستويات الحاكمية الثلاث موجودة في دول العالم كلها، ماذا سيميز هذه الدولة التي ينادوا بها عن بقية الدّول؟ لكن المشلكلة أنهم حين يقولون دولة إسلامية فإنهم يعنون ألشعائر وليس التشريع.

نحن الآن نعيش عصر ما بعد الرسالات. ألأمور التي تحدثنا عنه اليوم هي تحصيل حاصل، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لمن عاصر حمورابي مثلا.

ألإنسان انفصل عن المملكة البهيمية، ولا يوجد شيء اسمه ألضمير ألبهيمي. ألإنسان ترقى وترقى حتى جاءت الرسالة ألمحمدية وأصبح الضمير الإنساني في وضع قادر على أن ينموا ويستوعب هذه الإمور. يجب أن نعِ تماما أننا اليوم لسنا كقوم لوط ولا كقوم صالح عليهما السلام. نحن نسمع اليوم بشيء إسمه حقوق الإنسان، آمنا بذلك أم لم نؤمن به، هل سمع أقوام لوط وصالح عليهما السلام بذلك. اليوم عندما جمعيات ألمحافظة على البيئة، هل كان هذا المفهوم سائدا في عصر لوط أو صالح أو حتى في عصر الرسول الأعظم؟

الحاكمية الإنسانية تخضع لقانون تغيير الأحكام بتغيير الأزمان حتى لو كانت تلك الأحكام صادرة من الرسول الأعظم. ألرسول قيّد الحلال في عصره، لكن هذا التقييد ليس أبديا. الرسول الأعظم نفسه لم يكن يعتبر ذلك أبديا كما تخبرنا كتب الحديث عَنْ مَالِكٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ لَحْمًا فَقَالَ انْظُرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ لُحُومِ الْأَضْحَى فَقَالُوا هُوَ مِنْهَا فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا فَقَالُوا إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَكَ أَمْرٌ فَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَأُخْبِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضْحَى بَعْدَ ثَلَاثٍ فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ الِانْتِبَاذِ فَانْتَبِذُوا وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا يَعْنِي لَا تَقُولُوا سُوءًا.

إّذا هناك:

حاكمية الهية (حقلها ما حرم الله)، حاكمية إلهية إنسانية (حقلها النواهي) وحاكمية إنسانية (حقلها الحلال – تقييد أو إطلاق).

الدين والسلطة

ألحاكمية ــ ٥ "أنواع السلطات"

قلنا أنّ هناك ثلاث مستويات للحاكمية:

- حاكميّة إلهيّة (في الحرام)
- حاكميّة إلهية إنسانيّة (ألنواهي)
- حاكميّة إنسانيّة (في الحلال)

ربّ العالمين أعطى الإنسان هذه الصلاحيّة ليشرِّع، ما هي حدود هذه الصلاحيّة التي أعطاها الله للإنسان؟

رب العالمين في موضوع المحرمات ركز على الضمير الإنساني، ألإنسان نفسه يمارسها أو يمتنع عنها دون إكراه.

عندما أراد المجتمع الإنساني أن يمنع التدخين، تعلموا من الله دون أن يدروا كيف يقوموا بذلك. لقد استمرت حملات التوعية على مضار التدخين طوال سنوات حتى وصل الضمير الإنساني إلى مستوى يتقبل فيه ذلك المنع إرادياً. هذا مثال يوضح لنا تدرج الرسالات وتربية الضمير.

ألتشريع يوازي الوعي الإنساني، حتى إذا صدر القانون تجد الإنسان يلتزم به من تلقاء نفسه دون رقيب، كقانون السير، وزيارة المرضى في أوقات محددة ...، كذلك فإنّ ربّ العالمين من خلال تدرج ألرّسالات قد ربّى ألضمير ألإنساني ليصل إلى درجة الإمتناع عن المحرمات إراديّا.

رب العالمين حين رفع العقوبات عن المحرمات بإستثناء قتل النفس التي جعل عقوبة الإعدام فيها عقوبة قصوى فقد أشار إلى أنّ الضّمير الإنساني ينمو لوحده ليصبح قادرا على الخيار الصحيح. فاليوم نرى أن المجتمع الإنساني بشكل عام لا يقبل المحرمات وينظر نظرة دونية لمن يقوم بها ويمارسها.

إنّ فهمنا لتدرج الرّسالات السماويّة يُظهر جليا أنّ علم الناسخ والمنسوخ، كما ورد في التراث ليس أكثر من وهم.

ألسُّلطة

ألسلطة أنواع. هناك سلطة تمتلك أداة إكراه وهناك سلطة لا تمتلك أداة إكراه.

سلطة الأب والأم هي سلطة لا تمتلك أداة إكراه، أداة الإكراه هي الإحترام والطاعة، لكن من يخالف ذلك فليس هناك من وسيلة أو قانون يعاقبه. أما في شريعة موسى فقد رأينا أنّ عاق والديه يُقتلْ. هنا يوجد أداة إكراه حيث أنه لا خيار لكل ولد عاق سوى الموت. لكنّ الشريعة الخاتمة وإن أمرتنا ببر الوالدين فإنها لم تضع أي عقوبة لمن لا يبر والدية.

هناك سلطات أخرى بلا إكراه، كسلطة المجتمع التي تفرض على الإنسان ممارسة أمور معينة بطرق معينة صارت عرفا بالنسبة للمجتمع (العادات والتقاليد)، كذلك سلطة العائلة وسلطة القبيلة والعشيرة ــ هذه كلها سلطات بلا إكراه.

نحن سنتحدث عن السلطة ألتي فيها إكراه وسنرى هل ممكن أن تحكم هكذا سلطة بإسم الديّن؟

قال تعالى

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

لا نافية. جِنْسْ الإكراه في الدّينْ غير موجود. هناك أمر ونهي في الدين ولكن لا يوجد إكراه. لما تكبر إبليس عن السجود قال تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ ص: ٧٥ "**منع**" يعني أنّ هناك أداة إكراه.

ألإكراه غير موجود في الدين، والسلطة التي لا تملك أداة إكراه فهي ليست بسلطة.

ألشريعة الخاتمة نفت جنس الإكراه في الدين واعتمدت على ضمير الناس الذي لا يكره على الإيمان ولا يكره على الكفر.

المجتمعات سمّت السلطة ألتي تملك أداة إكراه "**ألسلطة ألتّنفيذية**".

أي سُلطة تملك إداة إكراه لا يحق لها أن تأخذ شرعيتها من الدين، لأنّ الإكراه غير موجود في الدين .. ألدين لا يعطي شرعية إكراه. ألسلطة ألتي لديها جيش وشرطة وتمارس الإكراه على الناس هذه قطعا ليست سلطة دينية ولا يحق لها أن تدعي أنها استمدت شرعيتها من الدين.
الشرعية في هذه الحال إما من الناس إذا كانت بالإنتخاب أو بالإكراه إذا كانت بإنقلاب عسكري، لكنها ليست من الله.

ولكن في نفس الوقت هناك حاكميّة إلهيّة، والحاكميّة تشريع كما بينا، وبالتالي فمن يشرع يجب أن لا يملك أداة الإكراه. ألمجتمعات الإنسانية فهمت هذا ولذا ظهر مفهوم فصل ألسلطات. وهنا نرى أيضا عالمية ألرسالة.

لكن السلطة ألتشريعية هي ليست الفقهاء. ألسلطة ألتشريعية هي البرلمانات ومجالس الشعب ألتي تضع ألقوانين لضبط المجتمع، ولكن على هذه السلطة أنْ لا تتجاوز الحاكمية الإلهية بأن تبيح حراما أو أن تحرم حلالا. لكنها تستطيع أن تأمر وتنهي. مثلا الله أحل الزّواج من أكثر من واحدة ولكن إذا رأى برلمانا أن هذا الأمر أصبح ضارا للمجتمع فإنه يستطيع أن يشرع قانونا ينص على عدم الزواج من أكثر من واحدة وفي حالة مخالفة أحد المواطنين هذا القانون فإنّه لا يعاقبه بالزّنا ولكن يعاقبه لأنه ارتكب مخالفة قانونية.

ألمجالس ألتشريعية لا يوجد في ذهنها ألحرام والحلال ولكن يوجد ألسماح والمنع، وهناك تناقض رهيب بين ألفقه والتشريع. قد يتفق الإثنان على أمور عديدة ولكن المبدأ ليس هكذا.

إذا ألسلطة ألتشريعية تسن ألقوانين، لكنها لا تملك أداة إكراه لتعاقب من يخالفها. هنا يأتي دور ألسلطة ألتنفيذية (ألتي تمتلك ألجيش وقوات الأمن)، هذه السلطة بما أنها تملك أداة الإكراه فإنه لا يحق لها أن تشرع.

من يفصل بين السلطتين؟ هنا ظهر مفهوم وضرورة وجود ألسلطة ألقضائية بدءا من المحاكم وحتى المحكمة الدستورية العليا. هذه السلطة القضائية، تراقب عمل السلطات (التشريعية والتنفيذية) بحيث لا تتعدى إحداها على الإخرى وتفصل بينهما في حال حصول اي خلاف.

إذا هناك ثلاث سلطات:

- ألسلطة ألتشريعيّة (تسن القوانين ولا تحكم)
- ألسلطة التنفيذيّة (تعمل على تنفيذ القوانين ولا تشرِّعْ)
- ألسلطة القضائيّة (تحكم بين المواطنين وبين السلطات في حال الخلاف)

لو أنّ الفقهاء أنفسهم اهتموا بالشعائر لسارت الأمور كما يجب لكنهم جعلوا المواطن ضائعا بين القانون وبين الحلال والحرام.

كيف استنتجنا وجود هذه السلطات الثلاث؟

قال تعالى: **"لا إكراه في الدين"** وفي نفس الوقت هناك حاكمية إلهية، حاكمية إلهية وإنسانية وحاكمية إنسانية، والحاكمية تشريع، فكيف نوفق بين هذين الأمرين؟

الدين فيه تشريع ولا يُوجد فيه إكراه، وبالتالي يجبْ فصل الإكراه عن الدّين.

من يُشرِّعْ لا يملك أداة الإكراه، ومن يملك أداة الإكراه لا يُشرِّعْ، وهناك من يفصل بينهما، والإنسانية لم تخطئ بفصل السلطات. مرة أخرى نرى العالمية في ألرسالة ألخاتمة.

هناك **سلطة رابعة** لا تملك أداة الإكراه (أمر ونهي دون إكراه).

ألصحافة، الإعلام، التلفزيون، مؤسسات ألمجتمع المدني، جمعيات حقوق الإنسان، ألنقابات ... هذه المؤسسات تراقب وتسلط الضوء على من يخالف القوانين من أجل ردعه عن ذلك، إلا إنها لا تملك ألقدرة على ممارسة السلطة من أجل منعه بالقوه. بالحقيقة هذا هو دور (ألأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) – أو هكذا يجب ان يكون. هذه المؤسسات موجودة اليوم في معظم دول العالم. ومرة أخرى نرى عالمية الرسالة.

يتساءل البعض كيف ندافع عن الصحافة ونتغنى بحرية الصحافة في المجتمعات الأوروبية، ونحن نرى مدى الإساءة التي تعرض لها الرسول الأعظم من رسوم كاريكاتورية مسيئة ظهرت في الصحف الدانماركية أولا، ثم في صحف أخرى في بلدان من المفترض أنها تُعَدْ راقية ومتحضرة. أقول لا يمكن لأنسان قرأ القرآن وتدبره أن يسيء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولكن للأسف فإننا نحن كمسلمين قدمنا لهم المبرر وذلك من خلال الأحاديث المدسوسة في كتب التراث – سواء البخاري ومسلم والتي تعد أصدق الكتب عند الفقهاء بعد القرآن، حتى إن بعضهم يريد أن يقيم الحد على من ينكر حديثا ورد في الصحيحين. قبل أن نلوم الآخرين لماذا لا نقوم نحن بإسقاط كل الأحاديث ألتي تسيء للرسول الأعظم من تلك الكتب.

تنظيم السلطات

- ألسلطة التشريعية (تُنتخبْ إنتِخاب مباشر من الشّعبْ)
- السلطة التّنفيذية (تأخذ شرعيتها من السلطة التشريعية)

- السلطة القضائية (من أهم السلطات وأخطرها، ويجب أن تكون نزيهة لأنها نهاية السلطات) هذه السلطة لكي تكون صحيحة، يجب أن تؤسس السلطتان السابقتان على أسس سليمة. فساد السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية قد يؤدي إلى فساد في السلطة القضائية.

ما قلناه عن الحاكمية وعن السلطات الثلاث يلغي اسس الفقه ألتي حولت ألإسلام من دين عالمي إلى دين محلي. **"ألقياس"** مثلا على أي اساس اعتمد. كل ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم كان في تنظيم الحلال ولكن لم نفهم ذلك بل اعتمدناه أساسا نقيس عليه فسقطت عالمية الرسالة.

لا يوجد في الأسس التي وضعناها في قراءتنا للحاكمية أي قياس، ولا يوجد أساس للمندوب والمكروه.

أصول الفقه وضعها الناس ولم يضعها الله. ألعلماء الذين وضعوا أصول الفقه كانوا علماء على مستوى القرن الثاني الهجري. لو أنّ الشافعي عاش في هذا العصر لخرج برأيٍ جديد وفقهٍ آخر. ألأئمة عاشوا في ظل دولة كانت من أقوى دول العالم إن لم تكن أقواها، فقّهوا لتلك الدولة خاصة فقه الجهاد وفقه الدولة. فقه الدولة وفقه الجهاد التراثي لا يمكن أبداً أن يتناسب مع واقعنا الحالي. فقه الجهاد التراثي كان ممكن أن ينفذه المعتصم، ولكن لا تستطيع أن تنفذه القوى الجهادية المعاصرة, للأسف هذه المجموعات تعتمد على فقه القرن الثاني الهجري.

مفهوم دار الإسلام ودار الكفر في تلك الفترة كان واضحا. فدار الإسلام كانت أقوى دولة، ودار الكفر هم الأعداء. وبالتالي لا يجوز أن يعيش مسلم في دار الكفر. ألمشكلة أنهم أسقطوا هذا المفهوم على زماننا فقالوا أنه لا يجوز على المسلم في هذا الزمان أن يعيش في أوروبا مثلا.

أعود وأقول إنّ مفهوم الحاكمية والسلطات الذي طرحناه يلغي أصول الفقه التراثي.

يقول البعض أين نذهب بماضينا وتاريخنا وما شرع في مسألة الجهاد؟

عندما قال تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ... ﴾ البقرة: ٢٥٦

وفي آية أخرى ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ... ﴾ البقرة: ٢١٦

نسأل: هل القتال من الدين؟

هناك شيء في التنزيل الحكيم اسمه قوانين الحرب. في كل بلد أيضا هناك قوانين اسمها قوانين الحرب. يجب أن نكون دقيقين جدا عندما نتحدث عن هذا الموضوع. ألأمم المتحدة أيضا عندها قوانين للحرب تحدد ما هو مسوح وما هو ممنوع. هل أشار التنزيل إلى قوانين خاصة بالحروب؟ ألجواب: نعم.

لنر أولا ماذا ورد في العهد القديم – سفر التثنية في هذا الموضوع

١٠ «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ،
١١ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.
١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.
١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.
١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ

غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.
١٥ هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا.

سفر التثنية: الإصحاح ٢٠

يسأل الكثير لماذا قطع الرسول الأعظم رؤوس رجال بني قريظة؟ فقط بني قريظة!

ألجواب واضح مما رد في سفر التثنية: الإصحاح ٢٠ (١٠ – ١٥) التي استعرضنا.

لقد عامل الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعد أن حكم فيهم سعد بن معاذ حسب شريعتهم فأمر بقطع رؤوس الرجال وسبي النساء والأطفال. هذا الحكم هو الحكم المنصوص عليه في العهد القديم. ما نفهمه من هذه الحادثة أنه في القتال فإنه يحق لك أن تطبق شريعة عدوك إن كانت شريعته أقسى من شريعتك.

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢ - ٢٧

في سورة المائدة قال تعالى

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ المائدة: ٣٢ - ٣٤

أرى أنّ الآية ٣٤ من سورة ألمائدة قد نزلت في بني إسرائيل فهي جاءت في نفس السياق الذي يتحدث عن بني إسرائيل.

للأسف أطلقوا هذه الآية فقتلوا الألاف تحت باب الحرابة.

بالمقابل نرى أن الرسول الأعظم قد عامل قريش بعد فتح مكة، حسب شريعته السمحة، فقال لأهل قريش بعد أن تمكن منهم "إذهبوا فأنتم الطلقاء". ألقصص القرآني يؤخذ منه العبر.

قوانين الحرب في الإسلام

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة: ١٩٤

هنا تشير وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ تشير إلى حالة المسلمون فيها أقوى من اعدائهم وانتصروا عليهم في هذه الحالة أن لا ينكلوا وينتقموا. أما الآية التالية فتشير إلى الحالة التي فيها المسلمين أضعف.

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

﴾ البقرة: ١٩٥

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٦ ألرسول الأعظم استعملها مع مشركي العرب فقد صبر عليهم

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ ﴾ محمد: ٤

هنا الحرب ابتدأت، إذا كان عندك إمكانية الأسر فتأخذ أسرى.

ألعقيدة القتالية الأساسية عندنا في الإسلام تحددها الآية الكريمة

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ البقرة: ١٩٠

ألعقيدة القتالية في الإسلام

يقول أحد المفكرين إنّ من يسيطر على المجتمعات اليوم ليس السلطة الدينية فحسب، ولذلك فإن من يتحمل مسؤولية ما حل بالأمة من ملمات ليس التيارات الدينية فقط، بل إن كافة شرائح المجتمع تشاركها المسؤولية.

أقول هذا السبب تاريخي بحت. هذه الأمة وقعت في الأميّة السياسيّة بعد معركة صفّينْ، وحسم الأمر لصالح الإمبراطورية والوراثة، حتى من بقي حيا من الصحابة اعتزل السياسة وجلس في بيته. ثم ابتليت هذه الأمة بالأميّة الدينيّة بعد المتوكل عندما قام المتوكل وحاسب المعتزلة وقال لهم: "ألا يسعكم ما وسع الصّحابة" وأرجع الأمر إلى أن كل ما لم يقله الصحابة فهو مرفوض، ورسخ مفهوم ما يسمى "أهل الحديث"، وأهل الحديث يقولون ألكتاب والسّنة، لكنهم حقيقةً أعطوا الأولوية للسنة وليس للكتاب.

يقولون وهل قول المتوكل يجهل أمة؟

واقول: نعم. فإذا كان الصحابة قليلي السؤال، وكانت تعليقاتهم بسيطة وبالتالي فكل شيء لم يقله الصحابة أو أي موضوع لم يقل به الصحابة يجب أن لا نتكلم فيه. لقد أغلق المتوكل كل شيء، وإلى الآن فإن السلفيّة يحملون نفس هذا المفهوم. مفهوم الحركات الإسلامية السياسية السلفية هو إرجاع الناس إلى عهد الصحابة، وهذا ضرب من ضروب العبث والمستحيل. ولكن بنفس الوقت هم من سلطوا الإستبداد على الناس. لو اتخذنا حديث حذيفة بن اليمان كمثال:

(حديث مرفوع) وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ التَّمِيمِيُّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ . ح وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ حَسَّانَ ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ سَلَّامٍ ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ سَلَّامٍ ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ ، قَالَ : قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : كَيْفَ ؟ ، قَالَ : يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي ، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ

الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ ، قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ ، قَالَ : تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ ، وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ "

أو الحديث ((أَطِيعُوا أمَرائِكمْ مَهْمَا كانُوا فَإنْ أمَرُوكُمْ بِشَيءٍ بِما لا آتيكُمْ، فَهُوَ عَلَيْهِمْ))

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ , رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِ أَئِمَّتِكُمْ مِنْ شِرَارِهِمْ ؟ خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَتَدْعُونَ لَهُمْ وَيَدْعُونَ لَكُمْ ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ".

(حديث مرفوع) حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ يَتَسَمَّنُونَ وَيُحِبُّونَ السِّمَنَ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا "

هذه الروايات هي التي انتصرت .. خلال الثقافة التاريخية للعقل العربي الجمعي فإنّ ألحُرِّية لَيْسَتْ قيمَة. ألعقل العربي ألإسلامي لم يتمثل الحرية كقيمة كالعرض أو كالشرف، بينما ليعض الشعوب فإن الحرية تعتبر قيمة كالعرض وربما أكثر.

ألرسول الأعظم آسى الكثير، عانى واضطهد وهاجر ومع هذا فإنّ مهمته كانت لدرجة ما سهلة، وذلك لسبب واحد وهو أنه عليه الصلاة السلام بُعِثَ في مكان ليس فيه مؤسسات. بعث في شبه جزيرة العرب حيث لا يوجد جيش ولا قوات أمن ولا سجون. لا يوجد دولة مؤسسات كما هو الحال عند الفرس أو الروم. لهذا لم يتم اعتقال الرسول أو سجنه – الله أعلم حيث يجعل رسالته. ألرسول صلى الله عليه وسلم بدأ من الصفر، لكنّه لم يبدأ من تحت الصفر. تصور لو كان هناك دولة.

ألمؤسف إنّ أي ثورة سياسية في القرن العشرين إلى الآن نتيجتها دكتاتورية. حتى المعارضة في الوطن العربي هي معارضة من جنس السلطة. ألمعارضة ببساطة: لماذا هو وليس أنا؟ لا يمكن أن يكون هناك تقدم إلى الأمام إلا إذا حدث تقدم ثقافي وثورة ثقافية. ألوعي العربي يحتاج إلى قفزة وهذا دور المثقفين. للأسف المثقين ألإسلاميين لم يقدموا نظرية معاصرة في الدّولة – كيف تُبنى الدولة الجديدة على أساس إسلامي؟

نعود إلى العقيدة ألقتالية في الإسلام

ألعقيدة ألقتالية لأتباع الرسالة ألمحمدية تقوم على اساسين:

١ – ألعقيدة ألقتالية ألجماعييّة
٢ – ألعقيدة القتاليّة ألفرديّة

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ الممتحنة: ٨

لاحظ هناك: ١. يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ و يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ (الوطن، الديار تعني أن هناك بيوت)

قال الشاعر قيس بن الملوح

أمُرّ على الدّيارِ ديار ليلى	أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حُبّ الدّيار شغفنَ قلبي	ولكن حُبّ منْ سكنَ الدّيارا

من يدافع عن الوطن سوى أصحابه (المواطنون). أصحاب الوطن قد يكونوا من أتباع الرسول الخاتم أو أي رسول آخر – صلوات الله على رسله أجمعين. ألحرب هنا وطنية، ولا يوجد اي مواطن مميز عن الآخر لأنّ الكل اصحاب الدّيار.

هنا نتحدث عن العقيدة الجماعيّة.

أما العقيدة القتالية الفرديّة فتكون ضد الإكراه. والإكراه أنواع وأعلى أنواع الإكراه عندما يُمارسْ بإسم الدّينْ، لأنّ هذه السلطة ستكون سلطة مستبدة، قامعة بإمتياز. هذا لا يعني أنّ السلطات الأخرى ليست دكتاتورية.

ألدّين لا يعطي سلطة لأحد.

قناعتي الشخصية أن العقيدة القتالية الفردية هي من أجل أن تكون العبادة لله وحده، وأن لا يكره أحد اي شخص آخر على أن يتبنى أي عقيدة أي أن تكون أماكن العبادة كلها بجانب بعضها

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ الحج: ٤٠

إذا ألعقيدة القتالية الفردية هي رفع الإكراه عن النّاسْ. وهناك العقيدة القتالية ألجماعيّة حيث يقاتل المواطنون جميعا من أجل الدفاع عن الدّيار. ويجب أن نميّزْ بينَ العقيدتينْ.

خلاصة القول: أي سلطة تستمد شرعيتها من الدّين، أي دولة دينيّة بالمفهوم المعاصر – بالضّرورة ستكون دكتاتوريّة، قمعيّة وفاسدة لأنه لا يوجد هناك من يحاسبها، ومن يحاول سَيُتهم بالردة. ألفساد يكون في الدولة الدينية تماما كما يكون في الدولة الدكتاتورية.

يسأل البعض: كيف نفهم قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ آل عمران: ١٠٤

أقول هذا الدور مناط بالصحافة الحرة، ألمجتمع المدني، جمعيات حقوق الإنسان، ألنقابات ... ولقد فصلنا ذلك سابقا.

القصص القرآني

نوح عليه السلام

بين آدم ونوح

بين آدم ونوح حصل أمران هامّانْ

- ألأمر الأوّل اكتشاف النار. وهنا نقصد استعمال النار في أمور الحياة العامة وليس مجرد رؤية النار. فيبدو أنّه كان لحرائق الغابات ألعامل الأساسي لهذا الإكتشاف.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ يس: ٨٠ **إذا** تفيد التراخي في الزّمنْ

لقد كان لهذا الإكتشاف أمرٌ هام إذْ بسببه حول الإنسان الغرائز إلى شهوات، فقد أصبح يستعمل النار من أجل أكل اللحم مشويا بعد أم كان يأكلها نيّا. كما إنه أصبح يستخدم النار في التدفإة والإنارة.

- ألأمر الثاني الذي حصل هو دفن الموتى. وقد حصل هذا حين قتل قابيل هابيل، وكيف بعث الله غرابا ليوارى غرابا ميتا، فتعلم الإنسان طريقة دفن الموتى. ولقد ورد في سورة المائدة الإشارة لهذه الحادثة ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ المائدة: ٣١ نلاحظ هنا أن التعليم كان مُشخص، أي إنّ الإنسان كان يرى ما يحصل أمامه بعينيه.

أمر ثالث مُشخص كانَ الطريقة التي اتصل بها ربّ العالمين بالناس. فمن آدم إلى نوح كان اتصال رب العالمين بالناس عن طريق النذر، ولقد كان الناس يروا أولئك النذر وكانوا يعلموا أنهم ملائكة مُرسلونْ. والله سبحانه وتعالى يخبرنا أن ما من قرية إلا وارسل إليهم رسول وإلا كيف يحاسبهم رب العالمين ، قال تعالى

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطر: ٢٤

ألنذر جاءت لكل الشعوب القديمة، ولذلك نجد أنّ هناك أشياء سماوية عند كل الشعوب القديمة. صحيح أنّ هذه الأشياء تشوّهتْ مع الزّمنْ وأصبحت نوعا من الأسطورة.

من هنا جاء مفهوم السلطة وأنّ الملوك أصلهم من السّماء. إذا كانت الرسل تأتي إلى الأمم منذ عهد آدم، وحتى مع نوح ظل استمرار نزول النذر وهذا ما نفهمه من قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ نوح: ١ وفي سورة

الشعراء قال تعالى

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ الشعراء: ١٠٥، فنوح عليه السلام، كان شخص واحد، لكن الله سبحانه وتعالى يقول أن قوم نوح كذبوا المرسلين، لأنه كان هناك ملائكة مرسلين مع نوح عليه السلام.

ولقد استمر إرسال النذر حتى بعد نوح. قال تعالى ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ الأحقاف: ٢١ .. ألناس كانوا يروا النذر وكانوا يعرفوا أنهم مرسلون.

أيضا جاءت النذر إلى إبراهيم عليه السلام. ثم تحولت النذر إلى بشر ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ الأعراف: ١٨٨.

إذا نوح عليه السلام هو أول رسول من البشر ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ...﴾ النساء: ١٦٣. ولقد بدأ الوحي الإنساني عنددما تشكلت لغة بدائية مُجردة مُكونة من مقطعين صوتين، ومن مقاطع صوتية ثلاثة ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ الشورى: ١ - ٣

حمٓ مقطعين صوتيين، عٓسٓقٓ ثلاث مقاطع صوتية كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ .

إذا عندما أرسل نوح إلى قومه كان هناك لغة بسيطة فيها تجريد، مفرداتها ليست كثيرة. ألمفردات حسب الإستعمال "مؤلفة من مقطعين صوتتين ومن ثلاث مقاطع صوتية".

قوم نوح استغربوا أن يروا بشرا يُوحى إليه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ

﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٣ ـ ٢٤

إذا استغرب قوم نوح أن يروا بشرا يوحى إليه لأن الله كان يرسل نذرا إلى الأمم السابقة، ولذلك احتج الملأ من قوم نوح، وهنا إشارة إلى أنه زمن نوح كان المجتمع يتألف من طبقات.

عمر نوح

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ العنكبوت: ١٤

ألإعتقاد السائد أنّ نوح عليه السلام لبث في قومه ٩٥٠ سنه (١٠٠٠ – ٥٠) وهو يدعوهم للأيمان وأنّ الإنسان زمن نوح كان يعيش كثيرا وأن طوله كان يصل إلى ٦٠ ذراعا. هذا الإعتقاد برأينا غير دقيق. ألواقع لا يؤكد ذلك والإكتشافات الأثرية أيضا تنفي هذا المفهوم.

الديناصور انقرض منذ ٦٥ مليون سنة، وقد وجدت آثاره في أكثر من مكان. يقول البعض أننا نحتج بالإكتشافات للدفاع عما نعتقد، نقول ولم لا والله أمرنا بذلك ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٠ الذين قالوا عكس ما نقول هل ساروا في الأرض كيلومتر واحد.

نقول لم يتم إكتشاف أي آثار تثبت أنّ الإنسان كان يبلغ ذلك الطول .. اللهم حتى الآن.

أما بالنسبة لعمر نوح عليه السلام فنقول أن الله سبحانه وتعالى حين ذكر المدة التي لبثها نوح في قومه استخذم وحدتين للزمن: ألوحدة الأولى ألسنة والوحدة الثانية العام.
نسأل هنا: عندما نقول أن الساعة الأن العاشرة إلا خمس، فهل هذا يعني أن الساعة هي الخامسة؟ وبالتالي ليس بالضرورة أن تكون (١٠٠٠ سنة) إلا (٥٠ عاما) = ٩٥٠ سنة.

ألسنة ألشمسية وردت في التنزيل الحكيم بلفظ (حول)

﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ... ﴾
البقرة: ٢٣٣

والسنة هي الفترة التي تدور الأرض فيها **حول** الشمس دورة كاملة.

ألوحدات خلال التاريخ مختلفة ومتعددة وكذلك نظم العد وقد أشرنا في موقع سابق إلى قوله تعالى ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ البقرة: ١٩٦ وشرحنا لماذا قال عن العشرة كاملة.

هناك كتاب هام جدا إسمه "ألطوفان العظيم بين الواقع والأساطير" تأليف كوندراتوف، يحتوى هذا الكتاب على وثيقة تعود لنهاية الألف الثالث قبل الميلاد وضع فيها الكهنة قائمة للملوك السومريين الذين حكموا مدن الرافدين قبل الطوفان وبعده.

يقدم هذا النص عن وجود خمس مدن في عصر ما قبل الطوفان حيث نزلت الملوكية من السماء "وهذا تعبير أن النذر كانت من الملائكة فقط قبل الرسل من البشر وكان أولهم نوح) وأسست تلك المدن وهي:

- أريدو حيث حكمها ملكان واستمر حكمها لمدة ٦٤٠٠٠ سنة.
- باد – تبيرا حيث حكمها ثلاث ملوك لمدة ١٨٠٠٠٠ سنة.
- لرك حيث حكمها ملك واحد لمدة ٢٨٠٠٠ سنة.
- سبار حيث حكمها ملك واحد لمدة ٢١٠٠٠ سنة.
- شوروباك التي حكمها ملك واحد لمدة ١٨٠٠٠ سنة.

ما نلاحظه هنا هو فترات حكم الملوك الخيالية والمبالغ فيها، أو ربما لا يمكن فهمها إلا ضمن مساقها السومري آنذاك.

ويبدو أنّ هذه الفترات الخيالية انسحبت بدورها على ما جاء في التوراة من أعمار خيالية للأنبياء.

إذن في فترة ما قبل الطوفان كان هناك خمس مدن حكمها ثمانية ملوك لمدة ٢٤٠٠٠٠ سنة.

ثم حل الطوفان كما ورد في الوثائق ألسومرية – البابلية / "وجرف البلاد"، لتعود الملوكية مرة ثانية وتنزل في مدينة

- كيش الرافدية حيث حكمها ٢٣ ملكا لمدة ٢٤١٥٠ سنة و٣ أشهر و٣ ايام ونصف اليوم.
- ثم دمرت كيش (في حرب) وانتقلت الملوكية إلى مدينة اي – أنا حيث حكمها ١٢ ملكا لمدة ٢٣١٠ سنوات.
- ثم دمرت أوروك وانتقلت الملوكية إلى أور حيث حكمها ٤ ملوك لمدة ١٧٧ عاما.
- وبعد دمار أور انتقلت الملوكية إلى أوان وحكمها ٣ ملوك لمدة ٣٥٦ عاما.
- ودمرت أوان وانتقلت الملوكية إلى مدينة خمازي وحكم ملك واحد لمدة ٣٦ عاما.
- ودمرت خمازي وانتقلت الملوكية إلى أوروك وحكم ٣ ملوك لمدة ١٨٧ عاما.
- وبعد دمار أوروك انتقلت الملوكية إلى أور حيث حكمها ٣ ملوك لمدة ١١٦ عاما.
- ومن أوروك إلى أدب حيث حكمها ملك واحد لمدة ٩٠ عاما.
- ومن أدب إلى ماري حيث حكم فيها ٦ ملوك لمدة ١٣٦ عاما.
- ومن ماري إلى كيش حيث حكمتها ملكة واحدة لمدة ١٠٠ سنة.
- ومن كيش انتقلت الملوكية إلى مدينة أكشك حيث حكمها ٦ ملوك لمدة ٩٩ سنة.
- وبعد أكشك انتقلت إلى كيش حيث حكمها ٧ ملوك لمدة ٤٩١ سنة.
- ثم من كيش إلى أوروك حيث حكمها لوجال زاجيزي لمدة ٢٥ عاما.
- ومن أوروك إلى أكد وحكم فيها ١١ ملكا لمدة ١٩٧ سنة.

- ومن أكد إلى أوروك حيث حكمها ٥ ملوك لمدة ٣٠ سنة,
- وبعد دمار أوروك انتقلت الملوكية إلى الكوتيين حيث حكم ١٢ ملكا لمدة ٩١ سنة,
- دمر الكوتيين وانتقلت الملوكية إلى أوروك وحكم ملك واحد ٧ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوما.
- ثم دمرت أوروك وانتقلت الملوكية إلى أور.

وينتهي إثبات الملوك السومريين عبر سلالتي أور الثالثة وسلالة مجينة أيسن في ٢٠١٧ – ١٧٩٤ قبل الميلاد.

ويبدو أن الفترات المحددة فيما بعد الطوفان ولا سيما في وسط ونهاية القائمة كانت واقعية إلى حد ما.

جاء في كتاب "الممالك السبعة العظمى في العالم الشرقي القديم" للكاتب جورج راولنسون المؤرخ وأستاذ التاريخ القديم بجامعة أكسفورد البريطانية أنه جاء في وثيقة إثبات الملوك السوماريين ثلاثة وحداة لقيس الزمن وهي كالآتي: سار (1 سار=3600 سنة)، نار (1 نار=600 سنة) و سوس (1سوس=60 سنة). فهذه الفترات الخيالية التي أرخها الكهنة لم تكن من عدم وإنما كانت خاضعة لوحدات زمنية لا نعلمها وكما رتبناها. فإذا أوضح رب العالمين هذا بقوله "فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا" فإنه أشار إلى وحدتهم الزمنية في عبارة سنة وإلى ما نعدّه نحن الآن في عبارة "عاما".

ألسؤال الأن: ماذا كان في قوم نوح ذلك الوقت؟ وما هي نبوته؟ وما هي رسالته؟

قوم نوح كانوا بدائيين وكانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ نوح: ١٥ – ١٦ وكان قوم نوح منقسمين بين العامة (الأرذال) والملأ (الأشراف من النّاس). أي بدأ منذ عهد نوح ألتّمايز الإجتماعي.

يقال أن الملأ هم الأشراف من الناس الذين مُلِئوا كرما وحسن الخلق (ابن فارس، ج ٥، ص ٣٤٦) ونحن نرى أنّ كل من امتلأ بصفة ما، كريمة أو خسيسة واشتهر بها فهو من الملأ. وعلى هذا، فالملأ عندنا ثلاثة أصناف:

- ألملأ السياسي، وهم كل من امتلأ بالقوة والسلطة،
- ألملأ المالي الإقتصادي، وهم كل من امتلأ بالثروة
- ألملأ الديني، وهم كل من امتلأ من العلوم الدينية كرجال الدين والهامانات.

هذه الفئات الثلاث عندما يشعرون أن هناك تغير في المجتمع الذي يعيشون فيه يكونوا أول من يرفض هذا التغيّر، ولذلك حين بعث نوح عليه السلام، كان الملأ هم من وقفوا بوجه الدعوة. قال تعالى ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ٦٠. كان الملأ دائما هم من يقفوا بوجه أي دعوة جديدة كما تشير سورة الأعراف، الآيات: ٦٠، ٦٦، ٧٥، ٨٨، ١٠٩. مع كل من نوح، هود، صالح، شعيب، موسى عليهم السلام.

بالمقابل قد يكون الملأ إيجابيا كملأ بلقيس ملكة سبأ، وهم ما نسميهم الآن "البطانة الصالحة".

أما الأرذال فهم الدون من كل شيء (ابن فارس – ج ٢، ص ٢٠٩) والأرذال بالنسبة للهامانات هم العوام، وبالنسبة للقوارين هم الفقراء، وبالنسبة للعلماء من غير رجال الدين هم الجهلة.

فلما بعث نوح علية السلام جاء بأمرين إلهيين:

١ – **عبادة الله وحدة** (عدم الشرك). ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ نوح: ٣

هذا الأمر مشترك بين الرسل جميعا.

٢ – **بر الوالدين** ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢٨

لا يوجد في رسالة نوح إلى قومه أي حرام، كما لا يوجد أي من الشعائر "صلاة/ صوم/زكاة/حج.

أما نبوة نوح فكانت تعليم الناس ركوب البحر وإنباء قومه بالبنيان والتمويل ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٢

قلنا إنّ قوم نوح كانوا يعبدون مظاهر الطبيعة، أما من كان يُشجعهم على ذلك فهم من ذكروا في الآية الكريمة ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ نوح: ٢٣ – ٢٤، قال البعض أنّ ودّا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا هي أسماء لآلهة، وقال آخرون أن هؤلاء أسماء لبعض الصالحين، لكن الشيطان أغرى الأمم اللاحقة على عبادتهم. نحن نقول أن هؤلاء لم يكونوا آلهة وإنما هذه أسماء للسدنة ألذين كانوا يدعوا الناس لعبادة الأصنام. دليلنا على ذلك الآية التالية التي تشير إلى أنهم كانوا يضلوا الناس ومن المعروف أن الأصنام لا تُضِلْ، وإنّما هناك من يدعوا لها ليضل بها. أيضا تلك الأيام لم يكن هناك وسائل إنتاج لصناعة الأصنام، والبيوت كانت من القصب.

طوفان نوح

لقد عاش نوح وقومه في منطقة غنية بالينابيع تحيط بها جبال غزيرة الأمطار بدليل قوله تعالى على لسان ابن نوح ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ... ﴾ هود: ٤٣.

والمعروف أنّ العواصف المطريّة في الجبال تسبب سيولا مُدمّرة تجتاح المناطق المنخفضة والسهول والوديان.

لكن الله تعالى إذا أراد إغراق قوم يعيشون في الأناضول مثلا، لا يحتاج لإغراق من في الهند والصين واليابان، خصوصا أنه يقول ﴿ ... وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ... ﴾ الأنعام: ١٦٤، ومن هنا نقول أن الطوفان كان محليا وليس عالميا.

أما السفينة التي بناها نوح عليه السلام فقد كانت سفينة بدائية مصنوعة من ألواح مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ومربوطة بحبال طبيعية وليس فيها أي شيء صناعي، وهي ليست كما يصوروها في كتب التفاسير، بحيث يشعر القارئ أن الحديث يدور حول سفينة عملاقة تتفوق على تيتانيك. سفينة نوح كانت بداية تسير برعاية الله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ ﴾ هود: ٤١ – ٤٢.

لقد حمل نوح معه في السفينة مجموعة من المؤمنين وأهله إلا من سبق عليه القول، اي إن ابن نوح ليس من أهله والإحتمال وارد بأن نوح كان أبوه ولكن لم يكن والده، لأنّ امرأة نوح كانت من الكافرين ولم تقم لنوح أي عهد، وكذلك امرأة لوط حيث قال تعالى عنها ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ ﴾ هود: ٨١، أما عن امرأة نوح فلم يذكر أنها هلكت مع قومها لأنّها من أهله ووعده الله بأن ينجي أهله.

لقد حمل نوح معه في السفينة زوجين من الحيوانات والطيور التي كانت موجودة في المنطقة التي كان يعيش فيها، كذلك حمل معه بعض البشر ممن آمنوا برسالته.

دعاء نوح على قومه

حصل الطوفان، ورأى نوح ما رآه من أهواله، فخشي نوح من الإنتقام إذا نجا أحدا من قومه، فدعا عليهم – كانت دعوة نوح على قومه بعد الطوفان ولم تكن قبله.﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ ﴾ نوح: ٢٦ – ٢٧، قلنا سابق أن ولد تعني أيضا ربّى.

هود عليه السلام

قال تعالى ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأعراف: ٦٥

ألتوحيد هو القاسم المشترك بين من سبق هود من الرسل ومن جاء بعده أيضا.

لكن أهم ما حصل بين نوح وهود عليهما السلام أنه تم تدجين الأنعام.
نوح عليه السلام أنبأ قومه بذلك

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ نوح: ١٢

ألبناء زمن نوح كان من القصب، وفي عهد نوح لم تكن الأنعام قد دُجِّنَتْ بعد ولذلك فإنّ نوحْ لم يَحْمِلْ معه أيِّ مِنَ الأنعام. أمّا بالنِّسبة لِ هود عليه السلام فقد قال:

﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٣٣ و أَمَدَّكُم تعني أنّ الأمر قد حصل. وكنا قد أشرنا سابقا أن **ألبَنِينْ** تعني ألبناء. أي إنّ هناك ربط بين تدجين الأنعام وبين ألبناء، فبعد أن دجّنَ الإنسان الأنعام، استعملها للنقل واستخدم جلودها ووبرها للباس. وهذا ما أثبته التاريخ. فلقد استقر الإنسان وبنى عندما ذلل الأنعام.

تصور لو أننا سنفهم البنين على أنها ألصِّبيانْ فيعني أن الله سبحانه وتعالى أمدّنا ب (البقر، الغنم، الجمال ... والصّبيان) أي مقارنه؟!

كان في ذهن قوم هود ما حصل لقوم نوح وما أصابهم من جراء الطوفان، ولذا حاول قوم هود أن يبنوا بيوتا علها تقيهم أي طوفان جديد

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الشعراء: ١٢٨ – ١٣٠

قوم نوح كانوا يعيشوا في منطقة منخفضة، ولذا فإن قوم هود بنوا مساكنهم في أماكن مرتفعة، هذا ما أشارت إليه الآية ١٢٨ من سورة الشعراء (تَصَوَّروا أن هذه البيوت المرتفعة لا تتأثر بالطوفان). كانوا يحفرون في الأرض مصانع (خزانات) لتجميع المياه حتى لا يضطروا لأن يسحبوها من الأسفل. ولكن ما حصل أن الله جاءهم بالعذاب النّكر (الذي لا دراية لهم به)

جاء إهلاك قوم هود بظاهرة طبيعية هي الريح التي يكون تأثيرها في المناطق المرتفعة أكثر بكثير منه في المناطق المنخفضة، بعكس الطوفان الذي يكون تأثيره في المناطق المنخفضة أكبر. بدلالة قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ القمر: ١٩ والريح الصرصر هي العاتية الشديدة البرد والصوت التي لا ينقطع هبوبها ولا تتراخى شدّتها. أما قوله

﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ فاليوم هنا لا يعني الوقت والزّمان الذي مقداره ٢٤ ساعة، بل يعني الحين والمناسبة كقولنا: عام الفيل وشهر الحج، وإلا فكيف يقول تعالى في موضع آخر ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ... ﴾ فصلت: ١٦؟ أضف إلى ذلك أنّ الزمان وعاء يتضمّنْ الأحداث وأنّ المكانْ وعاء يتضمّنْ الأشياء والأشخاص، وأنّ النّحس والسعد لا يطالهما بالذات بل يطال الأحداث في الزّمان والأشياء في المكان.

أيضا ألريح استمرّت دون تقطع بدليل قوله ريح ولم يقل رياح.

كان هود وقومه من قبيلة عاد، بدليلة قوله تعالى ﴿ ... أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ هود: ٦٠ وهي قبيلة عربية بائدة من العمالقة سكنت في أرض الأحقاف من جهة اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية شمال حضرموت، بدليل قوله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ... ﴾ الأحقاف: ٢١ وهذه عاد الأولى التي أشار إليها تعالى بقوله ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ النجم: ٥٠ وهي عاد إرم التي ذكرها تعالى بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ الفجر: ٦ – ٨ .

يقول المؤرخون أن قوم عاد هم أوّل من اتخذ الأصنام وكان لهم آلهة يعبدونها أكبرها صدا وصمودا وهرا. (انظر البداية والنهاية ج ١ ص ١٢١). ومن هنا نستنتج أنّ هناك أكثر من عاد واحدة.

صار هناك اختصاص الآلهة ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ... ﴾ النجم: ٢٣ يعني كان هناك إله الطوفان، إله المطر ...، أي كان اختصاص لكل صنم.

لم يأتِ هود قومه بأية معجزة تدل علة نبوته، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ هود: ٥٣

فإن قال قائل: إنّ حجّة قوم هود قوية، والناس عادة لا تترك معتقداتها لمجرد قول أو زعم لا دليل على صحته، خصوصا وإنّ الله تعالى يقول ﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥.

نقول: لا شك أبدا أنّ الله سبحانه وتعالى لا يغير قوانينه ولا يبدل كلامه بين مناسبة وأخرى. صحيح أنّنا لا نجد في التّنزيل الحكيم ما يشير إلى معجزة تدل على صدق نبوة هود، لكننا نجد في أكثر من آية منه ذكرا لرسُل سبقوا هودا لقوم عاد وهم النذر ويحتمل أنهم كانوا معه أيضا وهم دليل الإنذار. وإليك هذه الآيات:

١ - ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٢٣

٢ - ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ ... ﴾ هود: ٥٩

٣ - ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾ القمر: ١٨

٤ - ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الأحقاف: ٢١

وأخيرا نقول أنّ الكشوف الأثرية الحديثة أثبتت ما ورد عن قصة عاد (إرم ذات العماد) في القرآن الكريم. ولقد نشر عدة مقالات في صحف عالمية تتحدث عن تلك الإكتشافات. عام ١٩٩٠ أعلن اكتشاف مدينة / وبار – عبار. (عبار هو اسم يحاول اليهود أن يطلقوه على مدينة أرم وذلك لسرقة أي دلائل ونسبتها إليهم.

صالح – عليه السلام

هو نبيّ ثمود ورسول الله إليهم ليدعوهم إلى التّوحيد.

آية صالح عليه السلام كانت "**ألناقة**".

أمرانْ ميّزا الفترة التي بعث فيها صالح عليه السلام.

- الأمر الأول: ظهور الملكية الخاصة للأرض

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأعراف: ٧٤

هنا قصورا تشير إلى نفس المعنى الذي ورد في قوله تعالى﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ الرحمن: ٧٢، مقصورة أي محددة (محاطة بالجدران ومعزولة عن الأخرى). ألقصر الذي في ذهن الناس هو "القصر المشيد"﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ

أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ

وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج: ٤٥.

- والأمر الثاني أنّه في عهد صالح عليه السّلام كان هناك حياة في السهول وفي الجبال وقد بنيت البيوت في الجبال بطريقة رهيبة حيثُ كانت محفورة في الصخر.

إذا ألرسالة التي جاء بها صالح عليه السلام إلى قومه كانت **التّوحيد**.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ

وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

هود: ١١٨ – ١١٩

لماذا قال تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ " .... إستثناء .... "

نقرأ قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هود: ٢٨

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

(إلا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ) هم الأنبياء، لأنّهم مُرْسَلون من إله واحد، وبالتالي لا خلاف بينهم .. جميعهم جاؤوا برسالة التوحيد.

كيف أهْلِك قوم صالح عليه السلام؟

قلنا أن قوم صالح سكنوا السهول والجبال. لذا فقد عذبهم الله بطريقيتين، كل حسب مكانه. فكيف كان هلاك قوم صالح عليه السلام؟ قال تعالى

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ هود: ٦٧

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأعراف: ٧٨

الذين كانوا في الجبال هلكوا بالصيحة والذين كانوا في السهول هلكوا بالرجفه.

كان هناك ناجون من الرجفة والصيحة، هم صالح عليه السلام والمؤمنون به، بدليل قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ هود: ٦٦

فما هي هذه الرحمة. ويأتينا الجواب في قوله تعالى على لسان صالح لقومه

﴿ ... تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ هود: ٦٥

ونفهم أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر نبيّة صالح عن توقيت الرجفة والصيحة وأمره أنْ يمهل ثمود ثلاثة أيام قبل وقوعها. فكان في ذلك فسحة تمكن صالح بفضلها من أن ينجوا بمن معه، وهذا يبين لنا أنّ كارثة ثمود كانت محلية.

ألجدير بالذكر أنّ سيرة النبي صالح لم ترد في أي كتب دينية أو وثائق عدا القرآن الكريم.

شُعيبْ – عليه السلام

هو رسول الله إلى أهل مَدْيَنْ، الذين سمّاهم التنزيل الحكيم أصحاب الأيكة في قوله تعالى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الشعراء: ١٧٦ – ١٧٧. وكان من الطبيعي أن يأتي التوحيد على رأس رسالته، وهو ما نجده في قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ... ﴾ الأعراف: ٨٥

ومدين مدينة تاريخية يعود تاريخها إلى ٣٥٠٠ سنة تنبع أهميتها التاريخية والدينية من أنّ ثلاثة أنبياء ذُكروا في مناحيها (موسى، شُعيب، يوسف). وقد جمعت بين ألزّراعة والتجارة، حيث كانت مركزا تجاريا ومحطة رئيسية على خط قوافل الحجّاج قديما. وهي كثيرة الأشجار وافرة الثمار واسعة الحدائق والبساتين، ومن هنا جاءت تسمية القرآن لأهلها ب "**أصحاب الأيكة**".

ثمة نقطة تستحق التوضيح وهي أن أصحاب كتب قصص الأنبياء والمؤرخين يعتمدون في كتبهم على المراجع الإسرائيلية – أو على مراجع استقت معلوماتها من كتب اليهود – حين يذكرون الأنساب وأسماء الآباء الأجداد.ونلاحظ هنا أن معيار النسب في رسم التراتبية التاريخية لم يُسعِفْ من وَهَمَ أنّ شُعَيباً جاء بعد موسى بعدة قرون، أو أنّ شُعَيبا عاصر موسى ظنا منهم أنّ موسى تزوّج بنت شُعيب لأنّه ورد ماء مَدْيَنْ، وفاته أن يقف بالتأمل عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٣ ولو أنه فعل لرأى أنّ شُعيبا ورد من بين الذين جاء موسى بعدهم. وقل مثل ذلك في لوط وشعيب، فنحن لا يهمنا كثيرا أن يكون شُعيب زوج إبنة لوط أو لا يكون، أو أن يكون موسى زوج إبنة شعيب أو لا يكون، فما يهمنا أكثر هو قوله تعالى على لسان شعيب لقومه ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ هود: ٨٩، بما فيه من دلالة واضحة على أنّ لوط جاء قبل شعيب في سُلّم النبوّاتْ.

ألعبر والعِظاتْ كما رأيناها في قصة شُعيب

١ – يقول تعالى شارحا تفصيل رسالة شُعيب

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥

أ – ونفهم من دعوته إلى التوحيد أن لقومه آلهة يعبدونها من دون الله

ب – ونفهم من دعوته إلى الوفاء بالكيل والميزان، أن العلاقة الإقتصادية قد تطورت في مجتمع مدين حتى وصلت إلى مرحلة تبادل السلع ألتي لا بد فيها من وجود موازين لضبط الوزن ومكاييل لضبط الحجم، لمنع التبادل والإحتيال في عملية التبادل، ألذي يؤدي إلى بخس الناس أشياءهم، وهذه القاعدة ما زالت سارية المفعول على المستوى الإنساني العالمي، فالثورات لم تقم، والنقابات لم تنشأ، والقوانين لم توضع، إلا من أجل قاعدة ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾

٢ – كان جواب قوم شعيب على دعوته لهم واضحا في قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ٨٨، وفي قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا

بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ هود: ٩١

أ – نحن في آية الأعراف: ٨٨، أمام طبقة من وجوه القوم وأشرافهم، هي طبقة ألملأ، بدأت بالظهور كما قلنا في عهد نوح، لكنها اكتسبت في هذه الآية صفة جديدة هي صفة (الذين استكبروا) التي تنفي عن الملأ كل جانب أيجابي محتمل.

ب – في ضوء هذا الإستكبار نقرأ قولهم لشعيب في آية هود٩١ ﴿ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾

وفقه القول هو فهمه وإدراك مقاصده ومعانيه. إنّهم لم يفهموا ولم يدركوا قول صاحبهم ليس لأنهم أغبياء، بل لأنّ استكبارهم يمنعهم من الفهم والإدراك من جانب، ولأنّهم يعتبرون التجارة "شطارة"، تماما مثل العديد من تجار اليوم، من جانب آخر.

جـ – أما قولهم ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ ﴾ فالضعف هنا ليس في القدرة العضلية أو

الفكرية بدليل إنهم يقولون في موضع آخر ﴿ ... إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ هود: ٨٧

وليس في المكانة الإجتماعية بدليل أنّ لشعيب عشيرة وهو قوي بها. الضعف المقصود هو الضعف المالي وقلة الثروة.

د – وأما قولهم ﴿ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ ﴾ فنفهم منه أنّ العصبية العشائرية التي بدأت

بالظهور في عهد صالح، قد رُسخت وأخذت شكلها في عهد شعيب، ومنعت الملأ المستكبر من رجمه. ولكن ما هو الرّجم المقصود في الآية؟ والجواب واضح في آية الأعراف: ٨٨، إنه الطرد القسري والإخراج عنوة من الدّيار.

ونورد هنا بعض الآيات في التنزيل الحكيم والتي ورد في الرجم بمعنى البعد القسري ولا علاقة له بالمفهوم السائد حول الرجم في الثقافة الموروثة.

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ الحجر: ٣٤ القائل هو الله والمعني بالقول هو إبليس.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ مريم: ٤٦ واضح لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي .

﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ... ﴾ الملك: ٥، والمقصود هنا طرد الشياطين الذين يسترقون السّمع.

نشير اخيرا أن لا ذكر للنبي شعيب خارج التنزيل الحكيم.

إبراهيم – عليه السلام

يعد إبراهيم عليه السلام، أبرز نقطة علام في تاريخ النبوّات والرسالات الذي تنقسم فيه النبوات إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل إبراهيم عليه السلام، ومرحلة ما بعد إبراهيم عليه السلام.

واللافت في التنزيل الحكيم ورود إسم إبراهيم برسمين مختافين:

- فلقد ورد لفظ إبراهيم خمس عشرة مرة في سورة البقرة، وفي جميع المرات رسم ﴿ إِبْرَٰهِۧمَ ﴾ ، أي لا يوجد حرف ياء بين الهاء والميم.

- وفي بقية التنزيل الحكيم ورد بالرسم الذي نعرفه ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

فهل لهذا الإختلاف في الرسم أي دلالة؟

ألغريب أنّه أيضا في العهد القديم فإنه يوجد لفظين مختلفين: الأول (أبرام) والثاني (إبراهيم)، وهناك تفسير للأختلاف في الرسم في في العهد القديم – سفر التكوين/ الإصحاح ١٦ - ١٧:

ألإصحاح ١٦:

١٥ فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ «إِسْمَاعِيلَ».
١٦ كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ.

ألإصحاح ١٧:

١ وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً،
٢ فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا».
٣ فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً:
٤ «أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ،
٥ فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ.
٦ وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ.
٧ وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.
٨ وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ».

إذنْ إبراهيم قبل أن يرزق بإسماعيل كان اسمه أبرام، أما بعد أنْ رُزِقَ بإسماعيل فقد دعاه الرّب إبراهيم.

ألعبر والعظات في قصة إبراهيم

١ – لقد تعددت الآلهة في زمن إبراهيم عليه السلام، وأصبح هناك تخصص لكل إله، هناك إله للمطر، وإله للجفاف، وإله للخصب وغيرها. تلك الظاهرة التي بدأت عند نوح وترسخت عند هود واكتملت عند إبراهيم.

٢ – إكتمال فن النحت الذي بدأ – كما بينا – في عهد صالح، بدليل قوله تعالى على لسان إبراهيم لقومه ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الصافات: ٩٥، وشيوع الأصنام والتماثيل، الذي استدعى ظهور طبقة سدنة وكهان يخدمون هذه الأصنام والتماثيل.

٣ – إكتمال تقديس مظاهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب لكل منها إله ومعبد وسدنة في بابل، ونشير هنا إلى ما رواه أصحاب الأخبار في تواريخهم وأصحاب التفاسير في تفاسيرهم، من أنّ إبراهيم هاجر مع والده آزر ومع زوجته سارة من أرض الكلدانيين في العراق إلى أرض الكنعانيين وهي بلاد المقدس في بلدة قريبة من الشام اسمها حران، أهلها يعبدون الكواكب السبعة. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها تقام فيه الأعياد وتقدّم القرابين.

٤ – كانت رحلة إبراهيم للبحث عن ربه وهو بين الشك واليقين، مذكورة بكل تفاصيلها في التنزيل الحكيم، بدأت مع تقليب أنظاره في ملكوت السماء والأرض:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٦ – ٧٩

كانت خطوة إبراهيم في بحثه عن ربة في النظر في ملكوت السماء، فرأى كوكبا لامعا منيرا لعله نجم القطب، قارنه مع مخزونات إدراكه حين كان يتردد على المعابد، فتوصل إلى أن قال: هذا ربي، لكن هذا الكوكب غاب وانطفأ بريقه مع هبوط الظلام، فقارن هذه الصورة الجديدة مع ما يؤمن به عقلا من أن الأرباب الحقيقية لا تأفل ولا تغيب، فتوصل إلى قرار يقول إنه لا يحب الأرباب المزيّفة التي تأفل. ثم رأى القمر بازغا، فعرض الصورة على مخزون إدراكه وانتهى كما انتهى أول مرة إلى القول: هذا ربي، لكن القمر أفل كما أفل الكوكب قبله، وكانت المرتان كافيتان ليكتشف إبراهيم إنه لم يصل إلى ما يبحث عنه، فاتجه إلى الله طالبا الهدى، لكن رحلة البحث لم تكن قد انتهت بحث، وطلع الفجر وأشرقت الشمس وظنها إبراهيم ربه الذي يبحث عنه باعتبارها أكبر من القمر ومن الكوكب، لولا أنها أفلت. هنا غابت شمس الكون عن الكون لتشرق شمس معرفة من نوع آخر في أعماق إبراهيم، ليدرك على نورها أن ثمة فاطرا للسماوات والأرض وخالقا للشمس والقمر والكواكب لا يغيب إذا غابت ولا يأفل إذا أفلت. فما كان من إبراهيم إلا أن صاح في بني قومه: إنّي بريء مما تشركون، إني انحرفت عما تتوجهون أنتم إليه من نجوم وكواكب وشمس وقمر، واتجهت نحو من خلقها وفطر السموات والأرض، وها أنا أعلن إنني لست ممن يشرك بربه أحدا.

بهذا المنهج الإستقرائي الرشيد الذي أنعم الله به عليه، كما في قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١، صار إبراهيم إماما للناس بعد امتحان اختبره الله به ونجح، بدلالة قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ... ﴾ البقرة: ١٢٤، وهذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم هي الكواكب الشمس والقمر حيث أن الوجود هو كلمات الله.

٥ – كان آزر، أبو إبراهيم لا والده، هامانا يشرف على سدانة المعابد وخدمة تماثيل آلهتها، ومن هنا كان بإمكان ربيبه إبراهيم أن يصل إلى الأصنام بسهوله، إذ كان ذلك ممنوعا على العامة.

٦ – كان آزر المثل الأعلى لإبراهيم في الدين والعقيدة، ولا يبعد أنه كان ينوي إعداده ليتسلم مهمته من بعده. ومن هنا كان الجدل بينهما قاسيا على نفس آزر حين دار بينهما الحوار التالي:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٢ - ٤٥

كان آزر أدرى الناس بما قاله إبراهيم عن معبوداته، وأكثر الناس إدراكا لها أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تأكل ولا تشرب. وكان أعرف الناس بما يتمتع به إبراهيم من رجاحة عقل وشفافية روح، وأكثرهم إحساسا بمحبة إبراهيم له وخوفه عليه من أن يمسه عذاب الرحمن إن هو رضي بأن يبقى عبداً للشيطان. لكن المسألة أكبر من هذا، ولا بد لها من حسم يتناسب مع حجمها. فغالب مرارة خيبة الأمل في ربيبه وسأله بهدوء ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ ﴾، وصمت إبراهيم مطرقا وتابع آزر قائلا ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٦.

ينتقل التنزيل الحكيم من سورة الأنعام إلى سورة الأنبياء ليضع أمامنا القسم الثاني من الحوار الذي يدور بين آزر وقومه من جانب وإبراهيم من جانب آخر.

هذا الإنتقال في القصة القرآنية الواحدة من سورة إلى أخرى ثم إلى ثالثة ورابعة، وهذا المزيج المدهش بين المحكم والمتشابه في الآيات في السورة الواحدة، أبرز سمة – عندنا من ميزات الإعجاز القرآني الذي تحدى به صاحبه الإنس والجن مجتمعين.

ألمنظر في القسم الثاني من الحوار منظر مجلس يضم إبراهيم عليه السلام وأباه وقومه

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

الأنبياء: ٥٢ ـ ٧٠

٨ – لقد قام الحوار بين إبراهيم من جانب وبين أبيه وقومه من جانب آخر – بقسميه الأول والثاني على المنطق الموضوعي من جهة وعلى الأدلة الحسية من جهة أخرى (عجز الأصنام عن النطق وعن دفع الضرر عن نفسها وعن غيرها وعن جلب النفع لنفسها أو لغيرها). أما الحوار مع السلطة الحاكمة السياسية فأمر آخر مخالف تماما، ينقل التنزيل مرة ثانية معه إلى سورة البقرة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ

ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴾ البقرة: ٢٥٨ .

تلك أوّل المرة في تاريخ الأنبياء والرّسل يأتي فيها التّنزيل الحكيم على ذكر السلطة الحاكمة، بعبارة ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ في آية البقرة: ٢٥٨، لم نجدها فب قصة أحد ممن سبق إبراهيم. والملك هنا ليس ملكا عاديا، بل مستبد يدّعي الربوبية ويأمر الناس بعبدته، وسوست له شياطينه من الإنس والجن أنّ ملكه لا يبلى. فكان من الطبيعي أن يأتي الحوار معه مختلفا.

٩ – كان منهج إبراهيم منهجا إستقرائيا إستدلاليا ينطلق في طريق البحث عن الله من الحواس إلى الفكر، ومن الشك إلى الإيمان، فاستحق بذلك أن يكون إماما للناس. ولعل أبرز مظاهر هذا المنهج عند إبراهيم هو في قوله ﴿ ... رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ... ﴾ البقرة: ٢٦٠، الذي يتجلى في المنهج الإبراهيمي بالإنطلاق من الشك إلى اليقين، وهذه الإنطلاقة يرضى الله عن صاحبها بدلالة قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل: ١٢٠ –

قوله (إنّ إبراهيم كان أمة)يعني أنّه كان صاحب منهج سلوكي خاص به، أما قوله (حنيفا) يعني منحرفا عن الذين إذا تليت عليهم آيات ربهم خروا عليها صما وعميانا والفطرة الحنفية هي طبيعة التغيير في الزمان والمكان ومنها جاء الدين الحنيف.

وبدلالة أن الله تعالى لم يكفره ولم يعنفه، ولم يوبخه ولم يعاقبه، بل سأله بكل هدوء ﴿ ... قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ ... ﴾ البقرة: ٢٦٠، وفي هذا درس تربوي بليغ جدا لو عمل به علماؤنا الأفاضل ممن يتصدرون المدرجات في الجامعات ومجالس العلم في المساجد، فالأيمان الأعمى لا يكفي عند الله إن لم يصحبه نظر وتفكر وبحث وسؤال يحمل صاحبه من حيرة الشك إلى اطمئنان اليقين.

ويأتي جواب إبراهيم عن سؤال ربة واضحا حاسما ﴿ ...بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ... ﴾ البقرة: ٢٦٠، أي ليسكن تردّده وشكه مطمئنا على أرضية يقينية راسخة، وهذا لا يكون إلا حسب منهج استقرائي يرى فيه الباحث بعينه ويسمع بإذنه ويلمس بيده.

١٠ – يستوقفنا قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأنعام: ٧٥، ونفهم أن إبراهيم بعد رؤيته رؤية فؤادية بملكوت السموات، وبعد رؤيته رؤية عينية بصرية كيف يحيي الله الموتى صار من الموقنين. ونفهم أنه، وهو ينظر بعين فؤاده في ملكوت السموات باحثا، كان يعرف أنه يبحث عن فاطر السموات

والأرض وخالق الشمس والقمر والكواكب الذي لا يغيب إن غابت ولا يأفل إن أفلت بدليل قوله لقومه بعد أن نجا من النار ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ الصافات: ٩٩، الذي نشم فيه رائحة مفهوم الهجرة إلى الله. هذا المفهوم الذي سيكتمل ظهوره على يد خاتم النبيين بعد قرون وقرون. لكن السؤال الكبير هو: هل كان إبراهيم وهو يجول في ملكوت الأرض في بلاد الكلدانيين إلى بلاد الكنعانيين إلى بلاد الشام – إن صحت – إلى أرض مصر، ليحط في وادٍ غير ذي زرع لم يكن عند وصوله إليه يدري إن كان آخر محطة في رحلته الطويلة أم لا، يعرف عما يبحث؟ الأرجح عندنا أنه لم يكن يعرف بالتحديد عما يبحث، حتى جاء الأمر الإلهي برفع القواعد من البيت العتيق وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود. لعل شيئا ما كالحدس الغامض تحرك في داخله وهو عند بيت الله المحرم فدعا ربه – وما أكثر ما دعاه في رحلته الرضيّة تلك – قائلا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧. لكنه بقي مجرد إحساس غامض توهم إبراهيم معه أن سكناه في هذا المكان إنما هو لإقامة الصلاة لا غير، حتى جاء الأمر الإلهي كما ذكرنا. ونرى هذا تكرر مع موسى حين أحيط به، ألبحر من جانب وفرعون من جانب آخر عندها قال أصحابه (**إنا لمُدْرَكونْ**) فأجاب موسى (**كلا إنّ مَعي رَبّي سَيَهدينْ**) وحتى لحظة هذا القول لم يكن موسى يعلم كيف سيهديه ربه حتى جاءه الأمر (**اضربْ بِعَصاك البَحْر**).

١١ – الزّمان عندنا معياره القرون والعقود والسنين والشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني، إلا إنّ عند الله معايير أخرى. فاليوم عنده كألف سنة، والساعة عنده كلمح البصر، بينما هي بمعاييرنا دهور متطاولة، ونرى أن في قصة إبراهيم ما يشير إلى ذلك. القصة تنتقل بعفوية سلسة ومدهشة من إبراهيم الفتى الرّشيد في معابد الآلهة برعاية آزر، إلى إبراهيم الشاب وهو يبحث في ملكوت السموات، إلى إبراهيم الرجل وهو يعظ أباه وقومه ثم يلقى في النار ويخرج منها ثم يمضي في ملكوت الأرض مدفوعا بما لا يدري وباحثا عما لا يعرف، إلى إبراهيم الشيخ وزوجته العجوز العقيم، ثم لا يهتم التنزيل الحكيم كثيرا – أحيانا كثيرة – بتحديد مقدار الزمن الفاصل بين حدث وآخر، فالفاصل الزمني بمعيارنا بين قوله ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ ... ﴾ إبراهيم: ٣٧، وقوله بعد رفع القواعد من البيت وتطهيره ﴿ ...رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ ... ﴾ البقرة: ١٢٧ لا يقل عن عشرين عاما، كان إسماعيل في الأولى وليدا وصار في الثانية قادرا على مشاركة والده في عملية تطهير البيت. ولا يهتم – في العديد من الأحيان الأخرى – باستكمال توضيح جميع التفاصيل، فنحن لا نعرف أين بقيت سارة أم إسحق وإبنها، وهل كانا معه ومع هاجر أم إسماعيل عند بيت الله المحرم أم لا، ولا نعرف ما جرى لآزر بعد خروج إبراهيم من بابل، ولا نستطيع أن نتصور عدد ونوع المخاطر التي يتعرض لها رحالة كإبراهيم – رغم رجاحة عقله – وهو يضرب بعصاه بطون الأودية ورؤوس التلال، ولا نعرف إلى أين ذهب إبراهيم حين ترك زوجته هاجر، ورضيعها إسماعيل تسعى بين الصفا والمروة بانتظار عودته. لكن ذلك كله ليس عندنا محل استغراب، فالتنزيل الحكيم، رغم أنه لا يهمل مطلقا الجانب الروائي، ليس كتاب حكايا، غايته التسلية وإلهاب الخيال، بل هو كتاب قصص هدفه العبر وقصده العظة وغايته التعليم.

١٢ – نعود إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥، ثم إلى قوله تعالى بعدها مباشرة ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧. فإذا نحن وضعنا قبلهما قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ... ﴾ إبراهيم: ٣٧، بانَ معنا بما لا يقبل الشك أن البيت العتيق كان موجودا قبل قدوم إبراهيم. ودليلنا الأول أن الأمر لإبراهيم وإسماعيل جاء بالتطهير لا بالبناء. والثاني قوله ﴿ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ولو كانت القواعد هي الأساسات – كما توهم المفسرون – التي لا بد من رفعها لبناء الكعبة عليها لقال ((قواعد البيت)). وهذا يضعنا – للإنصاف – أمام احتمال وجود قواعد وأساسات سليمة ومثلها مخربة والمطلوب إعادة بناء المخرب، لولا أن العملية في هذه الحال اسمها ترميم لا بناء. والترميم عادة لا يطال الأساسات. الثالث أن رفع القواعد جاء تنفيذا للأمر بالتطهير، وتطهير البيوت – سواء المساجد منها أو المساكن – لا يشمل عقلاً حفر الأساسات وبناءها.

لقد فهم المفسرون القواعد بأنها الأساسات، ونحن نرى أن الأمر غير ذلك. القواعد في التنزيل الحكيم جمع مؤنث مفرده قاعدة خلاف واقفة، وردت بمعنى لا معنى له بالأساسات لا من قريب ولا من بعيد في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ النور: ٦٠. ولا ننسى أبدا أنّ المسيح عيسى بن مريم رفع القواعد وأخلى بيت المقدس من الإشغالات حين طرد الصيارفة اليهود منه، وكانوا قد جعلوه مركزا مؤقتا لهم، وأنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم رفع القواعد من الكعبه يوم فتح مكة وأخلاها من إشغالاتها حين أزال ما فيها من أصنام وتماثيل.

١٣ – لقد رأينا كيف شاع التشخيص قبل إبراهيم وانتشرت ظاهرة تعدد الآلهة من كواكب ونجوم وأصنام وتماثيل، وكيف كان مفهوم الإله المجرد غامضا لا إسم له لعدم إكتمال القدرة العقلية على التجريد عند أهل تلك العصور، فقد كان إسمه عند الأسباط "إله إبراهيم" وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ

مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة: ١٣٣ وكان إسمه عند فرعون "إله موسى" كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧،

وكان اسمه عند سحرة فرعون "رب العالمين" و "رب موسى وهارون" كما في قوله تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢١ – ١٢٢،

أو لم يكن له اسم على الإطلاق كما عند فرعون في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس: ٩٠.

ثم يأتي إبراهيم ليبدأ رحلته الطويلة في البحث عن الله من المشخص إلى المجرد، وليولد عنده مفهوم الإسلام والتسليم لهذا الإله المجرد لأوّل مرة في تاريخ الإنسان، بدلالة قوله تعالى:

﴿ ... مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ... ﴾ الحج: ٧٨، وليترسّخ عنده مفهوم المشخص والمجرد منفصلين ومتصلين. فالمشخص منفصلا تجسد له بالبيت الحرام "الكعبة"، والمجرد منفصلا تجلى لديه بالركوع والسجود في الصلاة، واتصالها يظهر عند القيام والتوجّه أثناء الصلاة نحو الكعبة.

١٤ – كان الناس قبل إبراهيم يقدمون القرابين البشرية لآلهتهم، وكان ذلك طقسا شائعا في تلك الأوقات في جميع المعابد الوثنية، ولكن ذلك انتهى في عهد إبراهيم كما سنرى.

لا أحد ممن قرأ تاريخ مصر يجهل أن المصريين كانوا يقدمون لنهر النيل في يوم معين يسمونه "وفاء النيل" من كل عام بنتا من بناتهم كقربان يسترضونه به، واستمر ذلك حتى عهد عمر بن الخطاب الذي أمر بالكف عن هذا الطقس الوثني، في قصة طريفة رواها ابن عبد الحكم في تاريخ فتح مصر.

إنّ ذكر القرابين ينبهنا إلى العلاقة بين المشخص والمجرد، ويذكرنا بالأضحيات في شعيرة الحج، ويعيدنا إلى خبر رؤيا إبراهيم في قوله لإسماعيل ﴿ ...إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ... ﴾ الصافات: ١٠٢. فلنبدأ من البداية:

أ – كان إسماعيل لا يزال رضيعا حين وصل إبراهيم إلى وادٍ أجرد بين اربعة جبال فيه بيت قائم لعبادة الله، وهذا معنى قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

﴿ ... غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ... ﴾ إبراهيم: ٣٧، ويستوقفنا في الآية أمران: الأول قوله

بَيۡتِكَ فالبيت العتيق لم يكن فقط موجودا عند وصول إبراهيم إلى الوادي القاحل – كما شرحنا في

فقرة سابقة – بل كان معروفا عند إبراهيم على الأقل بأنّه بيت الله. الثاني، قوله ٱلۡمُحَرَّمِ مُعرّفا

بأل العهد، مما يدل على أن المعروف المعهود عن بيت الله هو التحريم. ولكن محرم من ماذا؟ وعلى ماذا؟ وماذا حرم فيه .. الشرك أم القرابين أم الإثنين معا؟

ب – ننتقل الآن إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ‌ۖ وَمَن دَخَلَهُ ۥ كَانَ ءَامِنًا‌ۗ ... ﴾

آل عمران: ٩٦ - ٩٧

حتى نفهم القصد في قوله تعالى أَوَّلَ بَيۡتٍ نسأل: ما هو البيت المقصود الموجود في مكان بعينه

من مكة المكرمة؟ وهل هو مكان مبيت الله أو سكن الله أم ماذا؟ كيف نفهمها علما بأنه تعالى لا يحدّه زمان ولا مكان؟ ومن هنا نفرق بين البيت والسكن.

♦ **ألبيت** هو المأوى والمآب ومجمع الشّمل. يُقال بيتٌ، بيوتٌ وأبياتٌ. زمنه يقال لبيت الشعر بيتٌ على التشبيه لأنه مجمع الألفاظ والحروف والمعاني، على شرطٍ مخصوصٍ هو الوزن. وإيّاهُ أراد القائل:

بَيْتٍ على ظهرِ المَطِيّ بَنَيْتُه   بأسمرَ مَشْقوق الخياشيم يَرْعُفُ

أراد بالأسمر القلم. والبيت عيال الرّجُل والذين يبيت عِندهم.

يُقال ما لفلانٍ بيتةُ ليلةٍ، أي ما يبيت عليه من طعام وغيره. وبيّتَ الأمْر إذا دبّرَه ليلاً. قال تعالى:

﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ‌ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ النساء: ١٠٨، أي حين يجتمعون في

بيوتهم. غير أنّ ذلك يُخصّ بالليل. النهار يظلُّ كذا. والبيّوتُ: الماء الذي يبيتُ ليلا. والبيّوتُ: الأمر يبيّتُ عليه صاحبه مهتما به. قال أميّة:

وأجْعـلُ فُقْـرَتَـهـا عُـدّةً   إذا خِفْتُ بيّوتَ أمْرٍ لاعُضال

والبيات والتبييت: أن تأتي العدوّ ليلا، كأنك اخذته في بيته.

نرى أنّ له عدة فروع معظمها وردت في المصحف في معانيها وأهم ما نرى فيها هو جمع الشمل الذي ينطبق على مفهوم البيت الحرام أي إن كل من يريد أن يجمع شمله مع الله وإنشاء علاقة روحيّة معه فليأتِ إلى البيت الحرام وهو مكان مشخص يمكن أن يُرى بالعين لنزوع الإنسان إلى المشخص، لذا فهو ليس مكان مبيت الله وإنما هو مكان إقامة علاقة روحية مع الله، ولذا طلب منا

أن نتجه في الصلاة إليه أينما كنا. وكما قلنا فقد ربط قمة المجرد، وهو الصلاة، بقمة المشخص وهو البيت الحرام.

نرى أن وقوف المؤمنين في الصلاة متجهين للمسجد الحرام مهما بعدوا هو عملية لم شمل عالمية.

ولنفهم فهما أفضل ننظر إلى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١. نرى هنا أن للعنكبوت بيتا لا سكنا حيث أن بيت العنكبوت هو شبكة تنسجها العنكبوت حول محيطها وهي في مركزها، وعن طريقها تتصل بالعالم ألخارجي، وهو ليس مكان المبيت بل العلاقات مع العالم الخارجي. وكذلك نفهم قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ النور: ٣٦ ففي هذه البيوت تحدث العلاقة الروحية بين الله والإنسان. وكذلك نفهم قوله تعالى ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢٨ أي من دخل في علاقة الإيمان معي وليس بالضرورة سكني أو مكان مبيتي.

♦ **السكن:** (س ك ن) أصلٌ واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة. والسّكْنُ: الأهل الذين يسكنون الدار. وفي الحديث ((حَتّى إنّ الرّمانة لتُشْبَعُ السّكنْ)) والسَّكَنْ: النار، في قول القائل: قَدْ قُوِّمَتْ بِسَكنٍ وأدهانْ وإنما سميت سكنا للمعنى الأول، وهو أن الناظر يسكن إليها وإلى أهلها. ولذلك قالوا: ((آنَسُ مِنْ نارْ)). ويقولون: ((هو أحسن من النار في عين المقرور)). والسّكن: كل ما سكنت إليه من محبوب. والسَّكين معروف، قال بعض أهل اللغة: هو فعل لأنّه يسكن حركة المذبوح به. ومن الباب السكينة، وهو الوقار، وسكان السفينة سمّي لأنّه يُسْكنها عن الإضطراب، وهو عربيّ.

هنا نرى أن السكن شيء والبيت شيء آخر حيث لإن المسكين هو القليل الحركة، وهو الذي يقال عنه المعاق أو ذو الإحتياجات الخاصة كالأعمى والأصم والأبكم والمشلول، وكل اصحاب الإعاقات هم مساكين. فالسكن هو مكان السكينة والهدوء، ولذا قال تعالى: ﴿ ...وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ ... ﴾ التوبة: ٢٤.

والغريب أن كل كتب الفقه إلى يومنا هذا ليس عندها وصف لذوي الإعاقات على أنهم هم المساكين، علما بأنهم ذكروا في التنزيل الحكيم أكثر من ذكر الفقراء.

يصف تعالى بيته المحرّم هذا بأنه أوّل بيت للعبادة (وإنما أضفنا كلمة للعبادة بدلالة قوله تعالى (هدى للعالمين) (بيت الله هو ليس مبيت الله ولا سكن الله) ثم يصفه بأنه وضع للناس ولم يقل وضع

للبشر، والناس جمع إنسان، ليدل على أنه وضع ليتعبّد فيه العقلاء الذين ورثوا نفخة الروح عن ابيهم آدم. ثم يصفه بأنه مبارك ليدل على رسوخه وثباته من جانب وعلى نمو أثره وتنامي قيمته من جانب آخر وعلى رسوخ فكرة التوحيد فيه ثم انتشارها منه في نمو متزايد من جانب ثالث. ثم يحدد أن مكانه ببكة. وبكة إسم قديم لمكة عرفت به منذ عصور وعصور يشير إلى قلة الكلام ومحدودية المفردات اللغوية آنذاك. ثم يقرر أن فيه آيات واضحة قابلة للمشاهدة بالعين وباللب يذكر واحدة من بينها هي مقام إبراهيم الذي ما زال حتى اليوم نراه أثناء الطواف، ويغفل ذكر الباقي. ولعل حجر إسماعيل من بين الآيات البيّنات التي جرى إغفالها. ثم يصفه بأنه هدى للعالمين، ولم يقل للمؤمنين ولا للمسلمين. والمقصود بهم الناس من أهل الأرض جميعا بدلالة أن الحج تكليف ونداء للناس جميعا ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ... ﴾ آل عمران: ٩٧.

نصل أخيرا إلى صفة لهذا البيت يقرر فيها سبحانه أنّ من دخله كان آمنا. وكما وقفنا عند كلمة المحرّم في الآية: إبراهيم ٣٧، كذلك نقف عند كلمة (**آمِناً**) في هذه الآية لنتساءل: آمنا من ماذا؟ إن قلنا آمنا من الشرك أخطأنا، فالكعبة – قبل الفتح في العهد المحمدي – لم تخل يوما من أصنام الآلهة وأنصابها وتماثيلها. وإن قلنا من وسوسة الشيطان أخطأنا أيضا، لأنّ الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم. وإن قلنا آمنا من القتل أخطأنا أيضا وأيضا، لأن الواقع لا يؤيد ذلك، فهناك العديد ممن قتل داخل المسجد الحرام ولم يكن آمنا.

١٥ – قلنا أن تقديم القرابين البشرية للآلهة قبل عهد إبراهيم كان ظاهرة شائعة في العديد من بقاع العالم، وفي أغلب الهياكل والمعابد، ونرى الآن أن هذه الظاهرة قد اختفت تماما، علما أن الحروب ما زالت موجودة والقتل ما زال موجودا، هنا يأتي التنزيل الحكيم ليحكي لنا في قصة إبراهيم متى اختفت هذه الظاهرة وكيف.

١٦ – عندما اهتدى إبراهيم للذي فطر السموات والأرض حنيفا، واكتشف عبر رحلته الطويلة بين الشك واليقين أنّ الله هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل وأنّ الكون بكل ما فيه متحرك حنيف احتار ماذا يفعل ليقترب من هذا الإله. فالناس يقدمون قرابين لآلهة مزيّفة لا تمتلك ضرا ولا نفعا لأحد، والمنتفع الوحيد من هذه القرابين على اختلاف أشكالها هم السدنة والكهنة والهامانات من أمثال آزر أبي إبراهيم الروحي ومربيه.

١٧ – ظلت فكرة تقديم القربان لله تدور في رأس إبراهيم حتى سيطرت عليه، وبدأ يرى في المنام أنه يذبح إبنه. ثم تكررت الرؤيا حتى ترسّختْ، فقرر إبراهيم أن يحوّلها إلى فعل على أرض الواقع بعد أن أيقن أنها ليست مجرد رؤيا، بل تكليف وأمر إلهي. وهذا ما نفهمه من قوله تعالى مصورا القسم الأول مما دار بين إبراهيم وابنه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢.

إننا لا يعنينا كثيرا – ونحن نرصد في التنزيل الحكيم كيف جرى وضع حد لتقديم القرابين البشرية للمعبودات – أن يكون الذبيح إسماعيل أم إسحق، خصوصا ونحن نجد أنّ القائلين بإسحق هم: عمر وعلي والعباس وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل، وأنّ القائلين بإسماعيل هم: ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي. ولكل من هؤلاء وأولئك حجة ودليل.

ولا يعنينا كثيرا أن يكون المكان الذي جرت فيه هذه الأحداث هو بمنى أم بالشام أم بيت المقدس.

ولا يعنينا كثيرا إن كان التكليف المأمور به هو الذبح بقطع الحلقوم أم هو مقدمات الذبح من اضجاع، وربط بالحبال، وسنّ سكين، وما ينتج عن كل الأمرين في حال ترجيحه.

ما يعنينا ويهمنا من آية الصافات ١٠٢ هو التالي، مفترضين دون الدخول في التفاصيل، أن الذبيح هو إسماعيل ودليلنا هو قوله تعالى عندما بشر إبراهيم بإسماعيل قال ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الصافات: ١٠١:

أ – قوله ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ الذي نفهم منه أن إسماعيل بلغ سنا يستطيع فيها مع أبيه القيام بالمسعى النبوي الأول عند الأنبياء وهو الدعوة إلى التوحيد أي إن إسماعيل في لحظة أحداث الآية كان نبياً.

ب – قوله ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ ﴾ ونفهم أن الرؤية ليست بالعين وأنها إدراك بالفؤاد لانها في المنام، وأنها تكررت أكثر من مرة بدلالة استعمال الفعل المضارع "أرى" لا الفعل الماضي "رأيت"، كما في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤.

ج – قوله ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾ ونفهم أن فعل "ترى" فيه هو من الرأي لا من الرؤية.

د – قوله ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ ﴾، الذي يمثل رأي إسماعيل النبي فيما رآه أبوه مناما، والذي يذكرنا بقول موسى للعبد الصالح بعد قتله الغلام ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤، وإذا كان قتل النفس الزكيّة – أيا كانت هذه النفس – أمراً نكرا حسب تعبير آية الكهف ٧٤، فما بالك بقتل الأنبياء والرسل؟ قد يقول قائل: تلك أحكام نزلت على موسى في ما بعد ضمن الوصايا العشر، لعلها لم تكن في عهد إبراهيم وإسماعيل؟ لذا قال تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ... ﴾ المائدة: ٣٢، إننا نفهم أن جواب إسماعيل لأبيه كان أن يفعل ما يؤمر لا ما يرى

في المنام لأنّ اسماعيل أيضا لا يقبل أن يقتله أحد بمجرد منام حتى لو كان أباه. فإن كانت المسألة أمرا بالقتل حسنا ، وإن كانت رؤيا فلا.

هـ – قوله ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الذي نرى فيه إشاره تدل على أن إسماعيل فهم من مقام النبوة القصد الإلهي من الرؤيا ومن التكليف بالذبح، وأن المسألة ابتلاء وامتحان، وهذا ما سيتضح جليا في القسم الثاني من القصة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الصافات: ١٠٦، فإن قال مستنكرا: أليس في زعمك هذا انتقاص من ابراهيم باتهامه بأنه لم يفهم المقصود الإلهي، وإنّ ابنه فهمه؟ نقول: كلا، ليس فيه ما ذكرت بدليل أمرين:

الأول، قوله تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ... ﴾ البقرة: ٢٥٣، والتفضيل شيء والإنقاص من المفضول شيء آخر.

والثاني قوله تعالى

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٨ - ٨٠

إن الإنتقاص الحقيقي كان بحق إسماعيل على أيدي المفسّرين حين زعموا جميعا بدون استثناء أن الصبر المذكور في آية الصافات ١٠٢ هو الصبر على الذبح وآلامه، وكأنّ إسماعيل واحد من العوام الذين لا يعرفون شيئا عن المعاناة النفسية والروحية والفكرية، ومنتهى الصبر عندهم هو احتمال الألم المادي الجسدي الناتج عن لسع سوط أو حز سكين أو بتر ساطور.

١٨ – بالإنتقال إلى القسم الثاني من مشهد الذبح تبدأ الأمور بالوضوح وتبدأ النقاط بالتوضع فوق حروفها:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾
الصافات: ١٠٣ – ١١٠

أ – قوله ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا ﴾ إشارة إلى أن معركة المعاناة قد حُسمت لمصلحة التسليم لله تعالى، وإلى أن نار تنازع الأفكار وتجاذب الوساوس في أعماقها قد انطفأ لمصلحة الأيمان والإنابة، وإلى إن الحيرة عندهما قد اطمأنت للطف الله ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ... ﴾ الشورى: ١٩. ولعلم الله بما هو خير للإنسان وإن كرهه وبما هو شر له وإن أحبه ﴿ ... وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ البقرة: ٢١٦.

ب – قوله ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ تجسيد عملي بالجوارح للتسليم النظري بالفكرة، سواء أكانت الواو استئنائية أم حالية، والأخيرة أقوى عندنا.

ج – قوله ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ... ﴾ وفيه يستوقف سبحانه وتعالى إبراهيم عن المضي في استكمال الذبح عمليا، إذّ المراد ليس الذبح، بل امتحان إيمان إبراهيم وإسماعيل بربهما تسليما، وقد أثبتا ذلك فعلا وعملا.

د – قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ الذي جاء متأخرا، وفيه دليل ما فهمه إسماعيل من أن المسألة ليست مسألة قتل وذبح بقدر ما هي مسألة ابتلاء واختبار.

هـ – قوله ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الذي جاء متقدما، وفيه إشارة إلى الفداء الذي خص به تعالى إبراهيم وإسماعيل جزاءً لهما على إحسانهما في الإسلام لله والتسليم لأمره.

و – قوله ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ ﴾ عبارتان، في الأولى يقر سبحانه وتعالى أولا القرابين من حيث المبدأ، لكنها تتحوّل عنده إلى صدقات عينية للفقراء والمساكين، وقروض حسنة للغارمين والمحتاجين، وأعمال صالحة يقصد بها وجه الله تعالى، فإذا كانت أضحيات نبهنا إلى أنّه ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ... ﴾ الحج: ٣٧. ويضع ثانيا نهاية لمسألة القرابين البشرية. أما في العبارة الثانية فهو يطمئننا بأن ما وضعه من منع للقرابين البشرية واستبدالها سيبقى ساري المفعول إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وأنه ليس محصورا بعصر إبراهيم، بل سيشمل ما بعده من عصور متأخرة.

ألآن فقط نستطيع أن نفهم معنى قوله تعالى حين قال ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧. ونستطيع أن نفهم لماذا تكررت عبارة ﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ مرة في الآية ١٠٥ ومرة في الآية ١١٠ من سورة الصافات. فإبراهيم أحسن بإسلامه لله وتسليمه لأمره، فجاءه الجزاء بأن فدى الله إبنه إسماعيل بقربان جليل الشأن وأعلن سبحانه قانون جزاء الإحسان والمحسنين، وهذا معنى كلمة ﴿ إِنَّا ﴾ في الآية ١٠٥.

وإبراهيم أحسن في الإنابه إلى الله والإتكال عليه، فجاءه الجزاء مرة ثانية خاصا به وهذا معنى قوله تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ بأن زاده مقاما على مقام، فبعد أن جعله إماما (البقرة: ١٢٤) وللمؤمنين والمسلمين أسوة حسنة (الممتحنة: ٤) ترك ما نزل عليه من منع القرابين البشرية واستبدالها بالحيوان سنة يعمل بها كل من يأتي بعده إلى بيت الله الحرام. وبهذا استقر مفهوم الأضحية في الحج والفداء في القرابينن ليبيّن أن كل من دخل المسجد الحرام كان آمنا من تقديمه إلى الله كقربان بشري، وصدق الله العظيم. أما ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنه آمن من اغتيال الآخرين له أو إيذائهم له أو قتله فليس عندنا بشيء. والتاريخ يؤكد عدم صحة هذا المفهوم.

١٩ – كانت الفقرة الأولى من رسالة إبراهيم الدعوة إلى التوحيد، الذي يشكل محورا دارت حوله دعوات من سبق من أنبياء ورسل. وكانت الفقرة الثانية ترسيخا لمفهوم بر الوالدين الذي جاء به نوح، وتوسيعا لهذا المفهوم بحيث أصبح يشمل الأبوين، تماما كما اتسع مفهوم الدعوة إلى التوحيد ليشمل مع القوم السلطة الحاكمة. وكانت الفقرة الثالثة تضع الأسس الأولى لفكرة الهجرة إلى الله، التي جاءت لتتوج عمليا وماديا مرحلة البحث عنه بين المعبودات الزائفة الأخرى .. ثم الإهتداء إليه، ثم التعرف حسيا على قدراته في إحياء الموتى استنباطا من قدرته على إحياء الشمس والقمر وباقي الكواكب والنجوم بعد أفولها. وكانت الفقرة الرابعة تتضمن الإجابة عن سؤال كبير: ماذا يفعل الباحث عن ربة الواحد الأحد بعد أن يهتدي إليه ويتعرف إلى قدراته؟ واين وكيف يتقرب إلى الله ليرضى؟

لقد جاءت هجرة إبراهيم إلى منطقة مكة المكرمة عند بيت الله المحرم، وتطهيره من كل ما يشغل قاصديه ويعوقهم عن الطواف والإعتكاف والركوع والسجود، لتجيب عن الشق الأول من السؤال. وجاءت قصة الرؤيا والذبح والفداء – التي فصّلناها آنفا – لتجيب عن الشق الآخر منه، وليأخذ مفهوم القرابين شكله الصحيح على يدي إبراهيم وإسماعيل، وليتكرس استبعاد تقديم القرابين البشرية إلى يومنا هذا.

٢٠ – لكن ابرز وأهم ما أرساه إبراهيم كنبي ورسول – مع عدم التقليل أهمية ما أشرنا إليه في الفقرة ألسابقة – أمران:

<u>الأول</u>، ظهور مفهوم التجريد في التقرب إلى الله في الفكر الإنساني، إذ كان التشخيص هو السائد، وكان لا بد في عصر إبراهيم وما قبله من شكل بعينه وإسم بعينه لكل رب ومعبود، ولا بد من مكان بعينه يسكنه هذا الرب المعبود يُعبد فيه وتُقدم القرابين لنيل رضاه.

الثاني، اكتمال الإنتقال من التشخيص إلى الرمز للوصول إلى التجريد. هذا الإنتقال الذي بدأت بذوره مع أول مخلوق بشري نفخ الله فيه من روحه فتحول إلى إنسان عاقل، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى وهو يستهل فصلا من فصول قصة إبراهيم ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١.

٢١ – لعل أوضح شعيرتين من شعائر الأيمان عند الأمة المحمدية تعودان في العديد من تفاصيلهما إلى إبراهيم، وتتجلى فيهما تلك النقلة من المشخص إلى المجرد عن طريق الرمز، هما: التجريد في الصلاة، والمشخص في الحج، وارتباطهما مع بعضهما.

أخيرا لنتأمل هاتين الآيتين:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾
البقرة: ١٢٥

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحج: ٢٦

تطهير البيت يعني تطهيره من الأصنام.

ألشّعائِرْ

ألصلاة والصيّام شعائر شخصيّة نتقرّب بها إلى الله. ألزكاة لها علاقة بالآخرين أيضا، وهي مِنْ أهم الشعائر في الإسلام.

أ – ألصلاة

قال تعالى

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤ – ١٢٦

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ الحج: ٢٦

هذه الآيات تروي فصولا من قصة إبراهيم مع بيت الله المحرم في وادٍ غير ذي زرع، لكن الإحداث فيها ليست مرتبة حسب وقوعها، فمثلا:

أ – جعل البيت مثابة للناس وأمناً حصل قبل جعل إبراهيم للنّاس إماما، بدليل الفرق بين قوله وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ وقوله إِنِّى جَاعِلُكَ .

ب – اهتداء إبراهيم لمكان البيت المحرم وتلقيه الأمر بتطهيره، حصل قبل صدور الأمر له ولإسماعيل مرة أخرى بتطهير البيت.

ج – صدر الأمر للناس بقوله تعالىوَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ، لا بد أن يأتي بعد تطهير البيت لا قبله.

ما يهمنا في هذه الفقرة أن نميّز بين أمرين في الآيات الأربع السابقة:

الأول إنّ إمامة إبراهيم للناس أصبحتْ تشمل إمامتهم في الصلاة إلى جانب كونه إماماً لهم في منهجه الإستقرائي الذي قاده إلى التّوحيد وفي الشك الذي قاده إلى اليقين.

الثاني إنّ تطهير البيت في المرّتين المذكورتين إنما هو تطهير من أجل "الطائفين" ليتمكنوا من الطواف، ومن أجل "العاكفين" ليتمكنوا من الإعتكاف، ومن أجل "الركع السجود" ليتمكنوا من إداء صلواتهم. ولا يفوتنا أن نفهم أنّ الطائفين هم الوافدون، وأنّ العاكفين هم المقيمون، الذين سنتحدث عنهم تفصيلا في الفقرة التالية.

إننا نرى في ضوء تكليف الناس (جمع إنسان وهو مخلوق عاقل) بإتخاذ مقام إبراهيم مصلى[*]، وفي ضوء إشارة آيتي (البقرة ١٢٥ والحج ٢٦) إلى وجود طائفين وعاكفين وركع سُجود في العصر الإبراهيمي، أن إقامة الصلاة بركوعها وسجودها جاءت لإبراهيم أول مرة مقترنة بالبيت

---

[*] ثمة قراءتان لآية البقرة ١٢٥، الأولى تلفظ الخاء من كلمة (واتخذوا) مكسورة بصيغة الأمر، وهذه قراءة ابن كثير وأبو عمروا وحمزة وعاصم والكسائي وهي الأرجح عندنا. وفي الثانية تلفظ مفتوحة بصيغة الخبر، وهي قراءة نافع وابن عامر وليست عندنا بشيء، إذ في الأولى تأكيد لإمامة إبراهيم من جانب، وتأكيد للقبلة الإبراهيمية من جانب آخر، دون أن يتعارض ذلك مع وجود طائفين وعاكفين وقائمين وركع سجود قبل إبراهيم ومعه.

المحرم أي الكعبة المشرفة، ثم اختلفت بعد إبراهيم على أيدي أهل الملل الأخرى من يهود

ونصارى، وكذلك صلوات الملل الأخرى حيث لكل ملة صلاة خاصة بها وكلهم يشترك في ظاهرة التأمل والخشوع، ويقودنا التأمل في الآيات الأربع إلى عدة نتائج:

١ – الأمر بتطهير البيت نزل مرتين، مرة لإبراهيم منفردا عقب نزوله بجوار بيت الله المحرم، بدلالة آية الحج ٢٦، حين كان إسماعيل لا يزال طفلا رضيعا، ومرة لإبراهيم وإسماعيل معا بدلالة آية البقرة ١٢٥، بعد أن بلغ إسماعيل أشده وصار نبيا.

٢ – الأمر في التطهير في المرتين يقتضي أنّ الكعبة قائمة، وأنها مثابة للناس وأمنٌ، وأنها عامرة بالطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود.

٣ – رفع القواعد بمعنى إزالة الإشغالات، سواء أكانت أنصابا أم أصناما أم منصات للنخاسين والصيارفة، داخل في أعمال التطهير ولا علاقة له بالبناء والأساسات من قريب ولا من بعيد.

٤ – حين نقول إن إقامة الصلاة بركوعها وسجودها نزلت لأول مرة على إبراهيم مقترنة بالكعبة لا نعني الصلاة كصِلة بين العبد وربه لم تكن معروفة عمليا قبل ذلك، وإلا فماذا كان يفعل الطائفون والعاكفون في البيت المحرّم؟ فالصلاة في الأصل صلة بين العبد وربه عمودها الدعاء تضرّعا لدفع شر وحمداً لجر خير، وحين نقول إنّ الصلاة بركوعها وسجودها – كما أمر الناس أن يأتموا بإبراهيم في إدائها هي التي بدأت بإبراهيم – قد اختلفت فيما بعد على يد أهل الملل الأخرى، فإننا نقول ذلك ناظرين إلى قوله تعالى يصف صلاة الكافرين في الكعبة لنبيّه (ص)

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال: ٣٥ (المكاء والتصدية: الصفير والتصفيق).

٥ – يؤكد ما ذهبنا إليه، دليل قرآني هو قوله تعالى ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ آل عمران: ٤٣. هنا نجد أنّ ترتيب السجود والركوع عند مريم اختلف عما كان عليه عند إبراهيم، إلا أنهما لم يختلفا من حيث شكل الأداء تطبيقا. فالركوع – بالأصل – هو جلوس المتضرّع المستعطف القانت جاثيا على ركبتيه، وهذا ما كان عليه ركوع إبراهيم ومريم، ثم صار الركوع عند الأمة المحمدية انحناءً يعبّر عن الإحترام والتعظيم بحيث تستقر راحتا الراكع المنحني على ركبتيه، تماما كما تحول الصّوم من إمتناع عن الكلام إلى امتناع عن الطعام والشراب في أوقات معلومة على مدى شهر معلوم. ونفهم من آية آل عمران ٤٣ أنّ الركوع والسجود كانا موجودين في عصر مريم وابنها المسيح، تماما كما كانا قبل ذلك في عصر إبراهيم، والسجود عند مريم والمسيحيين هو وضع الذقن على الصدر وذلك في قوله تعالى

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧، ونفهم أن الركوع الجثو على ركبتين يليه السجود وهو وضع الذقن على الصدر، ونرى هذا إلى اليوم في صلاة المسيحيين.

٦ – يؤكد ما ذهبنا إليه أيضا خبر تاريخي يرويه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (ج ٢ ص ٣١١) عن إسماعيل بن إياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال: كنتُ امرأ تاجرا، قدمت أيام الحج فأتيت العباس، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل يصلي، فقاك تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي معه، وخرج غلام فقام يصلي معهما، فقلت: يا عباس، ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو. قال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله به، وأنّ كنوز قيصر وكسرى ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتني كنت آمنت به يومئذ، وكنت رابعا.

٧ – فإذا نحن وقفنا متأملين في قوله تعالى لنبيه الكريم في سورة هي من أوائل ما نزل عليه ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾ العلق: ٩ – ١٠، فهمنا أنّ الصلاة هنا من صلة بين العبد وربه وليست الصلاة الشعائرية وكانت معروفة قبل النبي وحتى قبل إبراهيم.

٨ – حين توجه النبي (ص) في صلاته إلى الكعبة المشرفة كان ذلك تأسياً بقبلة إبراهيم قبله، لأن الأمر الإلهي في قوله تعالى ﴿ ...فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ... ﴾ البقرة: ١٤٤، نزل في المدينة المنورة بعد الهجرة.

٩ – كان النبي (ص) طوال فترة سبعة عشر شهرا في المدينة يتوجّه في صلاته إلى المسجد الأقصى ويقلب وجهه في السماء، حسب تعبير آية البقرة ١٤٤، بانتظار نزول أمر إلهي يكرس اجتهاده أو يأمره باستبداله. وإذا كانت مسألة القبلة في التوجّه نحو الكعبة لم تخلق مشكلة للنبي (ص) وأصحابه وهم في مكة، فإنها بدأت تتحول إلى مشكلة بعد هجرتهم إلى المدينة.

١٠ – كان لتأخير نزول الأمر بتحديد القبلة حكمة وسبب أوضحه تعالى بقوله ﴿ ... وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ... ﴾ البقرة: ١٤٣. والجعل يعني في الآية تحويل الإجتهاد النبوي إلى أمر إلهي، و (**الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها**) تعني الكعبة التي كنت وما زلت تتوجه إليها، تماما كقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ آل عمران: ١١٠، أي صرتم وما زلتم.

١١ – كل ما قاله اهل الأخبار وأصحاب التفاسير، عن نزول أمر إلهي بالتوجّه إلى بيت المقدّس في الصلاة ثم نسخه بآية البقرة ١٤٤، ليس عندنا بشيء. وكل ما زعموه من أن النبي اتجه بأمرٍ من ربه إلى بيت المقدس في صلاته استرضاء لليهود واستمالة لهم (تفسير الرازي ج ٤ ص ٩٤) مرفوض عندنا جملة وتفصيلا، القائل به من عبيد الإسرائيليات. وكل ما صاغه القائلون بالنسخ من أن آية البقرة ١٤٤ نزلت ناسخة لآية أخرى لا يدري أحد عنها شيئا، جعلت من النبي (ص) وأصحابه محل سخرية لليهود على مدى سبعة عشر شهرا، أنما هو نسيج خيال ركيك وخطير في آن معاً. فالله تعالى يقول ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ

مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ... ﴾ البقرة: ١٥٠،

فهل يعقل بعد هذا القول أن يتخذ النبي (ص) قبلة جديدة غير التي اعتمدها على مدى أربعة عشر عاماً يُعطي فيها الحجة لليهود؟

١٢ – ثمة فيما نرى – أكثر من علاقة وثيقة تربط الصلاة بالحج من جانب، وهذا ما سنفصلة في الفترة التالية، وبين التجريد والتشخيص من جانب، الذي يتجلى في عدد من الصور، منها:

أ – توجّه المصلى إلى الكعبة المشرفة حيث بيت الله الحرام، وهذا توجُّهٌ (حجّ) روحي معنوي مجرد.

ب – التسبيح باسم الله العظيم في الركوع وباسم الله الأعلى في السجود.

ج – التسليم بعد الإنتهاء من الصلاة، الذي يمثل صورة حِسّية لأيمان المُصَلي بوجود الملائكة.

ب – الحج إلى بيت الله الحرام

الحج مفردة قرآنية وردت في ثلاثة عشر موضعا في التنزيل الحكيم، واللفظ ورد ليدل على أحد أربعة معانٍ:

الأوّل القُدوم والقصْدْ، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة: ٣.

الثاني الدليل والبرهان، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الجاثية: ٢٥

الثالث الجدال والإمعان في الحوار بين المتخاصمين كما في قوله تعالى ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنعام: ٨٠

الرابع السنة والعام كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ القصص: ٢٧

وما يهمنا في هذه الفقرة هو المعنى الأول للحج: القصد إلى بيت الله الحرام والتوجه إليه في اشهر معلومات من العام لأداء مناسك معينة لقوله تعالى ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ... ﴾ آل عمران: ٩٧. أو القصد للعمرة أو ما يمكن أن نقول عليه (الحج الأصغر) في الأشهر الحرم والمذكورين في قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ البقرة: ١٥٨.

من هنا، فنحن نرى أن فكرة الحج عند إبراهيم تتجلى في قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ الصافات: ٩٩. ثم تبدأ الفكرة بالنضوج وهو يدعو ربه قائلا ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧. ونرى أنّ مكان الحج قد تحدد منذ إبراهيم بالكعبة المشرفة، وفي بلدٍ صغير شحيح بالماء والثمر، لا يزيد عدد قاطنيه على المئات، ولا يتجاوز عدد قاصديه العشرات. والسؤال الآن: هل أضافت البعثة المحمديّة جديدا إلى الحج من حيث المكان؟ والجواب: نعم بكل تأكيد. فقد استجاب الله لدعاء إبراهيم وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وأمر الناس بإتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وصارت العشرات ألوفا، ولم يعد المكان على هيئته الأولى يتسع للوافدين المحرمين (قيل إن عدد من شارك في حجة الوداع بلغ مئة ألف حاج، وهذا الرقم على قلته بالمقارنة بعدد الحجاج اليوم البالغ حوالي ٢,٣ مليون حاج بين قادم ومقيم، يعد فريدا من نوعه في منتصف القرن السابع الميلادي في شبه جزيرة العرب) وكان لا بد لحدود الحرم الملكي أن تمتد لتستوعب هذه الخلائق المهاجرة إلى ربها، فكان أن رسم النبي (ص) مواقيت الحرم من جهاته الأربع، لا يتجاوزها الحاج والمعتمر إلا محرما، ولا نرى أنّ هذه المواقيت كانت في عهد إبراهيم، ويؤكد هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال: (نَحَرْتُ ها هُنا وَمُنى كلّها مَنْحَرْ، وَوَقَفْتُ ها هُنا وَعَرَفَة كلها مَوْقِفْ). ونفهم أن المواقف في الحديث الرسولي – إن صح – هي الأماكن التي يقف فيها الحاج لقضاء مناسكه، وهي الشعائر كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ

﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ﴾
البقرة: ١٩٨

والجديد في الحج الذي جاءت به البعثة المحمدية لم يقتصر على المكان بل امتد حتى شمل الزمان أيضا، إذ لا بد لكل فعل من ظرف مكاني وظرف زماني يقع فيهما. وإذا كان الجديد في الحج بظرفه المكاني جاء توسيعا لحدود المكان – كما رأينا – فصار عرفة عرفات كما في آية البقرة ١٩٨، وصار المنحر مناحر كما في الحديث الرسولي، فإن الجديد في الحج بظرفه الزماني جاء

تنظيما هدفه التقليل من الإزدحام في مواقف الحج حتى بعد توسيعها. ونبدأ بقوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ ... ﴾ البقرة: ١٩٦، الذي نجد أنفسنا معه أمام أمرين: الأول: قوله وَأَتِمُّواْ، والثاني تفريقة بالعطف بين ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ أما الأوّل ففيه أمر تكليفي بالإتمام، أي إداء الشعائر والمناسك متتابعة دون فواصل زمنية بينها تماما كما في الصوم حين يقول تعالى ﴿ ... ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ... ﴾ البقرة: ١٨٧.

ننتقل الآن إلى قوله ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ... ﴾ البقرة: ١٩٧، ولنقارنه بقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ... ﴾ البقرة: ٢٠٣، وبقوله تعالى ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ... ﴾ الحج: ٢٨

الإشارة واضحة في الآية ١٩٧ من سورة البقرة في لفظ مَّعۡلُومَٰتٞۚ إلى الأشهر الحرم، وهي: رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، في قوله ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ... ﴾ التوبة: ٣٦. والإشارة واضحة أيضا أن هذه الأشهر معروفة ومشهورة عند العرب قبل البعثة المحمدية. (هناك من يعتبر أن الأشهر الحرم هي أربعة اشهر متتالية لا انقطاع فيها). وهذا يقودنا إلى آية الحج ٢٨ وقوله تعالى ﴿ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾، فكما إنّ هناك أشهر معلومات هي الأشهر الحرم، كذلك فإن هناك أيام معلومات ومعروفات ومشهورات هي الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة وآخرها الوقوف بعرفة (هذه الأيام لا علاقة لها إطلاقا بقوله تعالى ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ ﴾ الفجر: ١ - ٣. ولا يطعن في معلوميتها وشهرتها أنها لم تذكر في

بالنص في التنزيل الحكيم، فهي الموسم السنوي الأبرز عند أهل شبه الجزيرة العربية، وفيها كانت قريش تمارس دور المضيف في رفادة الحجاج وسقايتهم منذ عهد إبراهيم، بدليل أن الإشارة إلى هذه الأيام المعلومات وردت في سياق خطابه تعالى لإبراهيم ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ... ﴾ الحج: ٢٧ – ٢٨ أي إن الأيام المعلومات بدأت منذ إبراهيم.

ثمة أيام معدودات تأتي في الترتيب القرآني بعد الأيام المعلومات هي التي تبدأ بالوقوف بمزدلفة وتنتهي بطواف الإفاضة، وهي التي لا إثم على الحجاج إن تعجل بإداء ما بقي عليه من مناسك في يومين، ولا إثم عليه إن تأخر، حسب النص الحرفي لآية البقرة ٢٠٣، ألتي قد تكون في أي أيام من أيام الأشهر الحرم وليست حصرا في الأيام المعلومات كما سنبين ذلك لاحقا.

تلك هي المصطلحات الزمانية التي وردت في كتاب الله حول الحج، نراها أشبه ما تكون في مرسوم تنظيمي، جاءت السنة الرسولية لتوضح عمليا ترتيب ما يجب أن يقوم به الحاج:

١ – ألإحرام في الميقات.

٢ – دخول المسجد الحرام لطواف القدوم.

٣ – ألإنطلاق بعد صلاة الصبح من يوم التروية (الذي كان الثامن من ذي الحجة من حجة الرسول) إلى منى.

٤ – التوجّه بعد صلاة الصبح من يوم عرفة (الذي كان التاسع من ذي الحجة في حجة الرسول) إلى جبل عرفة للصلاة والدعاء والوقوف على الصخرات حتى المغيب.

٥ – التوجه بعد غروب الشمس من عرفه إلى مزدلفة حتى فجر يوم النحر.

٦ – جمع الحصى للرمي بعد صلاة الصبح في مزدلفة.

٧ – رمي الجمرات، وذبح الهدي، والحلق والتقصير.

٨ – التوجه إلى مكة بعد الحلق للطواف والسعي.

إننا بالتأكيد لسنا بصدد ضبط أداء المناسك والشعائر في الحج، والرخص فيها، وأحكام مخالفة بعضها عمدا أوبغير عمد، وما يجب فيه التفكير بأضحية وما لا يجب فيه، لكننا نتساءل بحيرة: إن كانت هذه الأركان والأعمال لا تحتاج إلى أكثر من أيام معدودات، وإذا كان الحج عمليا عند الرسول (ص) كما ورد في حديث رواه الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي – إن صح – هو الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة، رغم أنّ هذا الحديث غير موجود في الصحيحين، فما المقصود في قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ... ﴾ البقرة: ١٩٧؟

والجواب: أن الآية تتحدث عن الحج عموما بنوعيه: ألحج، والحج الأصغر أي العمرة [Θ] في الأشهر الحرم، أما تخصيص الحج بالوقوف في عرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة فهو من القصص المحمدي، فسنوضح ذلك بعد أن نبين أنواع القصد لبيت الله. حيث لدينا ثلاث حالات:

ألحالة الأولى: الحج ويتم فيه إداء الشعائر في أي (أيام معدودات) من الأشهر الحرم، وفيه الوقوف بعرفات في أي يوم من أيام الأشهر الحرم لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ... ﴾ البقرة: ١٩٧، ومنه المفرد وهو الحج فقط، وفيه القارن وهو إحرام العمرة والحج معا، وفيه التمتع حيث يمكن أن تكون العمرة (الحج الأصغر مع الحج).

الحالة الثانية: الحج الأصغر وهو ما نسميه العمرة مفردة في الأشهر الحرم.

الحالة الثالثة: العمرة فقط وهي القدوم إلى البيت العتيق والطواف والسعي فيه في باقي الأشهر، فهي لا حج ولا حج أصغر، وإنما هي عمرة، حتى ولو كانت في رمضان.

مَتى نَحجْ

النبي (ص) حج في الأيام العشرة من ذي الحجة، وصار المُؤمنون بعده من أمته يحجون في هذه الأيام حصراً، ما جعل الزحام شديدا في موسم الحج المتعارف عليه إلى يومنا هذا، حتى صار إداء المناسك عسيرا جدا على الحجاج، لتوافدهم جميعا على نفس المكان لإداء نفس المناسك في نفس الوقت، ونحن نتساءل عما سيؤول إليه الوضع في العهود والقرون المقبلة رغم التوسيعات التي تقوم بها السلطات السعودية والإجراءات التي تتخذ سنويا للحد من هذه المعاناة التي ستظل قائمة وستزداد مع الأعوام، إذا لم نتمكن من إيجاد حل عملي يتوافق مع المقصود الإلهي في التيسير على الناس؟

كتب الفقه والروايات تحرص وتؤكد على أن الحج في هذه الأيام المعلومات فقط.

يقول تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحج: ٢٧ – ٢٨

[Θ] ما زال بيننا إلى اليوم من يخلط بين العمرة، أي الحج الأصغر، والزيارة وهي العمرة خارج الأشهر الحرم. وما زال البعض يزعم أن زيارة المسجد الحرام في رمضان هي عمرة تجزئ عن حجة، وهذا ليس عندنا بشيء.

ويقول تعالى في سورة البقرة: ١٩٧ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ... ﴾

فهل الحج ايام معلومات أو هو اشهر معلومات؟ كيف نزيل هذا التناقض؟

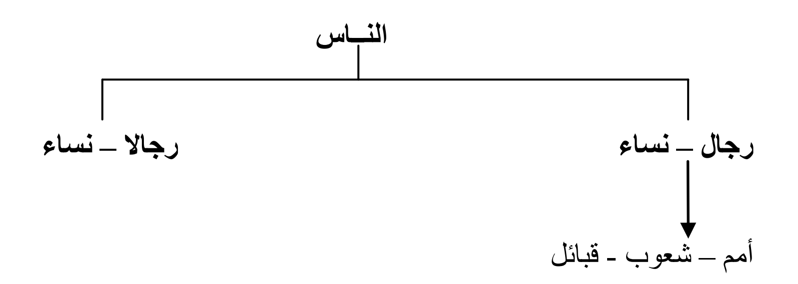
- **الأذان** هو الإعلام والإبلاغ والدعوة، وكلمة (وأذّن) هي أمر من الله لرسوله (ص) بإتباع سنة إبراهيم في الحج في أيام معلومات، أما الزعم أنّ نزول الآية هو ابتداء فرض الحج من الله تعالى للرسول (ص) فهو جهل أو إنكار وجود طائفين وعاكفين وركع سجود في البيت العتيق المحرم قبل العصر النبوي.
- **الناس** جمع إنسان وقد اختلف فيها على ثلاث آراء
  الأوّلْ اعتبروا أن الإنسان مشتق من النسيان وإنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عاهد فنسى، بدلالة قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ طه: ١١٥.
  الثاني اعتبروا أنّ الإنسان مشتق من الأنس وهو نقيض الوحشة والنفور، ذكره تعالى بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ النور: ٢٧
  الثالث اعتبروا أن الإنسان مشتق من المؤانسة وهي الرؤية المقرونه بارتياح وطمأنينة، بدلالة قول موسى لقومه ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ طه: ١٠ ومن هنا سمي الإنسان إنسانا لإمكان رؤيته وسمّي الجن جنا لإختفائه.

أما نحن فلا تهمنا هذه التعاريف الثلاث رغم صحتها، ولا تساعدنا في فهم أية الحج ٢٧، وإنّ علوم الإجتماع والإحصاء هي التي تساعدنا على فهم الآية.

إننا نفهم لماذا لا نجد في كتاب الله عبارة مثل "يا أيها الخلق" أو مثل "يا أيها البشر"، والجواب: لأنّ الخطاب بالأصل لا يكون إلا للعاقل.والخلق إسم عام لمجموعة كبرى تضم الحيوان والنبات والجماد وهذا لا يجوز عقلا توجيه الخطاب إليها(♦). والبشر إسم عام لمجموعة أصغر تفرعت من مجموعة الخلق تضم بشرا يدبون على أربع ثم على إثنين لم تصلهم نفخة الروح الإلهية بعد، أي ليس لديهم عقل ولا لب، وهؤلاء أيضا لا يجوز عقلا توجيه الخطاب إليهم.

أما الناس فهم البشر العقلاء بعد نفخة الروح.

(♦) قد يصيح بنا مستنكر: فأين أنت من قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١ ؟ نقول: الخطاب هنا لسان حال وليس لسان مقال، والقول هنا على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، وإلا لزم أن يكون للأرض إذن ولسان وفؤاد، وهذا لا يقوله عاقل.



إنّ النظر للشكل يعيننا على فهم جملة من آيات التنزيل الحكيم، منها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣. الذي يوضح كيف تتوالد المجموعات وتتفرع من مجموعة كبرى هي الخلق وتتألف من عنصرين اساسيين هما الذكر والأنثى موجودين تكوينيا في كل أنواع الخلق من حيوان ونبات، الغاية منها التكاثر للحفاظ على النوع، ويبين أن الميل البشري للعيش في مجتمعات (أمم وأقوام، قبائل وشعوب) هو أيضا ميل فطري هدفه العيش والتعارف.

والتأمل في الشكل يساعد على فهم قوله تعالى ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ... ﴾ آل عمران: ٩٧.

كما يساعد على فهم قوله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ ﴾ الحج: ٢٧. فقوله (رجالا) يشير إلى أمرين:
الأوّل: إنّ الآتين هم من الذكور العاقلين البالغين الراشدين، والثاني: أنهم يأتوك راجلين. وقوله (يأتين) يشير أيضا إلى أمرين: الأوّل: أنّ الآتيات هنّ من الإناث البالغات الراشدات بدلالة نون النسوة، والثاني: أنهنّ يأتين راكبات على الدواب المخصصة للركوب من جمال وبغال وخيول وحمير أهزلها السفر بدلالة قوله (وَعَلى كلِّ ضامِرٍ). علما بأنّ الرجال فيهم الذكور والإناث، والنساء فيهم الذكور والإناث حسب سياق الآية: إما رجال فيهم ذكور وإناث، أو رجال هم أزواج النساء. وكل من لا يستطيع أن يطوف ويسعى مترجلا ذكرا كان أو أنثى فقد سقط عنه الحج لسبب صحي، أي فقد الإستطاعة الجسدية.

ونحن نقرأ كتاب الله تعالى ونقرأ قصة النبي إبراهيم عليه السلام وهو يبحث عن ربه بين الكواكب والنجوم، ويفتش عن بيت ربه المحرم بين الجبال والأودية ثم يجدهما بعد رحلتين طويلتين أولاهما رحلة نظر والثانية رحلة سفر، ويقف بعدهما يدعوا إلى عبادة إله واحد أحد، إله مجرد لا يُرى ولا يُلمس ولا يُشم، ويدعو للتوجّه إليه في بيتٍ محرم بوادٍ غير ذي زرع عند بلدة شحيحة بالثمر والشجر في بكة، ولا يخرج في هذا كله – من حيث الشكل العام – عما دعا إليه الأنبياء والرسل الذين سبقوه وأولهم نوح، والذين جاؤوا بعده وخاتمهم محمد (ص). المذهل أنّ هؤلاء جميعا جاؤوا

لأهلهم وعشيرتهم وقومهم إلا إبراهيم الذي استهدف في دعوته "الناس" لأول مرة في تاريخ الرسل والأنبياء لقوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤. بعبارة اخرى: المذهل عند إبراهيم هو تلك النكهة الأممية الإنسانية السابقة لعصرها التي لا نجد لها مثيلا إلا عند حفيده محمد بن عبد الله (ص) في قوله تعالى عنه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧. وفي قوله عن نفسه ﴿ ... يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ الأعراف: ١٥٨، وكذلك في الآيتين اللتين نحن بصدددهما الحج: ٢٧ ــ ٢٨، والمتأمل للآيتين يدرك أنّهما تتضمنان أمرا للرسول (ص) بالأذان للحج. لأنه طلب منه أن يدعو الناس إلى الحج في "أيام معلومات"، وهذه الأيام معلومات كما ورد ذكرها في الآية كانت معروفة قبل البعثة لهذا قال له (في أيام معلومات)، وهي التي كان يحج فيها الناس على عهد إبراهيم كما رأينا. وهذا يبين أنّ الأمر الوارد في الآيتين لم يكن من الممكن أبدا أن يكون المقصود به هو إبراهيم في أي حال من الأحوال، لأنه في هذه الحالة ستصبح معرفة (الأيام المعلومات) مُبهمة، لأنّ الآية تدعوا إلى الحج في أيام معلومات حيث كانت هذه الأيام معروفة قبل إبراهيم لو كان الأمر في آية الآذان موجها له؟

هذا يبين دون مجال للشك أنّ الأمر صدر للنبي (ص) لأنه هنا يتحدث عن الأيام المعلومات التي كانت معروفة قبله أي على عهد إبراهيم، ثم طلب الله منه اتباعه بالأذان في الناس بالحج في هذه الأيام، فعلى هذا النحو فقط يستقيم معنى الآيتين، ومما يؤكد أيضا أنّ الأمر بالآذان في الناس موجه إلى الرسول (ص) ما جاء في قوله في سورة الحج نفسها في الآيتين ٢٩ و ٣٠ أي بعد الآيتين ٢٧ و ٢٨ في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج: ٢٩ - ٣٠.

إنّ هاتين الآيتين جاءتا بعد أن طلب من الرسول الأذان في الناس بالحج، لبيان ما على الحجاج من الناس تقديمه لله من أضحيات، بقوله: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾ ، هذا الجزء من الآية هو الشاهد الذي نستدل به لبيان أن الأمر بالأذان جاء للرسول محمد (ص) لا لإبراهيم، لأن يبين لهم ما أحل لهم من الأنعام لتقديمه كأضحية بأنها كلها

حلال إلا ما حرم بالنص في التنزيل الحكيم لهذا قال لهم: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وكما هو معروف فإنه على عهد إبراهيم لم يكن قد ورد بعد التحليل والتحريم في الأطعمة، بل جاء ذلك في ما بعد على عهد بني إسرائيل مع موسى وعيسى ثم على عهد الرسول (ص) بعد ذلك، وهذا يبين أن الخطاب وجه له لا لغيره بالأذان للناس بالحج الوارد في الآية ٢٧ من سورة الحج.

ولكن هنا يجب الوقوف وقفة تأمل في الآيتين ٢٧ و ٢٨ من سورة الحج، ومعرفة ما إذا كان المقصود فيهما ب "الناس" كل الناس إلى يوم الدين، أم فقط من كان في عهد الرسول (ص)؟ لمعرفة ذلك يجب علينا التنقيب أكثر في الآية ٢٧ لندرك أن الخطاب في هذه الآية يخص فقط الناس على عهد الرسول (ص) أي ممن عاصره، لأنّ فعل (**يأتوك**) دليل ظرفية زمانية ومكانية، فهو فعل يستدعي وجود طرفين: الأول مُسْتَقبِلٌ والثاني قادِمٌ، ولو تأملنا كل آيات التنزيل الحكيم التي ورد فيها هذا الفعل على كثرتها لوجدناها تدخل في هذا المضمار، ونعرض بعضا منها هنا للتدليل فقط:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢١٠

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٨

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٨

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأعراف: ٣٥

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ الحشر: ٧

عند تأمّل هذه الأيات وغيرها كثير في التنزيل الحكيم، ندرك أنه عندما يرد فعل ((يأتي)) يستدعي ذلك وجود طرفين اثنين في الأمر، طرف قادم وطرف مستقبل له، وآية الحج ٢٧ التي طلب فيها الله من النبي (ص) أن يؤذّن في الناس بالحج ليأتوه، إنما كانت نداء لمن عاصروه، ولم تكن أمرا مطلقا للناس إلى يوم الدين، فذلك غير معقول، إذ كيف يمكنهم أن يأتوه بعد وفاته؟ ولكن مع الأسف هذا هو الفهم الخاطئ لدى أغلب الناس بتوجههم في الحج أو العمرة لزيارة قبر النبي (ص)، علما بأنّ هذه الزيارة لا تدخل ضمن مناسك الحج أو العمرة، ولو كان الأمر من الله للناس بالقدوم للرسول في حياته معقولا فإن الأمر للقدوم إليه بعد مماته غير معقول ويتعارض مع التنزيل الحكيم

في عدة مواضع كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠ إذ كيف يطلب الله من الناس القدوم على ميت؟

لذلك نرى أنّ هذه الآية من القصص المحمدي، ونزلت على النبي (ص) بأمر إلزامي ظرفي (زماني – مكاني) بالأذان في الناس للقدوم إليه، في الأيام المعلومات التي كان يحج فيها الناس على عهد إبراهيم عليه السلام.

ونرى أنّ الله طلب منه (ص) دعوة جميع الناس للحج في هذه الأيام المعلومات، دون أن يجعل الحج في هذه الأيام إلزاما، ليبين أنّ الحج شعيرة إنسانية، وليس شعيرة خاصة بالأمة المحمدية فقط، حيث تم الأذان للناس جميعا في الأيام التي كان يحج فيها الناس جميعا على عهد إبراهيم. ولو كانت الدعوة خاصة بأتباع الرسالة الخاتمة لقال (وأذّن في المؤمنين يأتوك)، ولأصبحت رسالته محلية لقومه فقط.

لقد تم الآذان للناس جميعا على عهد النبي (ص) في الحجة الوحيدة التي حجها فكانت بمثابة موعد لتجمهر إنساني حافل، وحدث إنساني هز المنطقة يومها في الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وكان اجتماع ذا طابع سياسي لبيان شوكة الدولة الحديثة النشأة وقوتها لفرض هيبتها على المستوى الخارجي، بالإضافة إلى كونه إجتماعا دينيا شعائريا.

لقد تم جمع الناس من الرسول (ص) يومها لإقامة الحجة عليهم في ختم الرسالة المحمدية، خاصة وأنّ حجة الوداع تلك تمت قبل ثلاثة أشهر من وفاة الرسول (ص)، وكانت في شهر ذي الحجة سنة ١٠ هـ ووفاته (ص) حسبما قدرها المؤرخون كانت في ربيع الأول من سنة ١١ هـ.

إننا نرى أن الحج ليس شرطا أن يكون في العشرة أيام الأولى من ذي الحجة – أي تلك الأيام التي حج فيها الرسول (ص) حجة الوداع، ولا نرى أن هناك أي إلزام تشريعي أو شعائري يحصر مناسك الحج في الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة، ولا يمكن أن يكون ذلك لأن نفس الذي أمر بالأذان في الناس للحج في هذه الأيام وهو الله تعالى، هو نفسه الذي جعل مجاله مفتوحا وممتدا لأربعة أشهر هي الأشهر الحرم لقوله تعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

ولا يمكن أن يكون هناك تناقض في كتاب الله، تعالى الله وتنزه عن ذلك.

لهذا فالحج كشعيرة ممكن أن يكون في أي أيام معدودات من الأشهر الأربعة الحرم، اي إنّ أي يوم من الأشهر الأربعة الحرم يمكن أن يكون يوم عرفة، واي يوم من الأشهر الحرم يمكن أن يكون يوم النحر، كذلك أيام التشريق. طبقا للتاريخ الهجري فإن الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم تأتي متتالية، وشهر منفرد وحده هو الشهر السابع رجب.

قلنا إن الحج دعوة للناس جميعا، فكيف نفهم إذن قوله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ التوبة: ٢٨ .

لقد اعتمد على هذه الآية كمرجع لمنع كل أهل الأرض، ما عدا أتباع الرسالة المحمدية، من دخول مكة ومنطقة الحرم على أساس أنهم نجس، فهل هذا منطق مقبول؟ هل يعقل أن يكون ٨٠٪ من سكان ألأرض نجسا والباقي ناسا وهم أتباع الرسالة المحمدية ويمثلون نسبة ٢٠٪ من سكان الأرض؟؟؟

لنفهم آية التوبة: ٢٨، نقول ألشرك ليس صفة لصيقة بصاحبها على الدوام بل هي حالة اعتقادية فقط بالنسبة للمشرك وقد تتحول إلى حالة سلوكية تسمى الكفر في حال التعبير عنها بالمقال أو الفعل، وبالتالي فإنّ كلتا هاتين الصفتين متغيرة إذا تغير الموقف الإعتقادي للإنسان، فقد يكون الإنسان مشركا أو كافرا ثم يتحول إلى التوحيد فتنتفي عنه صفة الشرك.

أيضا مفهوم الشرك ليس ثابتا، ففي عهد الرسول (ص) كان المشركون عبدة أصنام، أما في عصرنا فإن هذه الظاهرة ليست منتشرة، وهذه الصفة سارت إلى طريق الإنقراض نتيجة الوعي الإنساني وتوحيد الله الذي ليس كمثله شيء. وهذا يستوجب علينا نحن كأمة محمد عدم إلصاق تهمة الشرك والكفر بالغير من أهل الملل الأخرى جزافا لأن الله وحده العالم بالسرائر.

وإذا كان الفقهاء بناء على الآية ٢٨ من سورة التوبة قد ألصقوا صفة الشرك بكل من هم ليسوا أتباعا للرسالة المحمدية بمن فيهم أهل الكتاب، والحكم عليهم بناء على ذلك بالنجاسة، وتحريم دخول منطقة المسجد الحرام عليهم، وفي ذلك تقوّل على الله بغير علم، ذلك أنّ التنزيل الحكيم قد

فرق بين أهل الكتاب والمشركين في قوله تعالى ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ البينة: ١، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ البينة: ٦. وهنا ((الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهلِ الكِتابِ)) هم الذين اتخذوا موقفا عدائيا علنيا ضد الدعوة المحمدية وهم في هذه الحالة اليهود ولذا قال ((مِنْ أهْلِ الكِتابِ)) وليس كل أهل الكتاب.

سورة التوبة هي من القصص المحدي ولا تحمل اي أحكام تشريعية.

الآية تقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فهل المقصود بهم كل المؤمنين من أمة محمد عبر كل العصور المتعاقبة كما يفهم الفقهاء؟ طبعا لا، لأنّه يقصد المؤمنون الذين عاصروا النبي في الفترة التي نزلت فيها هذه السورة. وبالتالي فإن قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾، لا يقصد به مشركوا كل الأزمنة والعصور كما فهم الفقهاء، بل يقصد به الفئة الثانية المقابلة لفئة أتباع الرسول في تلك الفترة والتي أبدت عداءً للرسول ومن معه. أما بخصوص قوله

﴿ نَجَسٌ ﴾ فإن هذه المفردة ذكرت مرة واحدة في التنزيل الحكيم وفي هذه الآية فقط، والنجس في اللغة العربية هو عكس الطهارة، وقد اختلف المفسرون والفقهاء حول معنى صفة النجس التي ألصقت بهؤلاء المشركين فذهب البعض منهم إلى أن نجاستهم حسية وذهب البعض الآخر إلى أن نجاستهم معنوية. ونحن نرى أنها معنوية – ونرى أن هذه النجاسة هي التي تخرج من الفم (اي النطق) والتي تتمثل في جعل شريك لله عز وجل عن ذلك. وهذا النطق الذي كان سائدا عند المشركين هو تلبية الحج، والذي هو (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إلا شريك لك ملكته وما ملك)، ولاحظ قوله تعالى ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الكهف: ٥.

ونجد أن التصحيح الذي قام به المسيح في مفهوم النجاسة كان واضحا في نقاش دار بينه وبين تلامذته، لما جاءه الكتبة والفريسيون يحتجون على كون أتباعه لا يغسلون ايديهم حين يأكلون خبزا

١ حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِّيسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ:
٢ «لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلاَمِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوخِ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزًا؟»
٣ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟
٤ فَإِنَّ اللهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا.
٥ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ.
٦ فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!
٧ يَا مُرَاؤُونَ! حَسَنًا تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً:
٨ يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا.
٩ وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ».

١٠ ثُمَّ دَعَا الْجَمْعَ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا وَافْهَمُوا.
١١ لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».
١٢ حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَقَالُوا لَهُ: «أَتَعْلَمُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمَّا سَمِعُوا الْقَوْلَ نَفَرُوا؟»
١٣ فَأَجَابَ وَقَالَ: «كُلُّ غَرْسٍ لَمْ يَغْرِسْهُ أَبِي السَّمَاوِيُّ يُقْلَعُ.
١٤ اُتْرُكُوهُمْ. هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ».
١٥ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «فَسِّرْ لَنَا هذَا الْمَثَلَ».
١٦ فَقَالَ يَسُوعُ: «هَلْ أَنْتُمْ أَيْضًا حَتَّى الآنَ غَيْرُ فَاهِمِينَ؟
١٧ أَلاَ تَفْهَمُونَ بَعْدُ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَمْضِي إِلَى الْجَوْفِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى الْمَخْرَجِ؟
١٨ وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنَ الْقَلْبِ يَصْدُرُ، وَذَاكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ،
١٩ لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ.
٢٠ هذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. وَأَمَّا الأَكْلُ بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ فَلاَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

إنجيل متى: الإصحاح ١٥

أما الخلط عند الفقهاء لدى الفقهاء بين النجس والرجس والقول بأن لهما نفس المعنى فهذا هراء كقولهم عن الخمر بأنه نجس، ولكن واقع الأمر أن الخمر فيه رجس، ورجس الخمر هو السكر، ولا علاقة للنجس بذلك من قريب ولا من بعيد.

أما قوله تعالى في نفس السورة ﴿ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ فقد فهمه الفقهاء على أنه تحريم ابدي، فألصقوا صفة الشرك على كل اهل الكتاب ومنعوهم من الإقتراب من المسجد الحرام، وفي ذلك تقوّل على الله وتحريم لما أحل،لأن التحريم إلهي أبدي شمولي، أما ما جاء في هذه الآية من سورة التوبة فهو منع أي إنسان يلبي تلبية فيها شرك حين دخول منطقة المسجد الحرام، وهذا الخطاب موجه للمؤمنين للتعامل مع هذه الفئة التي كانت موجودة فعلا، وبعد فتح مكة انتهت بدون رجعة ولا علاقة لبقية سكان الآرض بهذا. فخطاب النهي في الآية ليس أزليا بل ظرفي. وقد يحتج علينا الفقهاء بأن هذه الآية أبدية بدليل قوله ﴿ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾، وقد يبدو كلامهم مقبولا للوهلة الأولى لكن هناك آية أخرى في نفس السورة (سورة التوبة) تبين مفهوما معاكسا لمفهوم الأبدية والإطلاق الذي قال به الفقهاء هو قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ ﴾ التوبة: ١٢٦، فالآية توجه الخطاب للمنافقين بأنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين حيث جاءت بعد قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥ ﴾ التوبة: ١٢٥، فهل نقول بأن حالة الإفتتان التي كانوا يعيشونها أبدية؟ نقول في كل عام مرة أو مرتين إذا كان لها الطابع الأبدي، فأين الفتنة مرة أو مرتين في كل عام منذ نزول السورة حتى يومنا هذا؟ وكان وجب أن يكون هناك ١٤٠٠ إلى ٢٨٠٠ فتنة حتى يومنا هذا. فهل من متطوع يخبرنا ما هي هذه الفتن؟ لذا فهذه الآية تصف حالة معينة لأهل حقبة زمنية محددة هي عهد البعثة المحمدية فقط.

كذلك آية الجزية فهي من القصص المحمدي حدثت في شروط الجزيرة العربية في القرن السابع. علما بأن الشروط الحالية في العالم لا تسمح بشيء اسمه الجزية ولا لزوم لها، وأن آية الجزية وغيرها في سورة التوبة هي تاريخ وليست تشريعا.

وختاما يمكننا أن نستنتج أن الفقه المتوارث بكل فروعه في الشعائر أو العبادات كما يسميها الفقه، وفي التشريعات أو العادات بحاجة لإعادة قراءة، حتى نعيد الإعتبار للدين الإسلامي، ونعيد له صفة العالمية التي أفقده إياها الفقه والفقهاء وعلى رأسهم الشافعي، سامحهم الله.

الصوم

شعيرة من الشعائر التي نتقرب بها إلى الله.

الصوم كان بالإمتناع عن الكلام قبل أن يتحول بالإمتناع عن الطعام. قال تعالى على لسان مريم عليها السلام

﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٦

مريم عليها السلام، صامت بالإمتناع عن الكلام، والإمتناع عن الكلام أصعب من الأمتناع الطعام. نكرر هنا أن الصيام هو ركن من أركان الأيمان لأتباع الرسالة المحمدية .. الذي يصوم رمضان يُعرف أنّه من أتباع الرسول الأعظم.

إن تحويل أركان الأيمان إلى أركان الإسلام حول الرسالة الخاتمة من رسالة عالميّة إلى رسالة محلية. ألإسلام عالمي وشمولي.

بالأصل الصيام هو الصوم عن الكلام – يقال صام الديك – أي توقف عن الصياح.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ آل عمران: ٤١ .. هنا أيضا طلب من زكريا عليه السلام بأن يصوم عن الكلام.

الصوم عن الكلام أصعب من الصوم عن الطعام. تصور لو أنّ رب العالمين طلب منا في رمضان أن نصوم عن الكلام، عندئذ تتوقف العلاقات الإجتماعية وتتوقف الأعمال، وتتوقف دورة الحياة في المجتمع. ألأعمال تستدعي الكلام.

والصوم ليست شعيرة خاصة بأتباع الرسالة المحمدية لكنها كانت في الأمم السابقة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ... ﴾ البقرة: ١٨٣ – ١٨٤، بكل الرسالات (أيّام معدودات).

الله أوضح لنا بعضا من تفاصيل الصيام في الآية ١٨٤ من سورة البقرة ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ١٨٤ .. فالله رخّص للذين يطيقونه فدية إطعام مسكين .. وهنا نقول فدية وليس كفارة، لأن الكفارة تكون لذنب اقترفه الإنسان .. أكثر من ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل الصيام نفسه كفارة.

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ... ﴾ البقرة: ١٩٦

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ النساء: ٩٢

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المائدة: ٨٩

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ المجادلة: ٣ – ٤.

يقول البعض أن ﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ في آية البقرة ١٨٤ تعني الذين لا يطيقونه ونقول: عندما قصد الله الذين لا يطيقون ذكر ذلك بوضوح. قال تعالى

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦ .. فيطيق تعني يطيق وليس لا يطيق.

أنا أقول أن الإنسان إذا كان لا يرد أن يصوم لأي سبب ما فعليه كفارة – على الأقل – إطعام مسكين. رب العالمين حين يعطي هذه الرخصة فهو أدرى بعباده. تصور اليوم عدد المسلمين في العالم قد وصل إلى مليار وثلاث مئة مليون نسمة. لنفرض أن هناك مئة مليون يطيقون الصيام وقرروا أن يُكفِّروا – على الأقل – إطعام مسكين عن كل شخص، أي بمعدل ١٠ دولارات عن كل يوم. لنحسب:

كفارة الشخص الواحد طوال شهر رمضان = ١٠ × ٣٠ = ٣٠٠ دولار

كفارة المئة مليون مؤمن طوال سهر رمضان = ١٠٠٠٠٠٠٠٠ × ٣٠٠

= ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

أي ٣٠ مليار دولار، هذا إذا كانت الكفارة إطعام مسكين واحد، فما بالك وهناك من هو قادر على إطعام ١٠٠ مسكين، فكم سيكون المبلغ.

هذا الأمر يجب دراسته، لأنه لو كان هناك صندوق إسلامي بحق يهتم بهذا الموضوع لقضينا على الفقر وعلى المجاعة في أقاليم عديدة .. فما يمكن أن يجمع من هذا الأمر يفوق ميزانية دول بذاتها.

أخيرا أريد أن أقول هنا أن الأسباب التي قد تؤدي على عدم القدرة على الصيام عديدة، منها مثلا الأعمال التي تتطلب مجهودا عاليا، ومنها مثلا أولئك الذين يعيشون في الدول الإسكندنافية حيث تصل ساعات الصيام في اليوم الواحد حوالي ال ٢٠ ساعة أو أكثر.

لكن في النهاية إذا كان الإنسان قادرا على الصيام، فإن ذلك يكون أفضل له ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾

ألآن شخص قرر أن يصوم، كيف يصوم؟ جاءت الآية التالية لتوضح ذلك ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة: ١٨٥ .

ثم بين لما سبحانه وتعالى ما يجب أن نقوم به وما يجب أن نتجنبه إذا قررنا الصيّام

﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ البقرة: ١٨٧

الزكاة

الزكاة شعيرة من شعائر الله، لكنها تتميز عن الصلاة والصوم بأن لها إرتباط بالآخرين.

والزكاة تأتي دائما في التنزيل الحكيم مرتبطة بالصلاة (يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)، ونرى هذا في آيات كثيرة في التنزيل الحكيم.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥

﴾ المائدة: ٥٥

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ الأنفال: ٣

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ ﴾ النمل: ٣

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ لقمان: ٤

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾ التوبة: ٧١

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ الحج: ٤١

﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ ﴾ النور: ٣٧

... آيات كثيرة في كتاب الله نجدها تربط إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة.

لقد حدد الله لنا في سورة التوبة من هم الذين يستحقوا الصدقات. قال تعالى

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ التوبة: ٦٠

١ – الفقراء ٢ – المساكين ٣ – العاملين عليها ٤ – المؤلفة قلوبهم ٥ – في الرقاب ٦ - الغارمين

٧ – في سبيل الله ٨ – ابن السبيل.

وفي سورة البقرة ذكر لنا لمن يُؤتى المال

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

وهنا ذكر ١ – ذوي القربى ٢ – اليتامى ٣ – المساكين ٤ – ابن السبيل ٥ – السائلين ٦ – في الرقاب ... وبعد أن ذكر هؤلاء قال تعالى (وأقام الصلاة وءاتى الزكاة) ونفهم أن المذكورين ليسوا ممن دخلوا ضمن من نزكي لهم.

نلاحظ أنّ هناك ثلاث فئات مشتركة ذكروا في آية التوبة: ٦٠ وآية البقرة: ١٧٧ وهم: المساكين، ابن السبيل وفي الرقاب.

هناك زكاة اسمها زكاة الأيمان خاصة بأتباع الرسالة المحمدية، وهناك زكاة إنسانية عامة.

لنفرض أن مُحْسِنٍ مؤمن اراد أن يتبرع لدار أيتام في أي بلد سواء أكان هذا البلد يتبع الرسالة المحمدية أو لم يكن .. لا مشكل، هذه زكاة إنسانية جائزة.

الفقراء:

لكن إذا أردت أن تتبرع للعاطلين عن العمل فالأجدر بك أن تتبرع لأولئك الموجودين في بلدك وليس في أي بلدٍ آخر.

المساكين:

المساكين هم فئة خاصة من الناس لا يخلو مجتمع إنساني منهم. هؤلاء هم من نطلق عليهم إسم أصحاب الإحتياجات الخاصة. هؤلاء تجوز الصدقة لهم لأيّ مذهب انتموا.

المسكين من "سكن"، قليل الحيلة: أعمى، أطرش، مشلول ....

الله تعالى قال إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ .. قدم الفقراء لأنّ الفقراء عددهم أكثر من المساكين. ويعتبر الأعمى والأطرش في المجتمعات عامة معاقا، لأنّ هاتين الحاستين: السمع والبصر هما مصدر المعلومات من العالم الخارجي، فلو فقد الإنسان حاسة من هذه الحواس يعتبر

معاق. ونلاحظ دقة التنزيل الحكيم بقوله تعالى

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل: ٧٨

فالله تعالى ذكر من الحواس الخمس ألسمع والبصر، ولم يذكر الشم والذوق والحس، لأن من يفقد أي من هذ الحواس الثلاث لا يعد معاقا ولا تؤثر كثيرا على تلقي معلوماته من محيطه الذي يعيش فيه.

السائلين:

هم فئة من الناس ألمت بهم مصيبة وطلبوا المساعدة. كأن تحدث كارثة طبيعية: زلزال، طوفان، حريق ... يكون نتيجتها تشريد العديد من الناس، هؤلاء عليك تقديم المساعدة لهم دون السؤال عن الدين أو المذهب الذي ينتمون إليه.

وفي الرقاب:

إلى الآن ما زالت ظاهرة الرق البشري تتجسد في بعض التصرفات. ما زال هناك من يتاجر بأجساد النساء ويستعبد الأطفال بأن يرسلهم للعمل بطريقة لا إنسانية. هؤلاء عليك العمل على تخليصهم من هذا الظلم.

أي إنسان فقد حريته من قبل شخص آخر ولم يعد قادرا على التخلص منه .. هذا الإنسان يجب مساعدته ومد يد العون له.

ذو القربى:

علينا أن نميز بين (ذو القربى) وأولي القربى. فأولي القربى هم الأقرباء نسبا، أما ذو القربى فهم القريبين منك دون أن يربطك بالضرورة أي صلة قربى بهم. كالسكرتير الذي يعمل لديك منذ فترة طويلة وكانت له يد بيضاء خلال عمله وساهم في نجاحك.

أخيرا قال تعالى

﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ الطلاق: ٧

إنسان لا يمكن المال ليتصدق به لكن الله أعطاه علما ينقع فليعلمه لغيره، أو موهبة امتلكها فليحاول أن يشارك الآخرين بها، بالرسم إن كان يجيده، بالغناء إن وهبه الله بالصوت الجميل، بالرياضة إن كان قادرا .. بما وهبه الله.

علم الناس ما انت مبدع فيه.

فهرس ألكتاب



محمد شحرور

محمد شحرور

محمد ديب شحرور ..
ولد في سوريا – دمشق ١٩٣٨ ..
حاصل على شهادة ألدكتوراة من جامعة دبلن – أيرلندا ١٩٧٢
إختصاص ميكانيك وتربة أساسات ..
عين مدرسا في كلية ألهندسة ألمدنية – جامعة دمشق حتى العام ١٩٧٢ ..

له عدة مؤلفات في مجال إختصاصه تؤخذ كمراجع هامه لميكانيك ألتربة والأساسات ..

بدأ في دراسة ألتنزيل ألحكيم وهو في أيرلندا بعد حرب ١٩٦٧، وذلك في عام ١٩٧٠ وقد ساعده ألمنطق ألرياضي على هذه ألدراسة، واستمر بالدراسة حتى العام ١٩٩٠ حيث أصدر ألكتب ألتالية ضمن سلسلة (دراسات إسلامية معاصرة) ألصادرة عن دار ألطباعة والنشر في دمشق.

1- (ألكتاب والقرآن – قراءة معاصرة) عام ١٩٩٠ (٨٢٢ صفحة)
2- (ألدولة والمجتمع) عام ١٩٩٤ (٣٧٥ صفحة)
3- (ألإسلام والإيمان – منظومة ألقيم) عام ١٩٩٦ (٤٠٠ صفحة)
4- (نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي – فقه ألمرأة "ألوصية، ألإرث، ألقوامة، ألتعددية، ألباس) عام ٢٠٠٠ (٤٠٠صفحة)
5- (تجفيف منابع ألإرهاب) عام ٢٠٠٨ (٣٠٠ صفحة)

وصدر له عن دار ألساقي – بيروت – لبنان، ألكتب ألتالية:

1- (ألقصص ألقرآني – ألمجلد الأول: مدخل إلى ألقصص وقصة آدم) عام ٢٠١٠ (٣٥٩ صفحة)
2- (ألكتاب والقرآن – روية جديدة) عام ٢٠١١ (711 صفحة)
3- (ألقصص ألقرآني – ألمجلد ألثاني: من نوح إلى يوسف) عام ٢٠١٢ (٢٨٦ صفحة)
4- (ألسنة ألرسولية والسنة ألنبوية – رؤية جديدة) عام ٢٠١٢ (٢٢٩ صفحة)
5- (ألدين والسلطة – قراءة معاصرة للحاكمية) عام ٢٠١٤ (٤٨٠ صفحة)
6- (ألإسلام والأيمان -منظومة ألقيم) عام ٢٠١٤ (٣٢٦ صفحة)